

رواية والمعبرة



جرام

1/4



عصام يوسف

# ¼ جرام

اجتمعنا كلنا حول المائدة.. دقائق الساعة تعلن السابعة، رامى يلف  
السجاير، أحمد كعادته يقرأ الصحف، علاء شغله الشاغل الاطمئنان على  
زجاجات الخمور والبيرة المتلجة، حسين لا يتوقف عن الحديث عن الكرة،  
وصلاح "يفتح الكوتشينة"، ويصل بهاء.. ويسبقه قدر هائل من الضجيج، وقبل  
التحية أو السلام، دخل مباشرة فى الحديث قائلاً:

بهاء : اسمعوا يا رجاله.. رأس السنة دى مش خمرة ولا حشيش..  
مفاجأة.. الجديد.. البريمو.. سحر يا إكسلانس.. أنا معايا هيروين..  
بؤذرة.. رُبُع جرام.

رامى : بودرة؟؟!! بتعمل إيه البودرة دى؟؟

صلاح : ويعنى هيعمل إيه الربع جرام دا يا بونو؟!

بهاء : إنت مستهيف الربع جرام..

دلوقت تشوفوا الربع جرام دا هيعمل إيه!!!

---

24 Mar.

Wed.

Riyadh

ISBN:977-17-5496-3



9 789771 754961

الدار المصرية اللبنانية

رواية واقعية

$\frac{1}{4}$  جرام

عيون قارئ

وماذا فعل في مجموعة أصدقاء..

عصام يوسف

إهداء

إلى:

عيون قارئ  
أبي وأمي...

## وصية صديق

صاحب هذا الكتاب هو: صلاح.. من أعز أصدقائي، وضع في عنقي، منذ 15 عاما إلا قليلاً، مسؤولية هائلة.. عندما روى لي قصة حياته بأدق تفاصيلها.

قال ما قال، وترك كل الحروف والكلمات أمانة في عنقي، لأروها بدوري لأجيال قادمة لعلها.. ولعلها.. ولعلها..

سافر صلاح منذ زمن بعيد، واستمر على اتصال بي من حين لآخر، ومنذ ثلاثة أعوام اتصل بي وسألني إذا كنت مازلت احتفظ بما كتبناه وسجلناه منذ سنين أم لا.. وكانت إجابتي:

- طبعاً.. كل حاجة في الحفظ والصون.. بتسأل ليه؟

فاجأني وقال:

- سنين كتير عدت.. وياريت لو نقدر ننقل الرسالة..

رسالة إلى كل مدمن، إلى كل أب وأم، أخ وأخت، صديق وصديقة، إلى كل طبيب ومعلم، وقاضٍ ومحام.. إلى شباب مصر والعرب بصفة خاصة، وإلى شباب العالم بصفة عامة..

يا عصام.. فكر كويس قبل ما توافق.. دي مسؤولية كبيرة.

استخرت الله سبحانه وتعالى، وأمسكت القلم، وبدأت الكتابة..

إليك عزيزي القارئ هذا الكتاب.. وماذا فعل "¼ جرام" في مجموعة أصدقاء..

وصيتي أن تقرأ كل الحروف والكلمات، بعقل واع، وبقلب مفتوح.. حتى آخر سطر قاله لي صلاح.

شكر..

إلى الله.

عيون قارئ  
صلاح

## مَن أنا؟

صلاح..

جئت للحياة في فترة يُطلق عليها: الزمن الجميل.

عائلتي معروف عنها أنها عائلة عريقة، مثقفة، متحضرة، مستواها

المادى مرتفع إلى حد ما.

الأب: مهندس، انتخب أكثر من مرة عضواً في مجلس الأمة "مجلس

الشعب حالياً".

الأم: أستاذة بالجامعة، دكتوراه في التاريخ.. حقاً إنها مربية أجيال.

الأخ الكبير: كريم، أكبر مني بحوالي تسع سنوات، الأول باستمرار في

كل المراحل الدراسية، ذكي، ورأى الشخصي أنه فعلاً عبقرى.. يفهم ويعرف

جيداً ما معنى الانفلات "الصياغة"، ولكنه منضبط جداً، بمعنى أنه لم يخرج

طوال عمره عن القواعد، باختصار "عمره ما صاع".. اتجه إلى الدراسات العليا

في سن مبكرة، حصل على الدكتوراه من إحدى الجامعات البريطانية، وعمل في

مجالات مختلفة ما بين إنجلترا وأسكتلندا والولايات المتحدة الأمريكية.. أب

لطفنتين توأم، غاية في الرقة.

أختي التوأم: رولا، هادئة، متفوقة، لاعبة تنس ممتازة، تتمتع بأخلاق

الإنسان الرياضي، واضحة وصريحة، ومحبوبة من الكل سواء في المدرسة أو

النادي، وهي الفتاة المثالية بالجامعة لثلاث سنوات متتالية.. ومع أنها ولدت قبل

بدقائق إلا أنها ترعاني وتدلني وكأنني طفلها أو عروستها.. رولا تعمل في

منظمة من منظمات الأمم المتحدة.. وهي أم حانية لطفل ذكي جداً، "وبنوتة"

جميلة.

منذ بداية الوعي فى هذه الدنيا، كنت لا أهتم مثل أخوى بموضوع الدراسة، ولم أحب المدرسة مثلهما، ولازلت أذكر أول يوم لى أنا ورولا فى الحضانة.. رولا دخلت دون مشكلة.. أما أنا فبسرعة صاروخية جريت من باب المدرسة، وفى أقل من ثانية وصلت إلى باب السيارة، فتحتها.. ودخلتها فى غمضة عين، وانكشيت على الكرسي الخلفى قبل أن يدبر الوالد المحرك، وانفجرت باكياً.. بكيت بحرقه على أمل أن أكسب عطف الوالد، وقاومت محاولاته حتى لا أرجع إلى الحضانة، وعلى رأيه:

- يومها، عملت لى فضيحة قدام كل الناس.

أخذنى والدى إلى داخل الحضانة، ووجدنا رولا تبكى هى الأخرى.. قطعاً كانت تبكى لبكائى.. هذه الواقعة كانت السبب المباشر فى قرار بابا وماما بنقل رولا إلى مدرسة للبنات.

فى ذلك الزمان كانت عندنا مربية، وكانت تنزل معى لانتظار سيارة المدرسة.. كنت فى السادسة، ومصروفى عشرة قروش.. طبعاً، العشرة قروش كانت بمقاييس هذا الزمان مبلغاً محترماً بالنسبة لولد صغير فى سننى، وكنت أعطى المربية خمسة قروش لتقول لأهلى:

- أتوبيس المدرسة مجاش النهارده.

وكانت كل مرة تخترع أى عذر، وأى حجة بالاتفاق معى.. المهم عدم الذهاب للمدرسة، وفى كل مرة أعطيها نصف مصروفى.

فى يوم من الأيام، اتصلت مديرة المدرسة بأمى، وسألتها:

- ليه صلاح بيغيب كثير؟

بطبيعة الحال، لم يتوقع أهلى أبداً أن هذه الخطط بيتكرها ولد صغير فى مثل سننى.. وكانت النتيجة طرد المربية، بينما أنا لم أعاقب، وانتهى الموضوع



بسلاسة غريبة، لتصورهم وثقتهم أن المربية هي صاحبة الفكرة، وبالنسبة لى، كانت المشكلة أننى بدأت الذهاب إلى المدرسة فى المواعيد وبانتظام.

يأتى الصيف.. وكنت أقضيه فى النادي، طوال اليوم، ما بين المسباحة ولعب الكرة.. وكانت أهم لعبة عندى هى الكرة، وأحب لعبة هى "عسكر وحرامية".. وفى سن مبكرة جداً، بدأ الانفلات، أو بتعبير أدق "الصياغة".. كنت فى السابعة، عندما بدأت أسرق السجائر من علبة سجائر فى الصالون، أو فى غرفة المكتب، كل صباح أصحو من النوم، عن عمد، فى الثامنة.. وأجرى إلى غرفة المكتب أو الصالون، وبابا فى "الشغل"، وماما وأخواتى نائمين، إذا، الدار أمان.. وبسرعة أنفخ سيجارتين أو ثلاثة.. فكرة خروج الدخان من فمى كانت تعجبنى جداً.

كان فى بيتنا بار صغير، ومن حين لآخر يزورنا أصدقاء الأسرة، وبعض الضيوف الأجانب الذين يدرسون مع الوالد عشرات المشاريع الهندسية، وخلال جلساتهم الطويلة يتناولون العشاء، ويشربون البيرة أو الويسكى، وكنت أتوسل بالدموع أن يسمحوا لى بأن أشرب البيرة، وكان فى رأى البعض، أمام الدموع و"النههة"، أن القليل منها لا يضر.

كان يوم زيارة هؤلاء الأصدقاء بالنسبة لى يوماً جميلاً إلى أقصى درجة، لأنه بعد خروجهم، كنت أشرب ويسكى كما أريد، وأضيف الماء فى الزجاجة بدلاً من الويسكى الذى شربته.. إنها خطة "بار تندر" صايع وغشاش"، فكرة لم يُعلمها لى أحد، وبتلقائية نفذتها.. ومن العجيب، فيما أظن، أنها لم تُكتشف.. وكنت أستمتع بكل غلطة أفعالها، ولا يتم اكتشافها، فأشعر أننى ذكى، وكنت سعيداً بهذا الذكاء، وأحس أن الخروج على القواعد، والانفلات "الصياغة" فى عروقى ودمى.

المهم، موضوع السجائر بالنسبة لى أصبح موضوعًا عاديًا جدًا، وكان يمنحني ثقة، ويشعرنى أننى ولد كبير.. أو كما يقول التعبير الشائع: "يعرف يلعب بالبيضة والحجر".. فى البداية كانت السيجارة فى الحمام أو "نفسين" بسرعة فى البلكونة أو الجراج، والإحساس بأنى "خرمان" ونفسى أشرب سيجارة كان إحساسًا جديدًا، وبعد أن أشرب، كنت أحس براحة وهدوء، وأشعر أنى "مبسوط" كأنى "عامل دماغ على قدى واتظبط".. إحساس عرفته أكثر وأكثر فيما بعد.

كان من هواياتى العجيبة، البحث والتفتيش والعبث فى الممتلكات الخاصة لكل فرد فى الأسرة.. وفى يوم اكتشفت وجود سيجار فى درج مكتب بابا، أخذت السيجار ودخلت الحمام، "ولعته" بكل جرأة، والكارثة أن بابا كان فى البيت، والسيجار رائحته قوية.. وفجأة، بابا فتح باب الحمام وشافنى والسيجار معلق بين شفتى وصرخ قائلاً:

- سيجار يا صلاح!! سيجار!!

وأخذت "علقة مش أى كلام".. علقه ساخنة جدًا.

وفى هذه السن الصغيرة، فى الثامنة من عمري، كنت "خريف" ركوب عجل، وتمنيت أن أشتري "موتوسيكل" وبدأت الإلحاح و"الزّن".. لكن الموضوع صعب، ولم يكن بالسهولة التى أتصورها، إنما الإلحاح و"الزّن" المتواصل استمر لمدة سنتين:

- صباح الخير.. أنا عايز "موتوسيكل".

- تصبخوا على خير.. أنا عايز "موتوسيكل".

وأخيرًا، وبعد سنتين نجحت واشتريت الموتوسيكل، وعملت حوادث كثيرة بهذا الموتوسيكل، لأنى جربت حركات لا أول لها ولا آخر، ابتداء من الجرى السريع، و"الغرز" والحصان.

مرت الأعوام.. وفي العاشرة تقريبًا من عمري، بدأت أشتري سجاير وأبيعتها في المدرسة.. السيارة الواحدة ثمنها خمسة قروش.. وكل علبة كان صافي ربحها علبة كاملة.. كانت فكرة البيع تعجبنى وتسيطر على تفكيرى.. كنت أبيع أى شىء يمكننى بيعه.. أبيع لمن يشتري.. وأبيع بأى ثمن.. وكان أخى كريم المسكين أكبر ضحية فى الموضوع؛ لأننى ببساطة كنت أستولى على كثير من ممتلكاته الخاصة وأبيعتها.

أما عن الأصدقاء، فأول الأصحاب كان جارى مراد، أكبر منى بسنة، طويل، وبالتالي شكله أكبر منى بأكثر من سنة.. والده رجل أعمال ذو نفوذ قوى، ويملك توكيل سيارات، وكان يسمح لنا بقيادة السيارات فى نطاق حى الزمالك، وذات يوم سمح لى مراد بقيادة السيارة حول المنزل لأول مرة فى حياتى.. وكان عمري 11 سنة.. وكانت سيارة "فولكس بيتلز" وكنت أرى الطريق ما بين "التابلوه" و"الدركسيون".. وبسهولة عرفت أسواق، لأننى منذ الخامسة من عمري كنت شديد التركيز فى الموضوع، وكنت أعرف كثيرًا من التفاصيل عن البنزين، والزيت، والفرامل، و"قييس" السرعات.. وطبعًا خبرتى فى قيادة الموتوسيكلات أفادت كثيرًا.

وقبل عيد ميلادى الثانى عشر بأيام قليلة، بدأ الإلحاح و"الزئ" المتواصل لشراء موتوسيكل أكبر.. وكالمعتاد، نجحت العملية واشترت موتوسيكل "ياماها 100 تريل" كبيرًا وجميلًا وسريعًا، بالإضافة إلى أننى كنت يوميًا أستولى على سيارة ماما وهى نائمة، وأذهب مع مراد فى جولة سريعة حول جزيرة الزمالك.

الموقف فى النادي كان أكثر من ممتاز.. ولد عمره 12 سنة، وعنده موتوسيكل أحدث موديل، وكل يوم بسيارة مختلفة من سيارات توكيل والد مراد.. وبالتالي حصل تقارب مع الأولاد الأكبر منى، وكنت عندما أظهر فى النادي، ألمح وأشعر برغبتهم الواضحة فى أن أصحابهم.. وتدرجيًا أصبح

عشرات منهم أصحابي.. وبدأت أقعد مع الشباب الكبار فى مكان هادىء، تحت الأشجار بعيدا عن العيون، والإضاءة خافتة، وكان الأولاد والبنات يتقابلون ليشربوا البيرة والحشيش.

فى هذا المكان الهادىء، شربت أول سيجارة ملفوفة فى حياىى، وتشجيعا قالوا:

- ولع يا صاصو.. ما تخافش مبيتعُضش.
- خد نفس وطلع الدخان من مناخيرك.
- أحسن يطلع من ودنه بعدين.. (على رأى عادل أدهم فى فيلم "ثرثرة فوق النيل").

أخذت السيجارة، والمفروض إنى آخذ نفسين، وتلف.. لكن لما وصلت عندى، وقفت.. ولما طلبوها منى رفضت تماما، وقلت:

- سيجارتى ومستحيل حد يقرب لها.

وفى ذلك اليوم، أحسست ولأول مرة أنى "مسطول" وشربت يومها چوينتين وحدى.. واشتهرت بموضوع: "الچوينت بيچى عند صلاح ويقف".. وفاض وزاد وغطى، إنى شربت زجاجتين بيرة "ستلا" الشهيرة فى ذلك الزمان.. ويومها كنت فى قمة النشوة.. وهات يا ضحك، وركبت الموتوسىكل، وسألتهم آخر سؤال:

- هو أنتم هنا كل يوم؟ على العموم أنا شخصيا نويت آجى هنا كل يوم. فى هذه المرحلة من العمر.. عمر الورود المتفتحة، تعلمت من الشباب الأكبر منى، أصحاب التجارب البهلوانية، قصة القطرة "البروزلين"، وكانت بالنسبة لى قصة مضحكة؛ نقطة القطرة تنزل على العين، والبنى آدم مسطول، فيضحك من قلبه، ويشعر كأنه تحت "الدش".. يتجدد بين الساخن والبارد فى لحظة.. لكنه ضرورة لعلاج احمرار العين الشديد.

الغريب فى موضوع الحشيش أن كل شىء مضحك.. القطرة مضحكة.. الكلام يُضحك.. وأيضاً السكوت مُضحك.. نسمة الهواء تساعد على زيادة الإحساس "بالسلطنة"، تجعلك طيراً فى السماء، فتضحك أكثر وأكثر. كانت الجلسة كل يوم فى النادى تبدأ من بعد الغروب، حتى الساعة الثانية عشرة.. نقضيها فى الضحك، والحكايات والحواديت.. وعندما أتكلم، كنت أشعر أن كلامى رغم صغر سننى له معنى، وموزون، وأن الكل معجب بخفة دمنى.. والأهم من هذا وذاك، أن صلاح "حضرتى"، أصبحت واحداً من "شلة" الشباب الكبار.. طبعاً بالنسبة لى، هذا كله شىء جديد يحتاج إلى نفقات.. فلوس.. مصروف كبير، طبعاً لا يصح أن أشرب كل ليلة على حساب "الشلة" فاخترعت قصة الدروس الخصوصية.

وكانت أجمل فكرة خطرت بالبال.. أنا رايح الدرس.. أنا راجع من الدرس.. وغرقت فى بحر الفلوس بحجة أن الدروس غالية.. ولكن الحقيقة، بين كل أربعة دروس وهمية، أخذت درساً واحداً فقط لاغير، وأصبحت فى نظر "شلة" الشباب الولد الغنى "اللارُج" الذى يشتري الحشيش بكميات، ويدفع حساب البيرة.

المدهش والغريب فى الموضوع أننى كنت أنجح فى الامتحانات، ولكن نجاح غير مشرف، يضطررنى إلى تغيير أرقام النتيجة، وتتحول 67% إلى 76%، وكنت أكتفى بهذا التغيير البسيط، ولا أرفع المجموع لأعلى من هذا، وإلا لن يصدقنى أحد، وتتكشف اللعبة الشيطانية.

## الشلّة

ساعدنى وجود الموتسيكل على التحرك فى كل مكان، وبسهولة، وجعلنى أتعرف إلى أصحاب جدد، وعرفت منهم أماكن بيع الحشيش، وفى تلك الأيام كانت "الباطنية" أهم منطقة، فالبيع هناك على فى الشارع، مثل بيع أجهزة "الموبايل" فى "شارع عبد العزيز" الآن، بالإضافة إلى "الباطنية"، تعرفت على مكان اسمه "الشباك" فى حى "السيدة زينب" .. سمي الشباك لأن رواد المكان يقفون أمام شباك صغير فى بيت قديم، وأسعار الحشيش فى هذا الشباك فى متناول الجميع.. معك 2 جنيه أو معك جنيه واحد "شغال" .. لذا كان الشباك جميلاً، وإنما مشكلته الكبيرة الزحام الشديد.. لدرجة أنه فى إحدى المرات، صرخت بصوت عالٍ فى الجمهور المتراحم على الشباك، وطلبت منهم الوقوف فى طابور مثل كل المتحضرين، لنشتري ونمشى بسرعة.

وفى المدرسة وفى سن الرابعة عشرة، بدأت ملامح "الشلّة" تتضح:

- أحمد : ميدو
- حسين : زُونى
- رامى : ريكو
- بهاء : بُونو
- علاء : لُول
- صلاح : صاصَو

هيا نتعرف إليهم:

أحمد "ميدو":

كان يتقمص دور الفيلسوف.. "فاكر" نفسه أرسطو.. يحب النادي الأهلى أكثر من نفسه، ومجنون كرة، رغم أنه لا يعرف فن لعب الكرة نهائياً، ولكنها عموماً اهتمامه الأول.. ميدو وحسين، صلتها ببعضهما وثيقة، رغم أن ميدو أهلاوى مجنون، وحسين زملاوى صميم، وهذا هو مجال الخلاف الوحيد بينهما.

ميدو، لم يكن من هواة التزويغ من المدرسة، ولو أراد عدم الذهاب للمدرسة، فإنه يقرر البقاء فى البيت، أو يتجه إلى النادي، وبعلم الجميع، ومع هذا، فهو أكثرنا التزاماً وذهاباً للمدرسة.. لون بشرته أبيض، وعيناه لونهما أخضر.. نعم هو يتمتع بزيادة الوزن أو "مكَلْبُظ" بمعنى أصح، يتحرك بصعوبة، ويتهاذى فى كسل، فأطلقنا عليه "برُوطة".

ميدو كان "أشطرنا" جميعاً، والوحيد الذى يركز فى الدروس، يذاكر قليلاً، ولم يسلم من نكائنا وسخريرتنا على التزامه. كان حريصاً، ولكنه ليس بخيلاً، لا ينفق نقوده بسهولة.. كل قرش ينفقه كان بالعقل وبالحساب الدقيق أى "فى مكانه المظبوط".

كان يتبع خطواتنا.. حشيش، لا مانع.. بيرة موافق.. ويسكى بكميات معقولة، ومن حين إلى آخر يقول:

- كفاية كده.. مش قادر.

وفى كل مرة يقول هذه المقولة الشهيرة، ينال حظه الوفير من السخرية.. "يتسطل" بسرعة مذهلة، ودائماً أبداً، هو وعلاء، "تائر ونثير"، إنما علاء الكبير، وكان "بيديله على دماغه"، ميدو.. أحياناً يصلى، وبالأخص يوم الجمعة، وهو الوحيد الملتزم بأداء الفروض.

## حسين زُونى:

رفيع وطويل، ملامح وجهه آسيوية إلى حد ما، عيناه ضيقتان، فأطلقنا عليه: "بروسلى".. صاحب موهبة فذة فى الكرة، "حريف" جداً، ولكنه يشرب 3 علب سجائر كل يوم، "حريقة سجائر"، ودائماً يعض فلتر السجارة.. ذكى ولماح، وأسلوبه فى الحياه "معاهم معاهم، عليهم عليهم".

والد حسين ودَّع الحياه وهو صغير، وتزوجت والدته بعد وفاة الأب من رجل هادىء، لا يهتم ولا يُعنى بأمر حسين نهائياً، وبالتالي هو حر الحركة تماماً، "رايح جاي على مزاجه" ولا أحد يحاسبه.

كلنا كنا نحب حسين، أقرب واحد إلى قلبه هو ميدو، رغم خلافاتهما المستمرة على الأهلى والزمالك. كريم فى حدود إمكاناته.. لظروف وفاة والده يضع فى جيبه أقل القليل من المال.. طيب، ودمه خفيف، وهو من محبى البيرة، وطبعاً الحشيش، وبعد أن يشرب نفسين، يقول:

- إيه السطل ده، أنا شربت حشيش يا ماما.

- صباح الفل، قطع وإذى للكل.

عشقه للتاريخ يبدأ بعد "چوينت"\*.. فيقول:

- ما الأسباب التى أدت إلى قيام حرب "الدليكان"؟

- من قائد الحركة "الدليكانية"؟ هل هو تامر بك دليكان.. هيثم باشا.. ولا ميدو الأهلاوى؟

- علل.. ما الذى أدى إلى الصراع الداخلى فى الشلة "الدليكانية"؟

- اشرح بوضوح.. سر خيانة ميدو الأهلاوى لتامر بك دليكان؟

---

\* سيجارة ملفوفة وبداخلها حشيش أو بانجو.



لم يكن حسين يهتم كثيرا بالذهاب الى المدرسة، ولكنه لم يكن مثل رامى وبهاء.. إلى حد ما كان يزن الأمور، ويتواجد في المدرسة مع مبدو 70% من الوقت تقريباً.. هو مثلنا ينجح بصعوبة، وملحق و"تعدى".

كان حسين يمر بقصة حب عجيبة وقوية، بنت قصيرة ومكيرة، وتحبه بجنون، ودائماً تحاول أن تسيطر على تصرفاته، دون أن يبدو عليها أنها تتحكم أو تسيطر.. ومع كل محاولاتها، يظل القرار في نهاية الأمر في يده.

رامى "ريكو":

ذكى، محبوب من كل الناس.. فتى مدلل إلى أقصى الحدود.. ما يريد ريكو أوامر تنفذ فوراً.. والد رامى لواء في الجيش، يدلّله، ويلبى له كل ما يريد ببساطة.. والدته شامية جميلة.. وريكو يشبهها.. الوالدان على خلاف مستمر، الحياة بينهما مليئة بالتوتر، الانفصال بينهما واضح ولكن دون طلاق.. وابنهما قليل الكلام، لكن وسيم وطويل، وجسمه رياضى.. فهو "يلعب حديد" ودائماً يقول:

- بَصُ المجانص، بَصُ التّراى، بَصُ البطن.

هو لاعب "استميشن" ماهر.. بمعنى "حريف"، يحب الموسيقى الأجنبية، يعزف على الجيتار بمهارة، وتعجبه كثيرا أغاني "مايكل جاكسون، وجورج مايكل، وبوى جورج، وبوب مارلى".

ريكو أيضا أنيق، وذوقه رفيع المستوى في اختيار ملابسه.. وكل البنات تتنافس على معرفته.. بل و"معاكسته"، ولم يكن يشغله الأمر كثيراً، ونادراً ما تعجبه فتاة منهن. وهو يمتلك أكبر وأقوى موتوسيكل، وكان "حريف" موتوسيكلات، ومشهور جداً في الزمالك والمهندسين.. يسكن بجوار نادى الجزيرة.

كنا نلتقى حول ريكو وجيتاره.. وكم كنا نستمتع بسماع الألحان التي نختارها، ويجيد هو عزفها.. نصفق له بحراره، فنشجعه أكثر وأكثر.. نرجوه ونتوسل اليه ألا يكف عن العزف، فيندمج ويتجلى.. ولا أنسى أن عزف ريكو لم يكن دائما بنفس المستوى.. فكانت حالات الانسجام تتوقف على كم، ونوع المخدرات التي تعاطيناها.. وكنا أحيانا لا نهتم، ولا نستقبل الأنغام بفرحة وحماسة، ولا نظرب لها.. بل تبدأ وصلات النكت، ويتحول الجيتار الى طبله يدق عليها بهاء.. ويفيق بعدها ريكو بلحظات، ويحتضن جيتاره الثمين.

ريكو كان يشرب الموجود.. دون نقاش؛ حشيش، بيرة، ويسكى، أى "بماغ" موافق عليها.. أنا وريكو أدواقنا متشابهة، نتفق معا فى أشياء كثيرة، وهو كريم جدا، كل ما معه يعطيه بلا تردد.. ولا يهم أبدا ما يحدث بعد ساعة.. المذاكرة ليست فى برنامج حياته، إنما الدرس الذى يقرأه مرة واحدة يثبت فى عقله فوراً.. لا يحب الذهاب إلى المدرسة، لكنه من حين لآخر يذهب إلى المدرسة، ويحضر حصتين أو ثلاثا من ثمانى حصص بصعوبة بالغة. كانت كل الناس تحسدنا على صداقتنا.. نمتلك قدرة عجيبة على التفاهم، وذوقنا واحد، وأهدافنا واحدة.

بهاء "بونو":

قصير ومكير، ودمه خفيف "ملوش حل"، لسانه كالمبرد "قالت"، وطول الوقت يشتم ويلعن ويتخانق، مع أنه "مفهوم نفخة ولكن قلبه ميت".. ويقول على نفسه:

- أنا قاموس مخدرات.. أعرف مين بيبيع فين، وبيبيع إيه وبكام.. يا ريس دى حشيشة الوداع، أما دى حشيشة القرد أبو زلومة، ودى حشيشة الحنان كله، ودى حشيشة غرام وانتقام، أما دى حشيشة اللي خايف يروّح، ودى حشيشة غبية..

هو دائما "مسطول".. ويحب كثيرا أن تكون معه أنواع حشيش مختلفة.

يختفى.. أين بهاء؟ ذهب الى "كوم السمّن"، "بسوس"، "أبو الغيط"، ويظهر كل مرة بفيلم وقصة مختلفة، وعندما ترتفع صيحات الخلافات الكروية بين ميدو وحسين، يتدخل بهاء بينهما قائلاً:

- أهلى إيه وزمالك إيه ياضُ منكُ له.. أنتم جهلة.. هما كوم السمّن، لعيبة وضربية صحيح.

بهاء كان صاحب تعبيرات وأقوال شهيرة، ومنها:

- ازيك يا إكبلانس.

- أنا مش فاهم يا برنس، قصدك إيه بالكلام ده.

بهاء كان يتمتع بقدرات إبداعية على مزج الألحان الغربية بأغاني شعبية.. وبمهارة يبدأ رامى عزف أغنية أجنبية، فيضيف لها بهاء كلمات عربية بكل براعة.

بونو يمتلك موتوسيكلًا جميلًا، وكان مشهورًا به فى شارع شهاب.. والده مقاول، ووالدته سيدة بيت طيبة، لا تعمل، والعائلة واسعة الثراء، لكن المستوى الحضارى متوسط. وكان بهاء ابن بلد بحق، ولا أحد من أفراد الأسرة يُعنى بأمره.. وبالتالي حكاياته كثيرة.. شقاوات مع "الشغالات"، ومعاكسات بنات الجيران على السلم.

كان يحب فتاة فلسطينية.. يركب مع أحدها الموتوسيكل، ونظّل تحت بيتها بالساعات، فربما تتأثر ويرق قلبها.. وذلك لم يحدث أبدًا.

وبشكل عام، ليست له علاقة بالذاكرة، ويعد أكثرنا تزويغًا من المدرسة، ومشكلاته مستمرة مع المدرسين ومع زملائه، يتشابه معهم.. وفى لمح البصر يمسك "مطواة".. أو يكسر زجاجة فى الحائط ويلوح بها.

وكان نصابا درجة أولى.. ويحصل على الفلوس من تحت الأرض..  
من البيت.. من الجيران.. من البواب.. من البقال، ويدعى حضور دروس  
خصوصية.. المهم "يتصرف"، ويصل إلى هدفه.

### علاء "اللؤلؤ":

شقيق ميدو الكبير، هو أكبر منا بحوالى أربع سنوات.. وبالتالى له  
كلمة مسموعة، وأحيانا نحن الخمسة نتفق معاً.. نحاصره ونعمل عليه "كوميديا"،  
ونفقه صوابه.. نجنّه.

علاء طويل وسيم لون شعره بنى مصفر، ويلبس نظارة.. لا يجيد  
اختيار ملابسه، ولا يهتم كثيرا أو قليلا بأناقته، كريم جدا، و"لازج" ولا يشغل  
باله بالمشكلات المالية أبداً، ينفق وكأنه يمتلك بنكاً، وحسابه فى البنك مفتوح،  
وأطلقت عليه: "بابا نويل"..

الجامعة كانت آخر اهتماماته، وأهم أولوياته: البيرة، ثم الحشيش،  
والأفلام الجنسية، والمجلات الفنية، وأخبار الممثلات والمغنيات.. كان ذوقه فى  
الموسيقى عجبياً بالنسبة لنا جميعاً، فهو يحب فريد الأطرش، أسمهان، لىلى  
مراد، محمد فوزى، وطبعاً هذا لا يتفق مع أذواقنا نهائياً .

علاء طوال الوقت يسخر و"يترياً" على واحد منا، وكان ميدو يحظى  
بنصيب الأسد، ومن طبيته لم يكن يرد.

علاء زملكاوى، ودائماً فى جدال مع الجميع حول مباريات الكرة.  
هؤلاء هم الأصدقاء الخمسة.

بين كل تلاميذ المدرسة، بهاء ورامى وأنا نمتلك موتوسيكلات.. وكان  
علاء يسمح لنا جميعاً بقيادة سيارته؛ مما جعل لنا كشلّة شهرة واسعة فى  
المدرسة.

رامى وأنا من الزمالك، وبقية الشلة من سكان المهندسين.. كنا "شلة" أولاد ناس، أو أولاد ذوات، كما يقولون، وحضرات الزملاء أطلقوا علينا اسم: "العصابة".

هذه العصابة كانت أهدافها واحدة: السجائر، الحشيش، البيرة، الويسكى، الموتوسيكلات، السيارات، البنات، التزويغ من المدرسة، بالإضافة إلى بعض المقالب الظريفة والسخيفة فى المدرسين.

عودة سريعة إلى منزل العائلة.. عرفت مواعيد وجدول محاضرات أمى، وكانت سرقة سيارتها كل صباح، لمدة ساعة أو ساعتين شيئاً عادياً.. وفى يوم من الأيام اصطدمت بعمود نور.. كانت الحادثة كبيرة فعلاً.. واستطعت بمساعدة أصحابى جر السيارة للجراج، وطلعت إلى البيت، وبسرعة جهزت شنطة، ملابسى، وكتبت رسالة لأمى:

"أنا عملت حادثة بالعربية.. أنا آسف".

وذهبت إلى بيت أحمد "ميدو"، واستضافنى لمدة أسبوع إلى أن تهدأ الأمور.. وهذه كانت أول مرة أترك بيتنا، وأجأ إلى بيت أحد الأصحاب، وأعيش معه فى بيته.

بعد الحادثة بشهرين، وقبل دخول المدرسة بأسبوعين، أعلن النادى عن رحلة إلى ألمانيا. المدهش أن العائلة الكريمة وافقت على سفرى، وكانت هذه أول رحلة لى خارج مصر.. وأذهلنى ما رأيت.

ياه!! ما هذا الجمال؟ الطبيعة خلابة.. النظام روعة.. النظافة "قل الفل".. السيارات آخر صيحة.. الموتوسيكلات خطيرة.. البنات "صواريخ".. شرب السجائر والبيرة أمام كل الناس.. وشربت البيرة بلا قيود.. إنها الحرية المطلقة.. ورغم هذا، والغريب أننى كنت فى كامل الوعي بكل ما يحدث من حولى.. البنات فى كل الأعمار غاية فى الجمال والتحرر.. وتعرفت إلى فتاة

"جامدة أوى" .. صاحبتى فى كل مكان، نهاراً.. وليلاً.. ومررت معها بأول تجربة حب كاملة فى حياتى.

كان من المفترض أن أقضى فى هذه الرحلة أسبوعين فقط، إنما بمساعدتها قضيت ثلاثة أسابيع، فأجريت أول اتصال تليفونى مع الأهل، وردَّ على الوالد:

- ألو.. مين؟

- ألو.. أنا صاصو يا بابا.

- صاصو؟! صاصو مين؟!

- أنا صلاح.. ابنك يا أخى.

- أنتَ فين؟

- فى ألمانيا طبعاً.

- بتعمل إيه فى ألمانيا لغاية دلوقت؟! كان لازم ترجع من أسبوع!!

- سيبنى أفرج على الدنيا.

- الدراسة بدأت.. ارجع فوراً.

- حاضر.. بعد ثلاث ايام أكون فى مصر.

رجعت مصر وشعرت بالاكنتاب لأول مرة فى حياتى.. هناك فى ألمانيا، قضيت أجمل الأيام، لدرجة أننى تصورت أننى أستطيع الحياة هناك العمر كله. المهم.. رجعت يوم الخميس، وصدفة كان يوم الجمعة موعد سفر بابا وماما لحضور مؤتمر خارج مصر، والمفروض أن نحتفل بعيد ميلادى خلال سفرهما، وبالتالي أعطانى بابا لهذه المناسبة مائة جنيه.. بصراحة بابا كان كريماً معى.. رغم هذا كنت "مقلَّبهم" كلهم فى البيت.. ومن حين لآخر، أسطو على بعض ممتلكات أى فرد من أفراد العائلة الكريمة.

ليلة السفر.. كتبت للوالد قائمة طويلة عريضة باحتياجات المدرسة: ملابس جديدة، كتب، كشاكيل، جلد الكراسات، "وستيكرز" .. أى تأليف.. المهم

ملء القائمة بمطالب وهمية، والأهم ألا يقل المجموع عن 300 جنيه.. وهذا مبلغ محترم في ذلك الزمان، وأضفته إلى فلوس عيد ميلادي، وبعث الموتوسيكل القديم، وأشترت موتوسيكل جديدة: ياماها 400، ولم أذهب إلى المدرسة.

وبعد عودة بابا وماما من السفر، فاجأهما أخي كريم وأختي رولا بأنني أشترت "الموتوسيكل" يوم السبت، اليوم التالي لسفرهما وبعدم ذهابي للمدرسة.. طبعاً واجهت غضبا وثورة هائلة، ونجحت دموع التماسيح في علاج الموضوع، ونزلت مع أمي لشراء احتياجاتي كلها، وبعد أسبوعين من بداية الدراسة دخلت مدرستي، وشهدت استقبالا حاراً من أصحابي، وهتفوا:

- صاصو وصل يا رجاله "بالماكنة" الجديدة.

بدأت السنة الجديدة.. وكالمعتاد: طرد من معظم الحصص، ومباريات الكرة، والاستيلاء على سندوتشات زملاء بالموافقة أو بالإكراه، وبيع السجائر.. لكن لم تكن عندنا الجرأة على أكثر من هذا في المدرسة، بمعنى لم نتجرأ على شرب حشيش، رغم أن "العصابة" أو الخماسي الشهير في الفصل نفسه، قسم أدبي، وعدد التلاميذ 17 تلميذاً فقط، بالتالي كنا قوة واضحة، ومكاننا المختار آخر صف.

في هذا الصف "نقرقرز" اللب، ونأكل السوداني، نحشو الأقلام بالأرز وننفخها على زملائنا المتفوقين، ونجلس في هدوء فقط وقت مشاهدة الصور والمجلات الممنوعة.. كان الضجيج من الصف الأخير ليس له أول ولا آخر.. والعقوبة هي الطرد من الحصة.

اتبعت خطة السنة الماضية بالنسبة للدروس الخصوصية الوهمية: أخذ درساً واحداً أو اثنين، وادّعى أنني أخذت خمسة دروس.. بالتالي كانت مشكلة الميزانية محلولة من أوسع الأبواب.. وبعد أجازة نصف السنة، اقترح "ميدو" أن ننقل إلى بيته بحجة المذاكرة معاً.. هو صاحبي من أيام الحضانة، والده كان

\* موتوسيكل.

رجلا فاضلا.. توفى منذ سنوات، والدته سيدة حانية، جميلة وكريمة، ولديها اهتمامات واسعة بالنشاط الاجتماعي، والجمعيات الخيرية. وشقيقه الكبير علاء، هو المسئول عن إدارة شئون الميراث الكبير من أراضٍ، وعقارات وسيارات، والمسئولية أكبر منه.. وهو إنسان كريم لدرجة فوق التصور، ينفق بلا حساب أو تفكير.

رحبت والدة أحمد بفكرة الإقامة معهم.. اتصلت بأمي، وقالت لها:  
- الأولاد عايزين يذاكروا وياخدوا الدروس مع بعض، والأفضل توفيرًا للوقت والمشاورير كل يوم، صلاح يقعد عندنا لغاية الامتحان.. والبيت كبير، وأحمد وعلاء إخواته.

استطاعت إقناع أُمي، ومر الموضوع بسلاسة، ونفذنا الفكرة، وانتقلت إلى بيت أحمد، وهم يعيشون في فيلا، أكبر ميزة فيها أنها مكونة من قسمين: القسم الأول ثلاث غرف نوم بخط تليفوني مستقل خاص بنا.. غرفة الاستقبال الكبيرة المطللة على الشرفة، لها سلم يصل إلى الحديقة ومنها إلى الشارع.. وكان من الأسهل أن ننط من الشرفة على الجنيئة، وعلى الشارع.. أو العكس، ندخل البيت من الشرفة.. والقسم الثاني غرفة نوم كبيرة للأم.. بها كل احتياجاتها، ابتداءً من الثلاجة الصغيرة، والتليفزيون، وتليفون بخط آخر، وحمام خاص بها، وكأنها تعيش في "أستديو" كبير إلى حد ما.. وفي هذا البيت الحياة سهلة.. هناك من يقوم بنظافة البيت، وإعداد الطعام يوميًا.

"الغواصة" هو الاسم الحركي لهذه الفيلا.. عشنا في هذه الغواصة: ميدو، وعلاء، وأنا.. أياما وليالي قضاها حسين "زوني" معنا، ويكتفى رامي "ريكو" بقضاء ليلة الجمعة "الويك إند" معنا، أما بهاء "بونو" فكان يظهر يوميًا بعد الظهر، ويرجع بيته حوالى الساعة الواحدة.. ولكن إذا قررنا عدم الذهاب إلى المدرسة، كان السهر يمتد إلى ما بعد الفجر.



فى تلك الأيام، كانت لى علاء خبرة كبيرة بالحشيش.. يشترىه بالأوقية "الوقية"، وكان يحب البيرة، كل يوم يشرب زجاجتين على الأقل، وبكل الكرم يشترى لكل واحد زجاجة، ولا يمانع فى مشاركته الحشيش، وبتعبيره: "اللى عايز يشرب هنيئاً له".. ببساطة أو "من الآخر" علاء وفر فى البيت بار بيرة وحشيش، مفتوح كل يوم، والأم مشغولة عنا تماماً بالمؤسسات الخيرية.

ويبدأ يومنا الساعة الرابعة بعد الظهر، وبتناول طعام الغداء الساعة الخامسة، وتبدأ الدروس من السادسة حتى الثامنة أو التاسعة مساءً.. وكانت الدروس أى كلام، بلا ضابط أو رابط، بمعنى "هيصة"، والمدرس الذى لا ينفذ رغباتنا، فى الحقيقة مسكين، لأنه يأخذ ثمن الدرس بصعوبة بالغة، بالإضافة إلى المقالب التى ندبرها لهم جميعاً من وقت إلى آخر، وأحياناً كل ليلة.. المدرسون من المدرسة، ويعرفوننا حق المعرفة، والفكرة بالنسبة لنا من هذه الدروس.. أننا نستطيع فى النهاية الحصول منهم على امتحان آخر السنة وننجح؛ بمعنى أدق، "نعذى" السنة.

وفى موعد معروف ومحدد للعصابة، حوالى الساعة التاسعة، يبدأ رامى "ريكو" بلف السجائر.. يده سريعة وكأنها "ماكينة" كهربائية، ليس لها حل.. بهاء "بونو" يجهز "الكوباية"، وعلاء يطمئن على وجود العدد الكافى من زجاجات البيرة المتلجة.. ومهمة حسين "زونى" ومعه أحمد "ميدو" إعداد المائدة حتى نبدأ "بولات الكوتشينة".. وكالمعتاد، لا حديث لهما إلا الكرة ومباريات الأهلئ والزمالك.. وأنا شخصياً كنت أستولى على التليفون تماماً، وأمارس هوايتى فى أحاديث تليفونية مع جميلات المدرسة.. فلا تنتهى قبل أن أسمع نداءاتهم المستمرة:

- يا سيدى.. يا سيدى.. أنت يا حلم.. يا عبد الحليم.. اتسلطنا، وفرقنا الكوتشينة يا عم الكينج.

\* يتم إشعال الحشيش فى داخلها واستنشاق الهواء منها.

فقد أطلقوا على اسم "الكينج" في الكوتشينة، لمهارتى فى كسب معظم أدوار "بولات الاستميشن".

"البولة" الأولى تبدأ حوالى الساعة العاشرة، والسجائر تلف علينا، والبيرة المثلجة منعشة، والتليفزيون مفتوح بصفة مستمرة، يعرض الأفلام، وجهاز التسجيل يدور بأعلى صوت، وكانت مشكلتنا الوحيدة.. وبسببها تبدأ المعارك، أن علاء يحب يسمع فريد الأطرش وأسمهان أو محمد فوزى، ولكن أحمد يفضل سماع فيروز، وحسين يؤيده، أنا ورامى نحب الأغانى والأفلام الأجنبية، إنما بهاء لا فارق عنده بين هذا وذاك، وتنطلق صيحاته:  
- يا عالم.. سمعونا عدوية أو الرئيس منقول.

وتنطلق حملات السخرية والنكت والضحك الهستيرى، وتظل مشكلتنا الأساسية معلقة: نسمع من؟ ونشوف فيلم "عربى" أم فيلم "أجنبى"؟! ويستمر الخلاف والضحك بسبب أو من غير سبب.  
كلنا نحب الكرة، ويا سلام على خلافتنا بعد كل مباراة، وأصواتنا تصل إلى القمر، خاصة لو المباراة بين الأهلى والزمالك: علاء وحسين زملاوية، والأهلاوية أحمد ورامى وأنا، وبهاء الذى يحسم الخلاف بخفة دمه قائلاً:

- يا إكسلانس أهلى وزمالك إيه بس!! إنتم فعلاً جهلة، ولو تفهموا فى اللعب تشجعوا معايا كوم السممن.. أنا بشجع كوم السممن حتى الثمالة.

المهم، بعد "البولة" الأولى التى تنتهى حوالى الساعة الثانية عشرة، ننزل "تلف" بالعربية لإحضار شرائط فيديو، أفلام جنسية وجرامية، وأفلام فكاوية، ونشرب بيرة من كشك فى الزمالك، أو من الدقى، وعلى الماشى سيجارتين ملفوفتين، ونشترى الصحف والمجلات، ونرجع بعد ساعتين لتبدأ "البولة" الثانية حوالى الساعة الثالثة، بعد وصلة غراميات تليفونية: حسين وصلة،

وأنا من بعده، بينما علاء يتابع فيلمًا جنسيًا.. وقد نفاجئه بالدخول من حين لآخر،  
ونبدأ في إطلاق التعليقات:

- شايفك.. ايدك لفوق.. بتعمل إيه يا أول؟!!

أحمد يقرأ الصحف ليطمئن على أخبار الأهل.. رامى مهمته لف  
السجائر، أما بهاء.. فهو كالمعتاد "جَعَان" جدًّا، يدخل المطبخ يأكل الموجود..  
حلو لا مانع، وبعده "حادق" أيضًا لا مانع.. وإذا لم يملأ معدته ويشعر بالشبع،  
يأتى بالكرسى ويقعد أمام الثلاجة، أو بمعنى أصح داخل الثلاجة.. بابها مفتوح،  
وهو على الكرسى فى "السنتر".. وهات وخذ، وكل يا بونو بألف "هنا وشفاف"،  
والكميات غير طبيعية، وكأن فى بطنه فيلاً صغيرًا، ومع هذا كان نحيفًا جدًّا.

وتنتهى "البولة" حوالى الساعة الخامسة، وبعدها ينطلق كل واحد فينا  
ويتصرف بحريته.. ينزل رامى ومعه بهاء للعودة إلى منزلئهما، بينما أحمد  
وحسين وأنا تجمعا جلسة دردشة فى أى كلام والسلام.. ونسمع دقائق الساعة  
تعلن السادسة، وقبل النوم نطمئن على علاء وأفلامه، ولا يفوتنا التعليق على  
الموقف.

رغم كل هذا، مرت ثانية ثانوى على خير، وظهرت النتيجة.. بهاء  
ملحق عربى، حسين ملحق إنجليزى، رامى ملحق فرنسى، أحمد وأنا نجحنا..  
الحقيقة أحمد أشطرننا، والوحيد الذى يذاكر، ومجموعه 67%، وحضرتى  
حصلت على مجموع ضعيف وغريب.. 155 من 300 بمعنى 51.66%،  
ولم يعرف أهلى هذا الرقم، وقدمت لهم شهادة مزوره بمجموع 64%.. بالنسبة  
لهم أهم شىء النجاح، وأنا نجحت ودون ملحق، وبالتالي لم يعترض أحد لما  
رفعت بكل جرأة شعار:

- أنا بانجح كل سنة.. عايزين منى إيه؟

يهل الصيف.. وبعد إعلان النتائج، ومثل كل صيف نشعر بالفراغ  
الهائل، ونقضى الوقت على الموتوسيكلات، والجرى بالسيارات، وازداد التركيز

للتعرف بالبنات.. وبعد نجاح بهاء وحسين ورامى فى الملاحق، دخلنا ثانوية عامة، وعندنا ثلاثة موتوسيكلات جديدة، واشترى علاء سيارة جديدة، وكان حسين يستولى على سيارة والدته من حين إلى آخر.

ويجىء اليوم الدراسى الأول، لنواجه مشكلات كبيرة فى آخر ليلة من ليالى الأجازة الصيفية؛ بسبب تعودنا على النوم يومياً الساعة السابعة صباحاً، فقررنا عدم النوم والذهاب إلى المدرسة بعد سهرة حتى الصباح.. وبطبيعة الحال المدرسة لها زى خاص، ولكن للأسف حضراتنا لم نستعد، ولم نشتر الزى.. فقررنا الذهاب بملابسنا العادية.. ونفذنا القرار ودخلنا المدرسة بالقمصان الملونة، والجينزات، وبما أننا ثانوية عامة.. إذا لازم نفرض إرادتنا على المدرسة كلها.. على التلاميذ والمدرسين.. وحقيقة الأمر، كان هذا الوضع ليس بجديد، كان هذا هو حالنا قبيل الثانوية العامة.

وصلنا والتقينا عند "الكشك" الساعة الثامنة، "لفينا" السجائر وشربناها مع الشاي، وهيا بنا يا رجال.. دخلنا من بوابة المدرسة العملاقة، وكانت شهرتنا تسبقنا، وشكلنا نحن الخمسة يلفت الأنظار.

دوى صوت الجرس، وخرج حضرة الناظر من مكتبه، ووقف فى شرفة تسمح له برؤية كل التلاميذ ليهنئهم بالعام الدراسى الجديد.. وبمجرد أن وقعت عيناه علينا بمنظرنا البهلوانى العجيب، نادى علينا بأسمائنا نحن الخمسة قائلاً:

- رامى، أحمد، بهاء، حسين، صلاح.. بره المدرسة فوراً، وبكره كل واحد يشرف ومعاها ولى أمره.. من غير ولى الأمر مش عايز أشوفكم.. ماتجوش.. مفهوم!!

ودوت الضحكات فى كل أرجاء المدرسة.

طرُد من أول دقيقة فى المدرسة، كارثة.. يالها من سنة سوداء.. ماذا نقول للأهل؟ وماذا نفعل الساعة الثامنة والنصف صباحاً؟ بداية لا تبشر بالخير

أبدأ.. وقررنا أن "نلف" سيجارتين ونطلع على النادي، ونرجع بسرعة وننام ساعتين؛ لأننا لم ننام ليلة أمس، ثم تشتري زى المدرسة، دون مصارحة أولياء الأمور بما حدث.

صباح اليوم التالي.. وقفنا في الطابور، ووقف حضرة الناظر، كعادته في الشرفة، وقال كلمة الصباح، ثم وجه كلامه لنا نحن الخمسة:

- أيوا كده نعرف نتفاهم.. فين أولياء الأمور؟ اطلعوا لى حالاً على المكتب.

قلنا مية مية، والموقف أصبح واضحاً.. ولن يطردنا اليوم، وفي مكتبه عبر عن غضبه الشديد بالتهديد والوعيد، وكل واحد منا أخذ "خرزنتين" وكلمتين في جنباه.. المهم، مرّ الموضوع على خير.

بدأت السنة الدراسية بنظام معروف ومحدد، نتقابل الساعة الثامنة عند الكشك، ونجرب نلعب بالموتوسيكلات، ونطلع على المدرسة.. ورغم أنه من الواضح وضوح الشمس أننا من المشاغبيين، ولا شيء يهم بالنسبة لنا.. ومع هذا لاحظنا نظرات الإعجاب من البنات، وبدأت محاولات التعارف، وتبادل أرقام التليفونات، والاتفاق على اللقاء في النادي، ومن الآخر "عمَلنا شغل".

بونو كان يحب أن يكتب كل صباح جملة على السبورة:

■ المعلم بونو وأولاده: ريكو وصاصو وميدو وزونى يهنئون الطلبة بالسنة الدراسية الجديدة، ويجعله عامر.

■ المعلم بونو وولده ريكو يبعثان بأرق التحية لكوم السمن.

■ المعلم بونو ذاهب غدا إلى أبو الغيط، من يريد الانضمام يسرع بشراء البروزلين.

■ المعلم بونو يهنئ الحاج صاصو على المُرّة الجديدة.

■ المعلم بونو يقبل أى تبرعات لشراء الشيكولاته.

■ المعلم بونو لا يقبل أى مجلات جنسية فى الفصل، سامع يا أنور.

أنور أشطر طالب فى الفصل، وبالطبع ليست له علاقة بأى مجلات جنسية.

■ المعلم بونو يريد الزواج، ومن لديه عروسة يتقدم دون خوف، والعاقبة عندكم في المسرات.

وكانت بعض هذه الجمل تؤدي إلى مشكلات مع المدرسين، ولكن بونو لم يكف عن كتابة هذه الجمل على مدار أيام الدراسة.

كنا نواجه كل صباح يوم دراسي مشكلة، لو تساءلنا: ندخل المدرسة أو "تزوج"؛ فالاختيار صعب، والقرار أصعب؛ لأن لو واحد منا قال "تزوج" بسرعة نفكر في طرق التنفيذ، وناقش البدائل.. هل نكتب تصاريح خروج من الآباء؟ أو هل نحضر أول حصتين، وبعد كتابة كشوف الحضور والغياب نقفز من على السور على القفلا المجاورة، ونخرج من بابها؟ أم هل من الأفضل الانتظار حتى جرس الفسحة الأولى؟ وإن كان هذا البديل صعب التنفيذ، والأصعب منه البقاء في المدرسة حتى آخر اليوم الدراسي.. مع هذا فكرنا في خطة جبارة للبقاء في المدرسة أطول وقت.. وبناء على معرفة تامة بجغرافية المدرسة، رسمنا الخطة.. مكتب حضرة الناظر في الدور الأول، وفصلنا الدراسي في الدور الثاني، ومن فوقه سطح جميل "رُوف" مدهش.. الشتاء مشمس وممتع، وفكرنا أن نخصص لنا ركنًا خاصًا، فوق السطح نلتقى، نكسر حالة الشعور بالملل، ودفعنا خمسة جنيهات للفراش، وجاء لنا "بالترابيزة" والكراسي، وجهاز لنا المكان في "الرُوف".. جلسة خاصة في مكان داخلي في "غرفة صغيرة"، والآخر خارجي في الشمس، وبالطبع كان السطح منطقة محظورة، وممنوع على أي أحد في المدرسة يطلع لنا.. إنها منطقة ألغام، ففي هذا المكان الجميل نشرب الشاي، ونلف سجائر، ونلعب كوتشينة ودومينو، وأيضًا طاولة.

بهاء، بالذات، كان يحب جلسة "الرُوف" فأطلقنا عليه ملك "الرُوف".  
الديمقراطية من مزايا "سلتنا".. والقرار الذي يتخذه ثلاثة أعضاء، ينفذه الخمسة كلهم دون مناقشة أو جدال.. وعندما لاحظ بعض التلاميذ تسللنا إلى

السطح، دفعهم الفضول وحب الاستطلاع لسؤالنا ماذا نفعل يوميًا فوق السطح، وكان الرد معروفًا وجاهزًا دائمًا:

- محدش يسأل، واللى يتهورر.. يتعورر.

وبدأنا نتجرأ ونشرب سجائر ملفوفة في "الرؤف"، والبيرة تم الاعتراض عليها من ثلاثة هم: أحمد، وحسين، وصلاح؛ بمعنى آخر.. هناك حدود.

وفي الدور الثانى فصلان فقط: فصل علمى، والآخر أدبى، بالإضافة إلى حمامين، وغرفة للمدرسين تتبعها شرفة كبيرة.. المدهش أن تلاميذ الفصلين، وربما كان المدرسون أيضًا يعرفون جيدًا قصة الاختفاء في "الرؤف".. إنما لم يكشف أحد سرنا.. التلاميذ كلهم خافوا، لأن العواقب غير معروفة وغير مضمونة.

وبعد شهرين.. وفجأة ونحن نلعب بولة كوتشينة ونلف سيجارتين حشيش، والكل فى حالة هدوء وانسجام، سمعنا أحدهم يصرخ قائلاً:

- كَيْسَة.. الناظر.

وكاننا نواجه حريقًا مفاجئًا، أصبح ضوء النهار فى سواد الليل الحالك، وبسرعة البرق قفزنا وجرى كل واحد فى اتجاه، والشاطر يعرف يفلت بجلده من هذه الكارثة.. أنا شخصيًا جريت، ووجدتني فى غرفة صغيرة يغمرها التراب، وفيها فتحة كبيرة، أظنها خاصة بالمصعد الذى لم يتم تركيبه وعلى الفور نظيت من الفتحة، ومرة أخرى وجدتني فى غرفة أغرب من الأولى، لم أرها أبدا من قبل.. غرفة مليئة بالآلاف الكشاكيل والكتب القديمة، وكراسى ومكاتب مكسورة.

جلست على كرسى مكسور، وكنت فى حالة دوار رهيب؛ أو بمعنى أدق، مسطول على الآخر، الحشيشة كانت "غبية" جدًا، على رأى بهاء.. لم أكن قادرًا على الوقوف، وقعدت فى مكانى حوالى ثلاث دقائق، لكنها مرت ببطء خرافى وكأنها ثلاثة أيام.. ومر بذهنى ألف خاطر.. بالتأكيد أننى فى مواجهة

كارثة ومأساة كبرى.. وأخيراً اكتشفت وجود باب، وسمعت صوت المدرس، وأصوات التلاميذ فى الحصّة، لكننى لم أفهم أى كلمة، ولم أستطع تحديد أين أنا، وماذا أفعل لأخرج من هذه الغرفة المهجورة.. أخذت أصعب قرار وفتحت الباب بهدوء، واكتشفت أننى دخلت فصل ثانوية عامة علمى، والمفاجأة الرهيبة أن المدرس هو الأستاذ عطية نائب الناظر، وهو أكثر حزمًا من حضرة الناظر. ساد الصمت لحظة، ونظر التلاميذ إلىّ وهم فى حالة ذهول.. من أين جئت، مغطى بالأتربة، وفى حالة كرب، أتخبط ولا أرى شبرًا واحدًا أمامى؟! بسرعة قررت "أسوق الهبل على الشيطنة"، واتجهت فورًا لباب الفصل.. إنما المشكلة كانت فى وقوف الأستاذ عطية كالأسد بالقرب من مكتبه، على بعد خطوات من باب الفصل، وبلا تردد اندفعت نحو الباب، والتفت للتلاميذ قائلاً:

- سلام عليكم.

انفجروا جميعًا ضاحكين، ورد أحدهم قائلاً:

- وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

وقال آخر:

- اتفضل يا حاج صلاح.. الشاى على النار.

وقال ثالث:

- والله لك وحشة يا صاصو.

وقف الأستاذ عطية، الذى لا يتحرك دون "الخرزانة" فى يده، فى

طريقي، رفعها وخبط بها على كتفى قائلاً:

- والباشا مشرفنا من فين إن شاء الله؟

- من الزمالك.. جزيرة النسيان، لكن اليومين دول قاعد عند ميدو فى

المهندسين.. يعنى رحلة تغيير جو ونشاط يا عطية بيه.

- والله؟ وإيه نشاطك إن شاء الله؟!



- حاليًا بـندرس ترميم الفيلا.. أصل بابا بهاء عنده شركة مقاولات، وإحنا أصحابه، كنا بنأمن المنطقة وبندرسها، ونشوف الفيلا كم دور، وكم أوضه، ومحتاجة إيه.. كده يعنى.

الأستاذ (محاولاً إخفاء ابتسامة):

- الله الله!! وإيه كمان؟

رديت سريعاً:

- يا عطية بيه، أنا أخذت من وقتكم كثير جداً.. أستاذن أنا لو سمحت.. وشدوا حيلكم يا رجاله، ثانوية عامة مش هزار.. دى عنق الزجاجاة على رأى الدكتور طه حسين.

- دكتور طه حسين قال إن الثانوية العامة هي عنق الزجاجاة؟!

- مش عارف يا عطية بيه.. جايز أكون أتخبطت، وحضرتك أدري منى.. ممكن يكون العقاد، أو كامل كيلانى أو يمكن روز اليوسف.

قال الأستاذ بغضب شديد، وصوت عال:

- إيه اللي جابك هنا يا صلاح؟!

ويلتفت إلى تلاميذ الفصل ويقول بحسم:

- مش عايز أسمع ولا نفس.. يا صلاح.. اتفضل اتكلم.. انطق.

- والله يا افندم، إحنا كنا فوق.

- فوق فين؟

- فى السطوح.

- إنتم مين؟! وفوق فى السطوح ليه؟ وكنتم بتعملوا إيه؟!

- كان عندنا حصة فاضية، قلنا نكتشف المدرسة.

- وبعدين؟!

- وإحنا فوق فجأة سمعنا واحد بيقول: كبسة.. كبسة.

- ده على أساس إن إنتم فى غرزة، مش فى مدرسة.

- لا، يا عطية بيه.. إحنا فى مدرسة، وأحسن مدرسة فى مصر كلها.  
- كَمَلْ كلامك.. وبعدين.

- كل واحد جرى فى ناحية، والنصيب.. شفت يا عطية بيه أنا محظوظ إزاي..  
أصل حضرتك بصراحة واحشنى جداً.  
الأستاذ (مع لسوعة بالخرزانة):

- بجد؟ وبعدين؟!

- أنا شُفْتُ فتحة غريبة، ولما نَطَيْتُ فيها نزلت فى الأوضة اللي جوه دى.  
- ومين كان معاك؟! وكنتم فوق ليه؟ بتعملوا إيه؟  
- ده السؤال الوحيد اللي مش هَقْدِرُ أَرُدُ عليه.  
الأستاذ (بعد ضربة خرزانة جامدة):

- مين كان معاك؟ انطق.

- كنت فوق لوحدى يا عطية بيه.

قال أحد التلاميذ:

- رجولة يا صاصو.

وقال زميل آخر:

- رجولة يا ملك النص.

الأستاذ (محدثاً تلاميذ الفصل):

- ولا كلمة.

ثم وجه حديثه إلى:

- وإنت.. عامل فيها راجل، انزل استتاني عند مكتب حضرة الناظر لغاية لما  
أجى لك.. سامع، والا لأ؟

- حاضر يا عطية بيه.. السلام عليكم يا رجاله.

فرد أحدهم:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قال ثان:

- شرفت يا حاج صلاح.

قال ثالث:

- ما تغيّيش يا صاصو.

خرجت من الموقف الذي أيقظ كل حواسي، ونزلت على مكتب حضرة الناظر، فوجدت بقية العصابة على باب الغرفة.. وطبعًا عندما لمحني أصحابي الأربعة، انطلق الضحك الهستيري، وسألوني في صوت واحد:  
- إنت كنت فين؟

وقبل أن أحكى، فتح حضرة الناظرة باب غرفته، وسألني:

- واقف هنا ليه يا صلاح؟ حضرتك مش قادر على بُعادهم؟!

- الأستاذ عطية قال لى أستناه هنا.

- ليه؟ إنت عملت إيه؟

- يا افندم أنا كنت معاهم، ونزلت فى فصل ثانوية عامة علمي.

- والله؟! ونزلت إزاي فى فصل ثانوية عامة علمي؟!

- مش عارف.

- وأنا سألت نفسى.. هو صلاح فين؟ عجيبة إنه مش معاهم!! ما ينفَعش!! ولما

سألت البهوات عليك، قالوا صلاح فى الفصل يا افندم.. عال عال.. اتفضل

جنبهم لغاية ما نكتب جَوَابات الرُقْد.

صلاح : اترفدنا يا رجاله.

ميدو : تانى!!

حسين : ولسه .. ولسه.

بهاء : فل جدًا.

رامى : قشطة.

وكان قرارُ الرُقْد لمدة خمسة أيام.

مر شهر أكتوبر، ونوفمبر، وديسمبر.. ثلاثة شهور دراسية، ولكننا لم نحضر خلالها ثلاثين يوماً.. ولم يتغير أسلوبنا.. استمر التزويغ والنظ من السور، وأحياناً نحضر حصة أو حصتين.. أو نقدم اعتذاراً أو تصريحاً مزوراً.. أكثر من هذا.. علمنا بعض البنات أساليب التزويغ، وأصبح الموضوع لطيفاً جداً، "تزوُّغ" مع بعض، ونلف بالموتوسيكلات، ونفطر في شارع 26 يوليو، ونروح النادي أو السينما.. مثلاً فيلم "حدوتة مصرية" شفته أكثر من 8 مرات.. كل واحد جديد عايز يزوُّغ لأول مرة، يقول لنا:  
- تعالوا نشوف فيلم "حدوتة مصرية".

وتقريباً حفظته "صم" .. و"عجبي" على رأى صلاح جاهين.  
وكانت لى زيارة أسبوعية إلى بيت أهلى.. وبعد السلامات والتحيات والضحك والهزار، أخذ منهم فلوس الدروس، وأعطاهم ملابس للتنظيف والغسيل، وأخذ ملابس أخرى نظيفة.. وكانت الزيارة لا تزيد عن نصف ساعة، "أقلّب" فيها البيت، وأشعر أنهم يعدون الثواني الأخيرة بعد كل هذا الإزعاج، ولا مفر من سماع مقولة الوالد الشهيرة:

- شد حيلك فى المذاكرة، عايزين مجموع كويس يدخلك كلية محترمة.  
فأردُّ بكل ثقة:

- حاضر.. بس اعمل حسابك على عربية جديدة علشان الموتوسيكل كسرنى.

## رأس السنة

31 ديسمبر..

إنها ليلة رأس السنة، والحفلة في بيت ميدو، والاستعدادات على أعلى مستوى.. ابتداءً من البيرة، الويسكى، الفودكا، الحشيش، وأطباق ممتازة للعشاء، بكميات رهيبه.. وعلقنا الزينات، وأعدنا مجموعة أسطوانات مدهشة، وشرائط "الروك"، وكان من أهم المفاجآت، دعوة مجموعة من البنات.

اجتمعنا كلنا حول المائدة.. دقائق الساعة تعلن السابعة، رامى يلف السجائر، أحمد كعادته يقرأ الصحف، علاء شغله الشاغل الاطمئنان على زجاجات الخمور والبيرة المتلجة، حسين لا يتوقف عن الحديث عن الكرة، وصلاح "يفتح الكوتشينة"، ويصل بهاء.. ويسبقه قدر هائل من الضجيج، وقبل التحية أو السلام، دخل مباشرة في الحديث قائلاً:

بهاء : اسمعوا يا رجاله.. رأس السنة دي مش خمرة ولا حشيش.. مفاجأة.. الجديد.. البريمو.. سحر يا إكسيلانس.. أنا معايا هيروين.. بُودرة.. رُبّع جرام.

رامى : بودرة؟؟!! بتعمل إيه البودرة دي؟؟

صلاح : ويعنى هيعمل إيه الربع جرام دا يا بونو؟!

بهاء : إنت مستهيف الربع جرام..

دلوقت تشوفوا الربع جرام دا هيعمل إيه!!!

حسين : زى الحشيش واللا الويسكى؟

بهاء : أنسوا الحشيش والويسكى.. البودرة هتخليكم ملوك.. كل واحد يشم

خَطَّين بَسْ، وبعد ربع ساعة نشوف النظام يبقى عامل ازاي.

- أحمد : لا يا عم.. أنا خايف.. مش عايز.
- علاء : أنا سمعت عن البودرة.. بيقولوا شديدة.
- بهاء : يفتح بهاء ورقة صغيرة، ويضع الأخرى على المائدة ويقول:
- بهاء : اللي يمد إيدته.. يتعور.
- رامى : إيه دا يا بونو؟
- بهاء : دول تذكرتين يا إكسلانس.
- حسين : يعنى إيه تذكّرة؟
- بهاء : بيقولوا عليها كده.. تذكّرة أو ورقة.
- صلاح : بَصْ يا بونو.. إنت تأخذ الأول.
- حسين : وأنا الأخير.
- بهاء : هاتوا لى مُوس.
- حسين : ليه؟
- بهاء : علشان أقسم البودرة وأعملها لآينات.
- رامى : هو أنت جربتتها قبل كده؟
- بهاء : لا.. واحد صاحبي جربها، وفطّمني على الليلة كلها.
- أحمد : منين البودرة دى يا بهاء؟
- بهاء : من البقال.. يا عم هات لى مُوس من الحمام.. بسرعة.. خلّصنى..
- أنا هاجيب الموس.
- اختفى بهاء وعاد بعد أقل من دقيقة ومعه موس ومرأة صغيرة، أحضرها من غرفة أحمد، وثلث حول المائدة، ويفتح بهاء ورقتين صغيرتين بهما البودرة، ويمسك بالموس ويعمل ستة خطوط على المرأة، ويلتفت قائلاً:
- بهاء : ها.. مين هيخس؟
- رامى : أنا يا بونو.
- صلاح : وأنا.

بهاء : كل واحد منكم يشم خطين بس.. واحد بالناحية اليمين، والثانى بالشمال.. عايز رُبْع جنيه أو أى فلوس جديدة نشم بيها.

حسين : أدى عشرة جنيه.. بس تِرْجَع يا حبيبي.  
بهاء أخذ أول خطين، ثم رامى أخذ خطين، وأنا بعده خطين.. ثم سَطَّر

بهاء آخر خطين، وسأل:

بهاء : مين يزود؟

حسين : اسمع يا ميدو.. أنا خط وأنتَ خط.. لما نشوف إيه اللى هيحصل.

أحمد : ماشى.

أخذ ميدو وحسين خطين.. بعد أن تأكد بهاء ان الخط الواحد يساوى

خطين.

علاء : أنا مش ها آخد.. أنا يا عم الحشيش والبيرة حبايبي.. وتَمَام كِده.

بهاء : أحسن.. وقُرْتُ..

مرت دقائق.. وبدأت أشعر بنشوة غريبة.. تغير طعم السجارة..

وأصبحت خفيفة.. خلّصتها، وبعد ثانية "ولّعت" سجارة أخرى، ومرت ربع

ساعة، وبدأت الدنيا من حولي تتغير.. الألوان غريبة.. فقدت القدرة على

التركيز تمامًا.. أسمع كل كلمة، ولا أستطيع، أو بمعنى أدق فى حالة كسل

عجيب للتعليق أو الرد على أى سؤال، وإذا تكلمت.. أحس أن حديثي غير كامل،

وفجأة شعرت بغثيان رهيب.. جريت إلى الحمام، وأخرجت كل ما فى جوفى،

حتى عصارة المعدة المرة تقيأتها، وكان إحساسًا مؤلمًا وبشعًا.. وأخيرًا خرجت

من الحمام، ورجعت إلى الشلة، وقلت لهم:

- أنا خلاص.. فُوَعْتُ بعد ما رَجَعْتُ.

رد بهاء:

- فُوَعْتُ يا صلاح؟ طيب ولّع سجارة، وشوف هيحصل إيه؟

فعلًا ولَّعت سيجارة، وفورًا شعرت بدوار رهيب، وكان البودرة "اشتغلت" من أول وجديد.. ومن حسن حظنا أن والدة أحمد كانت في الإسكندرية، فدخلت غرفتها، وارتميت على سريرها.. ورغم الدوار الشديد، ظلت أتقلب في السرير ولم أنم ثانية واحدة.. كنت مستمتعًا، وأنا نائم على السرير لوحدي.

أما بقية الشلة.. واحد من الشباب في الحمام يتقيًا، والثاني يشرب سيجارة، والثالث نائم على الكنبة.. علاء وحده في حالة وعى كاملة، ولم يتوقف عن الكلام، لكن لا أحد يرد على ما يقوله، فصرخ قائلاً:

- مالكم؟ عاملين كده ليه؟! يا بهاء.. إنت نايم على نفسك كده ليه؟ وإنت يا رامى انطق.. لك ساعة ما قلنش ولا كلمة.. وأحمد فاتح الجرنال.. قال إيه بيقرأ بس ما غيرش الصفحة من ساعتين، والمسكين حسين عمال يرجع في الحمام.. والظاهر كده صلاح نام.. هو حصل إيه؟ إنتم شخصياتكم اتغيرت كده ليه؟ انتم مملين جدا.. إيه الدماغ الضايعة دي!!

كان صوت علاء عاليًا ومزعجًا، وسمعت كل كلمة.. ولكن لم أستطع القيام لإسكاته، وكان تعليق بهاء:

- هو إنت بتفهم في مزاج الملوك؟ خليك يا لولو في البيرة.

ولم يكن في استطاعة أحد منا أن يشرب البيرة، أو حتى كوب الماء، رغم الإحساس الشديد بالعطش.. ومن حين لآخر أجرب رشفة ماء، وبعد دقائق معدودة أسارع إلى الحمام وأتقيًا من جديد.. وخرجت من غرفة النوم الساعة التاسعة، فوجدتني أمام مجموعة من الجثث، ملقاة على الكنبة، وعلى الأرض.. وعلاء يشاهد التلفزيون وفي يده البيرة.. وقفت أتأمل هذا المشهد بابتسامة بلهاء، وتنبهت على صوت رامى يناديني:

رامى : يا صاصو.. ولع لي سيجارة.

بهاء : وأنا كمان.



صلاح : سيجارة يا زُونى؟  
حسين : لأ، أنا مش عاوز.. السيجارة بتدوخنى.  
رامى : تعالو نُنزل.

أحمد وحسين (فى صوت واحد):

- مش قادرين.

رامى : طبعاً تِن تِن.. وتِن تُون.

بهاء : تيك وتاك.

علاء : أنا هَقْعُد أوضِب الحفلة.

رامى : مين ناوى ينزل؟

بهاء : أنا مِلْكَك يا ريس.. ياللا يا صاصو.

وخرجنا نحن الثلاثة.. وكان بهاء قائد السيارة، وأنا جنبه، وفى الخلف

رامى، وقبل أن تنطلق بنا السيارة، سألنا بهاء:

- على فين؟  
فرد رامى:

- على الزمالك.

وبالطبع فى سيارة علاء، لا يوجد إلا شرائط من ذوق علاء، ودار

شريط كاسيت.. أغانى اسمهان.. ذوق مختلف تماماً.. إنما لا مانع من سماعها..

ولم يعترض أحد.. وكل ما أطفى سيجارة، بونو يولع لى واحدة ثانية، وفجأة

سمعنا صرخة رامى من المقعد الخلفى:

- إركن يا بهاء.. مش قادر.. عايز أرجع.

ويقف بهاء إلى جانب الطريق، ويبدأ مسلسل القىء.. بدأه رامى، وأنا

من بعده، وأخيراً بهاء، والتف الناس حولنا، وكانوا فى دهشة من أمرنا..

وسألنا أحدهم:

- مالكم يا شباب؟

- الظاهر أكلنا سندوتشات مش نضيفة.

- ألف سلامة عليكم.

زمالك!! مهندسين!! دقى!! فى الواقع لم نكن ندرى أين نحن بدقة..  
وكانت الدنيا غريبة والأضواء مختلفة، وفى اعتقادى الشخصى أنها كانت أجمل  
من الطبيعى، وكنا فى حالة بلاهة تامة.. الأغانى التى لم تكن تعجبنا، ونرفض  
سماعها ونختلف مع علاء حولها، سمعناها دون أى اعتراض، وقطع بهاء حبل  
الصمت:

- البودرة دى سيم.

سألته:

- اشتريتها منين يا بونو؟

- من دولاب\* فى السيدة زينب.. واحد اسمه: البيشة.

قال رامى موضحاً:

- عارفه.. جيت من عنده حشيش قبل كده، مش هو ده يا بونو اللى فى الحارة  
الصغيرة، اللى بنطلع لها بسلام؟  
- هو يا إكسلانس.

ساد الصمت لبضع دقائق ثم أخيراً تكلمت:

- البودرة غريبة جداً.. شوية الواحد دريان، وشوية خربان.. وشوية مش قادر  
يتكلم، أو حتى يسمع.

قضينا ليلة رأس السنة.. نجوب الشوارع بالسيارة.. نشرب سجاير،  
ونتحدث بهدوء، ونسعد بلحظات السكون.. وفجأة انتبه بهاء قائلاً:

- تصوروا.. الساعة 11.30، كارثة.. الحفلة.. والبنات اللى إحنا عازمينهم،  
لازم نرجع بسرعة.

---

\* يطلق على مكان شراء المخدرات.

وفى طريق العودة إلى "الغواصة"، تأملت وأنا فى مكانى من السيارة كل ما نمر به: البيوت، المحلات، الإعلانات، الناس، السيارات.. الغريب أننى شعرت بأن كل شىء حولى قد تغير.. كيف؟ لست أدرى.. لكن بالتأكيد هناك شىء ما مختلف.. فعلاً ما حدث لى يختلف عن "سُكْر" الويسكى، وعن "سُطَل" الحشيش.. هذه تجارب فهمتها، وعرفت كيف أتعامل معها، إنما البودرة لا أعرف ولم أستوعب، ولم أفهم هذا الكم الهائل من الأحاسيس المختلفة والجديدة.

عندما وصلنا إلى البيت، وجدنا أحمد فى السرير، وفى حالة شديدة من التعب والإعياء.. أما علاء فأنفرد بصديقته فى البلكونة، ولم يبد أى اهتمام بما يحدث حوله، بينما جلس حسين مع البنات المدعوات لحفل ليلة رأس السنة، ووقع المسكين تحت حصار من الأسئلة، التى لا تنتهى من صديقته نيقين:

- مالك يا حسين؟ إنت عامل كده ليه؟

- فىن صلاح، وبهاء، ورامى؟

- يعنى إيه خرجوا؟ راحوا فىن؟

- يعنى إيه يعملوا حفلة ويعزمونا ويخرجوا؟

ولم يكن حسين قادراً على الحوار والنقاش والأخذ والرد، وفى الناحية الأخرى من البيت كان ميدو ينام فى سريره، وإذا دخل أحدنا الى غرفته، ينتفض صارخاً:

- اطلع بره.. اطفى النور.

واضطررنا إلى مقابلة البنات، والترحيب بهن، وقد كان هذا آخر شىء نريده، ونود أن نفعله فى تلك الليلة الجهنمية.

يا إلهى!! ما هذا القدر الهائل من الضجيج الذى أثارته البنات المدعوات للحفلة؛ فصاحب الفكرة والدعوة لم يكن فى استقبالهن، وخرج

بلا سبب مفهوم ودون اعتذار؟! هكذا وقعت المسؤولية كلها فوق رأسي.. إذا، لا مفر من تأليف فيلم هندي، وبأداء تمثيلي قلت:

- إتحانقنا خناقة بنت "....." ورحنا القسم.. خلاص، خلاص مبتزعلوش.. إيه رأيكم نعمل حفلة تانية أجمل ألف مرة ونصالحكم؟!!

استمرت حالة الثورة والغضب عند واحدة من البنات، والثانية صرخت لأن الساعة الواحدة والنصف، وأهلها صرحوا لها بالتأخير حتى الساعة الواحدة، والثالثة أخذت شنطتها وطارت معها.. المهم حوالي الساعة الثالثة.. ساد الهدوء، وأصبحنا وحدنا.. وبدأنا نفيق، بنسبة خمسين في المائة، وأحسست ببعض الراحة وأعلنت رأبي قائلاً:

- هو ده الكلام.

لكن بونو الشيطان له موقف آخر، اقترب مني قائلاً:

- خذْ ولع يا معلم.. بس خلى بالك.. هما نفسين حشيش مش أكثر.. النفسين دول هيولعوا الدنيا.

وقد كان.. أخذتُ النفسين، وعلى الفور أحسست بالأحاسيس السابقة نفسها، نشوة غير مفهومة.. إنما كانت المشكلة الكبرى، أن كل رشفة مياه أشربها أتقيأها، وليست عندي القدرة على رفع رأسي بين كتفي.. أسمع كل كلمة تُقال، ولكنني لا أريد النطق بكلمة واحدة.

ميدو لازال في السرير، ولا يريد أن يرانا أو يسمع أصواتنا.

حسين يمسك بالتليفون، وفي حالة حب من ساعتين.. ده عمره ما طوّل

كده!!

أما علاء.. فقد كان أمام التليفزيون يشاهد أفلاماً جنسية، وكان في حالة سكر غير عادية؛ لأنه كان يشرب منذ الساعة السابعة.. أكثر من ست ساعات، والكأس في يده.. وأخيراً مدّ لي رأمي يده قائلاً:

- هات إيدك.. انت اللي بتفهم فيهم.. تعالى نقعد في البلكونة، نسمع بوب مارلي.

اعتقد أنني لم أكن أستطيع المشي.. رجلاى لا تحملاننى، وبالمعنى الأصح كنت "بتطوح".. لكن لا أحد منا يدري بما يحدث للآخر.. كل واحد منا فى دنيا لوحدّه.

من حين لآخر، كان بهاء يتحرك بيننا، وكأنه الطبيب المعالج.. كان يمر علينا واحداً واحداً ليطمئن، ويعطينا التعليمات الجديدة، مثل:

- اغسل وشك، وأشرب ميه.. وانت أفرد جسمك.. خد نفس عميق.. هایل أنت كويس.. ولع سيجارة.. ها.. شغالة ولا فصلت؟!  
وأخيراً.. أخيراً.. نطقت، وقلت له:

- يخرب بيتك يا بونو.. إيه البودرة دى؟! هو إحنا مش هنفوء واللإ إيه؟!  
فرد رامى:

- باين علينا شمينا كثير.. هو زونى فين؟

أجاب بهاء قائلاً:

- على التليفون، البودرة دى جبارة.. بتطلب جنينة.. وتثبتت أى بنت فى مصر، بس تسلمك ودنّها عشر دقائق، ومبروك عليك يا إكسلانس.

وفجأة ظهر ميدو.. جاء الى البلكونة ممسكاً بصفحة الرياضة قائلاً:

- الحقونى يا جماعة.. أنا قرّيت الخبر أكثر من عشر مرات، وبجذ مش قادر أفهم ولا كلمة.. السطور ملخبطة والكلام بيرقص قدامى.

لم نكن نستطيع الضحك.. ومع هذا كلامه جعلنا نضحك ضحكاً هستيرياً.. والمشكلة الحقيقية إن أحمد كان جاداً فى كلامه.. إنه لا يفهم ولا أحد منا يفهم أى شىء فى أى شىء.. وقال:

- يعنى بتضحكوا.. طيب إمسك يا بونو.. أقرأ المستكاوى بيقول إيه، وأراهنك لو فهمت كلمة واحدة.

- هات الجرنال.

ينظر بهاء فى الجريدة ويقول:

- أصلاً المستكاوى مش كاتب أى حاجة النهارده.

يضحك رامى ويقول:

- روح خذ دُوش.. احتمال تُرجع يفهم.

ترتفع الضحكات مع كل جملة، ويدخل حسين البلكونة بعد حديثه

التليفونى الطويل.. قائلاً:

- تصوروا انا قلت لنيفين بحبك، وقالت لى وأنا كمان.. طول المكالمة ما كنتش

عارف أنا بأقول إيه، إنما كنت حنين حنان الفيل، فقالت لى: إنت غريب

يا حسين النهارده.

سألته قائلاً:

- أول مرة تقول لها بحبك؟ أمال الست شهور اللى فانت بتقول لها إيه؟

قال أحمد ضاحكاً:

- أكيد بيقنعها تبقى زمالكاوية وهى مش موافقة.

رد حسين ساخرًا:

- إيه الشربات ده!!

بينما قال رامى:

- بقول لكم إيه.. بلاش دوشة، واسمعوا بوب مارلى، دا جامد جداً.

استمرت الليلة ما بين قليل من الضحك.. وقليل من السكوت.. وقليل

من الموسيقى.. حتى أعلنت دقائق الساعة الثامنة صباحًا، وقرر بهاء العودة إلى

بيته، وبمجرد خروجه دخلنا غرفة النوم.. رامى وأنا على سرير، وأحمد وحسين

على سرير.. وأخيرًا، نمنا نومًا عميقًا.

الحق يقال.. لم أفهم البؤثرة.. ولم أستطع التمييز والحكم عليها.. هل هي حلوة أم خطيرة؟! إنما أستطيع القول بأن كل شيء كان غريباً.. المهم تجربة و"عدت".

استيقظنا من النوم بعد الساعة الرابعة، والسيجارة أيضاً طعمها غريب، ولكنني في حالة مزاجية أفضل، ودار بين الشباب حوار، بدأه علاء قائلاً:  
- إيه الأرف ده؟! طول الليل عمّالين ترفصوا وتهزّشوا.. ولا أنا عارف أنتم صاحيين واللا نايمين.

قال بهاء واصفاً الحالة:

- يا علاء ده مش نوم.. ده اسمه تسقيط أو تفنير.. ولا واحد كان نايم.. الواحد منا مغمض عينيه لكن صاحى وحاسس بكل حاجة حواليه.. ذا أجمل "مود" في الدنيا.

بينما عقت مؤكداً:

- فعلاً.. أنا كنت حاسس.. بس مش قادر، ولا عارف أعمل أى حاجة.. أقول لكم على حاجة حصلت إمبراح، وأفكرتها دلوقت.. لما نزلت أوصل هدير لعربيتها، وعلى السلم "زناتها" وأدتها بوسة، وهى ما صدقت، وفجأة سمعنا السواق بيضرب كلاكس.

هتف بهاء:

- مبروك يا صاصو.. المزة الجديدة.

فقلت محتجاً:

- إيه ده، دى كارثة.. هو أنا كده لبستها واللا إيه؟!!

قال زونى:

- الحل إنك تعمل عبيط.

قلت:

- بَصَدَّقْ، فكرة صايعة يا زُونى.. جَدَّعَ إِنَّكَ شَغَلْتَ التليفون طُولَ الليل، أكيد طلبتني مائة مرة.

وفجأة.. علاء قال:

- حَذِّ يرد على التليفون بِسُرْعَةٍ.

- كارثة.. أكيد دى هدير.. رُدْ يا بونو، وقول لها صلاح طلع فَيَتَّامِ الصُّبْحِ بَدْرِى.

- أهلاً يا دودو.. أَخْبَارِكِ إِيه؟ "لحظة سكوت".. صاصو؟! خرج من بدري، راح يَسَلِّمُ على أهله، ويقول لهم كل سنة وانتم طيبين.. طبعاً طبعاً راجع تانى، وأول ما يَرْجِعُ أقول له يَكَلِّمِكِ.. فوراً يا إكسيلانس.

وطبعاً لم أكلم هدير، ولكن هى تكلمت مرة ثانية وردت عليها:

- ألو يا دودو.. إزَيْك؟ أنا مش عارف إيه اللي حصل إمبراح، مش قَصْدِي خالص، كنت شارب كثير، ومش عارف عملت كده إيه!! أوعدك ده مش هِيَتَكَرَّرُ تانى أبداً.. دودو أنا لازم أنزل حالياً.. علاء سَبَقْنِي فى العربية.

لم أنتظر أى رد فعل من جانبها، وانتهيت الموضوع بهذا الأسلوب.. حقيقةً، البنت جميلة، لكنها مُمِلَةٌ جداً، بعد عشر دقائق أو أقل أشعر بالملل، وأحاول أَبْلُغُ فرار بكل الطرق والحيل.. وعلى العكس كانت شهيرة صاحبة علاء "تَخْتُوخة"، دُمُّهَا خَفِيف، طيبة و"جدعة" جداً.. تحب علاء أكثر من حبه لها ألف مرة.

لم يكن موضوع البنات يشغل تفكير رامي.. إنما حظُّهُ من السماء.. فى كل مرة يتعرف إلى بنت من البنات، تطلع صَارُوخَ أرضِ جو، وكانت نيلى هى الوحيدة التى استمرت صداقتها معه لفترة طويلة.. كم هى جميلة.. أنيقة.. وكما



يقال بنت عائلة.. تحبه أكثر من كل الكلام، ولكنه يشعر بالملل.. ومن حين لآخر  
يَغْدُرُ بها، وتحتمل.. أكثر من مرة تبتعد في هدوء، ثم تعود العلاقة من جديد.

وأكد صاحبنا بهاء التقارب المصري الفلسطيني، بعلاقته المنشودة مع  
بسمة، فتاة فلسطينية.. بيتها على مرمى البصر من بيت ميدو.. دقيقة ونصف  
لا أكثر بالموتوسيكل.. وكدنا نفقد عقولنا بسببه، بعد أن رفع مصفاة الموتوسيكل  
ليحدث ضجيجًا عاليًا؛ حتى يلفت انتباهها إلى وجوده تحت بيتها، ويظل رايحُ  
جأى، مُزْعَجًا سكان الحي؛ لينال نظرة عندما تطل جميلة الجميلات من الدور  
الرابع، وقد أطلق عليها: بسمة "أم قلب خشب".. إنها قمة في الجمال.. شعرها  
أسود ناعم، لون البشرة قمحي، عيناها لونهما أخضر. وذات مرة، ليكسب عطفها  
ربط جسمه كله بالشاش، وأطلت من البلكونة.. رآته.. وبعد أقل من دقيقة دخلت  
غرفتها، وكأنها تعلق: "وأنا مالي".

وبعد فترة، استعد بهاء بمجموعة من الشباب، وتحت بيتها بدأ معركة  
سينمائية، مثل فيها دور البطولة، وكأنه فريد شوقي في زمانه، رغم أنه أصلاً  
لا يتحمل ضربة قلم من طفل في العاشرة.. مشهد من فيلم فاشل.. وفي مرة  
أخرى اتفق مع بعض الشباب لمعاكستها في الشارع، وفورًا نزل بونو المنقذ من  
على الموتوسيكل، وضرب أحدهم، وبأعلى صوت ثار على الآخرين.. إنه فيلم  
قديم وبلدى يا بونو.. جرب بهاء كل الحيل، بلا صدى عند بسمة.. في كل يوم،  
مواقف مختلفة من بهاء لينال اهتمامها، ولكن بونو صعلوك، وهي جميلة فاتنة  
شديدة الثقة بنفسها إلى حد الغرور، ومن المستحيل أن تفكر في هذا الكائن  
العجيب.. مسكين يا بونو.

ويختلف الموقف بين حسين وصديقه نيفين.. إنه يحبها بحق، وهي  
تبادلته مشاعره الحلوة، وكنا نشعر أن لهما عالمهما الخاص، وأن بينهما أسرارًا

لا تنتهي.. والحق يقال إنها خفيفة الظل، وأيضًا كانت خبيثة، هي قصيرة، ودائمًا أذكرها أن كل قصير مكير.. ولم أكن أرحمها من التعليقات الساخرة، وترد بخفة دم وكأننا "نائر ونثير"، ولكننا نتعامل بأسلوب راق، حبًا واحترامًا لمشاعر حسين.. وعندما كنا نخرج معًا، تنطلق نيفين بعشرات الأسئلة:

- خارج ليه؟ رايح فين؟ راجع إمتى؟ مع مين؟ بهاء ورامى وصلاح معاك؟ بكل تلقائية كانت تتكلم.. وإحساسها يؤكد لها أنني وبونو ورامى السبب الأساسى وراء الشرب، وقصص البنات، وكل المصائب، وإنما رجوعًا للحق، كانت طيبة جدًا.. ويغضبها عدم تفرغ حسين للحديث معها طوال الوقت، رغم أنها "رغاية" جدًا، ولا ينتهى حديث الصباح والمساء على التليفون بينهما، ونحتج جميعًا؛ وأقول له:

- ياربى!! الرحمة.. إيه الرغى ده كله؟ فهمنى يا زونى بتقولوا إيه كل ده؟  
- أصل فيه موضوع كبير أوى يا برنس.

وكان تعليق بونو:

- على كوبرى عباس.. ماشيه وماشيه الناس.. يا فروتة وأناناس.

لم تكن لدى صاحبنا ميدو صديقة محددة، ولكنه "يعيش" فى الدور، مُدَّعياً أن فى حياته فتاة مدهشة، غير كل بنات الدنيا، إنما علاء المشاغب الكبير لا يتركه فى حاله، ويغيطه بأسئلته:

- صاحبك مين دى؟ إنت معانا أربعة وعشرين ساعة، وعمرنا ما سَمِعْنَا صوتها، ولا شَفْنَاها.. يا ترى هى كَلْبُوْطَة، أقصد تخينة زيك كده؟ طيب يا ميدو فهمنى ليه مش بتتكلموا؟

- طبعا بتتكلم، وأنا رايح لها ألمانيا الصيف الجاى.

وبعد رأس السنة، رجعت الشلة كما كانت.. خمره، حشيش، كوتشينه،  
بنات.. واختلفت الآراء حول البودرة ومُلخَصها:  
بهاء : صاحب الاختراع.. وطبعًا المشجع الأول.  
رامى : عجبته.. و"معدوش" مانع يجرب مرة ثانية.  
أحمد : ممكن.. بس مش كثير.. التراجع وحش جدًا.  
حسين : تمام كده.. على خفيف.. فى المناسبات.  
علاء : أنا لغيتى الخمره والحشيش.. وبس.  
صلاح : قشطه.. شغال.

# عيون قارئ

## وداعًا للمدرسة

رغم كل ما فعله، وما نمر به يوميًا.. فزنا ببطولة المدرسة في الكورة، كسبنا مباريات متواصلة.. الغريب طبعًا أننا كنا نشرب سجائر، حشيش وبيرة.. ومع هذا كنا "حريفة" كورة، وفعلاً كان فريقنا قويًا وحصلنا على كأس المدرسة.. والفريق الذي يفوز، هو الفريق الذي يمثل المدرسة في المباراة النهائية، مع مدرسة لغات أخرى، من المنطقة نفسها. كانت مباراة البطولة ما بين المدرستين، وكل سنة تقام في مدرسة، بمعنى، سنة على أرضنا، وسنة على أرضهم.. البطولة كانت مستمرة، منذ سنوات وسنوات، لدرجة أنه لا أحد يعرف بالتحديد.. متى وكيف بدأت؟!!

بطولة السنة الماضية فازت بها مدرستنا، وكانت المباراة على أرضنا، وفصل ثانوية عامة علمي فاز بها، وحصل على الكأس، وتم توزيع الميداليات، وأقيمت الاحتفالات.. هذا العام المباراة النهائية في مدرستهم وعلى أرضهم.. ووسط جمهورهم.

معنا في الفصل زميل طويل، وبطل فروسية.. اسمه عباس، وهو حارس المرمى، وكان أيمن "بأك"، ويسانده عماد، وأنا كنت ألعب في نص الملعب، وكان زوني "أخرّف" واحد في المدرسة كلها، ويلعب مهاجمًا.. كان رامى احتياطيًا و"يغير" مع أيمن وعماد.. وميدو هو "الكوتش"، وأطلقنا عليه اسم: "برزوتّا"، نسبةً إلى مدرب إيطاليا الشهير في ذلك الوقت.

كان بونو طبعًا هو ملك الزفة والتشجيع، وكالمعتاد يتقمص دور الدكتور المعالج.. بونو كان غريبًا جدًا في موضوع التشجيع، كان يعرف كيف يؤلف أغنية في ثانية، وكانت تتحول إلى هتافات مدهشة و"ملهاش حل"..

المدرسة كلها مهتمة بالمباراة، وكل الزملاء، بلا استثناء، يسألوننا عن تشكيل الفريق، وخطّة المباراة، وموعدها.

المدرستان تقريبا في نفس المستوى، والمنافسة بينهم كانت قوية جدًا. نعم، سوف نلاعب أصحابنا لنا من النادي، وكثيرا ما لعبنا مباريات معًا، وكنا في فريق واحد.. لكن الوضع مختلف بالنسبة لهذه المباراة.. نحن نلعب باسم المدرسة، ولا بد أن نرجع لها بالكأس.. الموضوع جدّ جدًّا، ولا يحتمل أي هزاز.

تحدد تاريخ المباراة، واجتمع بنا الكابتن فاروق، مدرس الألعاب، وتحدّث معنا على تفاصيل الماتش، وقال لنا:

- الماتش على أرضهم، بس أنا عارف إن إنتم رجاله.. إحنا لنا 100 مشجع بس، عايز أدب.. عايز أخلاق والتزام.. وتفضلوا شوفوا جمال الفانلات.. لونها أبيض وشورت أسود.

كان الكابتن فاروق زملكاويا متعصبا، واختياره لون الفانلة كان مقصودا من جانبه.

حقيقة الأمر، كان الرجل شخصية جميلة و"جدع".. لكنه واجه الاعتراض من الأهلاوى ميدو:

- لا.. يا كابتن، أبيض إيه.. ماينفغش، آسف، هو طقم كورة ولا تاكسى.. وبعدين إحنا ماينلعش بالأبيض، ده فال وحش.

- خلاص يا ميدو، أنا جبت اللبس، ومش مشكلة.. مش حتفرق، أبيض من أخضر من أحمر من أزرق من أصفر.. كله واحد.. المهم اللعيبة.

فقال بونو مؤيدا:

- خلاص يا ميدو، مفيش مشكلة.. أبيض أبيض.

- لأ، أنا مش موافق.

- خلاص، زى ما الكابتن قال، مش مهم اللون، المهم الحشو.

وتدخلتُ في الحوار:

- المائش مُدتهُ أذِ إيه يا كابتن؟
- 40 دقيقة الشوط، تلت وتلت.. خلاص يا رجالة، الكاس بتاعنا، مش هنرجع وأيدينا فاضية.
- عيب يا كابتن، دا أنا ميدو بروزتا، وحاططُ خطةً عبقريةً بفكر فيها من أسبوع.

وكان تعليق زوني:

- خطة إيه يا مودينا في داهية.
- خطة هيديكوتى\* بتاعة الكاس، ولا نسيت.
- أخذنا اللبس من غرفة الكابتن، وبدأت مناقشات جديدة، بدأها ميدو:
- إحنا لازم نازل نشترى تى شيرتات جديدة.. إيه رأيك يا بونو؟
- لا لا.. ملكش دعوة بالقصة دي، دا أنا هاعمل طقم مُرعب.. فإكر يا صلاح الفانيلة بتاعتك اللي كلها ألوان بتاعة فريق المزيكا.. اسمه إيه؟ أظن "د".
- آاه، قُصْدك "جريتفل د" ..
- أبوه، تعجبني يا إكسلانس.. أنا هالون التيشيرتات دي بالألوان زي فانتهم.. رأيك إيه يا ميدو؟!

- يا ابن الإيه، فكرة صايعة.. ماشي يا زوني؟

- نفذ يا بونو.

- بس محدش يجيب سيرة، علشان الكابتن فاروق ميغرفش، وبعدين مش هو قال أبيض، أحمر، أصفر، أزرق، أخضر.. متفرفش، يبقى خلاص نلونها له.

\* مدرب الكرة المجرى الشهير.

\* فريق موسيقى أمريكي.

أخذ بونو "التيشيرتات" واختفى.. المباراة يوم الخميس، ومساء يوم  
الاربعاء، وصل بونو عند ميدو، ومعه التيشيرتات.. يا نهار أبيض، إيه ده؟! فعلاً  
ألوان الطيف!!

الغريب.. إنها كانت مختلفة وحلوة.. ولم ينس إضافة نمرة على كل  
"تيشيرت"، والمفاجأة أنه يعرف الرقم الذى يحبه كل منا. بالطبع.. استسلم عباس  
وأيمن وعماد تماماً، ولم يعترضوا نهائياً.

وقال عباس:

- إحنا مالناش دعوة بأى حاجة، إحنا علينا نلعب وخلص.

وقال بونو:

- محدش هيشوف التيشيرتات دى فى المدرسة، يتلبسوا قبل الماتش بنص ساعة.

أما ميدو، فقال:

- طبعاً.. كل حاجة لازم تبقى مفاجأة.

وأضاف بونو:

- وبعدين موضوع 100 متفرج ده قليل جداً، أنا وضّبت خطة أهرّب  
100 كمان، دا أنا عملت شوية أعلام وجهّزت كمان أغنيّين، بس تعرّفوا  
لو ماكسيناش.

فقال زُونى:

- عيب عليك.

وقلت مستكراً:

- دا أنا أبطل ألمسها.. أعتزل واقعد فى بيتنا أحشش.

وأضاف زُونى:

- خطتك إيه يا بروزّتا.. الماتش بكره.

فرد ميدو:

- هتعرّفوا كل حاجة بكره الصبح.. أنا كاتّب كل حاجة.

احتج زُونى قائلاً:

- يا عمّ قول وخلصنا.

- ماشى، بس ركزوا معايا شوية، الماتش ده غير أى ماتش.. إحنا نتصرف تصرفات مجانيين ونشتت تفكيرهم، يبقوا مش فاهمين فيه إيه، ولا المشجعين بتوعهم يفهموا.. ماشى يا صاصو؟

- تصدق.. دى فكرة صايعة جداً.

واعترض حسين:

- الله يخرب بيوتكم، إيه اللي إنتوا بتقولوه ده؟!!

فقال ميدو ضاحكاً:

- اسمع بس يا زُونى، حنتصرف تصرفات غريبة، وده هيخليهم ميعرفوش يركزوا خالص.

فقال بونو:

- أموت أنا فى شغل المجانيين.. كمل يا ميدو.  
- أول حاجة، بونو عمل 'يونى فورم' جامد جداً، تانى حاجة.. يوم الماتش لما نسخن، نسخن فى النص بتاعهم، ما احنا أصلاً مبنسخنش، ونقعد نشوط الكرة بتاعتهم بعيد، يعنى برضه استفزاز وغلابة، وبدل ما نقف فى دايرة ونتكلم على الخطه، نقعد مرتبعين على ركبنا، وبعدين ننام على الأرض لمدة 3 دقائق من غير ما نقوم.. وأنت يا بونو طبعاً الطبله و"الراء" والصاجات وحنرقص فى الملعب.. أكنتا كسبنا الماتش قبل ما يببدي.

رامى : تصدقوا إن إحنا لازم نحشش قبل الماتش ده.

صلاح : طبعاً، أمال هنروح فأيّتين.

أحمد : ده مش فى الخطه.

بهاء : معلش، نزودها على الخطه.

حسين : ده هيبقى ماتش جامد ".....".



فى الیوم التالى.. ذهبنا الى المدرسة نرتدى أطقم التدريب "تربینج سوت"، وأصرّ میدو على ارتداء بالطو، وكأنه بروتوتا بجد، أما بونو، فقد وضع الطربوش على رأسه، وارتدى جلباباً ومن فوقه عباءة، وكان منظره فكاهياً. فى ذلك الیوم، كنا نمتلك حرية الحركة والتصرف، معنا "كارت بلانش" نفعل ما نریده، وكنا نختفى فى سيارة میدو، نلف سيجارتین ونشربهم، ونعودُ ثانية إلى المدرسة.. الكل مهتم بالحدث، ولا أحد يتكلم عن شىء آخر غیر الماتش، وكان المدرسة فى یوم ریاضى.. جلسنا معا نضحك، ومن حین لآخر، واحد منا یقترح فكرة جدیدة نعملها بهدف تشبیت تفكيرهم.. فعلاً شغل مجانین. فى الفسحة ظل الناظر یبحث عنا، وكنا فى سيارة میدو، وتوجهنا إلى مكتبه لنعرف ماذا یرید منا، فوجدنا الكابتن فاروق یجلس معه، وبكل هدوء تحدث الناظر قائلاً:

- إزیکم یا شباب.. شکلکم جلو فى لبس الریاضة، فین "الئیونیفورم"؟

أجابه زونى:

- معانا یا افندم.

- کویس.. عاجبکم؟

فقال میدو:

- طبعا یا افندم، البركة فى الكابتن فاروق.

أضاف الناظر:

- إنتم النهارده بتمثلوا المدرسة.. المدرسة لها تاریخ.. المدرسة لها سُمعة.. المدرسة دى أحسن مدرسة فى مصر.

دخل علينا بهاء مُرتدياً الجلباب والعباءة، وعلى رأسه طربوش،

وبابتسامة عریضة تساعل الناظر:

- إیه ده یا بهاء.. اللى إنت عامله ده؟

فقال ميدو:

- ده كبير المشجعين يا افندم.
  - واضح إنكم واخدين الموضوع بجد.. بس إسمعوا أنا عايز أدب، أخلاق، والرياضة مكسب وهزيمة.
- فقلت بحماس:

- الكاس دا بتاعنا، ومش راجعين من غيره.. اطمئن حضرتك.
- أنا مُشُ عارف أنتم عارفين واللا لأ.. الكاس ده ممكن فعلاً يكون بتاعنا.. السننين اللي فاتوا إحنا اللي كسبنا، ولو كسبنا النهارده الكاس ده هيبقى بتاعنا مدى العمر.. اللي يحتفظ بالكاس لازم يفوز به 3 سنين ورا بعض، ولغاية النهارده محدش كسب 3 سنين ورا بعض.

فسأله ميدو:

- هي البطولة دي ابتدت من إمتي؟
  - من زمان، من أكثر من 10 سنين، والكاس رايخ جاي بين المدرستين.. النهارده المدرسة كلها هيسنناكم، الماتش الساعة الواحدة، هتتحركوا الساعة 12 بعد طابور الفسحة.. أنا عاوزكم تحضروا الطابور، وبعد كده تمشوا إنتم والمشجعين.. المدرسة كلها عارفه مهمة فصل ثانوية عامة أدبي النهارده، وطبعا أنتم معروفين بالاسم واحد واحد، ومعروف شقاوتكم ومشاكلكم، بس النهارده كلنا معاكم وكلنا معتمدين عليكم.. ربنا يوفقكم يا شباب.
- وخلال الفسحة التف تلاميذ المدرسة كلها حولنا، وأخيرا طلعنا الفصل.. بونو جهاز الأعلام، وقررنا ارتداء زي بونو الرياضي، ونقف في الطابور.

وضرب الجرس، ونزلنا إلى فناء المدرسة "بالتريننج"، وتحتَه "التشيرتات" الملونة بألوان الطيف، وقررنا التسخين بها أمام الجميع.. خرج

الناظر، وطلب منا الانتظار ليقول كلمته الأخيرة قبل صعود التلاميذ إلى الفصول.

وقال حضرة الناظر:

- النهارده، وبعد دقائق معدودة، وزى ما أنتم عارفين.. ثانوية عامة أدبى رايحين مباراة النهائى.

دوئى تصفيق حاد من كل تلاميذ المدرسة، ثم استمر فى حديثه قائلاً:

- من فضلكم الهدوء.. النهارده ثانوية عامة أدبى وآخذ الكاس اللى بقاله سننتين عندنا فى المدرسة، ولو رجعوا بيه.. عمره ما هيخرج من المدرسة تانى.

دوئى تصفيق حاد مرة أخرى، من التلاميذ والمدرسين.

- فريق المدرسة يتفضل علشان المدرسة كلها تحييه.

وبعد أن تسلم الكابتن فاروق الكاس، أضاف الناظر:

- ربنا يوفقكم.. اتفضلوا.. استعدوا.

وبسرعة فائقة، خلعنا الترينج وظهر اللبس المرعب، وضجت المدرسة من الضحك.. "انقلبت" المدرسة من منظرنا، وطلعنا فى الشرفة جنب الناظر، والكابتن فاروق فى حالة ذهول من منظرنا فى الزى الجديد، وخلال ثانية واحدة استطاع بونو توزيع أكثر من 50 علماً على الطلبة بنفس ألوان "التشيرتات"، وأصبح المنظر ساحراً.

المدرسة تضج بالتصفيق، والناظر يسلم علينا واحداً واحداً، وارتفعت الأعلام عاليًا.. كانت ترفرف، بينما بونو يلف حديقة المدرسة، مرتدياً جلبابه والعباءة، والطربوش والبطلة فى يده، وصاح ليبدأ أغانيه:

- الكل يغنى.. الكل يقول.. إحنا مين، وهما فين..

- الكل يغنى.. الكل يقول: الكاس عندنا.. وهيفضل عندنا..

لمدة 10 دقائق.. ظلت المدرسة كلها تغنى وراء بونو، وهو يقول

بأعلى صوت:

- الكل يغنى، الكل يقول لكل الناس، راجعين راجعين، راجعين، ومعانا الكاس..  
طلعتنا على المدرسة المنافسة.. خمسة أتوبيسات انطلقت من مدرستنا  
تحمل المشجعين، وبها كمية أعلام رهيبية، وركبنا نحن الخمسة في سيارة ميدو،  
وكابتن فاروق أخذ معه عباس وأيمن وعماد في سيارته.. المدرسة المنافسة تبعد  
خمس دقائق عن مدرستنا.

في سيارة ميدو، بونو موّع "چوينت"، وريكو موّع "چوينت"، وأنا معي  
"كوباية" في يدي، وكنا نحشّش، وكأنا في طريقنا إلى حفلة "روك"، وليس إلى  
مباراة مهمة.. وميدو راجع معنا خطّة الماتش، وكان تعليقه على كلام الناظر:  
- شوفتوا، بيحب الكورة، أصلاً هو أهلاوى صميم.. لعلمكم كان يتمنى يجي  
معانا.

وصلنا.. كانت فعلاً المدرسة كلها في انتظارنا، وكان يوماً رياضياً في  
مدرستهم، وكلهم في انتظار الماتش.

كنا "مساطيل"، وبصراحة شعرنا بالرّهبة أوّل ما وصلنا.. ياه!! مدرسة  
كاملة في انتظارنا، ووقفنا إلى أن دخل الكابتن فاروق المدرسة، حاملاً الكأس  
في يده.. وتوقفت الاتوبيسات، ونزل كل المشجعين، وكانت الخطة كما رسمها  
بونو.. ننتظر دخول جمهورنا من المشجعين، وندخل بعدهم.. دخلوا ومعهم  
الأعلام، ونزل بونو ومعه الطبلية، وكان منظره فكاهياً جداً، وبدأ يطبل ويغنى  
قائلاً:

- واحد اتنين ثلاثة ونص.. رأسهم يا زوني على واحدة ونص..

- بَص بَص بَص.. صاصو ملك النص..

- هيلا هيلا.. هيلا هيلا هو.. ريكو مفيش زي..

بصراحة.. كانت الرهبة تغمرنا.. أول مرة في حياتنا نلعب أمام كل هذا العدد من الطلبة، وهم أيضا بدأوا تشجيع فريقهم.. ميدو نزل معنا الملعب، وبدأ يتكلم معنا واحد واحد، ثم طلب منا أن نقف معا في جانب من الملعب، ونتهامس معا.

- إنتم نسيتم الخطة واللا إيه؟! اسمعوا العيال دي لازم تُسكُتُ خالص، ياللا اقلعوا التريننج وإنتم واقفين جنب بعض، ألفتوا الانتباه إن فيه حاجة بيحصل.

نفذنا كلامه، وكان لبسنا فعلاً غريباً، وبدأ الجميع يتفرج ويهلل، وطبعا الجماهير من المشجعين بقيادة بونو "عاملة" شغل مدهش.. وبعد ما ظهرنا بملابسنا العجيبة نفذنا بقية خطة ميدو، وجرينا على الفريق المنافس أثناء التسخين، وعملنا تصرفات غريبة ليس لها أى معنى، وهم فعلا فى حالة ذهول، ونحن فى حالة جدية تامة.. قمنا بحركات استفزازية، وبدأنا نشوط كرتهم بعيداً.. استفزاز وبأعصاب باردة، والفريق المنافس فى حالة غليان.

ونزل حكام المباراة، وهم من ترشيح وزارة التربية والتعليم.. وطبعاً إلى جانب الجمهور، كانت المنصة معدة، ويجلس بها مندوب من وزارة التربية والتعليم، وبجانبه كابتن فاروق، وكابتن المدرسة الأخرى.. تصرفاتنا أدهشت الناس كلها.. ما هذا الذى يحدث؟ فعلاً، كانت المسألة مريبة بعض الشيء، وغير مفهومة.

فى واقع الأمر، لقد سيطر علينا تأثير الحشيش، وكان الفريق المنافس شديد الثقة بنفسه، ويلعب فى مدرسته، على أرضه، وبين أصحابه وزملائه.. وبالتالي لم يهدأ بونو ثانية واحدة، وأيضاً ميدو، وكلاهما أصدر تعليماته لنا.. إلى أن بدأت المباراة.. وأول كرة.. هجمة لنا، وكنت فى أقل من ثانية أنا و"الجون"، ولست أنرى كيف أمسكت الكرة بيدي، و"شوپة" قوية خارج المدرسة، ثم وقعت على الأرض، وأصبت بنوبة ضحك هستيرى، وأسرع إلى

زُونى وريكو.. وكأنتى أحرزت هدفاً.. طبعاً حالة من الذهول أصابت الجميع، بدءاً من الجمهور، واللاعبين، وكأنهم يتساءلون: هل هو مجنون؟ ما هذا الذى يفعله؟ بطبيعة الحال، أعطانى الحكم إنذاراً لأننى أمسكت الكرة بيدي.. ياه!! من أولها!!

بصراحة ما حدث منى جعلنا نفيق جميعاً، وفوراً طلب ميدو من عباس التظاهر بالإصابة، وبما أنه حارس المرمى، إذا لابد أن نتوقف المباراة.  
قال ميدو:

- لازم نغير الخطة.. الموضوع هيفلت من أيدينا.  
لقد شعرنا أننا نمرُّ بحالة هبوط، وذلك بعد دقائق معدودة من المباراة، كُنَّا فى حاجة إلى سكريات فوراً، بل نحتاج شيكولاته.. وصاح زُونى قائلاً:  
- هات كُولا وشيكولاته بسرعة.

أسرع ميدو لشراء كولا وشيكولاته من كشك خارج المدرسة، وعاد بعد دقيقة واحدة.. فيلم جديد من عباس، ويقع للمرة الثانية، وظل عباس ملقى على الأرض حتى شربنا وأكلنا الشيكولاته بين ذهول الجمهور والجميع.. إنها المرة الأولى التى يرون فيها اللاعبين يأكلون الشيكولاته، ويشربون كولا خلال مباراة.. وبعد 10 دقائق أحرز الفريق المنافس هدفاً.. طبعاً أصبحنا فى مأزق، ولكن بعد أقل من دقيقتين، ردَّ زُونى بهدف لصالحنا.. الكرة بينى وبينه "ون-تو"، وتحقق الهدف.. جول جميل فعلاً.. وتمر دقائق معدودة، ويحرز الفريق المنافس هدفاً جديداً، وأصبحت النتيجة 2:1، وانتهى الشوط الأول، وجاءنا كابتن فاروق جبرى:

- إيه اللى أنت عملته ده؟

أجبتة قائلاً:

- مش حينفع أشرخ لك دلوقت يا كابتن.

- ده اللي وعدت بيه المدرسة.. المدرسة كلها مستنناكم ترجعوا بالكاس، إنت  
والجون وتشوط الكرة بزّه المدرسة!!

قال ميدو:

- مَاتخَفْش يا كابتن، يا رجاله.. الكاس بتاعنا، وأنت يا صلاح، زى ما ضيعت  
جون هات جونين.

ونزلنا الشوط الثانى.. المباراة كانت حماسية، وجمهور المدرسة  
المنافسة بيشجعوا بحماسة هائلة، وبدأت صيحات الفريق المنافس:  
- هوو هوو هوو هوو هوو..

طبعا بونو ردّ فى ثانية، وقال:

- ما بنخَفْش ما بنجْرِيش.. الكاس ده بتاعنا يا خرافيش..

سارت المباراة بشكل أفضل، كرة هنا، وكرة هناك، زونى "خط" كرة  
جميلة لكن فى العارضة، ويبقى من الوقت حوالى 8 دقائق على نهاية المباراة..  
الكرة "أوت"، ولعبها أيمن لزونى، بيرقص اثنين، وشاطها لى، وفى ثانية "شُوطه"  
مدهشة فى الجون فعلا "ملهاش حل"، والنتيجة 2:2 والماتش وتّع، وسكت  
جمهورهم، وبونو أشعل الدنيا بحماسة، وبعدها بدقيقتين "أوت" لنا، وكان فيه لعبة  
متعود عليها أنا وزونى.. أجرى من بعيد ومن وراء "الجون"، وزونى يرميها  
أروح فوراً أضعها بدماعى، مجرد ألمسها تدخل جوه الجون، والنتيجة 3:2  
ومدرستهم فى حالة ذهول، وتشجيع مدرستنا غير عادى.. وفى ثانية.. لاعب  
خبط ريكو، وفى الحال وقع ريكو على الأرض وعمل تمثيلية، وميدو بدأ ينط  
يمين وشمال، ويطلب منا نضيع الدقيقة الباقية على نهاية المباراة.

وفعلا نفذنا تعليماته حتى تمر الدقيقة، وأيضا دقيقتا الوقت بدل الضائع،

وبونو بدأ يغنى:

- يا مدرستنا يا سيرك الكورة، فى كل مرّمى نسدد كورة، شُوطى وحَاورى..  
وأخذنا الدورى.

وبعد ثانية صَفَّرَ الحكم، وجرينا كلنا على ميدو وبونو، وأضاء وجه الكابتن فاروق بابتسامة جميلة، واستلمنا الكأس والميداليات، وسط ذهول الجميع. من الطريف أن زملاء مدرستنا رجعوا الى المدرسة سيراً على الأقدام، ولم يركبوا الأتوبيسات.. وكانوا في حالة من الفرحه والنشوة، فمشوا يهللون ويغنون طوال الطريق حتى وصلوا إلى المدرسة، بينما ركبنا نحن سيارة ميدو، وانطلقنا بها وضحكنا من القلب على أحداث المباراة، والكرة التي طارت خارج المدرسة، وعلى الفور أشعل بونو "الكوبأيه"، وأشعل رامى "جُونِت" .. كنا فعلاً في حاجة إلى نفسين بعد الانتصار العظيم.

وصلنا المدرسة والكأس معنا في السيارة، والجمهور وتلاميذ المدرسة جميعاً في انتظارنا من أول الشارع، الكأس مع ميدو، وحملونا على الأكتاف، وداروا بنا في المدرسة، ويومها ألغيت آخر حصة من جدول الدراسة.

وصل حضرة الناظر إلينا بصعوبة، ورفع ميدو الكأس.. وطلع ووقف على السلم الذى يصل إلى مكتب الناظر.. وأخيراً جاء الناظر ليتسلم الكأس أمام المدرسة كلها.. أجمل ما فى الموضوع، أن ميدو لا يلعب كرة.. ولكن مع هذا، لم يعترض أحد أبداً أن يحمل الكأس، ويملمه بنفسه لحضرة الناظر كأنه "برزوتا" فعلاً.

ألقي الناظر كلمة تهنئة أمام جميع الطلبة والمدرسين، وأصدر قراراً برفع الغياب عن فصل ثانوية عامة أدبى بالكامل، مكافأة منه لأدائنا الرياضى المتميز.

ظل الكأس فى المدرسة مدى الحياة، وقد وفَّينا بما وعدنا.

تمر الأيام سريعاً، ويقترب موعد الامتحانات، ولم نعد نذهب إلى المدرسة، وخلال شهر مارس وما بعده كنا نزور المدرسة مرة أسبوعياً، وأحياناً نتسبب فى مُشكلة أو مُشكَلتين، ونعود إلى برامجنا الشيطانية، وكل شهر يجىء لنا بهاء بالتذاكر..



وهو على حق عندما يقول:

- سبُّ يا جدعان.. والله سبُّ.. مين يدخُل؟

ويعترض علاء وحده على الفكرة، ونطمئنُه بأن الكمية قليلة هذه المرة؛ حتى لا نعانى من القىء الرهيب.. ولكن يستمر علاء فى رفض البُودرة، ونستمر نحن فى التجربة من حين لآخر.

الامتحانات على الأبواب.. إنها ثانوية عامة، ويبقى من الزمن شهران فقط لا غير، وأهم شىء يارِجاله أن نستعيد أنفسنا.. وبدأنا مراجعة المنهج، ونذاكر يومياً حوالى ساعتين أو ثلاث، ثم تبدأ جولات الكوتشينية، والحشيش، والمسكينة والدة علاء، تغضب وتصرخ وتتهار فى وجه علاء قائلة:

- سييهمُ يذاكروا.. حرام عليك هيسقطوا بسبب الكوتشينية، وهتكون أنت السبب.

وجاءت أيام الامتحانات.. عندها يكرم المرء أو يهان.. وكنا فى لجنة واحدة، ومعنا زميل من فصلنا اسمه سامى.. ضخم وكأنه دبٌ صغير أو كرة مستديرة، ويكاد يفقد عقله بسبب الهزار الثقيل والضحك والسخرية، ولا أنسى يوم خلعت حزامى، ودفعته إلى ركن الغرفة وكأننى سأضربه.. الغريب فى الموضوع أن هذا الكائن الطيب صدق، والأغرب أنه لو أطلق نفخة خفيفة من فمه، لطرت من الشباك، إنما هو "خوَّاف"، ويخاف منا كـ "شلة"، ومن ردود أفعالنا السريعة غير المتوقعة.

الحق يقال.. سامى من أطيب التلاميذ فى فصلنا، وفى ذلك الزمان كان خاله أحد الوزراء، وبعد إعلان هذه المعلومة المهمة، سادت الفوضى فى اللجنة.. يا سلام إنها فرصة ذهبية للغش، وكتابة البرشام، وتنفيذ اختراعات جديدة منها: كتابة الحلول على ظهر "الكرافت" والقميص من الداخل.. وكان بهاء ملك الاختراعات، وهو صاحب هذه الأفكار المذهلة، ونحن نسير على خطاه، و"غشينا" بقدر المستطاع، وكانت مشكلتنا الوحيدة، أن الوقت لا يكفى لأداء الامتحانات على أكمل وجه.

المهم بعد انتهاء موسم المذاكرة والامتحانات، عدت من جديد إلى بيتنا، وتعددت أن أرجع يومياً الساعة الخامسة صباحاً، ومن حين إلى آخر، أنام فى بيت ميدو، أو بيت ريكو حسبما نتفق معاً.

كان ميدو وزونى يفضلان البقاء فى البيت، وينضم علاء إليهما من حين إلى آخر، وكنت أنا ورامى نفضل الذهاب الى النادي، وكان يذهب معنا بونو فى بعض الأحيان، وأحياناً يختفى ولا نعرف له طريقاً.. وكان الحشيش هو سيد الموقف، عندما يحل الظلام كنا نتسلق ماسورة مبنى صغير مهجور فى أطراف النادي، وفوق سطحه نلتقى و"نقطع" السجائر والحشيش، ونحرقه، ونلف ونشرب، وكان من المستحيل اكتشافنا.. ونقضى السهرة فى حالة ضحكٍ وضياح، حتى نواجه مشكلة النزول على المواسير، وضحية كل ليلة صاحبنا فادى؛ فهو طويل وعريض، ضخم كأنه فيل، فأطلقنا عليه "فادى فيلى"، وكنا ننزل على ظهره، وننطلق إلى بيت أحمد، ونستكمل السهرة فى لعب "الكوتشينة".

## عيون قارى

مرت الأيام ، وأخيراً ظهرت النتيجة كالاتى:

▪ أحمد : 81 %

▪ بهاء : 78 %

▪ حسين : 71 %

▪ رامى : 74 %

▪ صلاح : 76 %

لم يصدق الوالد عندما أعلنت بكل الفرحه أننى نجحت:

- 76% .. أى خدمة.

وعلى الرغم من أن الوالد لم يكن يتصور عبور الثانوية العامة، وأننى

نجحت فعلاً.. إنما كعادته لا بد أن يبدى اعتراضه، قال لى غاضباً:

- هى دى نتيجة؟! تدخلك كلية ايه إن شاء الله!؟!

بصراحة كنت أتمنى دخول كلية سياسة واقتصاد، وخذلنى المجموع..

وقال الوالد معبراً عن رأيه:

- أحسن حل تدخل كلية الشرطة، على الأقل تتعلم الانضباط.

- شرطة إيه بس؟! يا حاج دادى.. إرحمنى.

- أنت تتقدم بأوراقك، ونشوف لك توصية، وربنا سنهّل ويقبلوك.

- لأ.. تجارة خارجية.

وضاع الأمل بالنسبة لكلية سياسة واقتصاد، وسافرت قبل التقديم إلى

كلية الشرطة حتى ينسى، ويلغى الفكرة من رأسه.

وقبل السفر، قلت لهم:

- قَدِّمُوا أوراقي للتنسيق.. تجارة خارجية.

وظهرت نتيجة التنسيق.. ودخل حسين كلية سياسة واقتصاد بفضل

الاستثناء - لاستشهاد والده فى حرب أكتوبر-، وانضم إليه ميدو والتحق بهاء

بكلية التجارة، رامى كلية سياحة وفنادق، وأنا كلية تجارة خارجية.

بعد هذا الإنجاز.. شغلتنا قضية إقناع الأهالى بشراء السيارات.. وحققنا

أحلامنا.. والد رامى حقق له حلم عمره، واشترى له سيارة "بى إم دبليو"، وأنا

اشتريت سيارة "جولف" الموديل الجديد، وأحمد اشترى سيارة "فيات 131"،

وحسين أخذ السيارة "فيات 128" من والدته، وعلاء اشترى بيجو 305، وبهاء

اشترى فيات 132.. كان عدد الشباب الذين يملكون سيارات خاصة بموديلات

حديثة فى عمر 18 سنة قليلاً جداً، يعدون على أصابع اليد الواحدة، أو أصابع

اليدين على أحسن الفروض.

فى يوم من الأيام، ذهبت مع ميدو، وريكو نشترى حشيش من الدويقة،

واشترينا "ربع قرش"، ورجعنا على بيت رامى فى الزمالك، نستمع لأجمل

أغانى "قيل كولنز"، وبسرعة "فر كنا" السجائر، وحرقنا عليها ربع قرش حشيش،

وأعددتنا ورق "البفرة" الكبيرة و"لفينا" السجائر فى ثلاث "بوبات"، وكل واحد منا أخذ سيجارة عملاقة.. وبدأنا نشرب، والسيجارة استغرقت عشر دقائق تقريباً.

نمت على الكنبه الكبيره، وجلس بجانبى ميدو، وبدأ حواراه العجيب مع "بنجو" كلب رامى، وهو صغير الحجم من النوع اللولو، وطبعاً لا يخيف قطه.. لكن ميدو أكبر "خواف" فى العالم، وكان يرتعد خوفاً من الكلب الصغير.. الشىء المدهش أن أحمد كان يعمل لهذا الكلب الصغير ألف حساب، ويكلمه باحترام كبير، وأدار معه أغرب حديث، قائلاً:

- إنت أزيك يا أستاذ "بنجو"؟! وأخبارك ايه؟! أنا دائماً بأسأل عليك.. يا ترى بيوُصِّلك سلامى واللا لآ؟!

وقبل أن ينتهى ميدو من سلاماته، أغلق رامى "الإستريو" فجأة، فاكتشفنا كم كان الصوت عاليًا، وبعد أن ساد الهدوء لحظة، قال لنا رامى:

- لازم ننزل من هنا بلوقتِ حالاً.

كان رد فعل رامى غريبًا، وفى أقل من ثلاث دقائق نزلنا من البيت، وكأننا نجرى من شىء ما مجهول، ولم نكن ندرى ما هو؟! وإلى أين؟! المهم، أننا نفذنا التعليمات فوراً دون مناقشة أو "فصال".. وبما أن سيارتى أمام باب العمارة، فاتجهنا إليها دون تفكير.. وكان السؤال: إلى أين؟! وبما أننا فى أعلى درجات "السُّطَل"، وفى حالة عدم توازن كاملة، ركبنا السيارة، ولم ينطق أحدنا بكلمة واحدة، ولكن للمرة الثانية سألت رامى:

- نروح فين؟

- نخرج من الزمالك.

وكان المشكله فى الزمالك، وليست فينا، وطبعاً كان سؤالى الثانى:

- نخرج من الزمالك على فين؟

---

\* أكثر من سيجارة فى ورقة بفرة واحدة كبيرة.

- ساد صمت رهيب.. وأخيراً ردّ رامى قائلاً:
- نروح الدقى.. نشرب فخفاخينا.. محتاجين سُكّريات.
- عندما سمعت هذه الجملة، شعرت بالعطش الشديد، وأننى فى حالة هبوط، وتوالت أسئلتى:
- أمشى إزاي؟! منين؟!!
- تعاملت مع الزمالك، مسقط رأسى وكأئننى لا أعرفها.. نسيت الشوارع، سواء مداخلها أو مخرجها..
- وكل دقيقة أسأل:
- أمشى إزاي؟
- أجابنى رامى بعد أن نفذ صبره:
- على طول لغاية أبو الفداء، الشارع مقفول.. تدخل شمال.
- وكأئننى أقود شاحنة وليست سيارتى الجولف الجميلة، وعند أبو الفداء دخلت شمال، وأوقفت السيارة قائلاً:
- أنا مش سايق.. تعال سوق يا رامى.
- لا.. لا.. مستحيل أسوق.. إنت بتسى خالص.
- تعال سوق يا ميدو.
- لم ينطق ميدو بكلمة واحدة منذ قفزنا جرياً من بيت رامى، وجاء رد الفعل المذهل من ميدو.. فقد أمسك بيدي، ويد ريكو قائلاً:
- يا جماعة، إحنا مش لازم نسيب بعض أبدأ.. إحنا لو سيبنا بعض هنموت.
- وفى تلك اللحظة، أحسست أننا فعلاً فى مأزق، ونعيش مأساة حقيقية..
- ما هذه الحشيشة التى شربناها، وسيطر علينا الخوف، بل الرعب، هل نلقى حتفنا قريباً؟! هل نموت فى أية لحظة؟ إننى خائف.. حقاً خائف، وقلت لأصحابى:
- لو ربنا نجانا من اللى إحنا فيه، لازم نبطل وما نشربش تانى أبدأ.

فقال أحمد مؤكداً:

- والنبى يارب نجينا، وعديها لنا المرة دى، وعمرنا ما هنعشش تانى أبداً..  
أبداً.

أما رامى فقال:

- صح.. مستحيل نشرب تانى.. آخر مرة يارب..

وكانت مشكلتى الحقيقية أننى لا أريد قيادة السيارة، ولا أستطيع إقناعهم بأننى خائف جداً، بالإضافة إلى أننى غير قادر فعلاً على تحمل مسؤولية القيادة..  
ومرت عشر دقائق وكأنها عشر ساعات، ومازلت فى محاولة لإقناعهما بأن  
ينوب أحدهما عنى، وأخيراً ردّ رامى قائلاً:

- أوكيه.. أنا هاسوق.. لكن بعد نفق أبو الفدا.

ولم يكن النفق بعيداً، ولكننى أكاد لا أراه، وعندما دقت النظر، رأيته  
وأحسست أننى أمام مهمة صعبة، بل مستحيلة، فقلت لهما:  
- هو النفق صغير كذا ليه؟ وكمان كل شوية عمال يصغرو.. ويصغرو.  
كانه يوم لم تشرق فيه الشمس.. وعلى رأى ميدو:  
- يوم "أغير".

وببطء السلحفاة، عبرت النفق، بسرعة عشرة كيلو مترات فى الساعة،  
والناس من حولنا تتطلق بسرعة صاروخية.. هكذا فى تصورى، وكانوا فى حالة  
من الغضب لم أفهم لها سبباً، فأنا أقود مقطورة محملة بالبضائع، وليست سيارتى  
التي أحبها.

إنها حشيشة مَضْرُوبَة.. برشام، أبو صليبة، بركينول، أى بلا أزرق..  
وهو يوم من عمرى لا أنساه، رغم أننى أريد نسيانه.. ذلك اليوم العجيب انتهى  
"بذرى.. بذرى"، تقريباً حوالى الساعة الحادية عشرة، وكانت أمنية حياتنا كلنا  
العودة إلى بيوتنا، والنوم حتى ينتهى ذلك اليوم.. نعبره.. وعبرناه والحمد لله.

فى اليوم التالى، استيقظنا مبكرًا حوالى الساعة العاشرة صباحًا؛ لأننا سقطنا نائمين مبكرًا، وأيضًا بدأت الاتصالات التليفونية مبكرًا، ودارت كل أحاديثنا عما جرى لنا بالأمس، وضحكنا على أنفسنا، وانفقنا على اللقاء بعد ساعة لشراء الصنف، وكان الاهتمام أن يكون الصنف نفسه، وليس صنفًا آخر، ونسينا تمامًا ما حدث لنا بالأمس القريب.. بل بالعكس، كنا نضحك على كل تفاصيله، واقترح رامى بعد شراء الحشيش، أن نذهب إلى أعز أصدقائه، عاطف، فقد سافرت والدته مع والده.

اتجهنا إلى الدويقة فى سيارتين: فى إحداها بهاء وميدو وأنا، وفى الأخرى زونى ورامى ومعه صديقنا عاطف، وهو شخصية جميلة فعلاً، وابن ناس طبيين.. والده رجل أعمال مصرى ووالدته أجنبية.. المهم اشترينا "كرتونة" بيرة، وتوجه نصف ستة أشرار إلى بيت عاطف.. وكان فى انتظارنا فتاتان، يدل مظهرهما الجميل، وأسلوبهما فى الحديث على أنهما "خفافس".. فتاة اسمها ملك، والثانية اسمها نادية.. بدأت الجلسة كالمعتاد بلف السجائر، وشربنا أكثر من زجاجة بيرة، وحوالى الساعة الثانية ظهرًا، موعد غريب إلى حد ما لبداية "الضرب"، بدأ السطل.. وبعد ساعتين كنا كلنا فى "الطراوة". وأحسنا بالجوع.. إنها مشكلة كبيرة.. من منا ينزل لشراء الغذاء؟ ثم ما الطعام الذى نشتريه؟ حقًا إنها مشكلة.

حوالى الساعة الخامسة، قررت أن أنزل مع عاطف ونادية نشتري الطعام.. أغرب وأحلى شىء فى الموضوع، أننا نحن الثلاثة لم نكن نعرف بعضنا البعض، ولم نتعارف إلا منذ حوالى ثلاث ساعات.. نزلنا إلى الشارع، ومع كل منا "جوينت"، وقضينا ساعة كاملة فى مطعم السمك قبل أن نقرر ماذا نشتري منه.. ولا أشك لحظة، أن كل من كان فى هذا المكان، قالوا عنا إننا مجانين رسمى.

المهم، أخيراً.. أخيراً حددنا "الأورتر" ودفعنا مبلغاً كبيراً، وأعطيناهم عنوان المنزل.. وعندما وصل السمك والجمبرى حوالى الساعة السابعة، اكتشفنا أن ما حدث هو جنون فعلاً.. إنه أغرب "أوردر" فى العالم، فالكمية لا تكفى 8 أشخاص، لكنها تكفى 18 شخصاً على الأقل.. إن إحساسنا بالجوع من شدة السُّطْل، جعلنا نطلب كميات غريبة، تكفى قبيلة.. شربنا البيرة، وضحكنا وأكلنا بطريقة هستيرية.. ومع هذا تَبَقَّى على المائدة أكثر من نصف الكمية.

مرت ساعة، وبعد الأكل، تصورنا أننا فى نوبة صَحْيَان، وأنا فى حاجة إلى دفعة جديدة من الحشيش والبيرة، وعندما أعلنت دقائق الساعة الثامنة.. لم نكن نمتلك القدرة على النطق بكلمة واحدة.. فقط تبادلنا النظرات وانفجرنا ضاحكين بلا أى سبب.. واقتُرحت أن نلعب لعبة جديدة، كل واحد منا يحكى لنا عن نفسه، عن أحلامه.. بدأنا اللعبة.. انطلقت الضحكات فى أركان المنزل، وبدأ ريكو الحديث قائلاً:

- أنا عايز أعمل حفلة، ويحضرها مائة ألف متفرج، واطلع "قُدَام" الجمهور، ومعايا الجيتار وكوبًايه، والجمهور كله يحيينى ويقول: ريكو سَطْل.. ريكو حشيش.. ريكو ويسكى.. ريكو برشام، ريكو بَطْل.

وقال بونو:

- نَفْسِي فى خَابور طول الميسلة.. ده يعمل شُغْل ابن ".....".

أما ميدو، فقال متسائلاً:

- طول الميسلة!! إزاي يعنى!؟

فقال بونو مجيباً:

- يا عمّ سيبنى أحلم.. طيب، أطول من برج القاهرة.. استريح.

قال ميدو:

- نَفْسِي الأهلَى بيقى بطل العالم، وفريق الزمالك ينزل درجة تالنة.



قال عاطف:

- نفسي أبطل مخدرات.

ساد الصمت بعد سماع تلك الأمنية.. الى أن قالت مَلَك:

- نفسي أتجوز "الفيس برسلي".

قالت نادية:

- نفسي أسيب أهلي، وأعيش لوحدي.

وقلت:

- نفسي أسافر إيطاليا، وأعيش مع المافيا.

أحلام وتخيلات وضحك مستمر.

كنا نجلس في الصالون، وبينما الضحكات تدوي.. وأنا في حالة استرخاء

تام، وفي يدي زجاجة بيرة، وفي الأخرى "جوينت"، ودون مقدمات.. سمعت

صوتاً.. إنه باب المنزل.. إنه هناك، بعيد في الجانب الآخر المظلم.. ومن هذا

المكان البعيد رأيت شخصاً يقترب.. لأول وهلة لم أتبين من دخل.. ومن الذي

يقترب منا، وفجأة رأيت إنسانة جميلة جداً، فوق كل وصف وتصور، ولم أتكلم

همساً، بل بأعلى صوتي قلت:

- إيه ده؟! مين المرّة دي؟!؟!!

ووسط الضحكات، سمعت سيدة تقول بلغة إنجليزية حاسمة:

- عاطف.. ادخل لي جوّه حالا.

قال عاطف في خوف وذهول:

- يا نهار أسود.. دي ماما.. لموا الحشيش بسرعة.

وكان السؤال: من أين نبدأ؟

المشوار طويل.. عندنا مشكلة حقيقية، مع السُّطَل لا أحد منا لديه القدرة

على فهم أى شيء.. المهم حاولنا نتماسك، ونرتدى ملابسنا بسرعة بقدر

استطاعتنا، ففي تلك اللحظة، كنا في مرحلة "سُطَل" عالية، وبالتالي تصرفاتنا

بطينة وغبية.. نرى كل شىء فى حالة زحام.. جمعنا زجاجات البيرة المتناثرة فى كل مكان، وطبق السلطة ملء بالتبغ والحشيش، ومنه نلف السجائر، وكلما نقل الكمية، كان رامى يقطع علبة سجائر كاملة من جديد، ويضيف إليها "قرش" .. وأسرعت بأخذ هذا الطبق وحملته بين يدي.. واتجهت هارباً نحو الباب الخارجى للمنزل.. كانت المفاجأة الجديدة المذهلة، إنى فوجئت برجل طويل وعريض، يمد لى يده بالسلام والتحية.. سلم بقوة وجدية، وسألنى:

- مساء الخير يا ابنى.. إنت صاحب عاطف؟ وإيه اللي فى إيدك ده؟

فى البداية لم أرد بكلمة واحدة.. ثم انطلقت من فمى قذائف الكلمات:

- مساء الفل يا افندم .. أكيد حَضْرَتُكُ بابا عاطف.. وذه لحضرتك.

أخذ الرجل المحترم طبق السلطة المليء بالحشيش والسجائر بين يديه، وكان فى حالة ذهول تام من المشهد كله.. إنه فى مواجهة مع ابنه وسبعة "مساطيل" فى غاية الارتباك "يَضْرِبُونَ سَبْعَاتٍ فى تَمَانِيَاتٍ"، وكل منهم يمر أمامه مسرعاً، بينما الوالد وقف صامتاً.. ولم ينطق بكلمة واحدة بعد تصرفى العجيب معه.

اختفى عاطف لمدة شهرين، وبعد عودته من المنفى.. كان من الواضح أنه مرّ بظروف صعبة.. بالتأكيد الموقف لم يمر بسهولة، وتعرض لسين وجيم وعقاب من أهله.. باختصار "نَفْخُوهُ"، لكنه أثبت أنه رجل المواقف الصعبة، ولم يعطهم أرقام تليفونات أهالىنا.

وتمر الأيام والأسابيع.. وكانت خطتنا اليومية، نخرج معاً فى سيارة علاء أو رامى.. فكل منهما يحب قيادة السيارات، وبعد جولة من هنا إلى هناك، نعود لبولات الكوتشينة حتى الصباح.

ويجىء شهر سبتمبر.. شهر عيد ميلاد بهاء، وكنا قد جمعنا مبلغاً يكفى لشراء ثلاث تذاكر بودرة: التذكرة الواحدة ثمنها عشرة جنيهات، بالتأكيد هذه

المفاجأة تسعد بونو.. ولكن المفاجأة كانت لنا نحن، فقد وصل حوالى الساعة الثامنة فى حالة عجيبة، فبادره أحمد بالسؤال:

- إنت ضارب يا بهاء؟!

- طبعاً.. النهارده عيد ميلادى، فقررت أكافىء نفسى.

فقال حسين معاتباً:

- ضيّعت علينا المفاجأة.. إحنا اشترينا لك بودرة.

- قشطة يا إكسلانس.. دى أحلى مفاجأة، زيادة الخير خيرين.

فقلت لبهاء:

- على شرط، المرة دى نضرب كمية أقل، لأن آخر مرة أنا تعبت جداً من التراجع.

- كفاية كل واحد خط.. وأى واحد عايز ياخذ تانى.. مش مُشكلة، البودرة كثيرة.. والخير كثير.

وفيما يبدو.. كانت البودرة هذه المرة خفيفة؛ لأننا لم نشعر بالإحساس نفسه الذى شعرنا به فى المرة الأولى، ولم ننقياً كما حدث لنا فى المرات السابقة.. وبدأنا حملة سخرية على رامى؛ لأنه أكد لنا أنه يعرف بائع تلك البودرة، فقال بونو:

- الظاهر إنها بودرة تلج يا معلم.. ده "قُطش" يا إكسلانس.

وبدأنا "نَحشش"، ولو أكثرنا من الحشيش يبطل مفعول البودرة.

وعلى كل حال البودرة من "أساسة".. كانت مغشوشة، واحتفلنا وأضأنا

الشموع، وأكلنا التورتة، وقضينا يوماً جميلاً.. ضحكنا كثيراً فى كل لحظة، ومن قلبنا.

## سنة أولى جامعة

وافتححت الجامعة أبوابها فى أكتوبر.. دخل زُونى وميدو كلية اقتصاد وعلوم سياسية، ورغم عدم انتظامهما فى المحاضرات، إلا أنهما كانا يذهبان للجامعة يومياً.

واستمر اللقاء عند ميدو كل ليلة.. ولم يكن حسين يستطيع الفرار من صديقته نيفين.. إنها مثل ظله خلال النهار.. وليلاً تستمر الأحاديث التليفونية أكثر من ساعتين وأحياناً ثلاثاً.. شىء غريب، وغير مفهوم.. وكأنه أسير سحرها.

وصاحبنا ميدو كما هو، لا يتغير، ويكاد يفقد عقله بسبب الكرة ومبارياتها.. هذا بالإضافة إلى أن الحشيش، فيما يبدو قد أثر على عقله.. بينما صاحبنا علاء سجين الكنية أمام شاشة التليفزيون، يشاهد الأفلام الجنسية، والأفلام الأجنبية، وصاحبته شهيرة تجلس بجانبه تدور حوله، تدلله طوال الوقت.. كانت أطيب واحدة فى الدنيا، وعلاء، بكل صراحة، كان مملأً، ولا يتجاوب بسهولة.

قضيت وقتى وأيامى كلها مع رامى، وكان برنامجى اليومى يبدأ صباحاً فى النادي، وهناك يلعب "حديد".. والحقيقة الواضحة لكل العيان تميزه بجمال جسمه.. قوى ورياضى.. على شكل حرف الـ "V" أو "السُّبُعَايَة"، ودائماً يردد أمام المرايا الكثيرة التى تزين جدران بيته:

- بص الباي.. بص المجانس.. بص التراى..

كان يتغنى بهذا الكلام وهو يتهادى أمام المرايا، متأملاً جمال جسمه، وكنت أخشى عليه من الغرور، وكنت أيضاً مشفقاً على صديقته نيللى.. إنها تتمسك بصداقته، ولكنه يكلمها "بالقطارة"، ويعاملها بمنتهى البرود.

وبكل تأكيد.. كنت من المحظوظين، فقد تعرفت إلى فتاتين في هذه الفترة: الأولى اسمها "مريم" .. طيبة، وصغيرة، إنها بنت الخامسة عشرة، تعرفت عليها من خلال صديقي مراد، أول من علمنى قيادة السيارات، فهي الصديقة الحميمة للفتاة التى يحبها.. ولم أكن أرى مريم إلا على فترات متباعدة، فكانت تحدثنى تليفونياً من حين إلى آخر. وكانت راندا هي الفتاة الثانية، الصديقة الحميمة لصديقة رامى.. كلتاها فى ثانوية عامة وفى أرقى مدرسة، وهما غاية فى الأناقة والرقى والجمال.

رسم صديقى رامى الخطة لنخرج معاً نحن الأربعة؛ حتى لا يشعر بالملل لخروجه وحده مع نيللى، وقد أعجبتها الخطة التى تجعلها تقضى أطول وقت مع رامى، بعد أن يتم التعارف بينى وبين صديقة عمرها راندا.. التقينا، وتعارفنا.. وحدث التقارب بسلاسة غير عادية.. هل هى كيمياء؟ ربما.. أو السبب الحقيقى كان فى المقدمات الطويلة العريضة التى حكتها نيللى عنى.. ربما الاثنان معاً.. لست أدرى.. المهم أن الإعجاب كان متبادلاً، ومن الوهلة الأولى.. تعارفنا، وقدمت لها نفسى:

- هاى.. صلاح.. إزيتك؟

- هاى .. وأنا راندا.

- لآ.. لآ.. انتِ طلعتِ نصّابة يا نيللى؛ لأنك قلت لى إن راندا حلوة، هى دى حلوة دى؟! دى صاروخ.

فقالت لى نيللى ضاحكة:

- قَصْدك يعنى إنها أحلى منى؟!!

- دى أحلى مِننا إحنا الثلاثة مع بعض.

ضحكت راندا ضحكة صافية وقالت:

- إيه يا رامى؟! صاحبك بكّاش كبير.

- ده مش صاحبنى أنا.. ده صاحبك إنت.

وبسرعة قلت لها:

- بقولك إيه يا راندا.. ما تسيبك منهم، وتعالى نتمشى فى النادي شوية.  
ومشينا فى النادي.. من أوله إلى آخره.. وكأنها أماكن جديدة لم أرها من  
قبل.. كل مكان هادىء شاعرى.. جميل.. وخطوة خطوة وبمنتهى الرقة، بدأنا  
حديثنا:

- أخبر المذاكرة إيه؟ ناوية تدخل إيه؟

- تصور.. لسه ما ابتدئتش أذاكر بجد.. إنما ناوية أركز، علشان أدخل كلية  
كويسة.

- باين عليك شاطرة وذخاحة؟

- لا.. أبدا.. إنما ناوية السنة دى أذاكر كويس.

مرت ساعة كاملة، تكلمنا خلالها فى كل شىء.. عن مدرستها..  
هواياتها.. الألوان التى تعجبها.. الأماكن، الأغاني، الأفلام، والأكلات.. تحدثنا  
فى كل ما يخطر بالبال.. من أحاديث بريئة، وفجأة قفز إلى خاطرى أن أبدأ  
الهجوم، وقلت لها:

- حلوة أوى السلمسة دى.. الخرطوش ده عليه اسمك؟

- أه.. دا اسمى بالهيروغلىفى.

- أوريكى حاجة غريبة؟!

- ورينى.

- لا.. مش ها أوريكى.

- وبغدين؟ بطل غلاسة.

- إيه رأيك فى ميدالية المفاتيح دى؟

- إيه ده؟ دا اسمك بالهيروغلىفى!! يا نهار أبيض!! أما صدفة!!

- تيدلى؟

- إنت جرىء أوى.. موافقة.. بس أوغى تضيعها، لأنها عالية على جدًا.

- هو فيه حد ممكن يضئ حاجة شيك كده!! اشتريتها منين؟
- دى هدية ماما فى عيد ميلادى.
- وبعد ابتسامه من راندا، كان من الواضح إن السنارة "غمزت"، قالت لى:
- ياللاً بينا.
- أنا مش عايز أرجع لهم.. دا أنا ما صدقت لقينتك.
- ابتسمت راندا فى دلال لطيف، ومشينا على مهل حتى وصلنا إلى المكان الذى يجلس فيه رامى مع نيللى.. هو يشرب سيجارته، وهى فيما يبدو كانت تحكى وتحكى، وعندما لمحنا رامى من بعيد، قال لى:
- ما بذكرى يا معلم.
- بدرى ده عمك.. بصى يا نيللى.. صاحبك ضحكت على، وأخذت منى الميدالية، وأدتنى السلسلة دى.
- وكان تعليق نيللى:
- ايه ده؟ إنتو لِحَقْتُوا؟!!
- ردت راندا وهى تبتسم:
- لِحَقْنَا ايه بس.. دا نصاب.
- فسألت رامى:
- إنت قلت لها حاجة يا رامى؟
- لا؟
- طيب عرفت منين إن أنا نصاب؟
- ضحكنا نحن الأربعة.. ضحكنا من قلبنا فعلاً.. وقضينا وقتاً ممتعاً.. وتطورت صداقتى مع راندا بسرعة غير عادية، وكان كلاً منا وجد الآخر بعد رحلة بحث طويلة.. وفى السيارة تبادلنا أرقام التليفونات، وصارحتنا بأننى أقضى أكثر أيامى عند رامى، أو عند ميدو حتى تتصل بى عندهما.

أعترف، وفي تصوري.. كانت الحياة جميلة ووردية.. معنا سيارات، بل أجمل أنواع السيارات في البلد كلها، وبالنسبة للميزانية والأحوال المادية ليست لدينا أية مشكلة، مع وفرة في البيرة والحشيش، وفوق هذا وذاك معنا أجمل وأرقى فتاتين باعتراف كل الناس.. والشيء الوحيد الذي لم نعرفه عن قرب هو الجامعة.. لم ننتظم في الدراسة طوال السنة الدراسية.. وفي ذلك الزمان، لم يكن نظام "التيرم" وامتحانات نصف العام هو السائد، ولكننا كنا جميعًا ندخل امتحان آخر السنة في تسع أو عشر مواد دفعة واحدة.. وخلال العام الجامعي الأول، استقبلنا العام الميلادي الجديد، وكالمعتاد أقمنا حفل رأس السنة في بيت أحمد، ووجه كل منا الدعوة لصديقه، وكان الحفل مرحًا، وأكثرنا من الحشيش والويسكي والبيرة.. وظل رامي يعزف على الجيتار، حتى مطلع الفجر.

ومرت الأيام، وقبل موعد الامتحانات بحوالي شهر، استجمعنا أنفسنا، وفتحنا الكتب الدراسية، وبدأنا نذاكر، وفي آخر كل يوم، كنا نلف سيجارتين أو ثلاثة.

وأخيرًا، والحمد لله عبرنا سنة أولى.. أحمد وأنا نجحنا.. أما الثلاثي ريكو وبونو وزونى سقطوا بكل أسف.. ولكنها لم تكن مشكلة بالنسبة لهم، وأعلنوها بكل بساطة: لم ننجح هذا العام.. مفيش مشكلة، ننجح السنة "الجاية".



## أمريكا.. أول مرة

كان نجاحي هو فرصتي أن أطلب أهلي بهدية النجاح: رحلة إلى أمريكا.. وللعائلة الكريمة أصدقاء، هاجروا، واستقروا هناك منذ سنوات، وعاشوا في مدينة أتلانتك سيتي، واستمرت بيننا وبينهم المراسلات والاتصالات في كل المناسبات، وكثيراً ما وجهوا لنا الدعوة لزيارتهم في أمريكا.. وهكذا لم تكن مهمة إقناع الأهل صعبة، فأنا نجحت، والمعارف هناك من أعز الأصدقاء.

سافرت، ومن حظي العجيب أن تلك المدينة تشتهر بخمسة أشياء: القمار، والمخدرات، والخمور، والفتيات الجميلات، والبحر.. لذا أطلقوا عليها "أتلانتك 5".. وفي اليوم التالي لوصولي، أخذني أصدقائي هناك للتمشية على البحر.. رصيف يشبه ممر خليج نعمة في شرم الشيخ، ويطل على البحر مباشرة.

وفي اللحظات الاستكشافية الأولى، مشيت مع الشباب، أتلقت يمينا ويساراً في محاولة للفهم، وفوجئت بفتاة في جمال مارلين مونرو.. في سن الثامنة عشرة تقريباً، تقف وفي يدها "بخاخة" بها مياه، وبدأت ترشها حولي ثم على رأسي.. ووقفت في حالة ذهول وسألتها:

- بترشي المياه علىّ ليه؟

وردت ضاحكة:

- لأن الدنيا حر.. صح؟

في غمضة عين، خطفت منها "البخاخة"، وفتحتها على رأسها.. ضحكت وصرخت وجريت، وظلت تضحك وتجرى، وأنا وراءها، وأصدقائي

لا يصدقون ما يجرى تحت سمعهم وبصرهم فى أول ليلة أقضيها فى تلك المدينة.. تعبنا من الجرى والضحك، وتعارفنا بسرعة الضوء، نادى عليها أصحابها، فعرفت أن اسمها مارلا، وسألتنى:

- اسمك ايه؟

- صلاح.

- منين؟

- من مصر.

وعندما سمعت كلمة: مصر، وكأننى قلت لها كلمة سحرية.. أو كلمة السر، صاحت منبهرة:

- واوو، أنا أمنية حياتى أشوف الهرم وأبو الهول وسقارة: أنا ذاكرت عن مصر كثير فى المدرسة، ونفسى أشوفها جدًّا.. هو إنتم فعلا يا صلاح بتركبوا الجمال فى الشارع؟

- أه طبعا.. وبتركب حصنة وحمير كمان.. دا أنا حتى جايب الجمل بتاعى من مصر، وركنته عند البيت.

ضحكت مارلا، وفهمت أننى أسخر وأداعبها بهذا الهزار.. فسألتنى:

- إنت قاعد فين؟ وبتعمل ايه هنا؟ وبتعمل ايه دلوقت؟

- أنا وصلت إمبارح بالليل.. وقاعد هنا شهر، أو شهرين، أو ثلاثة.. على حسب الظروف، ولما أزْهَق، ارجع فورًا على مصر.

رنين ضحكاتها وصل إلى نيويورك.. وقالت بدهشة:

- تَزْهَق؟ إنت النهارده تخرج معايا وأنا أفسحك.. بس على شرط لما آجى مصر.. إنت تفسحنى هناك.

- دا ايه الصفقات الجامدة دي؟ اتفقنا.

عشت مع مارلا منذ اليوم التالى لوصولى إلى أمريكا.. حدث هذا بين

ذهول أصدقائى.. بل كادوا أن يُجنوا.. وأخذوا يتساءلون كيف حدث هذا؟ ومن

هذا الذى لم يمض سوى أربع وعشرين ساعة فى أمريكا، واستطاع كسب صداقة فتاة أمريكية ساحرة.. وكما يقول المثل فى بلادنا: "الطيور على أشكالها تقع"، فهى تعيش فى فيلا بها حمام سباحة مع صديقاتها الأربع، وكل واحدة منهن تعيش حياتها مستقلة تمامًا.. لا تتدخل إحداهن فى حياة الأخرى.

وعندما وصلت الى فيلا مارلا، فوجئت بصديقة من هؤلاء الأربع تلف "جوينت" أو بمعنى أدق "تت" \*.. أمًا مفاجأة.. ما هذا الجمال؟! وكنت قبل السفر، أعددت نفسى، وأشتريت قطعة حشيش محترمة، حوالى خمسة قروش، وفى ظنى أن هذه الكمية تكفينى لفترة ما، إلى أن أتبين الموقف داخل هذه المدينة.. ثم أننى مقيم وبصحبة أصدقاء الأسرة، بمعنى لا سبيل للضرب وللمخدرات معهم.. والقطعة التى معى لا بأس بها.. وكما نقول: "لسه بخيرها".. فمئذ وصولى إلى هذا البلد، اتبعت نظامًا جديدًا.. أترك القطعة الكبيرة فى البيت، وأخذ قطعة صغيرة "تلف" أربع أو خمس "جوينتات"، وأخفيها فى علبة السجائر.

جلست أراقب ليندا صديقة مارلا، التى لم تهتم بوجود شخص غريب فى البيت، وأشعلت "التت" فى هدوء، فمدت مارلا يدها وأخذته، وشربت نفسين، وأعادت لها "التت" مرة أخرى.. وأنا فى مكانى أراقب كل هذا، وأتقلب على الكرسي.. وأفرك.. وفجأة توجهت إلى المطبخ، وأحضرت طبقًا صغيرًا، ولم يكن أحد يعنيه أو يهتم بما أفعله.. وأخرجت الحشيش من جيبى، وكسرت أكثر من سيجارة، ولقيت الحشيشة مستخدمًا "الفويل" من علبة السجائر، وعندما أمسكت الولاة.. انتبه الكل، وبدأ التركيز فيما أفعله، وسألتنى مارلا:

- ده حشيش؟! حشيش مصرى!؟

أجبت بهزة صغيرة من رأسى بمعنى الإيجاب.. وكأننى قلت لهم إنى معى كنز على بابا.. وفورًا التفت البنات حولى يشاهدن ما أفعله وكأننى الساحر العجيب.. أشعلت الفويل، وطلبت من مارلا أن تشم الدخان المتصاعد من

\* ما يطلق على سيجارة ماريجوانا صغيرة ملفوفة.

الفويل.. وانقلبت الدنيا رأسًا على عقب.. وبدأت ألف ثلاث "جُوينتات" أخرى، وطلبت من مارلا إحضار كوب زجاجي، فأسرعت بإحضاره، وعندما سألت عن قطعة كرتون لأعمل لهم "خابور" كبير، لم تفهم مارلا أو صديقتها ما السر في كل هذا الذي أطلبه.. وبقيَ شيء صغير جدًا.. دبوس.. وأحضرت الدبوس من غرفة مارلا، وأعددت "الكوباية".. والبنات تتأمل الساحر في ذهول.. والساحر جاء من بلد الفراعنة.. كان ما يحدث شيئًا مذهلاً بالنسبة لهن فعلاً.

"ولعت" الخابور، وأخذت نفسًا، وكتمتها طبعًا، والثاني وكتمته أيضًا، وأعطيت الكوب لمارلا قائلاً لها:

- خدى نفسين، وإديها اللي جنبك.. وامسكى الكوبايه صح عشان الدخان ما يطلعش بزه.

وبدأت ألف الجُوينتات للمرة الثانية.. والبنات تنظر إلى هذا المصرى بإعجاب شديد.. كأننى الساحر "ديفيد كوبرفيلد".. الحشيش أفقد البنات صوابهن.. "جننهم وجندهم" لخدمتى، وبعد أن شربنا "الجُوينتات"، و"الخابور"، أسرعنا إلى حمام السباحة.. "عمنا" وضحكنا، وشربنا البيرة، وعندما سألتنى مارلا:

- معاك حشيش تانى؟

- طبعًا معايا.. فى البيت.

جاءت معى إلى البيت، وأحضرت الحشيش ورجعنا إلى منزل مارلا، وقضيت ليلتى معها، وعندما استيقظنا حوالى العاشرة صباحًا، فضللنا ألا نتحرك من السرير، وقضينا النهار فى لف السجائر، وبدأت أحاور نفسى:

- يا نهار أبيض على دا يوم!! من يصدق أننى فى السرير منذ الحادية عشرة صباحًا، حتى الساعة الخامسة مساء!! يوم صعب فعلاً.. كان هذا هو اليوم

\* قطعة حشيش كالمسمار يتم وضعها فى الكوب.

\* ساحر مشهور.

الثالث لى فى أمريكا، ومنذ ذلك اليوم، أصبحت صديقات مارلا شبلتى، وهى شخصياً كانت تقضى ليلة فى بيتى، واللييلة التالية أقضيها فى بيتها، مع صديقاتها، وأصدق وصّف لها: صاروخ، وضربية نمره واحده.. وذات ليلة أخذتنى عند أصدقاء لها، وكانت أول مرة فى حياتى أرى فيها الكوكابين.. تلج أبيض.. وأول مرة أيضاً أشم هذا الكيف، وسألتنى مارلا:

- شديت قبل كده؟

- كوك؟! لا.. أول مرة أشوفه.

- تشد خطين.. هيعجبك جداً.. إحنا بنشد مرتين.. ثلاثة فى الشهر؛ علشان ما نتعودش عليه.

رنت الجملة فى دماغى، ولست أدري لذلك سبباً، وقال لى إحساسى إن وراءها شيئاً ما مهما.. لكن ما هذا الشيء؟! لست أدري.. وخلال أيام قليلة، استطاعت مارلا وصديقاتها شرب 90% من الحشيش.. ولكننى استطعت ادخار قطعة حشيش صغيرة، فمن يدري كيف ومتى أحتاجها، وفى هذه الليلة قلت لها:

- عندى لك مفاجأة.. بصى.. نص قرش.

فى تلك اللحظة.. تذكرت تلاميذ فصل ثالثة ثانوى علمى، وواقعة الأستاذ عطية، عندما سألتنى عن سبب وجودى فوق سطح المدرسة، ومع من، ولم أصرح بأسماء أصدقائى.. يوماً سمعت صيحة بعضهم التى تدوى فى أذنى لأن "رجولة يا ملك النص".. لقد اشتهرت باسم "صاصو ملك النص"، فقد كنت دائماً أخفى نص قرش، وأخرجه للأصدقاء فى اللحظة المناسبة.. لحظة يعتقد فيها الجميع أننا لا نملك المزيد من الحشيش، وفجأة أظهر ما عندى، فيصبح أجمل مفاجأة.. المفاجأة كانت قوية، هللت مارلا من الفرحة، وصاحت:

- يا ابن الأبالسة.

- دى آخر حته معايا.. أنا كنت شايلها علشانك، وعاملها لك مفاجأة، وحسيت إن ده وقتها.

فوراً.. انقلب الموقف لصالح النص قرش حشيش، وكل أصحابها نسيوا الكوكابين، واهتموا جداً بوجود الحشيش.

أبهرتهم فكرة إني مصرى.. شكلى مقبول.. مظهرى أنيق.. اتحدث لغتهم بطلاقة.. دمي خفيف.. ومعى فلوس كثيرة.. والأهم "ضرب" مخدرات "نمرة واحد"، ومعى شىء نادر.. معى حشيش من مصر.. وهناك فى أمريكا، لم يكن الحشيش متوافراً، وغالى الثمن جداً.. بالتالى اقتحمت واندمجت مع شلة الأصدقاء الأمريكية الجديدة، وأصبح صاصو المصرى، أشهر من نار على علم، وقضينا معا أحلى السهرات، و أجمل الحفلات.

وفى تلك الأيام، تحدد موعد زيارة والدى لمكتب استشارى هندسى فى نيويورك.. وهنا خطرت لى فكرة خطيرة ومرعبة، ولم أتردد فى تنفيذها، وكلمت ريكو فى التليفون.

- يا ريكو إنت وحشيتى أوى، وكان نفسى تكون معايا فى الفيلم اللى أنا فيه.. أنا مبسوط أوى، وصاحبت واحدة أمريكية.. بنت العم سام شخصيا، والضرب ايه.. مبرح.. وجربت الكوكابين كمان.. بس ما فهمتوش، متهيللى هيطلع جلو لو ركزت معاه شوية.. لما أرجع ها احكى لك كل حاجة.

- إنت راجع إمتى؟

- والله يا رامى مش عارف.. أنا هنا مبسوط ومش عايز ارجع، أنا رحت حفلة لايف "دايرستريتس"، ومفيش واحد فى الكونسيرت ما بيضربش يا معلم.. الجوينتات رايحة جاية.. تصور مرة وصلت إن معايا جوينت فى إيدى اليمين، وننت فى الشمال، وواحدة واقفة جانبى بتمسى على بجوينت تالت، الخير كثير يا معلم.. وبعدين خلى بالك.. الماريجوانا مرعبة.. بنت "....." بيتلوح يا ريكو.. مش بتسطل.

\* فريق غنائى مشهور.

- جُونَتَات.. تَتَات مَارِيوَانَا، كوكَايِين، "دَايِرْسْتَرِيْتَس"، إِيه ده كله يَا صَاصُو..  
ذَا نَاس عَايِشَة!

- بَأَقُول لَكَ إِيه يَا رِيكُو.. إِنْتَ جَدَع وَصَاحِبِي.. وَكَرِيم جَدَا.. وَأَقْدَر أَعْتَمَد  
عَلَيْكَ.. وَعَايِزُ مِنْكَ خَدْمَة جَامِدَة "....".

- هَا.. عَايِزُ إِيه، رَبْنَا يَسْتَرُ؟

- أَبُو يَا جَاي أَمْرِيكَ بَعْدَ أُسْبُوع.. وَأَنَا عَايِزُ حَشِيْش.

- إِزَاي يَا ابْنِي؟ أَنْتَ مَجْنُون!!

- رَكَّزْ مَعَايَا يَا رِيكُو.

- طَيِّب قَوْل.

- تَنْزَل تَشْتَرِي حَبَّة مَحْتَرَمَة.. يَعْنِي وَقِيَّة مَثَلَا.

- وَقِيَّة!!؟

- وَاللَا أَقُول لَكَ يَا رِيكُو.. خَلِيهَا فَرْشَة\*.

- وَلَوْ أَبُوكَ إِيْتَمَسَكَ!!؟

- إِسْمَع لَغَايَة الْآخِر.

- حَاضِر.. قَوْل.

- تَرُوح كُوم السَّمْن عِنْد حَجَاج.. هُو مَرَة فَرَجْنِي فَرْشَة مَلْفُوفَة بِشَاش أَبْيَض..

تَشْتَرِيهَا مِنْهُ زَي مَا هِي.. وَادْفَع لَهُ أَي حَاجَة، وَقُلْ لَهُ صِلَاح مِسَافِر، وَلَمَا يَرْجَعُ

هَيِّجِي بِحَاسِبِكَ.. حَجَاج جَدَع وَبِيْحِبْنِي، وَأَنَا مَتَاكِدُ إِيْنِه هَيِّدِّيَهَا لَكَ.. مَا كَنْش،

حَاسِبِه.. اِنْفَقْنَا يَا رِيكُو!!؟

- مَاشِي.. أُول مُشْكَلَة إِتْحَلْت.. الْمُهْم بَابَاكَ.

- هَتَكَلَمُهُ وَتَسْأَلُه حَضْرَتِكَ مِسَافِر إِيْمْتِي، وَتَعْرِف مِنْهُ الْمِيْعَاد بِالظُّبُط، وَتَرُوح لَهُ

وَهُوَ نَازِلٌ عَلَى الْمَطَار.. لِأ.. أَقُول لَكَ عِنْدِي فِكْرَة أَحْسَن.. قُلْ لَهُ أَنَا جَاي أَدِي

لَكَ حَاجَات صِلَاح طَلْبَهَا مِنْي، وَأَوْصِل حَضْرَتِكَ الْمَطَار.. أَصَل أَنَا عَايِزُ أَخْذُ

\* قِطْعَة حَشِيْشِ ضَخْمَة.

رأى حضرتك فى موضوع مهم.. أبويا كده إنتبِت، وأخويا خلع من التوصيلة..  
خطة بنت "....." إنجاز يا ريكو.

- ماشى.. مع إنه مشوار رخم، بس هذيلة الحشيشة إزاي؟ إنت يا صاصو باين  
عليك اتجننت خلاص.. إنت قلت لى ضربت كوكابين؟! عليه العوض ومنه  
العوض.

- اسمعنى يا رامى.. الخطة ماشية زى الفل.. أنت تروح خان الخليلى عند  
مُهَاب بوبو فى المحل، وهات من عنده شوية حاجات فرعونى، مثلا ورق بردى  
على كام بوستر للهرم، وعلبة فرعونية كبيرة تحط فيها الفرشة، وكل ده فى  
كيس بلاستيك تقفله كوتيس، واطمن، بابا معودنا محدش يفتح حاجة مش بتاعته،  
وعمره ما هيفتح الشنطة دى.

- وبعدين؟

- تقول لبابا إن دى هدايا تذكارية فرعونية، طلبها صلاح لأصحابه فى أمريكا..  
وصفر الحكم.

- يا نهار أسود!!! يا ابنى لو إتمسك!؟

- يتمسك إيه يا أهبل؟! أبويا فى رحلة عمل مهمة، وبعدين معقول يفتشوا راجل  
محترم معاه هدايا فرعونية ورسوم هندسية.. لعلمك شنطة أبويا كلها دراسات،  
أوراق ورسومات وخطط.. ما انت عارف.

- يا صلاح.. اللى انت بتقوله ده خطر جدًا، ومش هزار!!

- ريكو.. إعمل اللى قلت لك عليه، ومالكش دعوة.

وقد كان، نفذ رامى التعليمات بالحرف الواحد.. وشعرت بالمصيبة  
الكبرى لما رامى كلمنى، وحكى لى أن بابا فكر يتمسك الشنطة البلاستيك فى إيدته،  
إنما من حسن الحظ وجدها ثقيلة، فقرر وضعها فى شنطة الملابس.. وسيطرت  
على كل الأفكار السوداء، وأدركت حجم المصيبة الكبرى، بعد أن عرفت أن  
الوالد سافر، وهو الآن فى الطائرة فوق السحاب.



لم تكن المشكلة عند خروجه من مصر؛ لأن الحقايب لا تفتح في مصر عند السفر، ولكنها تفتح ويتم تفتيشها ومعرفة ما فيها عند دخوله البلد الذي يسافر إليه.

قضيت ساعات طويلة في حالة ندم، وخوف.. بل رعب.. ماذا فعلت؟ كيف أقدمت على هذا التصرف البشع؟ ولم أنم.. كيف أنام؟ وكنت على وشك البكاء.. وتمنيت أن أبكى.. وأبكى.. وقضيت الليل بطوله أشرب مخدرات.. لكن دون سُطْل.. مأساة بما تحمله الكلمة من معانٍ.

وأخيراً، والحمد لله وصل الوالد نيويورك، وكلمتني:

- ألو.. إزيك يا صلاح؟
- بابا.. أيوه يا بابا حمد الله على السلامة.
- مال صوتك يا صلاح؟! فيه حاجة؟!!
- لأ.. لأ.. خالص، أصلى لسه صاحي من النوم.. إنت فين يا بابا؟
- أنا في الأوتيل.
- يا سلام.. نورت أمريكا كلها يا بابا.
- أخبارك إيه؟ منسوط؟ عجبتك أمريكا؟
- عجبتني يا بابا.. المهم قل لي أشوفك إمتى؟ واحشني جداً.
- واحشك برضة.. واللا فلوسك خلصت؟
- واحشني طبعاً.. إنما دا ما يمنعش أن فلوسي خلصت.. أنت عارف يا بابا أمريكا، والفسح، والكونسيرتس، واللبس، وبعدين أمريكا غالية.
- أنا حاقضي أسبوع في نيويورك، وبعدين أروح واشنطن لمدة أسبوع أو أكثر شوية.. تعالى لي نيويورك أو تعالى لي واشنطن.
- بأقول لك إيه يا بابا.. أنت اللي لازم تيجي لي هنا، علشان أفرجك على البلد دي.. حبعجبتك جداً.. المسافة بسيطة، ثلاث ساعات بالأتوبيس.. تقضى معايا اليوم، وترجع آخر الليل.

- طَيِّبْ أَشُوف.. احتمال آجى مع مازن ابن خالتك.. هو كمان نَفْسُهُ يشوفك.  
وفورًا.. كَلَّمْتُ رامى ليظمنن قلبه.. وبفرحة قلت له:
- يا ريكو، الشيكولاته وصلت نيويورك.. بس لِعَلْمَكُ أنا أعصابى باظت، عِشْتُ  
أصعب 12 ساعة فى حياتى.
- أنا عمرى مَاهعمل كده تانى.. دا أنا سيِّت أبوك من هنا، وجالى دور إسهال  
غريب.. الحمد لله رَبَّنَا ستر.
- صحيح يا ريكو، هو إيه الموضوع المهم اللي أنت كُنْت عايز تكلم أبويا فيه؟  
- قلت له يشغلنى فى مشروع من مشاريعه الهندسية.. وياريتنى ما قلت له، لأنه  
حَطَّنَى فى دماغه، ووعدنى يفكر جدًّا فى الموضوع.. المهم إنت معاك فُرْشَة  
حشيش مش أى كلام.. دا أنت ممكن تَخْرِبُهَا يامعلم.. وعلى فكرة حجاج  
مرَضاش ياخد ولا مليم، وقال لى لما تَرْجَع بالسَّلَامَة تحاسبه.
- رُجُولَة يا حجاج.
- بعد يومين وصل بابا ومعه مازن، وانتظرتَه على المحطة بعربية  
مارلا.. ومنذ اللَّحْظَة الأولى لهذا اللقاء الفريد، ظلت عَيْنَاي معلقَتَيْن على الكيس  
البلاستيك، وفتحت للوالد ذراعى، واستقبلته بترحاب كبير قائلاً:
- حمد لله على السلامة.. "وبعد بوسيتين".. هاتِ الشنطة يا بابا، تَعَبْتَك معايا..  
ازيك يا مازن؟ عامل إيه يا صاحبى؟
- تمام، إنت أخبارك إيه هنا فى أتلانتك؟ بصحيح عرِفْت تَخْتَار.  
وتساعل الوالد:
- إيه كل الهدايا دى؟ هو إنت لِحَقْت تعمل أصحاب كثير كده؟  
- يا بابا البلد دى صغيرة، ولعلمك نَصَّهَا دِلْوَقْتِ أصحابى.
- إنت قاعد فىن، وبتعمل إيه؟ وعربية مين دى؟

- أنا أخذت شقة، حالا أفرجك عليها، وباشتغل في جراج مُتخصّص في تركيب إكسسوارات العربيات، أروح براحتي وأمشي براحتي، والحساب بالساعة.. بيدفعوا لي خمسة دولار في الساعة.

- لا.. لا.. أنا مش عاوزك تشتغل.. أنا عاوزك تتفّسح، وتلف وتتفرج وتتعلم، وتشوف الناس دي عايشة إزاي، وبالنسبة للفلوس أنا أدّى لك اللي بتأخده في الشغل وزيادة.. ودي عربية مين؟

- عربية واحدة صاحبتني اسمها مارلا.

سألني مازن مندهشاً:

- عرفتني إمتي دي يا صلاح علشان تديك عربيتها؟ ذا إنت هنا من أسبوعين ثلاثة بس!!

- إنت عارف يا مازن.. أنا بأخذ على الناس بسرعة.

وصلنا إلى البيت وشقتي في الدور الأول..

- هي صحيح شقة صغيرة، إنما دّمها خفيف.. انفضلوا.

فتحت التليفزيون وأسرعت إلى غرفتي حاملاً الكيس البلاستيك لأرى "الفرشة" .. حقاً إنها "فرشة" محترمة..

يا جمالك يا بابا.. ورجعت له وغطّيته بالقبلات، وسألته:

- تشربوا إيه؟

رد الوالد:

- ولا أي حاجة خالص.. تعالى ننزل علشان أشوف البلد دي فيها إيه.

- وانت يا مازن؟

- خلينا نشرب في الكازينو.

- ياللا بينا.. البلد دي يا مازن فيها بحر، وقمار، وبنات صواريخ أرض جو..

تعالوا بينا على الكازينو نتفرج ونلعب شوية.

أخذت بابا ومازن ونزلنا على الكازينو.. طبعًا الكازينو بالنسبة لهما شيء جديد ومرعب.. أدوار طويلة عريضة، موائد قمار، وأنوار قوية، وأخرى خافتة، وبنات، وشرب.. ولما دخلنا الكازينو، ارتسم الذهول على وجهيهما.. فبادرتهما قائلاً:

- دا كازينو كبير، بس فيه أكبر منه.. فى "أتلانتيك سيتى" حوالى عشرة غيره.. كل كازينو يملك الأوتيل الخاص به، يعنى فندق فى كازينو، وفى كل واحد ثلاث أو أربع أدوار قمار، وشغال أربع وعشرين ساعة، منقسمة بين المكن والروليت والكوتشينة وكل حاجة.. تَحْيُوا تَلْعَبُوا بلاك جاك؟

قال بابا بحدة:

- نلعب؟! عيب يا صلاح!!

- ليه لأ.. نجرب يا أنكل.

- يعنى هزار كدا يا بابا.. يا سيدى جرب.. ما ينفعش تيجى "أتلانتيك سيتى" وما تلعبش.. تبقى غلطان.

- طيب كل واحد يلعب بعشرين دولار بس، ولو خسرها ما يلعبش مرة ثانية.

- خليها مائة دولار يا أنكل.. عشرين دولار ما يعملوش حاجة.

- خد أربعين دولار يا مازن.. وإنت يا صلاح أربعين دولار.. كفاية.

- طيب، استأذن ربع ساعة، أحب الأول. ألف أتفرج على اللعب قبل ما ألعب.

فى تلك الفترة كنت فى التاسعة عشرة من عمري، ولكننى عملت بطاقة هوية مؤقتة ومزيفة فى سن الحادية والعشرين، حتى أتمكن من اللعب فى الكازينو.

وضعت الأربعين "دولار" فى المحفظة، وتوجهت إلى الكاشير، وأعطيته مائتى دولار، وأخذت الفيشات لألعب بلاك جاك.. لعبة كنت أحبها، وألعبها بمهارة، و فى هذا اليوم، كان حظى فى اللعبة عاليًا جدًا.

وجدت سيدة عمرها حوالي ثلاثين سنة، ومعها رجلان أحدهما في حوالي الخمسين، والثاني أصغر منه بعشر سنوات تقريبًا، والثلاثة يجلسون حول المائدة، وأستاذنتُ أن أدخل وألعب.. وبدأنا اللعب، وكان حظي مدهشًا.. في أول دورين كسبت وأصبح معي 350 "دولار".. أنا كسبت، وهم خسروا.. وانسحب الرجل الذي في الأربعين، ثم انسحبت السيدة وراءه.. وكلما يأتي أحد الأشخاص يطلب اللعب، أرفض.. وظللت ألعب مع الرجل الكبير لمدة ربع ساعة، وانسحب هو الآخر، وظللت وحدي ووصلت إلى مكسب 700 "دولار".. جاء أكثر من شخص، وطلب اللعب على الطاولة نفسها، فأعترت، فوقفوا حولي للمشاهدة، وتجمع أكثر من عشرة أشخاص، خلال نصف ساعة وصل مكسبي إلى 1100 "دولار"، حتى جاء المشرف وغير "الذيلر"، وأحضر آخر بدلاً منه.

من بعيد لمحت بابا وبجانبه مازن، فناديت جرسونة، ودفعت لها ثمن كأسين "ويسكي كولا".. وبعد لحظة وجدتهما يقفان خلفي، وهما في حالة ذهول، ولا أحد منهما يفهم أى شيء فى أى شيء.. طبعًا الوالد رفض اللعب نهائيًا، وخسر مازن بعد نصف ساعة الأربعين "دولار".. وبدأ البحث عني، واكتشفا مكانى عندما ذهبت إليهما الجرسونة، وقدمت لهما الكأسين، وأشارت إلي.. ولم أترك مقعدى.. رفعت يدي لهما بالتحية، فأسرعا بالوصول، وسألنى الوالد:

- إنت بتعمل إيه؟

- بألعب بلاك جاك وكسبان أكثر من ألف دولار.

فتساءل مازن مندهشًا:

- هى الناس واقفة كده ليه يا صلاح؟

- أصل أنا مش راضى حد يلعب على التريبيزة معايا.. فوقفوا يتفرجوا.

فقال بابا أمرًا:

- ياللا بينا يا صلاح.. كفاية كده.

---

\* الذى يلعب أمام العملاء.

- باقول لك ايه يا بابا.. أنا حظى ماشى جدًا النهارده، ومش ممكن أقوم.. من فضلك سيبنى أركز الدور ده.

تركت الكازينو ومعى 1400 دولار، والذهول يرسم علاماته على وجهى بابا ومازن.. وبغضب قال والدى:

- إنت لازم تمشى من البلد دى فوراً.. ايه الصياغة والضياح ده!!؟

- سيبك إنت.. شفت البنات يا مازن.. كل واحدة أحلى من الثانية، وتقريبًا من غير هدوم، والكل مبتسم وسعيد.. يعنى مفيش أحلى من كده.

قضى بابا ومازن اليوم معى.. أخذتهما إلى البحر، مشينا واستمتعنا بالجولة، وحاولت دعوتهما إلى تناول وجبة الغداء فى أجمل مكان.. عندى وفرة فى المال، فقد كسبت مبلغًا محترمًا، ولكن الوالد رفض بإصرار قائلاً:

- دى فلوس حرام.

- ما تفتكرش يا بابا إبنى بلعب كثير، دى أول مرة أعب وأكسب فلوس كثيرة كده، وشك حلو.. ولعلمك أنا مش ها أعب تانى، لأنى لو لعبت هاخسر كل اللى كسبته.

فسألنى والدى:

- إنت هترجع مصر إمتى؟ لازم ترجع قبل بداية العام الدراسى.. سامع وألا لأ؟! ما تعملش زى رحلة ألمانيا.

- طبعًا يا بابا ها ارجع قبل ما الجامعة تبدأ.. إيدك على ألف دولار، علشان فلوسى قرّبت تخلص.. الـ 1400 دولار، دول مال حرام، وده ما بيدومش.. لكن الألف دولار بتاعتك مال حلال، الدولار.. دولار.

بعد سفر بابا ومازن، رجعت إلى البيت وفتحت "قرشة" الحشيش التى وصلتني مع الوالد منذ ساعات، وبدأت أفكر:

- يا سلام على الجمال.. دى كبيرة أوى.. أعمل بيها ايه؟ لا.. لا.. أحسن حل لها أقطعها وأبيعها رُبْع، رُبْع.. فعلاً حل ممتاز، يعمل لى مبلغ مُحترم، فأعرف

أدفع الإيجار بسهولة، وأعيش وأبسط.. أحشش زى ما أنا عايز، وأروح "الكونسيرتس".. هو ده الكلام.

إذا بلا تردد أكلم مارلا، وأطلب منها سرعة الحضور، فالموضوع مهم جداً، وكلمتها:

- يا مارلا، أنا وصلنى حشيش من مصر.

وعندما عرفت مارلا بقصة وصول الحشيش مع الوالد، أصابها الذهول.. لم تصدق كيف جرؤت على هذا العمل.. وحقيقة أنا شخصياً لم أكن أصدق أنني قمت بهذا العمل البشع.. منتهى الجرأة والتبجح.. وحاولت أن أنسى أو أتناسى ما حدث.

وطبعاً مارلا كانت أسعد واحدة فى الدنيا.. وداعاً للعمل والكفاح، وحفلات كل يومين أو ثلاثة، وحشيش كما يحلو لنا، وكنا نبيع لأصحابها الربع بعشرين "دولار".. طبعاً.. إنه حشيش من مصر.. يساوى ما نطلبه وأكثر.. حققنا مبلغاً كبيراً من هذه "الفرشة".. وتبخرنا.. أنفقناه على الأكل وشرب البيرة والويسكى والسفر والحفلات، ومن حين إلى آخر كنا نشترى كوكايين، ونشيد خطين، وبدأت أحبه وأفهمه.. والخاطر الذى سيطر على كل أفكارى، ألا أعود إلى مصر، واتصلت بأهلى فى شهر أكتوبر، وقلت لبابا وماما إننى قررت الحياة فى أمريكا، وأن أكمل تعليمى فى إحدى الجامعات.. ولم يحدث.. لم أقدم لجامعة من الجامعات، ولم أعد لبلادى.

وجاء شهر مارس، وتلقيت رسالة من أمى، وعرفت أنها ستجرى عملية خطيرة فى لندن، وطلبت منى سرعة العودة لترانى قبل سفرها، واتصلت بها فوراً، وشعرت بقلقها الكبير.. كانت تخشى أن تودع الحياة قبل أن ترانى.. بمجرد أن وضعت سماعة التليفون، أخذت قرار العودة إلى وطنى فوراً، و... وقد كان، عدت بعد أسبوع من تلك المصادفة التليفونية.

## الغزوة

عدت ومعى هدايا لكل أصحابى.. وشنطة كاملة بها ملابس أنيقة جدًا لصديقتى راندا.. كل ما تتمناه فتاة جميلة فى سنها. بنطلونات.. أحذية و"بوتس".. كل شيء آخر صيحة، وغاية فى الأناقة.. وبسرعة مذهلة تطورت علاقتى مع راندا، حقًا أحببتها، وهى أيضًا أحببتى. وقد استطاعت الالتحاق بكلية من كليات القمة، ولم أكن سعيدًا بهذا نهائيًا، فقد كان زملاؤها الطلبة فى نظرى "عيال خفافس" يملؤهم الغرور، وكنت أخشى أن يدير أحد منهم رأسها، فكان من المهم أن أحتويها تمامًا. أما مريم فمازالت صغيرة، وأصبحت فى سنة ثانية ثانوى.

أول ما شغلنى هو الاطمئنان على أصحابى.. وكان أول خبر أزعجنى كثيرًا، أن بونو بدأ يأخذ البودرة بانتظام، وبكثرة.. ولم يكن هذا الحال يعجب ميدو، وزونى أيضًا؛ خاصة عندما يخفى، وقد أطلقنا عليه بونو الطائر؛ نسبة إلى مسلسل "أحلام الفتى الطائر" للفنان عادل إمام.

رامى لم يتغير.. يقضى يومه فى النادي حاملًا جيتاره.. وأحيانًا فى الجيم، ويوم فى الغزوة، ويوم مع ميدو.. بالنسبة لى شخصيًا، حصل خلخلة فى دماغى بسبب رحلة أمريكا.. مخدرات جديدة، ومارلا وحفلات الروك.. أصبت بحالة عدم توازن لفترة، ولم أكن أستطيع التركيز فى المذاكرة، ولم أحضر محاضرة واحدة، والنتيجة الطبيعية لهذا كله سقوط مدو فى ثمانى مواد من عشر.. ونجحت فى مادتين بالصدفة البحتة، فقد كنت أملك الفرصة للغش، ومع هذا لم أستطع؛ ليس فقط لأننى لم أذاكر، بل لأننى لم أفتح الكتب، ولم أكن أعرف المنهج.



وظهرت النتائج للكل:

- ريكو سقط وفصل من الكلية.
- ميدو سقط، وزُونى نجح.. وكان ميدو سقط حتى يصبح فى الصف نفسه مع زُونى.
- بونو نجح بمعجزة، ولكن بمادتين.

واستمرت الحياة بالأسلوب نفسه.. لم نذهب للجامعة، وقضينا أوقاتنا ما بين الشرب، "الغُرز"، والسهر.. بالإضافة إلى اهتمامى الخاص بصديقتى راندا.

فى تلك الأيام، كانت الغرز موضحة، وكنا نفضل الانتقال من غُرزة إلى أخرى، وكنا نحب تجربة أى غرزة جديدة.. وكان من بين أصدقائى، جار أحبه اسمه: شريف، وهو من عائلة كريمة، والده رجل أعمال مشهور، ووالدته سيدة فاضلة، وكان معروفًا عن شريف حبه وغرامه للمخدرات، بكل أنواعها، مظهره خادع، فهو وسيم وأنيق، ولا يخطر فى بال أحد أنه من الكوارث المتحركة.. شريف قاموس معلومات وصاحب خبرة عالية فى عالم المخدرات والغرز، وكان صديق جميع الشباب، والعجب العجاب أنه كان يعشق غُرزة فى القناطر، فكان دائماً يصطحبني إلى هناك.

فى غرزة القناطر، معظم الذين يقومون بتغيير الحجر، ووضع الفحم "قُرود" مدربة على ذلك، وكل ما يحدث فى ذلك المكان شيء مبهر بالنسبة لى.. ولاحظت أن كم البشر الذى يذهب إلى هناك غير طبيعى.. يذهبون للفرجة، والشرب و"عمل دماغ"، وهم يشاهدون "القُرود" وهى تتحرك أمام المساطيل وتقوم بخدمتهم.. إنها تجربة دون أدنى شك فريدة من نوعها.. وكانت المشكلة صعوبة التفاهم مع "القُرود"؛ بمعنى لو الحجر به خطأ ما، أو الجوزة ليست كما يجب، فلن أجد سبيلاً للتفاهم معهم.. وعندما يبدأ السُّطل يتملكنى الخوف، فشكل

"القرود" غير مريح وتصرفاتهم بالطبع غير عادية؛ فأقرر أن أمشى وأبحث عن غرزة أخرى.. وأقول له:

- ياللا يا عم شريف، شوف لنا غرزة ثانية.

وكان شريف يعرف غفير إحدى مقابر الأجانب.. وبعد دفع المعلوم، يسمح لنا بالدخول إلى الغرزة، داخل المقابر، ولم تكن هناك كراسي تكفى العدد كله، ففي بعض الأوقات كنا نضطر إلى الجلوس على المقبرة نفسها.. الأشجار كانت كثيفة في هذا المكان، وكانت السبب في هذا الظلام الدامس الذي يكسره "لمبة" الجاز، وعواميد الإنارة التي في الشارع.. من هنا كنا نرى بصعوبة ما يحدث حولنا.

في بداية الأمر، لا أشعر بالخوف، ولكن بمجرد أن أشرب "كام" حجر، يبدأ تأثير السطل والحشيش، ويتمكني الشعور بالخوف؛ فالحشيش مخدر "جبان"، ويسيطر الرعب على كل خلية في جسمي، وأجلس في حالة ذعر من العفاريث، وأيضاً يتمكني إحساس طاع بأن هناك مَنْ يتحرك من حولي، ويخطط لزيارة مفاجئة لإحدى المقابر، وبالأخص للمقبرة التي أجلس فوقها.. وبعد أن ذهبت مرتين، قررت عدم الذهاب إلى هذا المكان، ولكن هذا لا يمنع من أن أذهب إلى غرز أخرى.. وهكذا تعلمت الغرز من خلال شريف، وأصبحت أتردد عليها بصفة مستمرة.

مرت الأيام، ومن جديد ظهر صديقي عاطف.. فقد ظهر مرة أخرى بعد "كبسة" الوالد والوالدة.. حقيقة هو إنسان لطيف، مؤدب، ومحترم، وتشعر أنه دخل في عملية الضرب صدفة، أو خطأ.. المهم كنت أخرج كثيراً مع عاطف، صاحب الملامح الأجنبية، وجواز السفر الأجنبي.. وفي ذات يوم قررنا "تحشش" في غرزة في مصر القديمة، وبدقة أكثر في مدافن مصر القديمة.. المكان عبارة عن حوش واسع، به أكثر من عشرين شخصاً، والغريب أنه رغم أن المكان موحش جداً، إلا أنه مليء بالناس، والزحام غير معقول.. وكل ثلاثة شباب يهتم

بخدمتهم فتى معه "جوزة" و"ولعة"، ودُرُج ملئ بالحجر.. هؤلاء الفتيان غاية فى المهارة والسرعة، يعنى الحجر والذى يليه، وكل شىء يتم فى سرعة وإتقان المحترف، حتى لا يشعر الزبون بالملل.. وطوال الجلسة لا نتوقف عن الضحك والسخرية من كل شىء، وعند دخولنا المكان نتلقى التحية من الموجودين بين نداءات مختلفة:

- حجرين هنا من المعلم فتوح.
- حجرين هنا للبهوات من الأسطى غريب.
- والمعلم حبيش بيمسنى على الشباب بدُرُج\*.
- خفُ أيدك "ياله" وغير الميه، وظببط نفسك، دا البهوات غاليين علينا.
- كنا صغار السن فى العشرين من عمرنا.. مظهرنا وشكلنا يؤكد أننا أولاد ناس طبيين، طبعا.. شباب زى الفل وفى عمر الورود، ومعهم سيارتهم، والبيرة فى أيديهم، ويشرفوا أى غُرزة.. فكانت الناس تحب تسلم "وتمسنى" علينا، وفجأة تذكرت موعدى مع رائدا، فقفزت من مكانى قائلاً:
- ضرورى أقابل رائدا.. ربع ساعة رايح، وربع راجع، وأقعد معاها نص ساعة، وأرجع لك على طول، يعنى ساعة بالكثير.. واطمن ها اوصى عليك المعلم.
- يا معلم حبيش، خلى بالك من عاطف، وعايز لما أرجع ألاقه مخلصم نفسه.
- دُرُج لعاطف بيه بسرعة يا وله.
- ايه ده يا معلم؟! عاطف كده هخلصم الدنيا!
- يا صلاح بيه اطمن.. عاطف بيه فى عيننا.. سبنة أفيون ويبقى فى الجون.
- ماشى يا معلم.. ساعة وأرجع لكم.
- بسرعة هات حجر لصلاح بيه علشان الطريق.. مد رجلك شوية.

\* صندوق وبه 12 حجراً فى المتوسط.

إحساسنا بالأبهة وكلمة البهوية، كان يُبهجنا، ويجعلنا نحب جداً الجلوس في تلك الأماكن الغريبة.. أخذت الحجر، وطرت لمقابلة راندا، وكما وعدت ربع ساعة في الطريق، ونصف ساعة معها، وربع ساعة في رحلة العودة. أخرجت علبة السجائر، وأخذت منها سيجارة ملفوفة، وقررت أشربها بعد أن قضيت نصف ساعة مع راندا، ظلت خلالها تحدثني عن مشاريع الزواج والمستقبل وحبنا، وظللت أنا أتأملها، وتمنيت أن أقول لها: بس.. كفاية يا راندا.. ولم أقلها، وأفلتُ منها بحُجة الذهاب للمطار لاستقبال أمي ورولا.. وكل ما أنكره أنني أفقت تماماً بسبب حديثها حول مشاريع الحياة.

أشعلت السيجارة، وقبل أن تمر خمس دقائق، عدت إلى السُّطل الذي كنت عليه منذ ساعة زمن.. وصلت مصر القديمة.. دخلت المنطقة، ظلام مرعب ولم أجد الغرزة، فقلت محدثاً نفسي:

- هو أنا "تَهْت" واللا إيه؟ باين على اتسطلت!!! لأ.. هُو المكان.. هُو.. والكُنب الخشب موجود، وكمان الحجر على الأرض، وأدى جوزتين.. بس الناس راحت فين؟

وفجأة ظهر رجل.. أرْعبني؛ لأن المكان مظلم ومفيش فيه صرِيخ ابن

يومين، وقال لي:

- إنت بتدور على إيه؟ ما الحكومة جت هنا وخدبتهم كلهم.. اللي جرى.. جرى.. واللى اتمسك، اتمسك.

- يا دي المصيبة السُّودا.. وعاطف؟

- عاطف مين؟

- عاطف صاحبي!! ده كارثة لو كانوا مسكوه.. طيب هم خدوهم على فين؟

- أكيد على القسم.

- وفين القسم ده؟

- في آخر الشارع.. بعد الميدان.. جوّه شوية.. عرفته؟!!

- آه .. عرِفْتُهُ.
- طَار صوابي.. ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟ قررت التوجُّه إلى القسم..
- ولم أتردَّد، وهناك سألت أحد أمناء الشرطة:
- هو حصل كبسة على غرزة المعلم حبيش؟
- إنت مين؟ وعايز إيه؟
- أصل فيه واحد صاحبي كان هناك، والظاهر إنه اتمسك.
- هو صاحبك الواد الخنفس الأبيضاني، أبو شعر أصفر؟
- أيوه.. هو.. اسمه عاطف.
- عاطف بيه ده مشرفنا في الحجز، وبكره هيتعرض على النيابة.
- يا دى المصيبة السودا.. طيب يا باشا قل لي أعمل إيه والنبى؟
- شوف حد يكلم رئيس المباحث، احتمال يرضى يسيبه.
- وكانت الساعة الثانية عشرة.. لمن الجأ؟ وماذا أقول لمن أكلمه؟ إنها كارثة فعلاً.. وخطرت لي فكرة.. فكرة "سُطْل".. فكرت أدخل أنا شخصياً لرئيس المباحث وأكلمه في الموضوع.. وفوراً نفذت الفكرة.. وتوجهت إلى مكتب رئيس المباحث، وسألت العسكري الذي يقف أمام مكتبه:
- رئيس المباحث موجود؟!
- نُقُولُه مين؟
- قُلْ لَهُ صلاح.. قريب عاطف اللي في الحجز.
- دخل العسكري، ورجع بعد ثوانٍ، وقال لي:
- اتفضل.. أدخل.
- دخلت.. وقلت:
- مساء الخير يا افندم.. أنا عرفت إن عاطف قريبي هنا في القسم.. فجيت أشوف فيه إيه.
- عاطف.. اللي شَعْرُهُ أصفر؟

- أيوه يا افندم.

وسكت الضابط عن الكلام لمدة عشرين ثانية، وفجأة سألتني:

- إنت كنت معاه هناك وهربت واللاً إيه؟

- لأ يا افندم.. مَاهْرَبْتِشُ ولا حاجة.

سكت الضابط مرة ثانية.. ثم قال:

- إسمعَ لَمَّا أقول لك.. أنا ها اسبيك خمس دقائق واقف كده، تفكّر فيها وتقول

الحقيقة، واللاً أنزلك الحجز تحت معاه.. لو قلت الحقيقة وصدقتك، احتمال

أسيبكم تروحوا إنتم الاثنين.. إنت في كلية إيه؟

- تجارة خارجية يا افندم.

- فين بطاقتك؟!

- ميش معايا.

- وكمان مش معاك بطاقة.. دا إنت فلة.. خمس دقائق، ونشوف حكايتك إيه.

ومرت الدقائق ببطء رهيب.. كأنها خمس سنوات، إننى فى موقف

بائس.. لماذا جئت هنا؟ وفى تلك الدقائق الرهيبة دخل عسكري ومعه حرامى..

وفى ثوان معدودة، ضربه الضابط قلمين، وأصدر تعليماته قائلاً:

- ارموه فى الحجز.

ثم تلقى محادثة تليفونية، أنهاها بسرعة خاطفة وسألتني:

- إنت قلت لى اسمك إيه؟

- اسمى صلاح يا افندم .

- الثلاثى يا حبيبي!!

- صلاح ".....".

- ساكن فين يا صلاح؟

- الزمالك يا افندم.

- ياللا.. سمعنى حكايتك.

- والله يا افندم أنا كنت مع عاطف.

- فين؟! خَلَّصْنِي!!

- فى الغُرزة.. وبعدين كان عُنْدِي ميعاد.. رُحْتُهُ، وقلت لعاطف ساعة وارْجِعْ لَكَ.. رجعت.. وَمَا لَقَيْتُوش.. راجل هناك قال لى إن الحكومة جت وأخذتهم على القسم، فجيت أسأل وأفهم إيه اللى حصل.

- يَقْرَبُ لَكَ إيه عاطف؟

- صاخبى يا افندم.

- ما أنتَ فى الأول قُلْتَ قَرِيبِي.

- هو حضرتك زى قريبي.

وتلقى محادثة تليفونية، وضحك طويلاً مع صديقه، ثم بدأ محادثة ثانية سريعة، ثم ضَغَط على الجرس.. ودار فى خاطرى بسرعة أنه سيأمر العسكرى بأن يأخذنى إلى الحجز.. ولكنه قال له:

- هاتِ الواد أبو شَعْر أصفر من الحجز.

وتزاحمت الأفكار والخواطر فى رأسى.. فربما "يصدُق" ويفرج عنا فعلاً.. وتمر دقائق صعبة وطويلة، وأشعر أن قَدَمِي تَوْلِمَانِنِي ولا تقويان على حَمَلِي، ولا أستطيع أن أتَنَفَس.. وجاء عاطف، وعندما رَأَى أصابه الذهول وسألنى:

- إنتَ إيه اللى جابك هنا؟

فبادره الضابط سائلاً:

- إنتَ تعرفه؟

- أيوه يا افندم .. ذا صلاح صاخبى.

- وكان فين صاحبك دا لَمَّا أنتَ إِتْمَسَكْتَ؟

- مَاكَانْش موجود.

- يعنى.. كان فين؟!!

- كان عندهُ ميعاد، وبعد الميعاد كان هيرْجَع يأخذنى.  
- ماشى.. اسمعوا إنتو الجوز.. أنا المرة دى ها امشيكم، بسُ قَسَمًا بالله العَظيم  
لو وقعتم فى إيدى تانى مَا هَرَحْمَكُمْ.. شكلكوا اولاد ناس ومش وشُ بَهْدَلَة.. بس  
إنتم حُرَيْن.. سامعين وَلَا مَساطيل؟

أجبنا نحن الاثنان فى صوت واحد:

- سامعين يا افندم.. آخرُ مَرَّة.. وَعُمْرَك مَا هَتَشوفنا تانى.  
قال الضابط لعاطف، وهو يمد يده بجواز سفره:  
- الباسبور أهه.. وإنت ما تمشيش أبداً من غير بطاقة، تحطها فى جيبك.  
رددنا بصوت واحدة، مؤكدين:  
- حاضر يا افندم.. عن إذتك يا افندم.

خرجنا من مكتب ضابط المباحث ونحن لا نُصَدِّق أنفسنا.. وبصوت  
عال قلت:

- الحمد لله.. الحمد لله.. الضابط طليغ جدع.. راجل بحق وحقيقى.  
- طبعا راجل، بس أسكت.. دا أنا إنقلبت فى الحجز، أخذوا كل الفلوس اللي  
معاي.. أخذوها كلها، والسجائر خلصت فى رشة واحدة.. معاك سجاير؟  
- فى العربية.

- ياللا بينا.. نغور من هنا.

ثم قلت لأمين الشرطة:

- سلام يا باشا.

وأيقنت أن الصندق منجى فعلاً.

بدأت أتردد كثيراً على كلية راندا؛ حتى لا يلتف حولها "العيال" هناك،  
وتقع فى شباك أحدهم.. وشلة أصحابها "ظراف"، وهم بشكل عام أولاد ناس بس  
"خنافس"، ولا مانع عندهم من كأسين، وسيجارة مَقفوفة. ولم يمر وقت طويل



حتى أصبحوا جميعًا أصحابي، فقد تزعمت قصة الشرب والمخدرات في وسط هذه الشلة، وطبعًا عن جدارة واستحقاق.

في تلك الأيام، غمرت الأسواق كبسولة حمراء اسمها فراولة، وعمّلت تأثيرًا قويًا بين شباب البلد.. كنت أشتري كيس فراولة، وأمشي بين طلبة الجامعة، أقول للشباب:  
- إفتح بُقّك.

وأرمي بسرعة فراولتين على الماشي.. وكانت تسبب نوعًا من الانتعاش الغريب، وتجعل الواحد منا في حالة "فرّشة" هادئة لفترة طويلة، وكان للسيجارة طعم جميل، والمزاج في حالة صفاء.. ولا شيء أجمل من هذا الشعور.. وكنت أعتبر الفراولة كأنها "تصبيرة" على الماشي، ومع "جوينتين" حشيش.. كله معًا يعمل "دماغ" مظبوطة.

واستمرت قصة الحب الجميلة والقوية بيني وبين راندا، وتقاربنا إلى حد أنها بدأت تزورني عند رامي، حتى في عدم وجود والده ووالدته في البيت.. وكنا نجلس في إحدى الغرف، ويجلس ريكو مع نيللي في غرفة أخرى.. وكانت تزورني في البيت، سواء أهلى في المنزل أو خرجوا.. لم تكن هناك مشكلة.. وبدأت تشرب معي.. بصراحة، كان لديها الاستعداد، وبعد دخولها الجامعة اكتشفت أنها تشرب سجائر، إذاً لا فارق بين سيجارة فاضية وسيجارة ملفوفة، وأول مرة قلت لها:

- خدى يا راندا نفسين.

- لأ.. أخاف يا صلاح.

- ما تخافيش.. كأنها سيجارة عادية.

- طيب نفسين بس.

وبعد نفسين، وثلاثة خلصت المسألة، وأصبحت راندا تُشاركني في كل شيء.. خمور، حشيش، علاقة جنسية، كله ما عدا الفراولة، وطبعاً البوئرة التي كنت أضربها مرة كل شهرين أو ثلاثة، صُدفة بلا ترتيب سابق.

وهكذا سيطرتُ سيطرةً كاملة على راندا، وأصحابها هم أصحابي، وأصبحت مهمًّا جداً بالنسبة لهم جميعاً؛ فأنا وحدي أستطيع شراء المطلوب، ولف السجائر وكل هذه الأفلام.. هؤلاء الأصحاب بصراحة هم غاية في الظرف وخفة الدم.. أحبوني وأحببتهم جداً، وفعلاً أصبحنا أصدقاء.

كنت "أغطس" فترة من الوقت، واختفى عن أصحابي الأعداء ميديو، بونو، زُوني، وفجأة أظهر لأطمئن على أحوالهم.. ولكني كنت على اتصال شبه يومي مع رامى.. ربما هو أحبهم إلى قلبي، وكنت أعرف أين أجده، فهو دائماً في النادي.. وأخطر شيء تغير بالنسبة لصديق عمري أنه بدأ يضرب البوئرة باستمرار.. لكن الأمور لازالت تحت السيطرة.. وبالنسبة لأحمد، وحسين، وعلاء، لم يتغير الموقف.. الحشيش مستمر، وكذلك البيرة، ومن حين إلى آخر يحاول بهاء إقناعهم بمشاركته في ضرب البوئرة.. وكان من الواضح أنها لا تشغلهم كثيراً، لكنها مجرد "ترؤيش" كما يقولون.

في هذا العام، وبالتحديد قبيل الامتحانات بشهرين، قررت أن أذاكر بهمة لأنجح.. والحق يقال بذلت جهداً كبيراً.. لكن للأسف رسبت في أربع مواد على درجة واحدة في كل مادة.. وبعد الامتحانات قررت السفر مرة أخرى إلى أمريكا، وقررت ألا أذهب هذه المرة إلى "أتلانتيك سيتي"؛ إذ لم تعد مشاعري تجاه مارلا بالقوة نفسها، بل شعرت بالملل وأردت التغيير، فذهبت مباشرة إلى "واشنطن"، ومنها إلى "ميامي"، والتي يقال عنها: "من لم يذهب إلى ميامي، فهو في الواقع لم يذهب إلى أمريكا".

وصلت هناك في مطلع الصيف، ونزلت ضيفاً في منزل أصحابي في ميامي.. وهذه الرحلة بالذات لم تكن صاخبة مثل الرحلة الأولى، ولكنها هادئة،

أو كانت نوعًا آخر من الرحلات.. بدأت بجولات في مدينة والت ديزنى، والبحر، والتعرف إلى البنات، وطبعًا الكثير من المخدرات والخمور، ولكن بشكل عام رحلة أحداثها قليلة وخفيفة.

عدت إلى بلادي، وكالمعتاد.. احتجت بعض الوقت لاستعادة التوازن والتكيف مع الوضع.. وبدأت أنواع المخدرات في ذلك الوقت تتغير، ظهر "الماكس"، وظهر "أبو صليبة" وانتشر جدًا، وأصبحت الموضة طحن "أبو صليبة"، وقرص "توفاسى".. ولم تعجبنى هذه الخلطة، التي تحولنى لإنسان عنيف وعصبى، ولكنى كنت أتبع الموضة وأضربهم، وليغمرنى أيضا الإحساس بأننى ضارب أى شىء والسلام.. الحياة فى تصورى لابد أن يكون بها مُخَدَّر..

وفى يوم من الأيام ذهبت إلى ميدو، وحسين ودارت بيننا أحاديث طويلة عريضة، وعندما سألتهم على بونو، فاجانى حسين بقوله:

- بونو.. رجليه جت خلاص.

ولأول مرة أسمع هذا التعبير، وبدأت التركيز الشديد فيما يقوله كل من ميدو وحسين.

وفى رأى ميدو:

- البودرة دى إذمان يا صلاح، وأكد بهاء أدمن.. تصور ده بياخد بودرة كل يوم!!

فأكمل حسين:

- وكمان شخصيته اتغيرت.. على طول عاوز فلوس، وبدأ يجيب لنا حاجات عاوز يبيعهها.

ولم أستطع فهم واستيعاب هذا الكلام.. وذات يوم مررت على ريكو،

وبمجرد وصولى، قال لى:

- تعال معايا يا صلاح.. علشان نشترى بونورة من "الكيت كات".. بونورة سيم.

خرجت مع رامى، ولم تكن المفاجأة بالنسبة لى هى البودرة، وإنما كانت  
السرنجات.. رامى وقف عند الصيدلية، ولم أفهم سر وقوفه، وعاد بعد دقيقتين،  
فسألته:

- إنتِ أشرتيت إيه يا رامى!؟
- سوسته.. إنسى موضوع الشكمانات ده.
- سوسته إيه؟ وشكمانات إيه؟
- سوسته، يعنى سرنجات.. شكمانات يعنى شم.. إنسى موضوع الشكمانات ده  
خالص.. أصبر يا صلاح لما نروّح البيت حتفهم كل حاجة.
- وصلنا إلى البيت، ودخلنا غرفته، وبدأ رامى يتحرك بسرعة مذهلة..  
دخل وخرج من المطبخ، أحضر فنجان قهوة، وليمونة.. وفتح ورقة البودرة،  
ووضعها فى الفنجان.. وقفت أراقب كل حركة، ولم أنطق بكلمة واحدة.. لكنى  
فاتح فمى "كالعبيط" وفى حالة ذهول.. نفذ صبرى.. وسألته:
- إيه دا يا رامى؟ لأ يا ريكو.. حقن لا.. لا.. لا.
- يا بنى.. بهاء بقاله سنة بيضرب حقن، وإحنا منعرفش، وهو اللى ضرب لى  
أول سرنجة.. إنسى.. فيلم تانى خالص.
- بس أنا يا رامى بأخاف من الحقن.
- متخافش.. ولا هتحس بأى حاجة.. بس أنا ميش هذيك كثير؛ علشان دى أول  
سوسته بضرَبها، ولما تحب تعلق مفيش مشكلة.. البودرة كثير.
- طيب مين هيديك الحقنة!؟
- أنا ها اضرب لنفسى.. وبعدين اضرب لك على طول.
- ماشى.
- وضرب رامى.. وفى تلك اللحظة طلب منى "أولع" له سيجارة..  
ونفذت له طلبه، وبعد أن أخرج السرنجة من يده، قال:
- هات لى إيدك.. ماتخافش.. ميش بتوَجع.. دى شيكّة دبوس.

الحق يقال، إن خوفى مما يحدث، كان أكبر من أى وجع، أو من أى شكة

دبوس.. وسألنى رامى:

- هيه... وَجَعَتِكَ؟!

- لا.. ما وَجَعْتِيْش.

- شُفْت.. دا أنا الدكتور ريكو.

وبعدها ولَّع لى سيجارة، وبدأ يسألنى باهتمام شديد:

- هيه.. حاسِسٌ بحاجة؟!

- لا.

وفى خلال ثوان معدودة، شعرت بإحساس غريب، وكأن بنى آدم آخر

ركبنى.. انتبهت وقلت له:

- إيه دا يا ريكو؟! دى اِسْتَعَلْتْ؟!!!

- أصْبِر.. هُوَ اِنْتِ لِسَه شُفْت حاجة!!

ولم نتحرك من البيت، وكنا "خريقة" سجاير، قَبْلَ أَنْ نَطْفِئَ سيجارة

نشعل الثانية، وبدأ بيننا الحديث عن بهاء.. بدأه رامى قائلاً:

- اِنْتِ عارف يا صلاح.. أنا زعلان على مين؟!

- على مين؟

- على بهاء.

- صحيح.. ميدو وزونى حكوا لى شويّة حاجات غريبة عنه.

- الكَامُ شهر اللى فاتوا، بهاء اتغيّر أوى.. خاسِسٌ جدا، ومبتهل على الآخر،

وعربيتُه مَخْبُطَةٌ من كُلِّ حَتَّة.

- إيه ده؟!!!

- اِنْتِ عارف إنه أقنعهم أنهم يجزّبوا الحَقْنَ؟! هما قالوا لَكَ وَاللَّ لَا؟

- لا.. ما قَالُوش.. أصل علاء كان معانا، وأكد مش عاوزين يجيبوا سيرة

قُصَادُه.

- تصدق إن عاطف كمان بيضرب سوست؟
  - عاطف!! لا يا راجل مش معقول!!
  - يا ابنى كله بيضرب سوست.
  - المهم بونو حكايته إيه؟
  - بونو بيضرب كل يوم، وساعات كمان مرتين فى اليوم الواحد.
  - دا إتجنن وآلا إيه؟!
  - لا.. دا أذمن.
  - أذمن إزاي يعنى؟!
  - يعنى بالحال ده، ممكن ما يعرفش ينطّل.
  - يا نهار إسود!! وبعدين يا ريكو؟! إحنا لازم نتكلم معاه.
  - تفتكر ممكن نعمل إيه يا صلاح؟
  - بأقول لك إيه.. تعال نعدى عليه.
- مررنا على بهاء، وتسببنا فى إزعاج العالم "بالكلأكسات" العالية، ونزل لنا بهاء، وبعذ القبلات والأحضان، دخلت فى الموضوع مباشرة، وسألته:
- إيه دا يا بهاء؟ إنت خسيت كده ليه؟
  - البوذة دى بنت "....." بتخسس الواحد.. على العموم أنا قررت أبطل البوذة شويّة، ونويت أسافر مع أخويا ومراته، وأبعد شوية عن الضرب.. أصلى تعينت أوى.
  - أيوه كدا يا بونو.. وأول ما ترجع نتجمع كلنا عند ميدو.. ماشى يا بهاء؟!
  - ياللا بينا يا رامى علشان أنا تعبان ومارحيتش البيت من الصبح.
  - سلام يا ريكو.. سلام يا صاصو.
- انطلقنا بسيارة رامى، ولم ينطق أحدنا بكلمة واحدة.. بصراحة كنت فى حالة ذهول تام.. هل هذا هو بهاء؟! لا.. إنه شخص آخر تمامًا.. ولا أدري فيم يفكر رامى؟! كان سرحان.. إلى أين وصل يا ترى؟! اعتقد سرحان فى

الموضوع نفسه.. وبعد دقيقتين من الصمت الرهيب، انطلقنا معًا بالكلام فى اللحظة نفسها:

- إيه دا يا ريكو؟! بونو جرأله إيه؟

- بونو خربها.. مكننش ناوى أحكى لك.. بعد ما سافرت أمريكا، سرق من أبوه خمسين ألف جنيه وهرب من البيت، أبوه طبعًا عرف.. وكانت مُصيبة كبيرة، ومرجعتش غير لما خلصت الفلوس ولآخر مليم.

- يا ريكو وصلنى عند عربيتى.. عايز أروح.. أنا فعلاً تعبان.

طوال الطريق، وصورة بهاء لا تغيب عن عيني.. أشفقت عليه، وشعرت أنه فى خطر حقيقى، وفيما يبدو أنه يمر بمشكلة صعبة.. لكن لماذا يا ترى لا يستطيع بهاء الخروج منها؟! هل هو بالفعل لا يستطيع التوقف عن تعاطى البودرة؟

ومر بخاطرى شريط تجربتى الشخصية مع البودرة، وتأثيرها فى الجسم والعقل، وكيف يُسيطر على شعور عجيب، وكأننى أعيش فى عالم آخر.. عالم خيالى!! وبعد الضرب كنا نمر بشبه حالة إغماء.. كنا نغمض أعيننا، أو بدقة أكثر كنا نغمض أعيننا دون إرادتنا.. مع هذا "تولع" السيجارة، وأحيانًا تلسعنى، ونارها تحرق أصابعى، فانتبه من الألم، وأطفئ السيجارة.. وهكذا امتلأت كل القمصان، والتيشيرتات والبنطلونات بالنقوب بسبب وقوع السيجارة من أيدينا، وعادة تكون ردود الفعل بطيئة، وننتبه بعد حدوث الخسائر، واحترق القميص أو.... أو.... وعندما نفيق من هذه الغيبوبة، نأخذ نفسين حشيش، ونعود للغيبوبة من أول وجديد.

## الأفيال والجمال

بعد سقوط رامى، حوّل إلى معهد سياحة وفنادق بالإسماعيلية، وطبعًا لم يذهب إلى المعهد سوى مرة واحدة، ذهب فيها مع والده، وهناك قدم أوراقه، وتعرف إلى شاب فى الإسماعيلية اسمه سمير "....."، رأى هذا الشاب الإسماعيلوى مرة واحدة فى حياته منذ ثلاثة شهور، والعجيب أنه مازال يذكر اسمه.. المهم رامى كلمنى فى البيت.. قائلاً:

- أنا عايز أسافر الإسماعيلية علشان أشوف واحد اسمه سمير "....."؛ علشان آخذ منه أى ورق.. امتحان التيرم بعد أسبوع.. للأسف المعهد نظام تيرمات.

وجاءنى رامى فى البيت، فوجدنى فى البلونة مع صديقى شريف "ملك الغرز" نشرب حشيش، فقررنا الذهاب نحن الثلاثة.. وسألته:

- إحنا هنرجع النهارده.. واللاً إيه النظام؟

- دا مشوار صند رذ على طول.. وعلى فكرة أنا معايا حجة حشيش ماركة "خط بارليف".. دمار يا معلم.

وكان هذا هو اللقاء الأول بين رامى وصديقى شريف.. وتحركنا حوالى الساعة التاسعة فى سيارة شقيق رامى.. وكانت سيارة ريتمو 85.. سيارة جميلة كانت لها شهرتها، "مكسرة" الدنيا فى ذلك الوقت، وقلت لرامى:

- عاوزين نشترى بيرة قبل ما نطلع على الطريق.

- ماشى الكلام.. وكع خط بارليف يا معلم شريف.. بس حاسب يفرقع فى إيدك.. وفيه كوباية جنبك، أعمل لنا خابور، والدبوس فى علبة الكلينكس.

انطلقنا بسرعة.. منتهى السرعة والتهور، ووصلنا الإسماعيلية الساعة

العاشرة وخمس وأربعين دقيقة ونحن فى قمة السطل..



وعند مدخل الإسماعيلية سألته:

- فين يا رامى؟!؟
- على فكرة يا صلاح.. العنوان مش معايا.. بس أنا وصلته بيته يوم ما قدمت الأوراق للمعهد.
- يا نهار إسود.. إيه يا عم رامى؟! دا إنت بتؤه فى المهندسين، معقول هتفتكر بيت واحد فى الإسماعيلية، وصلته بيته من ثلاث شهور؟
- ندخل شارع الإسماعيلية الرئيسى، فيه جامع كبير، احنا دخلنا جنبه، وبعد كده يمين فى شمال.. سبغات فى تمنيات.
- يخرّب عقلك يا ريكو.

وبعد فاصل من الضحك الهستيرى، شريف قال:

- اسمع يا رامى، الأول نسأل على الجامع، وهناك نسأل على سمير ".....".
- فسألت أحد المارة:

- مساء الفل يا ريس.. هُو هنا فيه جامع كبير؟
- فيه جامعين كبار.. واحد على اليمين، والثانى قدام شوية على الشمال.
- وسألت رامى:

- اسمه إيه الجامع يا رامى؟
- مش فاكر.. آدى الجامع.. متهيألى هو ده.. لأ.. مش هو.. المشكلة إنى يوم ما وصلته كنا الصبح، واحنا دلوقت بالليل.. مش عارف أفكر.
- ضحك شريف واقترح قائلاً:

- طيب إيه رأيكم ننام فى الإسماعيلية النهارده؛ علشان نتعرف على الجامع الصبح؟

رد رامى:

- والله فكرة.

قلت:

- ياللاً يا رامى نرجع مصر .
- يا عم استنى شوية.. هتفرج دلوقت.
- ذهبنا من جامع إلى جامع، ووصلنا عند الجامع الأول مرة أخرى..
- فقال رامى:

- بصرُ هناك.. فيه شوية شباب وأقفين على الناصية، نقف عندهم ونسألهم.
- مساء الفل يا شباب.. والنبي إحنأ بندور على بيت واحد اسمه سمير "....."،
- فى معهد سياحة وفنادق.
- أجابنى شاب:

- آه.. سمير "....." أخو مدحت "....."؟
- قال رامى:

- الحقيقة، إحنأ ما نعرفش العائلة، بس أكيد هو.
- فقال شاب آخر مؤكداً:
- ساكن فى منطقة "....." .. أنا عارف بيته.
- طيب أيه رأيك تيجى معنا توصلنا لبيته، أصلنا من مصر، ومن ساعتين
- بنلف، وتأيهين.

جاء معنا الشاب.. وأخيراً.. وبعد يمين فى شمال.. فى يمين.. وصلنا.

- الشاب : هو فى العمارة دى.
- شريف : إضربوا كلاكسات؟!!
- الشاب : يا عم كلاكسات إيه!! ننادى عليه.. يا سمير.. يا مدحت.
- أطل شاب من الشرفة..
- الشاب : الرجالة من مصر بيسألوا على أخوك سمير.
- مدحت : هو مش موجود.. بس إتفضلوا يا رجاله.. زمانه جاي.
- رامى : شكراً يا ريس.. تعبتناك معنا.

الشاب : أبدا.. أبدا.. تأمروا.

وظلعنا عند مدحت فى الدور الثانى، ووجدنا صديقه عنده.. وبعد التحية والسلام، بدأ الحديث:

رامى : أنا زميله فى المعهد.. وِجائى من مصر، عايزُ منه شوية أوراق؛ لأن امتحان "التيرم" قَرَّب.

مدحت : هو بيذاكر بره، بس مش عارف فين.. إنقَضُوا.  
صلاح : أزعجناكم.

مدحت : لا.. خالص.. مفيش حد، الوالد والوالدة فى بورسعيد، إحنا وَحْدنا فى البيت.. تَشربوا ايه؟! شاي؟ قهوة؟  
رامى : نشرب شاي.

وبعد خمس دقائق.. قال رامى:

- بَعْدِ إِذْنِكَ، طَبِّقْ أَوْ جُورْنَالِ.. مُمَكِّنْ!؟

كدت أموت من الضحك، بعد أن سمعت هذه العبارة المذهلة، وببساطة تكلم شريف قائلاً:

- لِسْئُهُ فِيهِ سِجَارَتَيْنِ مَلْفُوفَيْنِ.

رامى : لا مؤاخِذة يا شباب.. نفسين كِذْه بس عَلمَان السفر.. وَلَعُ يا كابتن.

مدحت : لأ.. مُشْ بِأَشْرَبِ.

صديقه : ولا أنا.

رامى : وَلَعُ يا صانصُو.

وَلَعْنَا "الجوينيت" الأول، ثم الثانى.. وبعدها قال رامى:

- طَيِّبْ يا رجاله، عايزُ طَبِّقْ أَوْ جُورْنَالِ.. إحنا مَعانا خط بارليف.

ولم يستطع الصديقان كتمان ضحكاتهما، وكانا فى حالة ذهول، وظل كل منهما يتأمل تصرفاتنا، وعلى وجهيهما ابتسامة ساذجة، ومن حين إلى آخر

بتبادلان النظرات ولا أحد منهما يصدق ما يراه، ولم يسكت رامى، بل أضاف قائلاً:

- هُوَ إْحْنَا مَشْ هِنَشْرَبْ أَى حَاجَة؟! فِين الشَاى؟

قال شريف:

- ممكن نشرب مِيةَ أحسن ريقى نَشِفْ من عبور خط بارليف.

ثم توجهت بحديثى الى شريف:

- خليك جدع يا شريو وإنزل العربية، وهات لنا الكيس.

- بعد إِدْنُكُمْ يا شباب.. أنزل أجيب حاجة من العربية.

وبعد عودة شريف.. قال رامى:

- أكيد يا شباب بِتَشْرَبُوا بيرة.. دى بَقَى مَاقِيهَاش حاجة.

شريف : دى كويسة علشان الكلى.

الشباب : لا.. شكرا.. والله مَشْ بِتَشْرَبْ.

ويحاول رامى فتح الزجاجه مستخدماً أسنانه.. فقلت له:

- إيه يا رامى.. إِسْتِنَى نَجِيب فَتَّاحَة، أو نَفْتَحْ فى الباب.

رامى : لا يا صلاح.. مَشْ عاوزين نَتَعِينَهُمْ معانا.. كفاية إْحْنَا عَطَلْنَاَهُمْ، وعملنا

لهم إزعاج ودوشة.

مدحت : لا.. خالص.

صديقه : دا إنتم مشرقين.

شريف : لا.. دا إْحْنَا مَسَاطِيل.

وبدأنا فاصلاً من الضحك المستمر.. وبعد ساعة من "الهزئلة"، قام ريكو

فجأة وخلع الحذاء، ونام على السرير والنفت إلينا قائلاً:

- يا أخى بَرَضُهُ السفر مُتْعِب.

فَقَلْتُ له:

- بقولك إيه يا ريكو.. خُدْنَى جَنْبِكَ.. أنا تَعْبَانْ جَدًّا.

فضحك شريف قائلاً:

- وأنا كمان خدوني جَنُبُكم والنبى.. أمدد كده وأفرد جسمى.  
وظل الشابان فى حالة ذهول تام.. لا أحد منهما ينطق بكلمة واحدة..  
وينظر كل منهما إلى الآخر، وشهدت بعينى كيف تتكلم النظرات، وتعبّر عن  
الدهشة بألف معنى.. ثم تتحول نظراتهما إلينا، ولا تقل دهشة وتعبيراً عن  
نظراتهما إلى بعضهما.. وبكل الثقة، قال رامى:  
- يا شباب البيت بيتكم.. ومفيش داعى للكسوف.. أى حاجة تُعوزوها.. إحنّا  
والله مش عارفين نعمل الواجب.

شريف : تحبوا تتعشوا ايه؟ واللا فى الإسماعيلية بيناموا خفيف؟

صلاح : هى الساعة كام؟ تصوّروا الساعة واحدة إلا رُبّع!

رامى : ايه دا؟ إحنّا لازم نمشى حالاً.

وبعد التحية والسلام.. وألف توصيه للسلام على سمير.. قال رامى:

- إحنّا هنجيلة مرة ثانية.  
فقال شريف:

- أكيد إنتم مش عاوزين تشفونا تانى؟!

فأجاب مدحت:

- ليه بس، إنتم نورّتونا، ونورّتوا الإسماعيلية.

خرجنا من هذا البيت إلى الشارع، ونحن فى حالة ضحك هستيرى..

ضحكنا على موقفنا، وعلى حالنا، وعلى أنفسنا.

- ناس غريبة.. مين الناس دى؟!!

ولم نعرف اسم صديق مدحت.. وكان تعليق شريف:

- لِعِلْمِكَ كان شكله كوميدى.. فاتح بُقّه طوال الوقت، وكأنه شايف مجانيين جايين

من كوكب تانى.

طبعًا عمَلْنَا إِزْعَاجًا رَهِيْبًا تَحْتِ مَنزَلِ مَدْحَتِ وَسْمِيْرٍ، وَوَقَفَ الصَّدِيْقَانِ  
فِي الشَّرْفَةِ يَتَابِعَانِ الفُرْجَةَ عَلَيْنَا، أَثْنَاءَ وَقُوفِنَا فِي حَالَةِ الضَّحْكِ الهَسْتِيْرِي قَبْلِ  
رُكُوبِ السَّيَّارَةِ، فَأَحْسَ رَامِي بِالْحَرْجِ، وَالإِنْقَازِ المَوْقِفِ، قَالَ:

- سَلَامَ يَا رَجَالَهُ.. سَلَمَ لِي يَا مَدْحَتِ عَلَي سَمِيْرٍ.

- يَا رَامِي ارْكَبْ بِسْرَعَةٍ، وَارْجِعْ وَرَا وِلْفِ.

- تَصَدَّقْ يَا صِلَاحَ أَنَا عَايِزُ أَرْجِعُ القَاهِرَةَ "مَآرِشِيْرِيْرٍ".. تَفْتَكِرُوا نُوْصَلُ فِي  
أَدِ إِيهِ؟

- يَا لَلَّ يَا رَامِي لَفْ وَارْجِعْ وَبِلَاشِ هِزَارٍ، لَمَّا نَشُوفُ هُنْخُرْجَ مِنَ الإِسْمَاعِيْلِيَّةِ  
إِزَايْ؟

وَلَمْ يَغِبْ عَن بَالِنَا طَوَالَ الطَّرِيْقِ دَهْشَةُ مَدْحَتِ أَخُو سَمِيْرٍ، وَصَدِيْقِهِ،

وَلَمْ تَتَغَيَّرْ كَلِمَاتُنَا:

- لِفَ يَا مَعْلَمَ.. وَلَعَّ يَا مَعْلَمَ.. شَعَلَّ الكُوْبَيَّةِ.

وَفِي الكِيْلُو 74 كُنَّا فِي قِمَّةِ السُّطَلِّ، وَفَجْأَةً سَمِعْنَا صَوْتًا غَرِيْبًا فِي

"الموتور"، وَبِصَوْتِ وَاحِدٍ سَأَلْنَا:

- إِيهِ دَه.. هُوَ فِيهِ إِيهِ؟

قَلْتُ صَارْخًا:

- يَا نَهَارِ إِسْوَد.. الغَرِيْبِيَّةُ بِتُوْئِعِ.

وَبَدَأَ الدِّخَانُ يَتَصَاعَدُ مِنَ المُوْتُوْرِ، وَفَوْرًا خَفَفَ رَامِي السَّرْعَةَ.. حُدَّ

أَقْصَى عَشْرَةَ كَمِ، وَفَتَحَ البَابَ، وَأَوْشَكَ أَنْ يَنْطُ مِنَ السَّيَّارَةِ، وَعِنْدَمَا رَأَيْتَ هَذَا

الْمَنْظَرَ، أَخَذْتَ وَضَعِ الإِسْتِعْدَادِ لِلْقَفْزِ مِنَ السَّيَّارَةِ، وَعِنْدئِذٍ نَظَرَ رَامِي لِخَلْفِ

حَيْثُ يَجْلِسُ شَرِيْفٍ، وَقَالَ لَهُ:

- نُطُ يَا.. نُطُ يَا.. نُطُ يَا....

وَبِسْرَعَةٍ سَأَلَنِي:

- هُوَ إِسْمُهُ إِيهِ؟

قفز رامى من السيارة، وأنا وراءه، ولم يستطع شريف فتح الباب؛ لأن السيارة الريموتو يُفتح بابها بطريقة مختلفة عن العربيات العادية.. وأخيراً، أخيراً عرف طريقة فتح الباب، لكنه لم يستطع فتحه لأنه اكتشف أن "اللوك" مقفول.. واستغرق خروجه حوالى عشر ثوانى.

وظللنا نجرى وراء السيارة، وأنا أقول له نُط، ورامى يسألنى:

- هو اسمُه إيه؟!

عُدنا وجلسنا فى السيارة نلعب "كولو بامية"، لنحدد من منا يشير إلى إحدى سيارات النقل، لتقطرنا حتى نصل إلى القاهرة.. إنها ليلة غاب عنها القمر، والظلام دامس.. كحل، وأصوات عواء الذئاب مخيفة.. وأخيراً.. استطاع شريف أن يشير إلى شاحنة كبيرة، وقطرتنا حتى وصلنا إلى القاهرة حوالى الساعة الخامسة صباحاً.

كانت رحلة من أغرب الرحلات.

مرت الأيام بأحداث مختلفة، وكان يبدو واضحاً أن بونو "خرّبها" أكثر، وريكو فقد كثيراً من وزنه، وبدا هزيلاً، أما ميدو فقد زاد عنده مُعدّل الضرب، وبدلاً من مرة واحدة كل شهرين، أصبحت مرة فى الأسبوع.. أما زونى فكان فى حالة اختفاء، ويقضى معظم وقته مع نيفين.. وفى كل الأحوال كنا نلتقى، ونجلس معاً، ونخرج من حين إلى آخر، وفى كل يوم نعيش قصة جديدة مختلفة. وفى يوم كنا عند ميدو، وكان نائماً، وفاجأنا بهاء بأفكاره الشيطانية:

- عمرك جربت "البركينول" يا حسين؟

- لا.. بس أنا سمعت أنه دماغ صراصير.

فقلت:

- ميش ناقصة حشرات كمان.

أضاف بهاء موضحًا:

- جمال "جنو" اللي ساكن جنبى أخذ عشر حبوب، وطلع رحلة بنت "....".  
كنا سهرانين فى "الچاكيز"، وحضرته تقمص دور عصفورة، وكان عاوز يطير،  
واستمر على الحال ده يومين، وبعدها رجع له عقله وفاء.. تيجو نجربه، بس كل  
واحد ياخذ ستة.. ماشى يا صاصو؟

- لأ.. تمانية يا بلاش.. خلاص يا زونى؟

- "....". تمانية أول مرة!!

فأجبت مصممًا:

- يا نجربه صح.. يا منجربوش.

فقال بهاء:

- أنا ملكك يا إكسلانس.

فرد حسين:

- موافق يا برنس، بس على شرط، ناخذ أربعة.. إثنين فى اتنين، ونشوف الدنيا  
تمشى إزاي.

وأعلنت موافقتى على ذلك.. توجّهنا إلى الصيدلية، واشترينا علبة

"بركينول".. وفى دهشة بالغة قال حسين:

- إيه ده؟ دا بربع جنيه؟! دا ببلاش يا بونو!!

- علشان كده دماغ صراصير.

أخذنا أربع حبوب فى الساعة التاسعة.. ولم يكن لها أى مفعول لمدة

نصف ساعة.. فقال لى بهاء:

- دا فشيك دا واللا إيه يا معلم؟

- خلاص ناخذ الأربعة التانيين مرة واحدة.. موافق يا بهاء؟

- ماشى يا إكسلانس.. ماشى يا زونى؟

- ماشى.. وصباح الفل، قسم وإدى للكل.



وَأَخَذْنَا الْأَرْبَعَ حُبُوبَ الْأُخْرَى قَبْلَ السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ، وَاقْتَرَحَ عَلَيْنَا

حَسِين:

- بَقُولَ لَكُمْ إِيهَ.. النَّهَارِ دَهْ عِيدَ مِيلَادِ عَبِيرِ صَاحِبَةِ نَيْفِينَ، وَطَبَعَا بِتَيْمَنَى أَرْوَحَ،  
وَآتَحَايَلْتُ عَلَى كَثِيرٍ، مَا تِيْجِي نُرُوحَ نُشُوفِ النَّظَامِ.. إِيهَ رَأَيْكَ يَا بَهَاءَ؟  
- قَشْطَةَ.. جَائِزَ أَطَّلَعَ لِي بِمُرَّةَ.

طَلَعْنَا عَلَى الطَّرِيقِ مَوْلَعِينَ "جُوبِنَيْنِ" فِي الطَّرِيقِ، وَوَصَلْنَا فِي حَالَةٍ  
"سَطْلٍ تَامٍ"، وَدَخَلْنَا الْحَفْلَةَ نَضْحَكَ وَنَهْزَرُ، وَبِهَاءَ اصْطَادَ فِتَاةً جَمِيلَةً، وَأَخَذَهَا  
جَانِبًا وَبَدَأَ الْأَسْطُوانَةَ:

- الْمَعْلَمُ بَهَاءَ.. تَمَانِيَةَ فِدَانٍ مَانَجَهْ، أَرْبَعَتَا شَرَّ فِدَانٍ بُرْتَقَالٍ، ثَلَاثَةَ وَتَمَانِينَ نَخْلَةَ  
بَلَحَ، وَمِشَ نَاقِصِنِي غَيْرِ الْفَرَاوِلَةِ.. يَا فَرَاوِلَةَ.

كَانَ هَذَا هُوَ اسْلُوبُ بَهَاءَ فِي الْهَزَارِ وَالْمَعَاكِسَةِ، اسْلُوبٌ غَيْرُ رَاقٍ، وَلَكِنْ  
بَعْضُ الْبَنَاتِ يَعْجَبُهَا كَلَامُهُ، وَيَرَاهُ الْبَعْضُ ظَرِيفًا وَمُضْحِكًا.. وَكَانَ مُضْحِكًا  
فَعَلًا، وَفِي الْحَقِيقَةِ كَانَ يَنَاسِبُهُ تَمَامًا.

وَطَلَبْنَا لِكُلِّ مَنَا زُجَاجَةَ بِيرَةٍ وَقَضِينَا وَقَتًا مَمْتَعًا، وَقَرَرْنَا الْاِكْتِفَاءَ بِهَذَا  
الْقَدْرِ.. وَمَرَّتِ السَّهْرَةُ دُونَ مَشْكَلاتٍ، وَفِي طَرِيقِ الْعُودَةِ، كَانَتْ سُرْعَةُ السَّيَارَةِ  
بِقِيَادَةِ حَسِينِ طَبِيعِيَّةً، وَأَنَا جَالِسٌ إِلَى جَانِبِهِ وَبِهَاءَ فِي الْخَلْفِ، ثُمَّ بَدَأَ حَسِينُ يَقْلِلُ  
السَّرْعَةَ 80، 60، 50، 20، وَأَخَذَ الْجَانِبَ الْأَيْمَنَ، وَبَدَأَتْ السَّرْعَةُ تَقِلُّ إِلَى 10،  
وَهُنَا سَأَلْتُ:

- هُوَ فِيهِ إِيهَ يَا بَهَاءَ؟

- الْبِرْكِينُولُ إِشْتَغَلَ يَا مَعْلَمُ.. إِنَّتَ حَاسَسٌ بِإِيهِ يَا حَسِينُ؟

- أَنَا حَاسَسٌ إِنِّي سَائِقٌ فَيْلٍ.

فَهْتَفْتُ:

- قَشْطَةَ.. إِطَّلَعَ عَلَى جِنِينَةِ الْحَيَوَانَاتِ.

وظهر تأثير البركينول علينا.. وفجأة، بدأ مفعوله يتضح، وبدأنا نضحك بلا سبب.. نضحك ببلاهة، على أى شىء، وعلى كل شىء، وبصوت ضعيف تكلم حسين:

- حَدِّ ييجى يسوق الفيل بسرعة.. تعال سوق يا بهاء.  
- هُوَ يَنْفَعُ أَسْوَاقَ وَأَنَا قَاعِدٌ وَرَأَى؟  
- طَيِّبٌ بَصُؤًا.. إْحْنَا نَرْكُنُ الْعَرَبِيَّةَ فِي أَى مَكَانٍ، وَنَأْخُذُ تَاكْسَى وَبُكْرَهُ نَجِيبَ الْفِيلِ.

- تَصَدِّقْ يَا صَاصُو إِنَّكَ عَبْقَرَى.

ثم قال حسين:

- هُوَ الشَّارِعُ كُلُّهُ فَيْلَةٌ وَاللَّا إِيَّاهُ؟

قلت ساخراً:

- بَسْ فَيْلَةٌ نَشِيطَةٌ أَوْى.

وقال بهاء:

- أَنَا جَعَّانٌ جَدًّا يَا صِلَاحُ.. عَايِزْ شَاوْرْمَةَ!!

- إِيَّاهُ يَا بَهَاءُ؟! دَهْ وَقْتِ أَكْلِ.. حَسِينِ خِلَاصِ إِنْجَنِّ، وَإِنَّتِ تَقُولِ لى شَاوْرْمَةَ.

أوقفنا السيارة.. ثم أخذنا سيارة أجرة، لتقوم بتوصيلنا إلى شارع شهاب،

ثم قلت:

- ارْكَبْ يَا بُونُو قُدَامِ، وَسَيَبْنَى أَنْفَاهُمْ مَعَ حَسِينِ، لَمَّا نَشُوفُ حِكَايَةَ الْفَيْلَةِ دى إِيَّاهُ.

وفاجأنى حسين بقوله:

- لِعِلْمِكَ يَا صِلَاحُ.. أَنَا نَاوَى أَغْيَرِ الْفِيلِ بِنَاعَى.. هَاجِيبِ فَيْلِ جَدِيدِ.

جلس بهاء بجانب سائق التاكسى، والرجل فى حالة ذهول ممَّا يسمعه..

خصوصاً عندما قال بهاء:

- يَا سَلَامُ.. نَفْسَى فِى سَنْدوتش شَاوْرْمَةَ.. لِأ.. 37 سَانْدوتش.

- بِنَقُولِ إِيَّاهُ؟ كَامِ سَانْدوتش؟!!

وفجأة وقف التاكسى، فقد مرت قافلة جمال.. مفاجأة ليست فى وقتها  
أو مكانها، إنما شكلها مذهل وجميل، وبأعلى صوتى قلت:  
- إيه دا؟ بَصُوا الجمال.. يا ترى هى جمال بجد، ولا زى أفيال حسين؟! أنا  
مش فاهم حاجة.

قال بهاء ساخرا:

- يا زونى.. أنا سمعت إن مهر نيقين مائة ناقة حمرا.  
- بأقولك إيه يا بونو.. هُمَّا جوز جمال عُمى وفوقهم بوسة.. تيجى ننزل  
ناخدهم؟! إركن يا ريس.

وبإصرار يطلب حسين من السائق أن يقف لينزل من التاكسى، وأنا  
أحاول أقنعه إن نزولنا خطر، وكان السائق فى حالة ذهول، إلى أن بدأ يشاركنا  
فى الضحك، وضحك معنا.. من القلب، وبلهجة حاسمة قلت:

- قلنا شارع شهاب.. ومحدش يتحرك من التاكسى.. نطلع على ميدو، ونشوف  
حل فى المصيبة دى.  
استمر بهاء فى الحديث عن "الشاورمة" مع السائق:

- بتحب الشاورمة؟

- آه بحبها؟

- بتحبها أد إيه؟

لم يستطع السائق الإجابة من الضحك.. ودفعنا له الأجرة بصعوبة، بعد  
ربع ساعة ضحك وهزار معه، رغم أنه لا يفهم كلامنا. ووصلنا إلى بيت ميدو  
فى حالة مزاجية عجيبة، وكان المسكين يتعذب بسبب سخرية علاء؛ لأن الأهل  
تعادل مع المحلة، بينما كنا نحن الثلاثة فى حالة ضحك مستمر.. وبالتأكيد كان  
كل منا يضحك بسبب يختلف عن سبب ضحك الآخر.

وبكل جدية سألنا بهاء:

- إنت بتضحك على إيه يا صاصو؟

- باضحك على ترابيزة السفره.. أصل كراسيها عمالة ترقص.

- وإنت يا حسين؟

- على الأفيال اللي في الشارع.. والجمال كمان.. لو فيه فيل عمل حادثه، يودوه

لسمكري، واللا لذكُتور بيطري؟

انتبه ميدو، وركز معنا، لأن التخريف والهديان في الكلام واضح،

فسألنا:

- هو فيه ايه؟ إنتم وأخدين ايه؟ قول يا بهاء .. ما يتكسفش.

- اى هبل فى الجبل.. بركينول.. صراصير.

وأضاف حسين:

- دُول مِش صَراصير.. دُول فيلة.

قلت له:

- لأ.. دُول جمال.

وبحسم قال أحمد:

- قوموا إغسلوا وشكم، جايز تقوعوا.

فاعترض بهاء قائلاً:

- ومين قال إني عايز أفوء.. دا كده لوكس جداً.

واقترحت على أحمد:

- تعال نوصلهم بيوتهم، وأنا ها أنام هنا.

فسأل أحمد:

- فين عربياتكم؟

رد حسين ضاحكاً:

- عربيات؟! هاهاها.. إحنا معانا فيلة، بس الفيل بتاعى فى الهرم.

- بيعمل ايه فى الهرم؟

- أصل ماكنّاش قادرين نسوق.. ركنا الفيل وأخذنا فيل أبيض فى أسود.. صح يا بونو؟

- سيبك إنت.. الجمال كان شكلها جلو أوى.

- بأقول لكم إيه.. أنا رفعت مهر نيفين لخمس جمال.. والله مش خسارة فيها.  
وقال أحمد فى ذهول:

- خمس جمال؟!

فضحك بهاء قائلاً:

- إنت هتجوز عيلة واللاً إيه؟

- هو فيه إيه؟ أنا مش فاهم حاجة.

- دى قصة طويلة يا ميدو.. ياللاً يا عم ننزل نروّحهم.

- زونى.. أدخل الأوضة ألقع ونام على طول.

- لسه ها ألقع.. مش هيحصل.

لم يكن هناك مفر من توصيل بهاء وحسين إلى البيت.. وطوال الطريق كنا فى شدة القلق؛ لأن طريقة كلام حسين كانت غير طبيعية وغير موزونة.. وأكدنا عليه أن يدخل بهدوء وينام فوراً.. وبعد عودتنا أذهلنى أن علاء لم يتوقف عن إغاظه ميدو من خلال السخرية على الأهل، وجلست معهما وضحكت من قلبى، رغم أننى أهلاوى كبير.. ولكننى لم أكن أضحك على سخرية علاء، بل كنت أضحك على الأشياء التى أراها تتحرك وترقص أمامى فى الصالون.. وتوقف الضحك، وانتابنى شعور غامر بالضيق من هذه التخيلات، وأصبحت أمنية حياتى أن أفيق من هذا الكابوس.. إنه بلاء عظيم، كيف ومتى ينتهى هذا اليوم الأسود؟ وهل ينتهى على خير؟

دخلت أنام.. تمنيت فعلاً أن أنام، لأرتاح من هذه التهيؤات والخيالات المتعبة ودارت شرائط الموسيقى، ووضعت رأسى على الوسادة.. واستحال نومى، وإذا بى أفاجىء بالملابس تخرج من الدولاب، وتتراقص فى الغرفة..

أضأت النور، وقفزت من السرير، وأسرعت إلى الحمام، وغمرت رأسي بالماء لأكثر من نصف ساعة، ورجعت إلى الغرفة، وارتيمت على السرير، وأسكت جهاز التسجيل لتتوقف الموسيقى، وتكف الملابس عن الرقص.

إنني حقا معذب، ولا أستطيع النوم.. وبعد ساعات مريرة نمت، وأشرق الصباح، ولم أفهم ماذا حدث لي بالأمس، كنت مثل الوتر المشدود، وكأنني صحت من كابوس، وفتحت عيناى على كارثة.. جاءنى صوت أحمد:

- شُفت يا صلاح المصيبة اللى حصلت.. اصحح وإسمعنى كويس.

حقيقة.. لم أكن أستطيع استيعاب أى شىء، أو فهم ما يقوله، وانتبهت

لقوله:

- مامية حسين كلمتى وسألتنى: حسين ماله يا أحمد؟ هو فيه إيه؟

- خير يا طنط.

- صحنانى الساعة خمسة الفجر؛ علشان أعمل شاي لأصحابه.

- أصحابه؟! مين أصحابه يا طنط؟

- ماكنش فيه حد.. قال إيه أصحابه قاعدين فى الدرج.. فسألته درج إيه

يا حسين؟ يقول لى درج المكتب يا ماما.. إنت مش شايقاهم واللا إيه؟

فقلت لأحمد، بعد أن سمعت الحوار، بينه وبين والدة حسين:

- يا دى المصيبة.. وبغدين.

فقال أحمد:

- قعد يخرف شوية لغاية لما نام.. وقعدت تحقق معايا.. حسين كان فين بالليل؟

وكان مع مين؟ وأخذ إيه؟ وأنا طبعا ساكت، ومش عارف أقول لها إيه.. وأخيرا

قلت لها، تلاقيه يا طنط تعبان من المذاكرة، وما نامش كويس، كان بيحلم

ولا حاجة.

- وبغدين!؟

- قالت لى نشوف القصة دى لما يصحى من النوم.. تصور نام بجزمته.

انتبهت إلى كلامه أكثر وأكثر، وبدأت أفيق، إنما رأسى كأنها ليست في مكانها، وحوالى الساعة الثانية وصل بهاء وكعادته دخل فى الحديث بسرعة:

- شُفْتُم إيه اللى حصل؟ أنا خَرَبْتُهَا إِمْبَارِح.

فسأله أحمد:

- وإنتَ كمان؟! عملت إيه؟

- ساعة كاملة.. أحاول فتح باب الشقة بمفتاح العربية، لغاية مَا وَصِلْ أَخويا وفتح لى الباب، وطبعاً سألتنى أنتَ واخِد إيه، فقلت له: زِفْت.. بَرَكِينُول، فقال لى: ده زِفْت فعلاً وبيلحس الدماغ، آيَاك تاخذه تانى.  
فقلت لبهاء:

- يخرَب بيت البرَكِينُول.. ده ابن "...." فوبيا\*.

بدأ بهاء يحكى:

- دخلت على المطبخ.. وَعَيْنُكَ مَا تَشُوف إلا النور.. جبت كرسى وقعدت فى وش التلاجة، أَكَلْتُ نَصْ الأكل اللى فى التلاجة.. أخويا دخل على المطبخ وشافنى وأنا باشرب الملوخية من الحلة، وأكلت بطاطس، وجبنة بيضة، وبسطرمة، وعنب، وطبعاً رَجَعْتُ كل اللى أَكَلْتَه، وَصِحِيَّتِ الصبح على صوت أمى.. مُنْهَارَة.. مين اللى قلب المطبخ كده؟ وفين الملوخية؟ وفين البطاطس؟ ومين اللى حط طفاية السجايز فى الفريزر؟ قلت ألبس وأنزل قبل ما بابا يرجع، وتوَلَّع الدنيا.. وإنتَ يا صلاح.. عملت إيه؟

- شُفْت خيالات وَتَهْيُؤَات بشعة، وحطيت راسى ساعة تحت الميه.. وفى الآخر نمت.. الحمد لله.. كانت ليلة سودا فعلاً.

ثم سأل بهاء:

- يا ترى فيه أخبار عن حسين؟! عاوزين نكلّمه.

\* يكثر من التهيؤات.

حكينا له تفاصيل محادثة والدته مع أحمد، وكان تعليقه:

- يا نهار إسود.. كدا كلنا هنروح فى داهية.

نادى علاء:

- تليفون علشانك يا ميدو.

ذهب أحمد ورد على التليفون.. وبعد قليل عاد وقال:

- زونى كان على التليفون.. واضح إنه لسه صاحى، واتخانىق مع مامته..

أنا مش فاهم منه ولا كلمة، قال لى أنا ها ألبس وأجى لك حالاً.

وبعد قليل.. ارتفع نداء علاء مرة أخرى:

- ميدو.. تليفون.. مامية حسين.

- يا داهية دقى.

والتفتنا حول ميدو.. وسمعنا الحوار بينهما:

- أهلاً يا طنط.

- تصور يا أحمد قال إيه.. حسين زعلان وصاحى يتخانىق معايب، إزاي ما اغميش شاي لأصحابه إمبراح!! وأنا أخرجته جدًا معاهم.. كان بينكلم بجد، بس المرة دى قال لى أصحابه كانوا قاعدين كلهم فى الصالون، والخضان فى المطبخ، والفيل فى الهرم، والجمل على الكوبرى.. ودلوقت بأكلمه، وما بيردش على يا أحمد.

- ده لسه مكلمنى يا طنط، وقال لى إنه جآئ عندى.. أنا ها أشوف إيه الحكاية..

وحضرتك ما تقلقيش خالص.

- مامتك موجودة يا أحمد؟

- لا.. مش موجودة.. وبعدين يا طنط، إحنا مش عاوزين نكبر الموضوع.

- الموضوع كبير يا أحمد.. أنا كلمت نيفين، وقالت لى إنه كان مع بهاء

وصلاح لغاية الساعة واحدة إمبراح بالليل، وسهروا فى عيد ميلاد صاحبته،

وقالت لى إنه كان طبيعى، وما مفيش أى حاجة.. نيفين هتجنن.



- ادینی فرسۃ أفهم منه وأكلم حضرتك.

- نسیت أقول لك كمان، إمبراح الفجر.. عایز ينزل يشتري سبع جمال حمر  
علشان نیقین، فقلت له سبع جمال إيه!! فقال لی خلاص خلیهم خمس جمال..  
أنا عارف إنك هتفاصلی، ومرة واحدة قال لی: باقولك إيه.. الصبّاح ربّاح،  
وتصبحی علی خیر یا حاجة.. عمره ما قال لی یا حاجة فی حیاته.

- والله یا طنط فال خیر.. ربّنا یکتبها لك وتحمی السنة الجایة إن شاء الله، بس  
الغریب یا طنط إن صلاح جنبی دلوقت، وبقول إنه وصله مع بهاء لغایة البیت،  
وكان کویس.

- کویس إيه.. دا طلب منی خمسة آلاف جنیه، وطبعاً قلت له لا.. ولما سألته  
عاوزهم لیه مارئس علی.. وبعدين قال لی: أنا عایز أبيع الفیل بتاعی وأشتري  
فیل جدید.. قصدی عربیة جدیدة.. وعربیته مش تحت لیه؟ إيه ده.. الباب  
أثقل.. الظاهر حسین نزل.

- یبقی جای علی عندی.

- من فضلك یا أحمد شوف حسین ماله.. وكلمنی طمّنی.

- حاضر یا طنط.. ماتقلّیش.. حضرتك إطمّنی.. وطبعاً هأکلمك أول ما أفهم  
الموضوع.

وارتفع رنین التلیفون بعد هذه المحادثة بثوانٍ قليلة.. كانت نیقین، ورد

أحمد:

- های نیقین.. أخبارك إيه؟ حسین.. لا.. مش عندی.. فعلاً طنط كلمتني، وأنا  
مش فاهم حاجة.. هو حسین جای.. وأول ما یوصل أقول له یكلمك.. باى باى  
یا نیقین.

وكان تعلیقى علی هذا الحوار الطویل العریض:

- با أقولکم إيه.. نیقین مش سهلة، وهتفضل ورا الموضوع لغایة ما توصل  
لاعتراف من حسین.. لازم نفکر فی فیلیم یحفظه قبل ما یكلمها.

مرت ساعة ولم يصل حسين، رغم أن المسافة لا تستغرق أكثر من عشر دقائق.

ومرت ساعة أخرى، ولم يصل حسين.. وتساءل أحمد:

- إيه الحكاية يا جماعة؟ زوني راح فين؟ دا نزل من بيته من ساعتين!!! تفكر راح فين يا صلاح؟

- ممكن يكون راح يجيب عربيته؟!

- ميش ممكن يروح لوحده.. أكيد كان جيه هنا الأول علشان حد فينا يوصله!!  
الساعة الخامسة ولم يصل حسين، الساعة الخامسة والنصف، ولم يصل،

ودرجة الفلق تعلو، فقلت:

- تعالوا ننزل ندور عليه.

فقال أحمد:

- أحسن حل.. اسمعى يا كريمة، لو حسين ظهر، قولى له يستنى هنا،  
وما يتحركش.. سامعة؟!  
وكان تعليق بهاء:

- الظاهر يا صاصو صاحبك ميدو عاجباه كريمة؟!

قلت:

- لا.. لا.. هو كان مُعجب بهيام الشغالة اللي قبلها؟!

رد بونو ضاحكا:

- الشغالات دول مدرسة.

قال أحمد مستكرا:

- خَلينا فى حسين.. هنلاقيه فين دلوقت؟!

بحثنا عنه فى كل مكان.. لَقينا شارع شهاب وسوريا عشرات المرات..

سألنا عليه الشباب.. حيرة كبيرة، فقلت لهم:

- إيه الغلب والغذاب ده؟! نرجع البيت.. يمكن وصل.

وصلنا البيت، وكانت أكبر مفاجأة أن نجده في البلكونة، وجنبه طنط ماجدة.. أخذ يهلهل بيديه، وكأننا لم نتقابل منذ سنة أو أكثر.. والدة أحمد تقف بجانبه في حالة ذهول، وأشارت لنا إشارة نفهم منها أن نصعد فوراً.. فقلت على الفور:

- أطلع يا أحمد.. هاته بسرعة.. ده أكيد فضحنا.

وفى لهفة حقيقية فتحت الأم الباب لابنها، وسألته:

- هو حسين ماله يا ميدو؟

- مش عارف يا ماما.. الظاهر تعبنا شوية لأنه ماتمش من يومين.. هو قال لك ايه؟

- دخل من غير ولا كلمة، وبدأ يلف في كل البيت، ودخل في كل الأوض، ويقول لى إنت مخبياهم منى فين؟ وأخذ كرسي وقعد في البلكونة، رخت له البلكونة وسألته: مالك يا حسين؟ ما ردش، وبعدين طلب منى شاي، وسبكت وما كلمنيش.. فيه ايه يا ميدو؟  
- أنا ها أخده للدكتور حالياً.

المهم.. أخذنا حسين وذهبنا إلى الصيدلية، وحكيينا للدكتور الصيدلى الموقف، فنصح بإعطائه دواء، وفى اليوم التالى يرجع إلى حالته الطبيعية.. لكن الحقيقة أن حسين استمر لمدة أيام فى حالة عدم اتزان.. والشىء الوحيد الذى تمنينا معرفته، والسؤال الذى ظل بلا إجابة.. أين قضى حسين هذه الساعات الثلاث!!؟

أما نيفين.. فقد شعرت أن هناك شيئاً ما خطأ، وهى غاية فى النصاحة، وتحاصر حسين، وتراقب كل تحركاته، تقضى معه معظم الوقت، تتركه ساعة أو ساعتين على الأكثر، ولا يفوتها أبداً أن تعرف ماذا فعل فى كل دقيقة، خلال فترة غيابها عنه.

مرت الأيام والأسابيع.. رامى اختفى، وميدو تائه بيننا.. بعض الوقت يقضيه مع حسين، وأحياناً معى، وأحياناً فى البيت مع علاء، وأحياناً أخرى مع بهاء.. ولكنه بدأ يشعر بالخوف من بهاء بالذات؛ لأن تصرفاته أصبحت مريبة وغريبة حتى معنا، يطلب منا مبالغ كبيرة باستمرار، ويحضر لنا أشياء كثيرة ليست ملكه، يريد بيعها، قائلاً لنا:

- إتصرفوا، وبيعوها.

شئ مريب فعلاً وغير مطمئن، ولم يعد بهاء الذى نعرفه منذ زمنٍ

بعيد.

ماذا يحدث لك يا بهاء؟؟

# عيون قارئ

## الشهود

وبدأت السنة الدراسية، وكالمعتاد لم أذهب للجامعة، ومن حين إلى آخر كنت ألتقى بجيراني، سكان العمارات المجاورة، وعند رؤيتي يصرون أن أشاركهم جلسة حشيش، فهم يعرفون أنني كثير السفر إلى أمريكا، أو أقضى معظم أيامي مع أصحابي ما بين الدقي والمهندسين.. أحد هؤلاء الجيران ضابط شرطة اسمه حسام، ولم أكن أراه كثيراً، ولكن هذا لا يمنع أنه كلما رأيتَه تجمعنا جلسة حشيش، وذات يوم قابلت جاري شريف ملك الغرز.. والذي بدأ تعاطي البودرة بقوة، وفاجأني قائلاً:

- شفت اللّي حصل لحسام!؟

- حصل إيه؟

- إترُفد من الشرطة.

- لا يا راجل .. ليه؟

- كان في مأمورية في السويس، وكان بيشتري بُوذرة.

- إيه ده!! هو حسام بياخد بوذرة!؟

- طبعاً.. ومن زمان كمان.. والتاجر هناك قصُّهم وإداهم بودرة فشينك.

- وبعدين!؟

- طلع حسام الطَّبْنجة وضرب نار، والدنيا إنقلبت في السويس، ومدير الأمن

عرف، وطبعاً حسام اترُفد.

- وأبوه عمل إيه؟

- ولا حاجة.. هيعمل له إيه يعني؟

من خلال هذا الحوار، عرفت أن حسام يتعاطى البودرة.. وممرت الأيام إلى أن وجدت حسام جالساً في سيارته، ومعه صديقته دعاء، ودار بيننا حديث طويل.. وصارحته بقولي:

- مش تقول لى إنك بتضرب بودرة؟!!

- مين قال لك؟

- عرفت وخلص، ثم هي دي حاجة تستخبي.. با أقولك عاوزين تضرب مع بعض.

- معاك فلوس؟

- معايا.. عايز كام؟!!

- ولا أقولك، خليها على المره دي.. اركب.

ركبت السيارة وتعرفت على دعاء وبدأنا الحديث:

- هاى.. إزيك.

- هاى.. أنا أول مرة أشوفك.

فقال حسام:

- دا صلاح، إما فى أمريكا، أو مع أصحابه فى المهندسين والدقى.. أنا قلت إنك أكيد ضريب، باين عليك، بس علشان دايمًا مختفى ماكنتش عارف أركز معاك، وبعدين هتروح أمريكا وماتبقاش ضريب.. إزاي يعنى؟

- نعلمك أمريكا مفيش فيها بؤذرة، كلها كوك، وماريجوانا.

- وياه أخبار الكوك؟

- حلو بس مش زى البودرة.. البودرة قاسية وبنبت "....."، هو إحنا رايجين فين؟

- قرئنا نوصل.. دولاب قريب، بودرة سم.. دي سيكة دعاء.. احكى له يا دعاء.

- اسمها أم سيد فى الجيارة، وهناك فيه باب أسود، لو الباب مقفول يعنى فيه شغل، ولو مفتوح مفيش شغل.

- يا سلام!! دا إيه "السيستم" الجميل ده!!

وسألنى حسام:

- إنت بتجيب من فين يا صلاح؟

- بصراحة أنا مش بأجيب.. أصحابى بيشتروا من بولاق أو الكيت كات.. بس قول لى.. شكمانات والآ سوست؟!!

- لا.. لا.. لا!! ده إنت قديم بقى.. سوست يا معلم.

- إيه كل العربيات اللي رآكته دى؟! واضح إن أم سيد دى معروفة.

وكانت أول مرة أضرب مع حسام وصديفته دعاء.. ركن حسام العربية فى شارع هادىء، وفى أقل من خمس دقائق جهز المطلوب كله.. الليمون والسرنجات والفنجان فى التابلوه، وزجاجة المياه المعدنية جنبى على الكنبه.. وكانت هذه أول مرة أضرب بودرة مع فتاة، ومن الواضح أن هناك قصة حب قوية بينها وبين حسام، وغمرهما الشعور بالحب والحنان بعد أن ضربنا، وبدأ حسام الحديث: فلان بيضرب.. وفلان كمان.. وفلان.. عشرات.. وشريف لسه خارج من "سويسرا".  
وأدهشنى أن أعرف هذه الحقائق، فقلت له:

- يا نهار أسود.. إحنا بنتكلم عن عشرة أو أكثر من نفس المربع.. مصيبة!!

- مش بس كده.. عارف فلان بيقطع وبيبيع كمان.. بس الكمية قلّة شوية.. بس بودرة حلوة بيحبها من عرب السويس.

وهكذا أصبحت أعرف مكان بودرة جديد.

عدت من جديد إلى شلة الجامعة، ومن حين إلى آخر أقابل ريكو، وحسين وميدو، وظهر بهاء مرة أخرى بعد أن أمضى حوالى شهرين فى

\* نظام.

\* اسم حركى للمستشفى.

"سويسرا" أقصد المستشفى.. وطبعًا تحسنت صحته كثيرًا، وصارحنًا برأيه الجديد:

- أنا فهمت النظام، مش كل يوم ضَرْب.. كفاية مرة فى الأسبوع، أو مرة كل عشر ايام.. ويمشى الموضوع.. غير كده هنتبفخ.

وفى تلك الفترة، سافرت الغردقة مع شلة جامعة راندا، وبصفتى وزير الكيف جهزت كل المطلوب، وكالعادة بكميات غير طبيعية قياسًا لعدد الأيام.. مثلاً: كيس فراولة به مائة حبة، كيس صليبة به مائة حبة، و"وقية" حشيش، وثلاثة لترات ويسكى لثلاث ليالى.. كم من المكيفات يكفى أضعاف أضعاف عدد الشلة، وهذه الشلة بالذات لديها وفرة من الأموال، بالتالى ليست هناك أى مشكلة بالنسبة لتمويل وشراء كل المطلوب، وكنت أجمع الأموال وأشتري من الشباك أو الباطنية.. كل شىء دفعة واحدة.

سافرنا، وكل منا معه صديقته، ومعى صديقتى راندا، ولم تكن راندا تشعر بأيه مشكلة، بعد "جوينتين" تُصبح فتاة مطيعة جدًا.. أقول لها يمين، يمين.. شمال، شمال.. جهزت علب عصير، ووضعنا مكانها ويسكى كولا، وبدأنا الشرب خلال رحلة الاتوبيس، وعندما وصلنا كانت الشلة كلها فى حالة سُكْر تام.

وتلك الأيام الأربعة أمضيناها ما بين السُكْر والبرشام والحشيش، وطوال الوقت طرقات مستمرة على باب غرفتى، البنات والشباب يطلبون "جوينتات" أو كأسين، وفى آخر يوم، بدأت طحُن برشام فى الويسكى، وانقلبت القرية.. البنات فى غرف الشباب، ما بين الضحك والصريخ والبكاء، والخلافات على أشدها مع إدارة القرية والعاملين فيها.. وآخر يوم فى الرحلة كان أسوأ يوم، وتم إرسال خطاب رسمى إلى الجامعة، يفيد بأنها وُضِعَتْ فى القائمة السوداء، وأصبح ممنوع دخول طلابها هذه القرية مدى الحياة.



اشتهرت شهرة رهيبه فى الجامعة بعد هذه الرحلة.. لم يعد أحد لا يعرفنى، لكن الآراء انقسمت إلى فريقين: الفريق الأول هم شيلتى، ومن يريد الانضمام إلى هذه الشلة، التى أصبحت بعد الرحلة أشهر الشلل فى الجامعة، والتى ضربت سُمعتها فى مقتل فى رحلة الغردقة.. الفريق الثانى يرى عدم الاقتراب منا، ورأيهم عدم التعامل معنا بتاتا.. وأنا شلة خطر جدا، وفى رأى أننى استمتعت فى تلك الأيام.. كنت أقتل الوقت، وألهو كما يحلو لى، معتقداً أنه ليست هناك أى مشكلة.. فصديقتى تحبنى، وهكذا أصحابى جميعاً، وكل يوم.. مخدرات، وشرب، ومعى سيارة أحدث موديل، وما يكفينى ويزيد من المال.. إذا، ليست هناك مشكلات.

وفى ليلة من الليالى، كان يوم خميس، وكنا فى بداية شهور الشتاء، وكنت فى الحادية والعشرين من عمري، وبعد أن شربت "جوينتين" وزجاجتى بيرة، خرجت من البيت وعلى باب المصعد وجدت ميدو، ومعه زونى.. وأسرعت بقولى:

- إزيك يا ميدو، كنت لسه هاعدى عليكم.

- سبأناك، أخبارك إيه؟

- النهارده الخميس.. عيد ميلاد إبليس، جوينتين واننين بيرة، وعايز أكمل..

ها.. هنعمل إيه؟ "الچاكيذ" واللا "البارون" واللا إيه النظام؟

- ولا ده.. ولا ده.. إحنا خارجين فى سبيل الله.

- يعنى إيه يا ميدو؟ هتروحوا تشحتوا واللا إيه؟!؟

- نشحت إيه بس؟ إحنا قررنا نعتكف فى الجامع كام يوم.

- إيه يا حسين الكلام ده؟

- والله بجد مش تهريج.. ياريت لو تيجى معانا.

- آجى معاكم فين يا زونى؟ أنا مش فاهم حاجة.

- تعال معانا، وأنت هتتيسط.. صدقنى الخروج فى سبيل الله جميل.

- طول عمرنا بنروح مع بعض فى أى وكل حتة.. آجى النهارده وأقول لكم لأ.. مش معقول.. بس أنا سكران يا جماعة؟ أعمل إيه يا ميدو؟  
- إطلع خذ دُش وأنت تفوء، وهات معاك جلابيتين.. ثلاثة، وبطانية ومخدّة، وإحنا نستناك.

- يا نهار أبيض يا زونى.. أنا مش مصدق!! نازل سكران علشان أروح الجاكيز، ألقى نفسى خارج فى سبيل الله.  
- إطلع بس، وتعال معانا وجرب، ولو ما عجبكش امشى.. مفيش مشكلة خالص.  
- ماشى.. نص ساعة.. آخذ دش وأجهز حالى.  
- وإحنا فى العربية.

وبسرعة أخذت الدش، وبعد أن ارتديت ملابسى دخلت إلى غرفة الوالد والوالدة.. وقلت لأمى:

- يا ماما.. أنا عايز بطانية ومخدّة علشان أنا خارج فى سبيل الله.

- خارج فى سبيل الله مع مين؟

- مع زونى وميدو يا ماما.

- والله أنا مش فاهمة حاجة.. إنما خير.

- عايز حاجة يا بابا؟ كام يوم كده وارجع!!

- يعنى هاغوز إيه منك.. إبعده عنى.. إنت اتجننت خلاص.

- أكيد إنت مش مصدقنى؟! والله خارج فى سبيل الله.

- ربنا يهديك يا ابنى.. "إنك لا تهدي من أحببت.. ولكن الله يهدى من يشاء".

- باى باى.

تركتهما وهما فى حالة ذهول، وعدم استيعاب لكل ما يحدث منى، ولكنهما قد تعودا مثل هذه المفاجآت الكثيرة والغريبة من حين إلى آخر.. وهناك جديد باستمرار..

وعندما ركبت سيارة ميدو، سألته:

- هو فيه إيه يا ميدو؟ إيه الموضوع؟ فهمني.. أنا مش فاهم حاجة.

- من أسبوعين، وبعد صلاة الجمعة، تعرفت على شيخ طيب.. راجل بركة، اسمه عمر المهدي.. زارني في البيت النهارده، وقال لي إنه خارج في سبيل الله وعازب ياخذني معاه.. الراجل شخصية محترمة، ووشه منور، وحسيت إني عازب أسمع كلامه.. وبصراحة الواحد محتاج يقرب من ربنا شوية.. إحنًا زودناها، وخربناها أوى.. وبينى وبينك تجربة.. ومفيش مشكلة ولا خسارة.

وقررنا أن نمر على رامى ونأخذه معنا.. لكنه رفض بكل حسم. ومررنا على بونو، ولم نجده، وفيما أظن أنه دخل المستشفى مرة ثانية للعلاج.. وقضينا في الجامع ثلاث ليالي: ليلة الخميس، والجمعة، والسبت.. وخلال الاعتكاف في تلك الفترة، كانت العلاقة بينى وبين راندا قوية، ومررنا بأقوى وأعلى درجات الحب.. ومع هذا لم أقل لها أخبارى، ولم تعرف أين أنا، ومتى أعود.. لا معلومات عنى بتاتاً.. وقضينا أجمل ثلاث ليالي.. هدوء تام، صلاة، أحاديث دينية، أكل وشرب ونوم في الجامع.. حياة كاملة داخل المسجد.

عندما عدنا من رحلة الاعتكاف، أذكر جيداً، أنه كان يوم الأحد بعد صلاة الظهر، وافترقنا على أمل اللقاء، والخروج مرة ثانية في سبيل الله.. ولازلت أذكر أننى أخذت "الدش" في بيتى، وقررت أن أنزل بسرعة لأرى راندا في الجامعة.

إنها الساعة الثالثة بعد الظهر، وقد افتقدتها كثيراً، لأول مرة لا أراها كل هذه المدة الطويلة وكنت أخشى ألا أجدها، فهذا موعد عودتها للمنزل.. وبحثت عنها في المكان الذى تعودنا الجلوس فيه.. ولم أجدها، فذهبت إلى "الكافتيريا"، وهناك وجدت أمامى، وعندما رأتنى انفجرت باكياً، وجلسنا معاً، وعاتبتنى.. وبين الدموع المنهمرة قالت:

- كده يا صلاح.. كده تسيبنى وما اعرفش عنك حاجة أربع أيام!!

- مَعْلَشْ يا راندا.. والله غَصْبَ عني.
- كلمتك عشر مرات، وطلبت من كل أصحابنا يكلموك.. على طول مش موجود.. مش موجود!! ممكن أعرف كنت فين الأربعاء ايام نول؟! - خرجت في سبيل الله.
- ايه هو اللي خرجت في سبيل الله.. يعني ايه؟
- كنت مُعْتَكِفَ في الجامع.
- لا.. مش مُصَدِّقَاك.. إنت بتكذب على.. إحنا كنا مع بعض يوم الخميس، ولا كان فيه فكرة جامع، ولا فيه صلاة أصلاً، تقول لي خرجت في سبيل الله؟! - والله يا راندا مش بضحك عليك.. كنت أنا وزوني وميدو.. حتى إسألِيَهُم.
- طيب ليه ما قلتيش.. يعني هو أنا كنت ها امنعك؟ حرام عليك اللي إنت عملته في.. أنا قلت إنك خلاص مش بتحبني، ومش عايز تشوفني تاني.. أنا مخي باظ.. ثلاث ايام ألف وأدور حوالين نفسي.
- معلش.. أنا آسف.. ماكنش قصدي.. دي جت كده بالصدفة.. يوم الخميس قابلت زوني وميدو.. بسرعة أقنعوني، فرحت معاهم على طول.
- طيب كلمني.. ما كلمتنيش ليه.. كنت حتى تطمئني؟! - أنا آسف، وعمرى ما ها أعمل كده تاني.. بس ايه ده.. أنا ماكنتش أعرف إنك بتحبيني أوى كده!! ده ايه الحب ده كله؟! - يا سلام.. وطبعاً ولا على بالك.
- لا والله.. دا إنت وحشتيني جداً.. بس فيه مشكلة كبيرة يا راندا.. اللي إحنا فيه دا حرام.. حرام جدا كمان.. لازم نشوف طريقة نحل بيها الموضوع ده.. إنت عارفة زوني ونيفين اتجوزوا عرفي.. وقالوا لما يتجوزوا عادى مش هتفرق، هو ما حدش هيعرف أصلاً.. شيلتنا بس.
- يتجوز؟! أخاف!!

- تخافى من ايه؟ هو إحنا هنعْمِلُ حاجة غلط؟ بالعكس إحنا هنعْمِلُ اللّٰى يرْضى ربنا.. أنا مش ها أقدر أمسك إيدك لو ما تجوزناش.

- طَيِّب هَتَجُوزُ إِزَاى؟

- زُونى شرح لى الموضوع.. هَنَكْتَبُ وَرَقَةَ زَوَاجِ عَرَفى وَاثْنَيْنِ شَهُود.. زُونى وميدو مَوْتُوقِ فِيهِمْ مِيةَ فِي المِية.. ايه رأيك؟

- أوكيه.. أنا أهم حاجة عندى إنك ما تَعِدْشِ عَنى تانى أَبَدًا.

- بَكْرَهْ أَعَدِّى عَلَيْكَ فِي الجامعة، ونروح عند ميدو، ونلاقى زُونى عنده وَنَتَجُوزُ على طول.

- ياه!! وَأَبْقِ مِرَاتِكَ!؟

واقتربت راندا لِتَقْبَلَنى.. فقلت لها:

- أَصْبِرِي لِغَايَةِ بَكْرَهْ، وبعد كده اعْمَلِي اللّٰى إِنْتِ عَاوُزَاهِ كُلَهْ.

وفى اليوم التالى، مررت على الجامعة، ووجدت راندا فى انتظارى على الباب. جاءت معى وذهبتا إلى زُونى وميدو وأخذتهما معنا.. وفى شارع متفرع من شارع شهاب، أخرج ميدو الورقة والقلم، وكتب ورقة الزواج العرفى، وَوَقَّعْتِ راندا، وأنا أيضًا، والشهود زُونى وميدو.. قَبَّلْتِ راندا، وقلت لها:

- أَلْفِ مَبْرُوكِ يَا راندا.. عَقْبَالِ مَا نَتَجُوزُ قَدَامِ الْعَالَمِ كُلَهْ، ونعمل أجْمَلِ فرح فى الدنيا دى كلها.

وبعد التهنة من زُونى وميدو، دعوت راندا على العشاء والاحتفال بهذا اليوم.

وتمر الأيام، ونعود إلى الحشيش.. وتوقفنا عن شرب الخمر، وعن البودرة.. فقد تصورنا خطأ أنه ليست هناك مشكلة بالنسبة للحشيش.. ليس بحرام، مثله مثل السجائر.

واستمرت العلاقة مع مريم.. كانت فى حالة بحث مستمر عنى.. وكنت ألتقى بها مرة كل شهر أو شهرين؛ إذ لا شىء يجمع بيننا.. لا سهر، ولا شرب، ولا مخدرات.. لكنها تحبنى بصورة لا يمكن تخيلها أو فهمها.  
وتبدأ السنة الثالثة ويأتى شهر مارس، ولم أذهب إلى الجامعة، ولم أحضر محاضرة واحدة.. وذات يوم استيقظت حوالى الساعة الثانية عشرة ظهراً، ونادانى الوالد.. وسألنى:

- إنت خلاص نويت تأخذ كل سنة فى ثلاث سنين.. واللاً إيه بالظبط؟!

- لا.. بس أنا السنة دى قررت التأجيل.

- تأجيل؟! يعنى إيه تأجيل؟

- مش عايز أدخل امتحانات السنة دى.. أصل أنا تعبت من مجهود السنة اللى فاتت، وقلت أريح شويّة.

- تريح.. يعنى إيه تريح؟ إيه التهريج اللى إنت فيه ده؟ طبعاً إنت عارف إنك هتسقط، وإنك ولا حضرت ولا محاضرة واحدة.. وأخذت فلوس الكتب أربع مرات، وما اشتترش ولا كتاب واحد.. صح؟

- حضرتك بتزعق ليه بس؟! دى مش طريقة تفاهم.

- أعمل اللى إنت عاوزه.. بس أنا خلاص رميت طوبئتك.. مفيش فيك أمل.. وهتاخذ السنة برضة فى ثلاثة.. برضة زى سنة تانية.

- لعلمك يا حاج دادى.. أنا لو عايز أنجح.. ها أنجح.. ولو عايز أجيب تقدير، ها أجيب تقدير، بس بصراحة أنا مكسل.

- تقدير.. هاهاها.. ضحككتنى.. بس إنجح الأول.

- تراهنى؟! تراهنى على إيه انى ها أنجح وأجيب تقدير كمان؟!

- اللى تقول عليه.

- طيب بصر يا سيدى.. لو نجحت وجبت جيد:

نمرة واحد: أغير عربيتى وأجيب الموديل جديد.

نمرة اثنين: رحلة لأمريكا وتذكرة سفر لخمس ولايات داخل أمريكا.

نمرة ثلاثة: ثلاث آلاف دولار للرحلة.. بئذ ألف دولار.

- وأنا موافق.

- لا يا باشا.. نكتب ونمضى عشان ما نختلفش.

لم يكن عند الوالد أمل فى النجاح بنسبة 1%، وبالطبع لا أمل فى التقدير

على الإطلاق.. وأحضرت الورقة، وكتبت الشروط الثلاثة، ووقع الوالد، وأيضاً

الوالدة، والشهود أخى كريم وأختى رولا، وأضاف كريم قائلاً:

- وأنا منى 500 دولار كمان.. إيه رأيك؟

- وأنتم تخسروا يا بهوات.

لم يكن النجاح أو التقدير هدفى.. إنما كانت أهدافى.

أولاً: رحلة إلى أمريكا؛ أتجول خلالها فى أكثر من ولاية، وأشوف كاليفورنيا.

ثانياً: أحصل على بعض الأموال من الوالد، وأعمل "شوبنج"، وأسعد راندا

بالهدايا الجميلة.. بالنسبة لى من المهم شراء هدايا لأصحابى، وحقاً كنت أشعر

بسعادة طاغية عندما أراهم سعداء بما اختاره لهم من هدايا، وراندا دائماً أنيقة،

ومع آخر صيحة.

ثالثاً: وأهم شىء.. موضوع تغيير السيارة، فكل أصحابى فى كلية راندا

سياراتهم آخر موديل، ولست أقل منهم.. إذاً موضوع السيارة بالنسبة لى

أساسى، وحيوى.. طبعاً شىء رائع المباهاة بسيارة آخر موديل أمام الأصحاب

والجيران، وأمام راندا، والدنيا كلها.. وكنا نعلم جيداً أن السيارة "بريستيج" ..

وفى تلك الأيام، مصانع السيارات، تتنافس فى إنتاج أشكال وألوان من

الموديلات الجديدة، وغمرت بها الأسواق والسوق المصرى، وفكرت أن أشتري

سيارة "شيفورليه" سبور آخر موديل.. ولم لا؟

وتنفيذاً لاتفاقية النجاح والتقدير المطلوب، تذكرت زميلى فتحى.. تعرفت

عليه فى السنة الثانية، وذاكرنا معاً آخر شهر فى تلك السنة.. إنه طالب مجتهد

ودؤوب، من أسوان، ويعيش فى المدينة الجامعية، يحضر جميع المحاضرات، وحريص على جمع كل الملازم، وشراء الكتب، وتصوير المحاضرات، وهذه الموضوعات العجيبة بالنسبة لى.

لم أضيع الوقت، توجهت إلى المدينة الجامعية بحثاً عن فتحى.. وأخيراً وجدته.. وجلسنا جلسة عمل طويلة، سألته عن المنهج، الكتب والمحاضرات، ثم اقترحت اقتراحاً وجيهاً:

- با أقولك إيه يا فتحى.. أنا عاوزك تقعد عندى فى بيتى.. إقامة كاملة.. هات كتبك ولبسك، وتنسى المدينة الجامعية خالص..

بصراحة.. العرض لا يمكن رفضه.

أعجبه العرض فعلاً، وانتقل للحياة معى فى بيتى.. عمارة أنيقة فى الزمالك، غرفة نظيفة، خدمة على أعلى مستوى، رايح، وراجع من الكلية بالسيارة.. وفى رأيه أن عائلتى نموذجية، وليست فيها مشكلة.. المشكلة الوحيدة هى أنا شخصياً.. أما هو، لا يضيع وقته فى غير المذاكرة، وأحياناً يكتب الشعر ويهوى المسرح، وتقمص شخصية شكسبير.

باختصار.. دماغه تختلف عن دماغى تماماً.. هو وأنا عكس بعض مائة فى المائة..

عقدنا الاتفاق يوم 16 مارس، وقررنا التنفيذ يوم 23 مارس بحجة ترتيب بعض الأشياء الضرورية فى البيت، وبما أن الامتحانات تبدأ يوم 6/6، إذا أمامنا أكثر من شهرين.. نرتب الأمور، "ونُظِّبُ" الدنيا ونذاكر بجد، وقلت لنفسى فى هذا الأسبوع أتمتع بحريتى بقدر المستطاع، يوم سكر مع علاء، ويوم ضرب مع رامى وأحمد، ويوم ضرب مع حسام، ويوم سهرة مع راندا.. إنه أسبوع الحرية، والوداع.. وكل يوم كنت أستيقظ من نومى الساعة الواحدة، وأتلقى تليفونات، وأملأ البيت ضجيجاً، وبعدها أخرج وأعود بعد منتصف الليل وأكثر..



وكل يوم، يقول لى الوالد ساخرًا:

- طَبْعًا تقدير جيد.. ده شىء أكيد.. والله بالمنظر ده ممكن جيد جدًا كمان.
- لا.. إحنا اتفقنا على جيد بس.. جيد جدًا مألهاش لازمة.. ريح نفسك أنا ها ابدأ بعد ثلاث ايام.. دى خطة يا حاج دادى.

وجاء يوم 23 مارس، وكما وعدت فتحى، مررت عليه فى المدينة الجامعية، كان فى انتظارى وعلى أتم استعداد، وأخذنا حقيبتيه وتوجهنا إلى المنزل حوالى الساعة التاسعة. لم يكن فتحى يدخن السجائر بانتظام، وهو على أكثر تقدير لم يتجاوز علبة كاملة فى حياته كلها.. وفى الطريق إلى البيت ولّعت سيجارة ملفوفة، وأحس بالذعر، وسألنى:

- إيه ده؟

- إكسیر الحياة.

- ونذاكر إزاي؟

- هو ده بتاع التركيز كله، ده ماركة امتياز يا أبو فتحى.

وصلنا البيت، وأعددت لزميلى فتحى المكان الذى يضع فيه ملبسه، وأشياءه الخاصة، وجلست على مكتبى وشرعت فى كتابة أسماء المواد.. وسألته:

- عندنا كام مادة السنة دى؟

- تسعة.

- أنا عندى تمانية بس!! ليه؟! فيه مادة إختفت!!

وقرأ فتحى أسماء المواد ووجدت المادة المختفية، وكتبتها على ورقة كبيرة، وثبتها على الحائط، ثم أخرجت قطعة حشيش من درج المكتب، وطلبت من فتحى أن يقفل باب الغرفة بالمفتاح.

- ليه؟

- علشان ألف سيجارتين.

- ايه ده؟ هو إحنا مش هنذاكر؟
- إحنا ذاكرنا خلاص.. مش كفاية كتبنا أسماء المواد؟! إنت بتستعبط واللا ايه؟! وبعد أن لفيت سيجارتين، سألته:
- إنت حششت قبل كده يا فتحي؟
- لا.. لكن شربت بيرة.
- يا سُكرى يا جامد إنت.
- شربتها مرتين فى حياتى.
- طيب النهارده أنا ها اعرفك على الشيكولاته.. بَصْ يا فتحي.. عادى.. زى السجاير بالظبط.. إنت مش بتشرب سجاير برضة؟
- أيوه باشرب.. بس يعنى سيجارة.. سيجارتين كل فين وفين.
- أمسك.. خذ نفس وأكتم.
- إزاي يعنى!؟
- أنا أعلمك إزاي؟
- وبدا فتحي يتابع كل ما أفعله بتركيز شديد.
- ياللا، خذ نفس والتانى والتالت والرابع، ورا بعض، يخلوك فى المقص على طول.. وبلوقت حان دور الكوباية.
- كوباية ايه؟! لا.. لا.. لا.. أنا مش عاوز خلاص.. كفاية كده.
- وفى ثانية واحدة شغلت الكوباية، وتحركنا ما بين الغرفة، والبلكونة، بالطبع من غير المعقول أن نحشش فى الغرفة، وبعد نفسين أو ثلاثة من "الكوباية"، بدأ فتحي يصيح بصوت عال:
- أنا شربت حشيش.. أنا ربنا مش هيغفرلى.. أنا لازم أصلى، ثم قفز على السرير وبدأ يصلى.
- وقف فتحي على السرير بجذانه.. ورفع يديه إلى السماء قائلاً: الله أكبر..

- يخرّب عقلك يا فتحي.. هتودّينا في داهية.

أسرعت إلى المطبخ لأعد له كوب ماء بالسكر ليفيق من هذه الحالة،

وقلت له:

- اسمع يا فتحي ربّنا يخليك ولا كلمة.. دقيقة واحدة وارجع لك.. نام على

السرير يا فتحي.. ما تتكلمش، وما تتحرّكش لغاية ما أرجع لك.

- حاضر.. بس أنا عايز أفوء.. أنا مش فاهم نفسي.. هي دماغى اللي بتلف

ولأ الأوضة هي اللي بتلف؟

- طبعا الأوضة هي اللي بتلف.

بعد دقيقة، رجعت له بالكوب مملوءا بالماء والسكر، على أمل أن يفيق

وتنتهى المشكلة، وفوجئت "بالشخير" العالى.. نام فتحي بملابسه.. ووقعت في

حيرة.. ماذا أفعل؟! لا شيء سوى أن أقول له:

- تصبّح على خير يا فتحي..

قررت الخروج، ومررت على الأصدقاء، وحكيت لهم ماذا جرى لزميلي

فتحي، بعد نفسين حشيش..

وعدت إلى البيت الساعة الثالثة، ووجدته نائما، ولم يشعر بوجودي في

الغرفة.. وعندما استيقظت الساعة الحادية عشرة صباحا، كان فتحي قد سبقني

واستيقظ مبكرا، وظل يقرأ في هدوء حتى أصبح، وكان أول سؤال منه قبل

صباح الخير:

- هو إيه اللي حصل إمبارح؟

- اللي حصل لا يتحكى، ولا يتقال.

- أنا مش فاكرو ولا حاجة من ساعة الكوباية.. هي اللي دمرتني.

- دا إنت اللي دمرتني يا شيخ.. إسطلت وقعدت تقول لى باحيها.. وحكيت لى

قصة حب مرعبة.. يا راجل دا إنت كنت هتعيظ.

- لا.. لا.. مش معقولة.

المهم.. كلما أشعر بالملل، تبدأ حلقة من حلقات مداعبة فتحي بأفكار جهنمية مرحة.. كان من الصعب أن تمر الأوقات بأسلوب تقليدي.. ورسمت معه برنامج الحياة والذاكرة وقلت له:

- أنا رأيت يا فتحي نُنظّم جدول الذاكرة، وننظم الكتب والملزم، والأوراق كلها.. والذاكرة كل يوم ماعدا يوم الخميس من الساعة ستة، والجمعة كله أجازة.. وآخر شهر، نلغى أجازة الخميس وناخذ أجازة الجمعة بس، وفي آخر أسبوعين نلغى أجازة يوم الجمعة كمان.. إيه رأيك يا أبو فتحي؟

وكان القرار قراري في كل التفاصيل، وكانت لي السيطرة كاملة على الموقف، وبدأت الذاكرة والتركيز على أعلى مستوى.. وأخذت السيارة إلى الجراج، ورفعت منها البطارية، كي يصعب على التحرك، ويصعب على الأصحاب تحديد مكاني.. وبذلت أمي ومعها أختي رولا، بالتبادل، جهدا كبيرا في تلخيص بعض المحاضرات، وشرح بعضها الآخر، والسهر معنا للمراجعة.

وبكل صراحة، بذلت أنا أيضا جهدا جبارا.. كنت أذاكر حوالي 14 ساعة في اليوم بلا توقف، وكان عزائي الوحيد، آخر كل ليلة ألف "جوينتين"، وأخرج أشربهم في البلكونة، وأسمع أغنيتين أو ثلاثة وأنام.

مر الشهران الأول والثاني، وأفراد الأسرة، جميعا، في دهشة وذهول تام من الجهد الذي أبدله يوميا.. مذاكرة بجد جدا.. والتركيز عال لأقصى درجة "مفيش هزار".. وبدأت الامتحانات، وأعترف أنني ذاكرت فعلا، ولجأت أحيانا للبرشام، ولا أنكر أنني لجأت أيضا للغش ممن حولي.. بأمانة بذلت جهدا في البنود الثلاثة، ويقيني أنني سأحصل على النجاح بل والتقدير، وبطرقى الخاصة استطعت أن أعرف نتيجة الامتحان مادة، مادة من الكنترول.. مادة جيد، وأخرى جيد جدا، والثالثة مقبول، ورابعة جيد.. وتوقف الأمر على المادة الأخيرة، لو حصلت على جيد، إذا المجموع الكلي جيد.. وقد كان.

ظهرت النتيجة، والتقدير العام جيد.. والفضل الأول لأختي رولا، والفضل الكبير لأمي، وأيضاً فتحى.. وكلهم بعد ربنا طبعاً، ويحق لى أن أطالب بتنفيذ الاتفاق، أو دا فيها ضرب نار..  
- هاهاها.. نَقَدْ يا حاج دادى.. العَرَبية الجديدة.. تذاكر السفر لأمريكا.. ثلاث آلاف دولار.. و500 دولار يا كىرو.

فى الفترة ما بين انتهاء الامتحانات والسفر، ارتفع عدد مرات ضَرْب البودرة، وأصبحت أكثر خبرةً ومعرفةً بأماكن الشراء، وأى دُولاب يعمل.. وبدأت أحب البودرة، وأعرف كيف أستمتع بالحياة بعد الضرب، والموسيقى كان لها تأثيرها القوى فى هذا الموضوع.. بدأت أسمع نوعاً جديداً من الموسيقى، أسمع: "بوب مارلى، سانتانا، دورز، بروس إسبرنج ستين، داير استريتس".. وأصبح اهتمامى الأول فرق موسيقى "الروك"، وَمَلَأْتُ جدران غرفتى بصور "بوب مارلى" بالْجُوينْت، وفوق سريرى صور "جيم مورسن"، وأعلام للقراصنة، وأعلام سوداء لفريق "إسكوربيونز"، وكان كل من يدخل غرفتى يُذهل مما يراه من صور وأفكار جديدة وطريفة، فلا يشعر من يجلس فيها بالملل، ووضعت لوحة، كتبت عليها "انظر.. ولا تلمس".. وعلى الباب "ممنوع الدخول"، وأخرى "اللى خايف يروّح".

بعد النجاح المشرف، سافرت إلى أمريكا مع ريكو وميدو، فقد سهرنا أياماً وليالى نحلم بهذه الرحلة، وقد كان.. الرحلة كلها مدهشة، بدأنا فى نيويورك، وطبّرنا إلى كاليفورنيا، وقد استطعنا أن نتجول فى كل أرجائها بسيارة نؤجرها فى كل بلد.. وكانت الرحلة حافلة بالمواقف الكوميديّة.. أبدأها بما حدث لنا فى نيويورك.

كنا نستخدم مترو الأنفاق في كل تحركاتنا، وذات يوم جلس بجانبى رجل عملاق من السود، شكّله غير عاطفى بالمرّة، أقصد أن شكله مخيف، وفى البداية لم يكن الأمر يعينى إلى أن وُضع زجاجة شمبانيا على رجلى، وقال لى بصوت خشن، وبنبرة حادة وجادة:

- دى بتاعتك.

- دى مش بتاعتى.

فقال "مؤكدًا":

- دى بتاعتك.

قلت مرة ثانية:

- دى مش بتاعتى.

وفى الثانية ذاتها، وجدت "مطّواة" فى جنبى، وفورا مددت يدى وأخذت

الزجاجة.. وقلت له:

- دى بتاعتى.

- 38 دولار.

- بس؟! والله يا بلاش..

وأخرجت 20 دولار من جيبى.. وقلت مستنجدًا:

- واحد منكم يطّلع 20 دولار بسرعة.. فيه "مطّواة" فى جنبى.

- "مطّواة"!! إمسك يا عم.

أخذ الرجل 40 دولار.. وبكل نزاهة أخرج من جيبه 2 دولار وقال لى:

- الحقّ حقّ.

وتبادلنا النظرات فى صمت، وأسرع الرجل بالنزول فى المحطة،

واختفى فى لمّح البصر، بينما نحن الثلاثة لا نصدق ما حدث، وسرنا إلى الفندق

ونحن فى حالة ذهول، وأحضرنا ثلاثة أكواب لنحتفل بزجاجة الشمبانيا،

التي اشتريناها دون رغبتنا.. ووجدنا في الزجاجة ماء، مجرد مياه.. وهنا، في تلك اللحظة، سرحت في بعض الذكريات والتساؤلات..

أولاً: تذكرت ما كنت أفعله في الزجاجات التي يشتريها الوالد لأصدقائه الضيوف.

ثانياً: لماذا لم يسرقنا وبأخذ ما يريد من أموال دون حاجة إلى قصة الزجاجة؟

ثالثاً: لماذا أعاد لي "دولارين" من الـ 40 "دولار"؟

والإجابة.. هذه هي نيويورك.

وجدنا كاليفورنيا مبهرة.. ومن حسن الحظ أن أصحابنا من أيام المدرسة يعيشون هناك.. بعضهم التحق بالجامعات، وبعضهم يعيش مع أسرهم.. مما جعلنا نشعر بالاطمئنان.. ففي هذه الولاية عشرات من الاصدقاء يمكن الاعتماد عليهم.. وازلنا عند أصحابنا في لوس أنجلوس ووفروا لنا الماريجوانا، الويسكي والكوك.. وحقيقة الأمر لم يعجبني ولم يكن يستهويني، لأنه دائماً كان يُقارَن بالبودرة التي أحببناها، وهذا لا يمنع أننا كنا برضه نضرب كوك..

وبعد يومين قررنا أن نسافر إلى سان دييجو، وطلعنا المطار، ووقفنا في الطابور.. إنه طابور طويل، وبجانبنا طابور آخر صغير. واقترحت عليهما أن ننقل إلى الطابور الأصغر فهو أسرع.. ومرة الإجراءات سريعاً، وكان المفروض أن نتجه يمينا.. لكننا اتجهنا إلى اليسار، وكل منا وضع "وك مان" على أذنيه، نسمع "إف إم" وهي روعة في كاليفورنيا.. فهم دائماً يذيعون أفضل وأحدث الأغاني، وفي يد كل منا كوب نسكافيه، وفي الواقع أنها أكواب ويسكي، ونحن الثلاثة في حالة سُكر غير طبيعية.

وكنت أولهم في دخول الطائرة، واستقبلتنا المضيضة بالابستامة المعتادة

قائلة:

- الطائرة فاضية.. أقعدوا في أي مكان يعجبكم.

ومن ورائي سار أحمد ورامي.. وكالمعتاد جلسنا في آخر كراسي الطائرة، لقد تعودنا منذ أيام الدراسة الجلوس في آخر صف.. وطوال الوقت لم يرفع أحد منا الـ "ووك مان" من على أذنيه.. وتمر دقائق، ولم يقل أحدنا جملة أو كلمة للآخر.. المهم.. كالمعتاد أيضاً بدأنا مداعبة المضيف، كما يحدث معنا في مواقف كثيرة مختلفة.. وبعد جولة من المداعبة والضحك، سألتنا المضيف:

- تَشْرَبُوا إِيَّاهُ؟

قلنا في صوت واحد:

- ويسكى.

لم تتردد، وأحضرت لكل منا زجاجتي ويسكى صغيرتين "بلاك لبيبل" وسعدنا بهذا الكرم، والأناقة في التعامل، ولكن أدهشني أن الرحلة لا تزيد عن نصف ساعة، ونحن في الطائرة منذ ساعة.. اخترت، فقررت أسأل المضيف متى نصل سان دييجو.. ودار بيننا أغرب حديث:

- هو مش المفروض الرحلة نص ساعة؟

- لا.. الرحلة أكثر شوية.. هُوا إِنْتُمْ رَائِحِينَ تَعْمَلُوا إِيَّاهُ فِي سَان فرانسيسكو؟

- إحنا مش رايحين سان فرانسيسكو.. إحنا رايحين سان دييجو.

ذهلت المضيف، وطلبت بطاقة ركوب الطائرة، وأخذتها مني وطارت على أول الطائرة.

إذاً لقد ركبنا هذه الطائرة خطأ!! إنها مشكلة، أصحابنا في انتظارنا في سان دييجو، وسنطُنا ليست معنا.. إنها على الطائرة المتجهة إلى سان دييجو!! ثم ماذا نفعل في سان فرانسيسكو؟! نعم هي كانت في الخطأ، لكن ليس بهذه الطريقة!! لا.. لا.. لقد وقَعْنَا في مشكلة، لا بد أن نطالب بالتعويض بسبب هذه الغلطة.. ثم لا توجد طائرة اليوم متجهة إلى سان دييجو!!



إنها فُرُصَتنا.. فرصة ذهبية جاءت لنا من السماء ونحن فوق السحاب.  
وفي موضوع الطيران، والطائرات، والتعويضات كنت أستاذ الأساتذة.. وأذكر  
أول رحلة، سافرت فيها على خطوط جوية أجنبية، وجاءت الطائرة من أثينا  
كاملة العدد، وليس عليها مقعد واحد خال، فاضطروا إلى تحويل التذاكر إلى  
اليوم التالي على خطوط أخرى، وأعطوا كل تذكرة تعويضاً قيمته خمسمائة  
دولار.. حدثت هذه الواقعة في أولى رحلاتي لأمريكا، وفي تلك الرحلة ضاعت  
حقائبي ما بين شركات الطيران، وأخذت تعويضاً قدره 1250 "دولار" على كل  
حقيبة.. وحزنت على حقائبي وما فيها من ملابس وهدايا.. بعد هذا الموقف كنت  
في كل رحلة أخرج بحقيبتى من المطار، ثم أعود وأبلغ عن فقدان الحقيبة،  
وأحصل على التعويض.. ولا أنكر، وبصراحة بعض شركات الطيران كانت  
محترمة جداً.. أعطتني تعويضات كبيرة، وفي تصوري أن هذا يشفى غليلي  
ويعوضني عن ضياع حقائبي في رحلتي الأولى.

انقلبت الدنيا رأساً على عقب.. على الطائرة ثلاثة ركاب استقلوا خطأ  
الطائرة المتجهة إلى سان فرانسيسكو، ونزلنا مطارها ونحن سكارى، ولا نكاد  
نتمالك أنفسنا من الضحك، ونتظاهر بالجدية والغضب، وأردت الاستفادة من هذا  
الموقف أكبر فائدة ممكنة.. وكان رامى يريد العودة مرة أخرى إلى نيويورك  
ليتجول في شارع 42 الذي نراه في أفلام السينما، وتصور بأنه ملئ بكل أنواع  
المخدرات، وفتيات الليل، ومغامرات السود.. وعلى الفور تشاورت مع أصحابي  
قائلاً:

- أنا ها أتصرف.. سييوهم على.

وكم كان مدير مكتب شركة الطيران في مطار سان فرانسيسكو رقيقاً  
ومهدباً، وسألني بعد تقديم الاعتذارات لنا عن التعويض المطلوب.

تكلمت بمنتهى الثقة:

- بالنسبة للتعويض، نريد الآتى:

أولاً: إقامة كاملة فى فندق 5 نجوم فى سان فرانسيسكو لمدة ليلة.. وذهاب وعودة إلى المطار.

ثانياً: إحنا هنضطر إلى تغيير خط السير، والمطلوب تذاكر طيران إلى نيويورك، وعودة إلى سان دييجو.

ثالثاً: يتم تسليم الشنط فى مكتبكم فى نيويورك.

رابعاً: 200 دولار لكل واحد لنشتري ملابس نلبسها النهارده وبكره.. مش عاوزين اكثر من كدة، ولو مش موافقين هنروح لمحامى فى سان فرانسيسكو، ونرفع قضية.. والقضية اكيد فى صالحنا.

أغرب شىء، تمت الموافقة على النقاط الأربع بعد عشر دقائق، شيك بمبلغ 200 دولار لكل منا، وسيارة ليموزين تأخذنا إلى الفندق، وتذاكر الطائرة إلى نيويورك فى عصر اليوم التالى.

وصلنا إلى نيويورك، وأمضينا بها أربعة أيام، تجولنا خلالها فى شارع 42، وجربنا جميع أنواع المخدرات، ودخول البارات، ولعب القمار.. وبصراحة لم تعجبنى الحياة فى نيويورك ولم تستهونى.. إيقاع الحياة سريع، والإحساس بالخطر عال جداً.

وهناك مررت بموقف غريب.. كنت فى جولة لعمل "شوبنج"، وكان هناك اتفاق مع راندا على إعلان خطوبتنا بعد العودة من أمريكا مباشرة.. وفى محل أنيق، اخترت بدلة "مُدْهْشَة"، جربتها، وبدلة أخرى أنيقة، وثالثة، وأخيراً استقر رأى على أكثرها أناقة وأغلاها ثمناً.. كانت رائعة بالقميص والبايبون.. تمام فعلاً.. وقلت: أنا اشتريت، ثم ألقيت نظرة أخيرة أمام المرأة، وفجأة غمرنى إحساس غريب.. بأن هناك شيئاً ما خطأ.. ماهو؟ وما تفسير هذا الإحساس الغريب؟ لست أدرى..

التفت فوجدت رامى بجانبى.. وقال لى:

- حلوة جداً.. مبروك عليك يا صاصو.

- لا يا ريكو.. أنا مش هاتجوز راندا.

ولم يفهم.. ولم يسألنى تفسيراً.. وأعدت البدلة مكانها.. لم أشتري بدلة

الخطوبة، وقلت:

- ياللا بينا يا جماعة.

انتهت هذه الرحلة الجميلة.. وفى طريق العودة إلى القاهرة، توقفنا

ترانزيت فى أمستردام، عاصمة هولندا، صاحبة قانون تعاطى المخدرات

العجيب.. كانت فرصة قصيرة لشرب وتعاطى المخدرات علناً.. فالقانون

يحمينا!! والسؤال الذى يطرح نفسه: ليه مصر ما تسمحش للضرية بالضرب

زى هولندا؟ هو ده التقدم واللا بلاش.

أشترينا أفضل وأحدث أجهزة التعاطى: "بايب" لتدخين الحشيش، ورق

بفرة بأشكال مختلفة، على هيئة مائة دولار، وعلم أمريكا، وأخيراً ماكينة للف

السجائر.. بعد العودة إلى مصر ساعدتنا هذه الماكينة المعجزة على الجلوس فى

صالات الديسكو، ونحن ندخن الحشيش، وكان مستحيلاً أن يفرق أحد بين

سيجارة هذه الماكينة العبقريّة، والسجائر التى تنتجها الشركات العالمية.. نجلس

فى المكان وندخن الحشيش وفجأة تفوح الرائحة، فيتحرك "الويترز" حول الموائد،

ولكن لا يستطيع أحد معرفة مصدر هذه الرائحة.. فالمكان مزدحم والكل فيه

يدخن بشراهة.. ونستمر فى الضحك على ما نفعله.. ويتحدث كل الحاضرين

عن هذه الرائحة، ولا يعرف أحد من وراءها.

إنها رحلة لن نتكرر.. سافرنا من الشرق إلى الغرب.. شمالاً وجنوباً،

ومررنا بمواقف، ليس لها أول من آخر.. وكانت الخطة أن نعود إلى مصر فى

أول أكتوبر، وكالمعتاد عدنا فى آخر ديسمبر.. رجعنا بعد ما صرفنا كل

ما معنا، وليس فى محفظة أحدنا أكثر من خمسة دولارات، وقد لا نستطيع دفع

أية مبالغ في الجمر، وأمل أن أستطيع الدخول بسهولة ومعى إسترىو جديـ  
وصغير.. وظللت طوال الوقت أتمم: ربنا يسهل ويعدى.. واستجاب الله  
لدعائى.

# عيون قارىء

## يوم عصيب

عدنا نحمل معنا ذكرياتنا.. واقعة الطائرة، وقصص وروايات هوليوود..

وأهم شيء في الدنيا:

"الكونسيرتس"، وحفلات "فيل كولينز، داير ستريتس، جنز أند روزيس، كينكس، إسكوريبيونز، بروس سبرنجستين".. وكان برنامج الرحلة يقوم أساسًا على الحفلات، وأماكنها ومواعيدها.

وفى تلك الرحلة كان أسلوبنا فى الضرب غريبًا، يبدأ لحظة استيقاظنا من النوم، بمعنى أن نضع فى قمنا "چوينت" ماريجوانا، وكل منا يأخذ نفسين، وبعدها نفطر، وأحيانًا لا نفطر.. أيضا أحببنا كثيرا زجاجات الويسكى الصغيرة، وكنا على قناعة تامة، مائة فى المائة، بأنه إذا شربنا الويسكى فى الصباح، لن يحدث لنا صداع بسبب الشرب فى الليلة التى تسبقها.. وعندما سألنا عن البودرة، كانت الإجابة من الأمريكيين بأنهم لا يعرفون لها مكانًا محددًا، وفى رأيهم أنها نوع خطير من الإدمان، لذا يخافون ويخشون كثيرًا من التعامل مع البودرة، وكنا نردُّ بأنها ليست إدمانًا، وأنا نضرب منذ سنوات.. لذا كنا نضرب كوك، وجربنا شيئًا جديدًا وخطيرًا يشبه الماكس فى مصر يسمى "إسبيد"، فيظل الإنسان مستيقظًا لمدة يومين، 48 ساعة، فى حالة نشاط على أعلى درجة، ولم يعجبنا، لكننا مررنا بالتجربة.

وصلنا إلى مصر آخر ديسمبر.. إنها السنة الدراسية الرابعة بالجامعة، وفى تلك السنة وقعت أحداث الأمن المركزى، ولم نتوقف عند أحداثها كثيرًا، فقد كان شوقنا كبيرًا للأصحاب وللجلسات الجميلة معًا، وأيضًا لأنواع المخدرات، التى تعودناها وصديقاتنا من البنات، لنحكى عن رحلتنا والمغامرات التى عشناها.

كان أول مشوار ذهب فيه مع رامى إلى أم سيد الساعة الثانية، واشترى كل منا ورقة وهى تكفى اثنتين أو ثلاثة، واشترينا السرنجات والليمون، وزجاجة المياه المعدنية، وفى جاردن سيتى، وفى شارع هادى، وقفنا بالسيارة وضربنا.. ولم نتحرك الا لشراء سجائر، وتوقفنا بالسيارة مرة أخرى، ثم تحركنا.. وهكذا حتى الساعة التاسعة، ثم توجهنا إلى المهندسين، ووجدنا كل الشباب عند ميدو.. كان واضحًا علينا عدم الاتزان، ولا تعليق من أحد، وجامنى بهاء الذى توقف عن الضرب لمدة شهرين كاملين، وسألنى:

- معاك نص سنتى يا صلاح؟

- طلبك عندى يا إكسلانس .. دأ إنت طول عمرك أبو الواجب.. باقول لك إيه يا رامى.. إعمل واجب إنت كمان مع بونو.  
- أنا أصلاً جهزت له سوسته فى العربية، وقلت مش ها أدبها له إلا إذا هو طلب.

دخل ميدو فى الحديث قائلاً:

- أنا عايز خطين.. شكلها بودرة سم.. هات بسرعة يا صلاح قبل ما علاء يرجع.  
- ماشى.. أحسن حابه تضرب وتنزل بسرعة.. مش عاوزين مشاكل وخناقات مع علاء..

كانت نظرة واحدة إلى المرأة كقيلة بشرح الشعوذة التى نعيشها، وأنه يمكن تصديرها للآخرين.. وبعد أن ضرب ميدو الخطين فى الحمام، إنطلقنا إلى شارع شهاب.. كان لنا هناك مكان محدد على الناصية.. نقف عنده نشاغب ونعاكس "الرياح والجاى"، ولو مرت بنا واحدة وصاحبيتها، معناها الضحك للصباح بلا توقف.. يكفى أن نسمع تعليقات من بونو.. فلا نضحك وخذنا، بل يضحك المارة أيضا ضحكات من القلب.. ومن أقواله فى هذا الموقف:

- ده شارع شهاب ولا جنة ربنا فى الارض.

- اسمعى يا قطة.. أنا مش باعاكس.. أنا عايز عنوان البيت، أصل أختى عايزة تتجوز، وأنت أكيد عندك أخ.

- أنا بهاء الشهير ببونو، صاحب أعيان، 8 فدايين بُرْتقال، و 3 فدايين كُمْترى وشجرتين مانجو.. واحدة علشانى، والثانية علشانك، ونقعد ناكل ونلعب لحدّ الديك ما يقول كوكوكولا.. أصل الديك بتاعى فاتح كشك..

وإذا مرت بنا فتاة بملابس رياضية يقول:

- والكابتين بيلعب مع مين.. أكيد كوم السمن.. أو أبو الغيط؟ نفسى أجيب جون فى المقص.

وكان معنا زونى فى كل هذه الأفلام.. ولكنه يكتفى بالسيجارتين الملقوفتين، وزُجاجة البيرة.. فقط لاغير.. فقد وعى الدُرس جيداً.. حشيش وبيرة وبس.. دُرس البركينول كان قاسياً عليه.

وفى اليوم التالى، وحوالى الساعة الحادية عشرة صباحاً، جاعنى رامى، وطلب الاستعداد للخروج سريعاً، قائلاً:

- ياللا بينا على أم سيد.. وبسرعة.. عندنا ميعاد مع البنات اللى كانوا معنا على نفس الطائرة.. أنا اتبثهم رقم تليفونى، وكلمونى وصحونى.. وقالوا لى عاوزين نشوفك إنت وصاحبك الرفيع ده.. قالت لى إنك عجبت صاحبته مايسة.. بس أنا مش فاكر مايسة مين فيهم؟

- مش فارقة.. الاتنين مُرز.

- واتفقت معاهم على ميعاد عندى فى البيت الساعة واحدة.

- ووافقوا على طول كدا؟!!

- حصل.. وقالت لى مقيش مشكلة.. فقلت لها علينا الغدا.. قالت لى الغدا بس..

قلت لها والعشاء كمان؟! إيه النظام يا صلاح؟

- قل لى الأول، فين باباك ومامتك؟

- طلعوا الغردقة إمبارح بالليل.

- يا جماله.. دا يوم رياضى؟
- ياللا بينا.. نروح نشتري كام تذكرة من ام سيد.. ونرجع على بيتى.
- قل يا ريكو.
- وبعدما ضربنا فى بيت رامى، قلت له:
- بصر يا ريكو.. ما نضربش كثير.. علشان نشوف النظام ماشى إزاي.
- ماشى يا معلم.. بعدين نعلّى زى ما إحنا عاوزين.
- دارت الموسيقى، ووصلت نادين وصديقتها مایسة الساعة الواحدة،  
ورحبنا بهما.
- هاى .. هاى.
- فقالت مایسة:
- بيتك حلو يا رامى.
- اتفضلى..
- أصل مامته ذوقها حلو.
- وقالت صديقتها نادين:
- هتشرّبونا إيه؟
- بيرة.. ويسكى.. خشيش.
- نادين:
- الصبح كده؟
- رامى:
- دى تبقى أحلى إستمورنج.
- نادين:
- أنا أخذ بيرة.
- وقالت مایسة:
- وأنا كمان.. وإنتم ويسكى طبعًا.



فقال رامى بلا تردد:

- لا.. إحنا بودرة.

لم يكن رامى يخفى هذه الحقيقة المرّة، وبكل جرأة يعلن إنه بيضرب بودرة، كأنها مثل البيرة.. وكلامه أدهشهما، وبدأت التعليقات من البنات:

- بودرة؟ أنا عمرى ما شفتها، بس سمعت عنها.. إنت جربت البودرة يا نادين؟

- لأ.. تيجى نجرب وناخد؟

- لا يا شيخة.. أخاف.

وتدخل رامى فى الحوار:

- ما تخافيش.. ما إحنا قدامك أهه.. جهاز خطين جلوتين يا صلاح بس مايتوصاش.. دول أول مرّة يا معلم.

- إيدونى دقيقتين.. بس قولوا لى إنتم من فين؟ وفى جامعة إيه؟ وكنتم بتعملوا إيه فى أمريكا؟ صحيح إحنا مانعرفش عنكم أى حاجة خالص.

فقالت مایسة:

- يعنى إحنا نعرف عنكم أى حاجة!! إنت فى كلية إيه؟

ردیت:

- أنا فى تجارة خارجية.. ورامى فى سياحة وفنادق.. بس إحنا مع بعض فى الفصل من حضانة لثانوية عامة..

- ياه.. حلوة دى.. وكنتم بتعملوا إيه فى كاليفورنيا؟

- كنا عند أصحابنا، بنلف.. وقعدنا هناك 5 شهور.

وقالت نادين:

- وإحنا الاتنين من مصر الجديدة، وعائشين فى لوس أنجلوس.. فى الجامعة هناك.

- يو. سى. إل. إيه!!

فتساءلت مايسة في دهشة:

- عرفت إزاي يا صلاح؟

- طبعى.. ما هيا أشهر جامعة في لوس أنجلوس.

وهمس رامى في أذنى قائلاً:

- خف البودرة شوية يا صاصو، بعدين يقعوا مننا، ومش ها نعرف نعمل شغل.

- خلاص.. نقسم الورقة على أربعة.. وناخد أنا وأنت كل واحد فينا نص..

قشطة؟

- ماشى، بس أنا ما بقيتش أعرف أشم.

- ليه؟! مناخيرك إتسدت واللا إيه؟!!

- لا.. السوست حاجة تانية.

أخذت البنات الخطين في هدوء.. وبدأت الليلة.

بدأها رامى بالعزف على الجيتار.. ونال تشجيع الجميع.. ثم جمعنا

جلسة مرحة ضاحكة، واستمعنا إلى الموسيقى وأغنية هادئة، ورقصت مع نادين،

ورقص رامى مع مايسة، رغم أننى فهمت منذ البداية أن مايسة معجبة بى

شخصياً، وصديقتها معجبة بصديقى رامى، وبصراحة لا فارق.. وبكل اهتمام،

سأل رامى مايسة:

- مالك؟ حسيتى بحاجة؟

- آه.. يعنى نيمانه.. وإنت يا نادين حاسة بحاجة؟

- حاسة إنى مبسوطه.

فقلت:

- بأقول لكم إيه.. إحنا نلعب الإزازه.. خلينا نضحك شوية.. تعرفوها؟

فقالَت مايسة ونادين معاً:

- طبعاً.. نعرفها.

وبدأت اللعبة بأسئلة خفيفة، وضاحكة، وبسرعة رفعت درجة حرارة

الأسئلة:

- يا مایسة.. صاحبتي كام واحد في حياتك؟

ردت "بهده":

- ثلاثة.

وبدأت الأسئلة الصريحة حول العلاقات العاطفية، وبدأت الأحكام، وتبادلنا القبلات وتطورنا إلى مناطق أكثر سخونة، وارتعدت رعباً، عندما حكمت نادين على مایسة أن تأخذ خطأ آخر من البودرة.. وبصراحة لم أكن أريد أن تكررا التجربة.. كلتاها لذیذة وظريفة، والأظرف البقاء في حالة من الحيوية بدلاً من "البهدلة"، إذ لم أنس أول مرة، وأول تجربة في حياتي.. أخذت خطئين، وكنت في حالة غريبة من التراجع والغيبوبة.

فتح رامی ورقة جديدة، وعمل أربعة خطوط، وطلبت منه همساً أن يعد لنا سرنجتين، بعيداً عن غرفة الاستقبال حتى لا يرونا، والتفت إليهما فوجدتهما تضحكان.. فكل منهما أخذت خطين من الأربعة.. بمعنى انتهت التذكرة الكاملة، وقالت مایسة:

- عشان تعرفوا إن إحنا ما نهمناش حاجة.

فقلت:

- يا نهار أسود.. شفت يا رامی؟! دول خدوا التذكرة بخالها.

- مش مهم، أنا لسه معايا بوذرة تاني.

ردت بغضب:

- بوذرة تاني ايه يا مجنون؟! دول كده هيافوروا.. هو أنت فيكرهم زيننا؟

- يافوروا ايه بس؟! ما تخافش يا أخی.

ظلت الموسيقى تنوي في أرجاء البيت، ولكن بصراحة غمرني القلق،

وتكهرب الجو في البيت.. وبعد عشر دقائق، بدأت مایسة تنقياً في الصالون..

ومدخل البيت، واستندت إلى كتف نادين في اتجاه الحمام، وهي الأخرى تتأرجح في خطواتها، ولا تحتمل ثقل زميلتها على كتفها، فأسرعت إلى مساعدة نادين، وقلت لها:

- حاسبى.. أنا أساعدها.

وقبيل دخول الحمام، أغمى على مايسة بين يدي، فصرخت:

- يا نهار أسود!! دى أفورِت!! مش قلت لك يا رامى!!

وفى الثانية نفسها، أغمى على نادين، ووقعت على الكنبة، وأصبح معنا جنتان، واحدة فى حالة إغماء كاملة.. وفاصلة تمامًا.. والثانية ملقاة على الكنبة بتخرف، ولم نفهم كلمة واحدة مما تقوله.. وبدأت ألف وأدور حول نفسى، وسألت رامى قائلاً:

- نعمل إيه يا رامى فى المصيبة دى؟ يارب عذِّبنا لنا على خير.

- نشربهم مئة بسكر؟

- ميه بسكر إيه بس!! هما مساطيل!!

وبدأت أرش الماء المثلج على وجه مايسة.. وجاء رد الفعل ضعيفاً،

فقلت:

- الحمد لله.. عايشة.. بس أنا خايف أحسن يموتوا.

وشعرت أن الخوف يتصبَّب من أطراف أصابعى.. دمت "تشف"..

وحاولت مرة أخرى بالماء المثلج، ورش الكولونيا، واسترجعت معلوماتى فى الإسعافات الأولية، مثل: إجراء تدليك القلب، ومحاولات التنفس، وقبله الحياة، والضرب على الوجنتين، ورش المزيد من الماء المثلج والكولونيا..

ناديت رامى بأعلى صوتى، وجاءنى فوراً، وقلت له:

- تعال يا رامى.. إنت فين يا أخى؟ خليك مع نادين.. حاول تفوِّءها.. كفاية واحدة تأفوز.. وتموت منا.

- أنا ضربت يا معلم.. ودى سبرنجتك.

- ده وقت ضرب؟! مش عايز أضرب.. شوف نادين أحسن تكون أقورت هي  
كمان.

وسيطر على الرعب إلى أقصى درجة.. رشيت على مايسة المياه  
والكولونيا.. وأخيراً بدأت تفتح عينيها.. وسمعت صوت نادين الضعيف يسألنا:  
- إحنا فين؟! مايسة فين؟! هو إيه اللي حصل!؟

وتمر دقائق.. تفتح إحداهما عينيها، وتعود في غيبوبة من جديد، وهكذا  
مع الأخرى ونحاول نحن إفاقتهم بكل الوسائل.. وظل الحال على هذا المنوال  
حتى الساعة الحادية عشرة. وأخيراً وقفت نادين على رجليها، وبعد ساعة وكأنها  
الدهر كله، وقفت مايسة.. نعم، معهما سيارة، إنما من المستحيل قيادة السيارة  
بهذه الحالة.. وكان سترًا من الله أن أهل رامى سافروا إلى الغردقة، وإلا كنا  
سنواجه فضيحة كبرى.. والحل المثالي الوحيد تركهما تتامان حتى الصباح..  
وليحدث ما يحدث.. ولم تكن تمر سوى دقائق معدودة إلا وأدخل لأراهما  
واطمئن أنهما ينتفسان.. وأنتفس أنا الصُّغداء، وقلتُ لصاحبي:  
- يا رامى هات السَّرْجَة.. البنيتين دول فواؤنى.

وبعد أن ضرب لى، لأننى لم أكن أعرف كيف أضرب لنفسي حتى ذلك  
الوقت، جلسنا معًا فى البلكونة نسمع الموسيقى، بين النوم والصحيان.. وحوالى  
الساعة الثانية قررت إيقاظهما من النوم:

- باللاً إصحوا.. حرام عليكم إيه اللي عمَلْتوه فينا ده؟  
سألت نادين:

- هي الساعة كام؟

- الساعة اتنين.

وتساءلت مايسة:

- إحنا مارَوْحناش بيتنا؟

- لا.. رَوَّحْتُوا ورجعتوا تانى.. طبعاً مارَوَّحْتُوش، تروحوا إزاي وانتم فى الحالة دى؟!
  - إحنا لازم نقوم.. بس يا مایسة أنا مش قادرة.
  - ولا أنا.. لكن دُول هَيَقْلَقُوا عَلینَا أوى.
  - مش مهم.. ننام، وبكره نفكر فى أى فيلم.
  - ونامت كلتاهما فى أقل من ثانية.. وقلت لرامى:
  - بِاقُولُكَ إيه يا ريكو.. أنا كمان هانام هنا.. وبكره نَخَلِّص من البنيتين دُول..
  - يِرَوَّحُوا.. دُول كانوا هَيَلْبَسُونَا أُسود.
  - لا.. مِخَطُّط وَأَنتَ الصَادِق.
  - الحمد لله يارب.. ربنا سَتَرَهَا فعلاً.. يوم غصيب ومر.

## عيون قارىء

## المأساة الأولى

استيقظت، واستيقظ صديقي رامى أيضاً حوالى الساعة الواحدة ظهراً، ولم نجدهما.. ولا ندرى متى وكيف خرجت الفتاتان.. ولم نرهما مرة أخرى.. ولم نكن نريد رؤيتهما، فقد مررنا بتجربة خطيرة وقاسية، ونحمد الله أنها مرت على خير.

ومنذ عودتى من رحلة أمريكا الأخيرة، كنت أشعر أن هناك تصرفات غير عادية من راندا.. لم تكن هي راندا التى أعرفها.. الابتسامة مختلفة.. بها انكسار غير مفهوم، وكأنها تخفى خطأ ما.. وسألتها عشر مرات وأكثر:

- فيه حاجة يا راندا؟ إنت متغيرة.

- لا مفيش.. هيكون فيه إيه يعنى؟

- متأكدة!؟

- طبعاً متأكدة.

واتفقت مع راندا أن أمر عليها فى الجامعة الساعة الواحدة، وأخذها معى إلى بيت رامى، فأهله فى الغردقة، وأردت أن أعطيها شنطة كاملة مليئة بالهدايا، وملابس أنيقة من أرقى بيوت الأزياء وكلها آخر صيحة. وصلت قبل موعدى بساعة.. وكانت الساعة وقتها الثانية عشرة.. كان عند راندا محاضرة حتى الساعة الواحدة، فالتقيت بأصحابى.. واستقبلتنى الشلة كلها بحرارة.. اقترب منى مصطفى وطلب منى أن ننفرد معاً فى جلسة خاصة، ولم أستطع إخفاء قلقي، وسألته:

- خير يا مصطفى!؟ فيه إيه؟

- أنا عايزك فى موضوع.. تعال بعيد شوية.. بَصْ يا صلاح.. إنت عارف، أنا بحبك أد إيه.

- طبعًا يا ابنى.. إحنا إخوات.

- علشان كده أنا مضطر أقول لك ومن غير لف ودوران، راندا من عشر ايام كانت مع أسامة فى "كوفى شوب" فى الزمالك.. وفى اليوم ده كنت خارج مع سماح، وقلت لها تعالي يا راندا نتغدى سوا، واعتذرت لأنها عايزة تروّح بذرى.. المهم أنا وسماح رُحنا نفس "الكوفى شوب"، وفوجئنا بأنها هناك مع أسامة، والقاعدة مريحتيش.

- أسامة مين؟

- الولد التخين، اللي دمه خفيف.. لما تشوفه هتعرّفه.

- وبغدين؟

- طبعًا هي اتخضت واترعبت لما شأفتنا وماعرفتش تعمل إيه.. وطبعًا لأننا إحنا اللي داخلين المكان، فرحنا نسلم.. وهو قال لنا: إتفضلوا.. اقعّدوا معانا، اقعّد يا درش.. قلت له: لأ نسيبكم تقعدوا لوحدكم.. دا أنا لسه كنت مقابل راندا فى الجامعة، وقلت لها تيجى معانا، فقالت لى لأ، علشان لازم تروّح بذرى.

- أنا فعلاً كنت ها أروّح بذرى، بس أسامة قال إنه عاوزنى فى موضوع مهم، فجيناً مع بعض نتكلم شوية.

- وبغدين يا مصطفى؟

- رتيت وقلت: طيب نسيبكم تتكلموا فى الموضوع المهم.. وسماح ما قالتش ولا كلمة، وقعدنا فى ترابيزة بعيدة شوية، وبعد عشر دقائق، راندا جت لنا وقالت: أنا عاوزاك يا سماح دقيقة واحدة، ولما رجعت سماح حكيت لى الحوار، وأنها جلفت وأقسمت أن مفيش أى حاجة بينها وبين أسامة.

- وسماح قالت لها إيه؟



- قالت لها ده موضوع يَخُصُّكَ، وما يَخُصُّ حد فينا.. وبعدين راندا قالت لها: طبعًا مصطفى هيقول لصلاح؟! فقالت لها سماح: إنكلمى مع مصطفى واتفاهمى معاه.

- وراندا كلمتك؟

- أيوه.. جت كلمتى من يومين، وكلامها يخش العقل، بس برضه هي غلطانة.. دى مافيهاش فِصال.. أنا ماكنتش ناوى أقول لك.. وقلت لها إنى مش ها أقول لك، بس بشرط هي تحكى لك.. بس الواضح إنك ما عرفتش، وبينى وبينك الجامعة كلها عرفت القصة.. إنت عارف.. سماح ما تتوصاش.

- تصدق يا مصطفى.. أنا كان قلبى حاسس إن فيه حاجة غلط.. أحكى لك حاجة مش هتصدقها.. وأنا فى أمريكا، شفت كام بدلة خطوبة وكانوا عشرة على عشرة، وبصيت فى المرايا، وإحساسى قال لى إن فيه حاجة غلط، وساعتها قلت لرامى أنا مش ها أتجوز راندا.. ومأ اشتريت البدلة.

- يا ترى أنا غلطان إنى قلت لك؟

- لأ طبعًا يا مصطفى.. وعلى العموم كأنك ما قلتش حاجة.. وأنا ها أتصرف.. كذا راندا تاخذ السكّة.. انتهى الموضوع.

رجعنا نقعد مع الشلة، وكنت فى حالة ذهول، وشعرت أنهم جميعًا

ينظرون لى نظرة معناها:

- يا حرام.. ضحكيت عليه.

وجاءت راندا الساعة الواحدة، ومن بعيد رفعت يدها بتحية السلام على

الجميع، وأخذتها إلى السيارة، ودارت الموسيقى، ولم أنطق بكلمة واحدة، فسألتنى:

- أخبارك إيه؟

- زهقان شوية.. بصراحة نفسى أعيش فى أمريكا.

- قالت لها ده موضوع يَخُصُّكَ، وما يَخُصُّ حد فينا.. وبعدين راندا قالت لها: طبعا مصطفى هيقول لصلاح؟! فقالت لها سماح: إتكلّمى مع مصطفى واتفاهمى معاه.

- وراندا كلمتك؟

- أيوه.. جت كلمتى من يومين، وكلامها يخش العقل، بس برضه هي غلطانة.. دى مافيهاش فصال.. أنا ماكننّش ناوى أقول لك.. وقلت لها إنى مش ها أقول لك، بس بشرط هي تحكى لك.. بس الواضح إنك ما عرفتش، وبينى وبينك الجامعة كلها عرفت القصة.. إنت عارف.. سماح ما تتوصاش.

- تصدق يا مصطفى.. أنا كان قلبى حاسس إن فيه حاجة غلط.. أحكى لك حاجة مش هتصدقها.. وأنا فى أمريكا، شفت كام بدلة خطوبة وكانوا عشرة على عشرة، وبصّيت فى المرايا، وإحساسى قال لى إن فيه حاجة غلط، وساعتها قلت لرامى أنا مش ها أتجوّز راندا.. وما اشتريتش البدلة.

- يا ترى أنا غلطان إنى قلت لك؟

- لأ طبعا يا مصطفى.. وعلى العموم كأنك ما قلنّش حاجة.. وأنا ها اتصرف.. كذا راندا تاخذ السكّة.. انتهى الموضوع.

رجعنا نقعد مع الشلة، وكنت فى حالة ذهول، وشعرت أنهم جميعا

ينظرون لى نظرة معناها:

- يا حرام.. ضحكيت عليه.

وجاءت راندا الساعة الواحدة، ومن بعيد رفعت يدها بتحية السلام على الجميع، وأخذتها إلى السيارة، ودارت الموسيقى، ولم أنطق بكلمة واحدة، فسألتنى:

- أخبارك إيه؟

- زهقان شوية.. بصراحة نفسى أعيش فى أمريكا.

- ياريت.
- باى يا رامى .. باى يا صلاح.
- فتحتُ شنطةَ السيارة وأخرجتُ منها حقيبةَ راندا، وقلت لها أن تنادى البواب ليساعدها، ويطلع معها بيتها.. ونادت البواب، وقالت لى:
- مرسيه يا صلاح.. مش عارفة أقول لك إيه؟ أنا بجد بحبك أوى.
- وأنا كمان.
- أخرجت الورقة الصغيرة من جيبى وأعطيتها لها قائلاً:
- إفتحها لما تطلع البيت.
- فيها إيه الورقة دى؟
- دى فاتورة حساب اللبس اللي جبتھولك.. إنت فاكرة إنه ببلاش واللاً إيه؟
- باللا اطلعى.

- لم تفهم كلامى جد أم مداعبة و"هزار" .. وقالت:
- كلمنى يا صلاح.. ما تطنشنيش.
- طبعاً ها اكلّمك .. (وكأنى أقول لها: طبعاً مش ها اكلّمك).
- باللا بينا يا ريكو على أم سيد.
- حاضر!! مالك!! إنت مش طبيعى النهارده!! هو فيه إيه؟! وفي الطريق حكيت له القصة.. ووصلنا عند أم سيد..
- الباب مفتوح.. يعنى مفيش شغل.
- يعنى إيه مفيش شغل؟! إيه العكنة ده؟ طيب اسأل الشغل جاى إمتى؟! أو الأحسن.. أنزل أنا وأشوف إيه النظام.
- عرفت وفهمت إن الحكومة تراقب المكان بإحكام.
- طيب يا صلاح ولا يهملك، نروح نجيب من بولاق.
- بولاق إيه؟ مفيش زى بؤذرة أم سيد.
- أنا سمعت من بونو إن فى بولاق دُولاب جديد، فيه شغل سم.

- صحيح.. طمّنى.. هو بونو عامل إيه دلوقت؟

- خربها وبيضرب كثير جدًا.

- أووف.. أنا خايف عليه.

ولن أنسى كيف مرت بنا أحداث الأمن المركزي.. حقًا لم أتوقف كثيرًا عند أسبابها، ولم أهتم بتحليل دوافعها أو نتائجها.. فقط كنت أراقب المظاهرات وأحداث الشغب من بعيد، فصدرت قرارات حظر التجول بطول البلاد وعرضها.

وفى تلك الأيام، كُنّا أسعد ناس.. وكأنا نملك القاهرة.. نتجول فى شوارعها بسيارة صديق والد رامى، وهو من الشخصيات المرموقة، وكان قد سافر فى مهمة، ولديه تصريح خاص، يمكنه التحرك بالسيارة فى كل الظروف، بالإضافة إلى أن والد رامى كان لواء، وكان رامى معه "كارنيه" يساعد فى حل مواقف كثيرة، وذات مساء واجهتنا لجنة وسألنا أحد ضباطها:

- على فين يا رجّاله؟

أجبت:

- معانا تصريح يا افندم؟ تجب تشوفه؟ ومعانا رُوشته علشان نشترى دواء من صيدلية الإسعاف.

- اتفضلوا.. وعلى مهلكم.

أيام الحظر كانت مختلفة، وجميلة بالنسبة لنا.. نخرج كما يحلو لنا فى كل الأوقات، ونتجول فى كل مكان.. الهدوء الشامل يسود الشوارع الخالية من المارة ومن السيارات.. نقضى ليالينا فى أحد الفنادق الكبرى على البار نستمع إلى مغنية تعزف على البيانو، وكل واحد يشرب 7 أو 8 كاسات "دوبل".. ويحيينا البار باثنين من عنده.

وذات ليلة قررنا أن نذهب إلى غرزة فى مصر القديمة، ولم نجد أحدًا هناك.. نحن فقط!!! ياسلام.. ضرب بمزاج، عالٍ جدًا، وكل واحد منا فى خدمته

واحد من الصبيان، والمعلم من حين إلى آخر يوجّه تحيته إلينا بدرج، ثم "بِسِينَة" أفيون.. وفي يوم نضرب بودرة، ونقضى اليوم في نادٍ من الأندية.. ولا أحد غيرنا في الشوارع.

يا سلام.. لو أن حالة حظر التجوال تستمر طويلاً!! أكيد سوف نشعر بأننا من أسعد الناس في الدنيا.. إحساسنا بأننا بمفردنا في الفنادق أو في النادي أو في الشارع.. إحساس جميل لم نمر به من قبل.. إحساس جعلنا نتصور أننا من أقوى أو أهم الناس في البلد.

نرّجع إلى موضوع راندا التي قررتُ ألا أكلها مرة أخرى.. لقد انهارت تمامًا.. ظلت تبحث عني في كل مكان أتردد عليه، ولم تكن مَحْظُوظة لأيام وأيام، لأنني، وبالصدفة العجيبة، لم أتواجد أبدًا في الأماكن التي تعرفها، وسألت عني فيها.. واستطاعت أخيرًا أن تدبر كمينًا، وظلت تنتظرني ساعات طويلة بالقرب من بيتي، وعندما رأتني أتجه للسيارة، انطلقت من مكانها كالقذيفة، ووقفت في طريقي قائلة:

- ممكن أركب؟

- طبعًا ممكن.

دخلت السيارة بسرعة مذهلة، وقبل أن تستقر في مكانها، قالت:

- بجد.. أنا كنت ها احكى لك، بس أنت مادنتيش أي فرصة.

- بأقول لك إيه يا راندا، بلاش شغل الأفلام ده وهاتى من الآخر.. إنت عايزه إيه؟

- عايزة يا صلاح أشرح لك اللي حصل.. حاول تسمعني.. حاول تفهمني.

- أنا مش عايز أفهم الموضوع خالص، وعلى رأى بهاء.. صفّر الحكم.. إنت كمان بتعيطي!؟

- صدقتي والله أنا كنت ها أقول لك.. بس إنت كنت لسه جاي من السفر ومش عاوزه أزعلك.

- خَلَّيْتِنِي قُرْطَاس فِي الْجَامِعَةِ.. سَأَلْتِكَ 100 مَرَّةً فِيهِ حَاجَةٌ يَا رَانِدَا؟ اَسْمَعِي..  
 أَنَا مِشْ عَاوَزِكِ.. وَلَا عَاوَزِ أَفْهَمُ.. وَأَنْزَلِي مِنَ الْعَرَبِيَّةِ قَبْلَ مَا أَتَجَنَّنُ عَلَيْكِ.
- أَتَجَنَّنُ عَلَيَّ.. أَنَا مِشْ هَا أَنْزَلِ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ.
- خَلَّاص.. هَا أَنْزَلِ أَنَا.
- أَوْقَفْتَ السَّيَّارَةَ.. نَزَلْتَ وَظَلْتَ هِيَ فِي مَكَانِهَا فِي السَّيَّارَةَ.. ثُمَّ أَشْرَتَ  
 إِلَى تَاكْسِي قَائِلًا:  
 - الْمَهْنَدِسِينَ.
- وَلَمْ أَجِدْ رِيكُو فِي بَيْتِهِ، وَلَمْ أَجِدْ مِيدُو أَيْضًا.. وَقَفْتُ حَائِرًا أَمَامَ بَابِ بَيْتِهِ.  
 أَكَلِمَ نَفْسِي قَائِلًا:  
 - دَا إِيهِ الْغَلْبُ ذَه؟ أَرْجِعْ بَيْتِي.
- عَدْتُ.. وَكُنْتُ فِي قِمَّةِ الْغَضَبِ وَالضِّيْقِ، وَفِي النَّاحِيَةِ الْآخَرَى مِنَ  
 الشَّارِعِ، لَمَحَتْ حَسَامٌ يَقِفُ حَائِرًا.. مَتَوْتِرًا.. وَيَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ عَلَى  
 مَوْعِدٍ مَهْمٍ، وَيَنْتَظِرُ شَخْصًا مَا فِي لَهْفَةٍ، وَعِنْدَمَا رَأَيْتِي، أَسْرَعَ إِلَيَّ قَائِلًا:  
 - حَمْدُ اللَّهِ عَلَى السَّلَامَةِ.. يَا عَمَّ، جِيتَ مِنْ أَمْرِيكَ، وَلَا ظَهَرْتَ وَلَا سَأَلْتِ!!  
 - يَا عَمَّ إِنَّتِ اللَّيِّ مَخْتَفَى عَلَى طُولِ، وَعَرَبِيَّتِكَ مِشْ فِي الْجَرَّاجِ لِيهِ؟! إِنَّتِ شَكْلُكَ  
 مِيسْتَنِّي حَد.
- مِيسْتَنِّي دَعَاءً.. رَاحَتْ تَجِيبُ بُوْدَرَةَ مِنْ "بُولَاق".. سَاعَتَيْنِ وَلَسَهُ مَارِجِعْتَشْ..  
 مِشْ عَارِفٌ بِتَعْمَلُ إِيهِ دَا كَلَهُ..  
 رَأَيْنَا دَعَاءَ قَادِمَةً وَهِيَ تَبْتَسِمُ..  
 - أَهِي وَصَلَتْ.. شَفَّتْ وَشَى حَلُو إِزَاي؟  
 - بِيَقَى أَكِيدُ جَابِتِ الشُّغْلِ.  
 وَأَسْرَعَ إِلَيْهَا قَائِلًا:  
 - إِنَّتِ فِينِ يَا "حَيَوَانَةَ"؟

- مَأْكُنْش فِيهِ شُغْل، وَقَعَدْتِ مَعَ أُمِّ نَادِيَةٍ لِغَايَةِ لَمَّا الشُّغْلُ جِهَةً وَقَطَعْتَهُ، دِي كَانَتْ مَشْ عَاوِزَةٌ تَطْلَعُ الشُّغْلَ النَّهَارِ دَه.. قَالَ إِيه، بَكْرَه.
- يَا سَلَام.. إِرْكَبْ يَا صِلَاح.. طَبْعًا إِنْتَ عَايِزٌ تَضْرِبُ.
- كَلَّكَ نَظَرَ يَا مُعَلِّم.
- جِبْتِي أَدِ إِيه يَا دَعَاءُ؟
- رُبْعُ جِرَامٍ أَصْلِي.
- مُعَلِّمَةٌ.. تَرَبِّيتِي بِصَحِيحٍ.
- أَنَا قَعَدْتِ مَعَهَا سَاعَةً، إِنْصَاحِينَا وَبَقِينَا حَبَايِبُ، فَعَمَلْتِ مَعَايَا وَاجِبُ.
- إِنْتَ مَحْظُوظٌ يَا صِلَاح.. يَاللَّا بَيْنَا عَلَى أَقْرَبِ صَيْدَلِيَّةِ.
- اشْتَرَيْتِ 6 سَرْنَجَاتٍ، وَعَمَلْتِ حَسَامَ ثَلَاثِ سَرْنَجَاتٍ مُحْتَرَمَةً، وَثَلَاثَةَ لِلتَّعْلِيَّةِ.. ضَرَبْنَا.. وَبَعْدَ جَلْسَةِ ذُرْدُشَةٍ قَلْتِ لِحَسَامِ:
- وَصَلْتِنِي عِنْدَ عَرَبِيَّتِي.
- مَا تَقْعِدِ مَعَانَا شُوِيَّةَ.. هُوَ إِنْتَ دَائِمًا كَدِهْ تَضْرِبُ وَتَخْلَعُ!؟
- الْمَرَّةُ دِي قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ، عَرَبِيَّتِي عِنْدَ جَنِينَةِ الْأَسْمَاكِ.. أَصْلُ أَنَا اتَّخَانَقْتُ مَعَ رَانْدَا، وَنَزَلْتُ وَسَيَّبْتَهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَأَخَذْتُ تَاكْسِي.
- وَهِيَ رَانْدَا رَاحَتْ فِينِ!؟
- وَلَا أَعْرِفُ.. سَيَّبْتَهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَأَخَذْتُ تَاكْسِي.
- وَعِنْدَمَا وَصَلْتِنِي حَسَامٌ إِلَى عَرَبِيَّتِي، كَانَتْ الْمَفَاجَأَةُ أَنْ أَجِدُ رَانْدَا لَا تَزَالُ تَجْلِسُ فِي السَّيَّارَةِ.. أَذْهَلْتِنِي الْمَوْقِفَ فَقَلْتِ:
- يَا نَهَارَ أَبْيَضٍ!! ثَلَاثَ سَاعَاتٍ قَاعُدَةُ فِي الْعَرَبِيَّةِ!!
- وَبِأَسْلُوبِ الْبَنَاتِ، وَدُونَ أَنْ تَفْهَمَ الْمَوْضُوعَ، قَالَتْ لِي دَعَاءُ:
- خَلِي عِنْدَكَ دَمٌ وَصَالِحَهَا.

وَتَأْتُرُ حَسَامٌ مِنْ مَوْقِفِهَا، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ الْبُودِرَةَ تَجْعَلُنَا نَشْعُرُ بِالتَّعَاطُفِ وَالْحَنَانِ.. وَبِصِرَاحَةٍ.. كُنْتُ قَدْ افْتَقَدْتُ رَانْدَا كَثِيرًا، وَأَسْرَعْتُ بِالخُرُوجِ مِنْ

السيارة وأخذت السَّرْنَجَة الثانية معى فى جيب الجاكت، ودخلت سيارتى وقلت لها:

- بأقول لك ايه يا راندا.. مش عايز أتكلم فى موضوع أسامه نهائى، أو أنزل وأسيب العربية مرة ثانية.

- بلاش.. بسْ علشان خَاطِرَى مَاتَسِيْبِنِيْش.. أنا بحبِّك يا صلاح.. إنتَ كل حياتى.

أخذتها إلى بيت رامى.. الذى استقبلنا بابتسامة هادئة، وقلت له همساً:

- خذِ السرنجة دى وإنزل.

- مين دى؟

- من أم نادية.

- مين أم نادية دى؟

- الأم المثالية!!

- مين بجد؟

- دُولاب فى روض الفرج.

- أنتَ وصلت لِرُوض الفرج؟

- ياريت يا ريكو.. ده حسام، واحد من جيرانى الضَّرِيْبَة.

دخل رامى الحمام، ضَرِبَ السرنجة ونزل.. وكانت الجلسة مع راندا عاطفية على مدار أربع ساعات من الحب والحنان والدلع.. المهم، أخذتها إلى بيتها، وفى أعماقى كنت أعرف جيداً أن قِصَّتَى معها قَدْ انتهت.

وكانت مريم البريئة لاتزال فى حياتى.. وكل ما تفعله فى حياتها هو البَحْث عَنى، وكل ما يَشْغُلُهَا أن تُسْعِدَنى.. غَمَرْتَنى بالهدايا، وكُروت جميلة، ومفاجآت لا أول لها ولا آخر: بعثت لى فى عيد ميلادى ورودا بلا عدد، وميدالية مفاتيح من الذهب بمناسبة شراء السيارة الجديدة، بالإضافة إلى نظارات بموديلات مختلفة، وساعة وأكثر من ولّاعة.



بصراحة.. أذهنتنى كثيراً بهداياها غالية الثمن، من أين تأتى بكل هذه الأموال؟! إنها تتفق كل مليم تدخره على الهدايا التى تغمرنى بها.. لقد كنت محور حياتها، ومحور تفكيرها.. وأهم إنسان بالنسبة لها فى الدنيا كلها.. والحق، لم أر فى حياتى أحداً من الناس يتفانى فى حب إنسان بهذه الدرجة.. وكان يكفيها أن نخرج معاً ساعة واحدة كل أسبوع، والاتصال بها تليفونياً من حين إلى آخر، فهى دائماً لا تجدنى.. وفى المقابل، كنت دائماً مع راندا أو أصدقائى.. حقيقة الأمر، كانت مريم تشعر بأن هناك شيئاً ما خطأ وخطراً فى حياتى، ولم تفتح معى أبداً حواراً حول الحشيش أو البودرة.. تخشى أن أغضب ولا أكلمها.. فكانت تسمع أحاديث من الأصدقاء وتتفرج، وتسكت، وكأنها تقول لنفسها: يعمل اللى هو عايزه، بس مآ يبعدهش عنى.

مرت الأيام، وتجاوزت البلاد أحداث الأمن المركزى، واستمر الحال على ما هو عليه.. يوم ضرب مع ريكو، يوم مع زونى وميدو، يوم مع شلة راندا، ويوم مع بهاء، ومثله مع حسام، أو شريف الذى يظهر فجأة!! وكما يظهر فجأة، يختفى فجأة.. وظل فتحنى يبحث عنى ويلاحقنى ويسألنى:

- إمتى يا صلاح نيتدى المذاكرة!؟

- أول الشهر الجاى.

ويستمر فى الملاحقة، والإلحاح، فقلت له فى نهاية الأمر:

- فى شهر مارس يا فتحنى.

ويدير الوالد الأسطوانة، ويومياً أنال قسناً من التأنيب:

- مش بتحضر فى الكلية، وتصحى كل يوم الساعة اتنين.. وطبعاً مآ أشرتس الكتب رغم إنك أخذت تمنها ثلاث مرات.

وكنت أقول لنفسى: حاجة غريبة جداً!! يعنى بعد ست سنوات فى الكلية،

والآن فى السنة الرابعة ويطالبنى أن أحضر المحاضرات بانتظام؟! طيب

"إزاي؟! كيف بالله عليك يا والدى العزيز؟ ولماذا فى هذا العام بالذات أشرتى

الكتب؟ لم يحدث أبداً أن اشتريت كتاباً واحداً منذ دخلت الجامعة، وحتى أتخلص من هذا التائب والالحاح، أحضرت فتحي إلى البيت وقلت له:

- يا أقولك إيه يا فتحي.. سيبنى أخرج وما تُخَنَّقِيش.. وأنتَ نَظَمَ الأوراق والمحاضرات ومالكش دَعْوَةَ بِيَّه.. وبعدين إنتَ السنة اللي فانتَ عمَّالَ تَحَضَّرَ المحاضرات كلها، وتذاكر، وتصور ورق، وتشتري ملازم وعامل لى فيها أبو العريف، وفى الآخر تجيب لى مقبول، وأنا ذاكرت شهرين بس وجبت جيد.. إنتَ يا فتحي لازم تشد شوية.

فتحي سمع الكلمتين، وسكت تماماً.. إنه حقاً شىء غريب، وكلامى يبدو كأنه منطقى.

وفى يوم، خرجت مع حسام لضرب، وقلت له:

- علمنى أضرب لنفسى.. ساعات أحب أضرب ومعرفش أعمل إيه.. يعنى أروح أقول لبابا يضرب لى واللا إيه؟!!!

حقيقة الأمر أن يد حسام خفيفة، "تتلف" فى حرير.. يعطينى الحقنة ولا أشعر بأى شىء.. وقد علمنى كيفية أخذ الحقنة.

كان الوريد يبدو واضحاً، ومكشوفاً للعيان.. أنه يستخدم كثيراً فى ضرب الحقن.. كنت دائماً فى حالة خوف ورعب.. كان الخوف يتسبب من أطراف أصابعى من اكتشاف أمرى.. فاضطرت أن أختار الملابس التى تغطى مكان الضرب، والموضة فى ذلك الحين كانت الملابس الواسعة الفضفاضة.. إذا المشكلة لها حل.. وبسبب إلحاح فتحي فى أن أظل فى البيت للمذاكرة، اتفقت مع حسام على إحضار البونزة ووضعها تحت الدواسة أمام الباب، وفى الموعد المحدد، أفتح الباب وأخذ الورقة، وفى دولابى أكياس السرنجات، والليمون فى الثلاجة.

وآه لو لم أجد ليمونة، أثور وأعمل مشكلة:

- مفيش لمون ليه؟ أنا قلت للمون، أهم حاجة فى البيت.

ولم يكن أحد في البيت يفهم لهذا سببًا أو تفسيرًا، وهذه المشكلة يسهل حلها بالتليفون.. أكلّم حسام وأطلب منه أن يشتري لى الليمون.. ولا يتردد.. وفي رأيه طالما توافرت النقود، إذا كل مشكلة لها حل.. وفي آخر مارس، أخذت القرار: سأتوقف عن الضرب.. العجيب والمدهش أنني أمتلك الإرادة القوية، وما زال في أعماقي قدر ما من الإحساس بالمسئولية.. وقد كان.. توقفت فعلاً عن الضرب، حتى أبدأ المذاكرة بجدية، وأتدبر الأمر جيدًا.

وعدت مرة أخرى أشرب "جوينتين" ليلاً بعد الانتهاء من المذاكرة، واستعدت شهيتي لتناول الطعام، بعد أن كنت قد فقدتها تمامًا، وكان وزني لا يزيد عن وزن فتى في الخامسة عشرة من عمره.. وشكلي ضعيف.. والسبب هو الضرب.. كنت أكل كميات قليلة، وفوق هذا وذاك أتقيأ ما أكله، وموضة الملابس الواسعة أنقذت الموقف قليلاً، إذ لم يكن الضعف والهزال واضحًا كحقيقته.

ذاكرت بكل همة وزيمة ساعات طويلة، وأدّيت الامتحانات، وشعرت أنني بذلت كل ما أستطيع من جهد.. وسافر فتحي إلى قريته.. وعدت إلى أصدقائي مرة أخرى.

نبدأ بحسام الذي ظهرت عليه مظاهر الضرب، ملابسه رثة.. فقد وزنه وصحته.. يمشى شاردًا.. سيارته في حالة دمار شامل.. وأصبح حديث الناس والجيران والأصدقاء.

وأكثر الأحداث إيلاّمًا، كانت وفاة والد بونو، وقد ورث مبلغًا كبيرًا، مما جعله يضرب كل يوم، وأحيانًا مرتين أو ثلاثًا في اليوم الواحد.

ولم يعد ريكو يلعب حديد.. وركن الجيتار جانبًا.. ولم يعد أيضًا أنيقًا أو وسيمًا كما كان، وسيارته الـ"بى إم دبليو" لم تعد جديدة، فالموقف تغير تمامًا.. مسألة واضحة وصريحة.

واستمر ميدو ملازمًا في البيت ومعه حسين، ومن حين إلى آخر يخرج معي أو مع ريكو، ويعود سريعًا، وتسبب بونو في التوتر الشديد، فقد بدأ علاء يشعر بالقلق؛ بسبب صداقته مع ميدو، ويثور بحدة إذا خرج معه، قائلاً له: - بهاء مُدْمَن، وآخرته سُودا.. عايز تبقى زيّه؟ صاحبك آه.. يشوفك في البيت على عيني وراسي، إنما تُخْرَجُوا سوا، وتروحوا تضربوا، أو تَتَمَسِكُوا، وَيَتَقَبِضُنْ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ بَتَشْتَرُوا، لا.. ولا.. ولا.

ويدافع ميدو عن صديقه بهاء قائلاً:

- بهاء مش مدمن، هو بس بيحب الضرب زيادة شوية.

يرد علاء بسخرية لأذعة:

- ودخل المستشفى مرتين بيتفسح فيها.. صح؟!!

واستطاع زُونِي أن يتحكم في الموضوع بعد كارثة البركينول، وعلى

الأكثر نفسين وزجاجتي بييرة.. ويكتفى بهذا قائلاً:

- حلوين على كده.

ساعدته صديقته نيفين على الاستمرار في ضبط النفس، والحق يقال إن

تركيزها معاه كان عاليًا جدًا، ولا تكف عن الأسئلة: على فين؟ وراجع إمتي؟

ومع مين؟ ومن تعليماتها الواضحة:

- مَاتَخْرُجْشْ مع بهاء أو رامي أو صلاح.. كفاية بتشوفهم عند ميدو.

إن موضوع البركينول لم يمر بسهولة، وأعتقد أن بهاء وحده هو الذي

تحمل مسؤوليته كاملة.. تدهور حالة بهاء وسوء تصرفاته جعلته صاحب سمعة

سيئة في المهندسين، وبالأخص في شارع شهاب.. وبسبب الميراث والأموال

الطائلة، توافرت البودرة مع بهاء بصفة مستمرة.. ولكن العثور عليه لم يكن

سهلاً.. فكنا نعرف مصادفةً أنه اشترى بودرة وسافر إلى الإسكندرية، ثم سافر

إلى شرم الشيخ أو الغردقة.. والحق يقال.. كلما قابلته وطلبت منه بودرة،

لم يكن يبخل، ولم يطلب منى ثمنها أبداً.. ولم أكن أحتاج إلا قليلاً، إذ يكفيني نصف سنتيمتر أو أكثر قليلاً لتحقيق أحسن نتيجة، وأقوى دماغ.

وحاولت شخصياً المحافظة على لياقتي كاملة.. سيارتي في حالة ممتازة، وسلسلة مفاتيحها من الذهب، ملابس أنيقة والساعة أيضاً، والنظارة آخر صيحة، وعندى أكثر من صديقة؛ فالمظهر العام لا بأس به، ومقبول من الجميع.

ظهرت النتيجة، والنجاح بتقدير جيد، الذى أذهل الجميع.. وأصبحت فى انتظار التجنيد، وبالتالي لم تبدأ أنغام أسطوانة البحث عن عمل.. لقد نجحت، وتخرجت فى الجامعة، ليس مطلوباً منى أكثر من هذا.

وفى تلك الفترة عرفت أكثر من دولاب: أم سيد، الحنش، أنسى، أم نادية، وحسونة.. وغيرهم.. بخلاف الشباب الذين يسافرون السويس.. يشترون من هناك ويبيعون لنا.. وهكذا يحصلون على حقهم فى الضرب، ففى تلك الأيام، انتشرت البؤرة بصورة مخيفة.. ازداد عدد الذين يضربون، وبعضهم لم يكن يُكثّر من الضرب، وتغير حاله، وأصبح يضرب كثيراً وكل يوم.. ولم يعد الموضوع خافياً على أحد فى البلاد، الصحف اليومية، والمجلات، والتلفزيون.. كل وسائل الإعلام تناقش: من هو المدمن؟!

اختفى حسام تماماً، وسيارته ليس لها أثر.. ربما باعها، وكلما سألت عنه لا أجده.. خرج.. لم يعد.. الأمر غريب ومريب، إلى أن قابلته مصادفة، لقد فقد أكثر من نصف وزنه، وشكله ضريب، واضح وصريح، وسألته:

- إنتَ فين يا حسام؟ مُختفى فين؟

- أصل أنا مشيت من البيت، وأخذت شقة مع دعاء فى مصر الجديدة.

- فين فى مصر الجديدة؟

- فى ميدان الحجاز.. خد نمرة التلفون وكلمنى.

- وأخبار الضرب إيه؟

- وأخبار الفلوس إيه؟

- لغة جديدة دى يا حسام!!
- ما أنا قلت لك يا صلاح.. مشيت من البيت، وقَعَدت مع دعاء، وطبعًا مصاريف كثيرة.. الإيجار.. دا غير الضرب.
- الورقة بكام؟
- بخمسين جنيه.
- معاك؟!
- لا.. معايا فى مصر الجديدة، إطلع ورايا بعربيتك، وبالمرّة تَعْرِف البيت.
- ها هي المفاجأة: حسام فتح دُولاب مع دعاء، وكان اعتماده على أصحابه فى مصر الجديدة، وكل صاحب يُعَرِّفه بصديق آخر.. وأصبح للمكان زبائن بلا عدد.. وعندما دخلنا البيت وجدت دعاء ترتدى قميص النوم.. إذا هي فى بيتها وعلى سَجِيَّتِها.. ورحبت بى، فهى تحبنى، وأنا أيضًا، وكنت أصفها بالبنت الشهمة، لأنها لم ترفض لى طلبا أبدًا.. وكانت تتعامل معى بسخاء حقيقى. ولم انتظر طويلًا، وقال لها حسام:
- يا دعاء.. هاتى ورقة لصلاح.
- وأحلى ورقة كمان.. أنا عندى ورقة "مِعْكَمة"\*.. مش خسارة فيك يا صلاح.
- عندك سِرِنْجَة ولْمون؟
- مفيش أكتر منهم.. يا ولد على عروقتك!! يا ابن الإيه.. نَفْسى فى عرق من عروقتك.. شايفة يا دعاء؟!
- شايفة.. يا بَخْتِه.
- عينكُم.. يا ساتر على الأرز.. إْحْسِدُونى.. ياللا اضْرَب لى يا دكتور.
- والنبي أنا أضرب لك.
- ماشى يا دعاء.
- بَسَلَم إيديك.. دكتورة يا بنت الإيه.

\* مملوءة.

- با أقولك إيه يا صلاح.. فيه واحدة صاحبتى اسمها نانسى، جاية دلوقت،  
أمورة وضربية كمان.. إيه رأيك؟
- مش هتَعْجِبُه يا دعاء.. صلاح بناته صواريخ، وأولاد ناس كمان.
- لأ.. هتَعْجِبُه.. وبعدين دى أو كشة وملعب، وتعرف يدلعه.
- طيب هى جاية إمتى؟
- وفى اللحظة نفسها، سمعنا الطرقات على الباب.
- هى.. افتح لها يا صلاح، واعمل لها فيلم.. لاعبها.
- فتحت الباب، ووجدت فتاة من نوع آخر.. حلوة بس بلدى! شعرها  
أصفر، عيناها لونهما أخضر، والبشرة بيضاء.. وسألتنى:
- دعاء موجودة؟!!
- إنتِ نانسى؟
- آه.. أنا نانسى.
- دعاء نزلت.. راحت مشوار وراجعة بسرعة.. وقالت لى تستنيها.. وبعدين  
طلبك عندى.
- عندي؟! طيب دخلنى يا معلم.
- وعندما دخلت، قابلتها دعاء وفوجئت بها، فقالت لها:
- آه يا صايعة.. يا بنت الصايعة.. بتأفلمى على؟!!
- ورنت الضحكات فى أركان البيت طوال الوقت، وانتهت الليلة حسام  
ودعاء فى غرفة، ونانسى وأنا فى غرفة أخرى.. هى شقراء ملونة، كما يقولون  
بيضاء وغضة الجسم، مستوى بنات البلد، إنما تثير إعجاب أى رجل، واستمعت  
إلى قصتها، فهى تتزوج من الأثرياء العرب، شهرا واحدا، وتجدد.. غيره..  
وقد تزوجت أكثر من مرة.. هى وصديقتها دعاء من الفصيلة نفسها، وأصحاب  
كار واحد.

قضيت معهم أكثر من يوم، خلالها أعود إلى بيتي لدقائق معدودة، ثم أرجع لهم، وأصبحنا رباعياً، نتحرك معاً.. وقد تعلقت نانسي بي إلى حد كبير.. ولم لا؟ واحد ابن ناس، لطيف جداً في كل التفاصيل، وأيضاً صاحب نفس الكيف والمزاج.. لكنى كالمعتاد سريع الملل، فكنت أسجل فرار، وأذهب إلى أصدقائي في المهندسين لأطمئن.. وأعرف أحوالهم.. إنه طبع من طباعى، لا أستقر في مكان واحد مدة طويلة.

تمر الايام.. اليوم مثل الغد.. مثل الأمس.. إلى أن جاء يوم نزلت المهندسين، وفوجئت بزحام رهيب أمام البوابة الكبرى لأحد الأندية.. جمهرة من الناس تتدافع، ركنت السيارة بعيداً، ومشيت في اتجاه الجمهور، حتى وجدت بهاء أمامى فقلت له:

- هو فيه إيه؟

- عاطف مات.

- إيه؟! إزاي يا بهاء؟

- "أوقردوز" .. لقوه في حمام النادى والسرنجة جنبه على الأرض.

"فى ذهول تام" قلت له:

- أنا مش مصدق!! عاطف كان معايا الأسبوع اللي فات.. ضربنا سوا، وكان

زى الفل!!

- البودرة غدارة يا صلاح.

كلنا كنا نحب عاطف، وهو من أعز أصدقاء رامى.. طالب فى أرقى الجامعات، ابن ناس، ومن عائلة كبيرة ومعروفة.. أنيق ودمه خفيف.. ورأيت رامى والدموع تملأ عينيه، وكل العيون الواقعة معنا كانت تبكى بغير دموع، وأخذنى رامى بالأحضان..



لم ننتطق بكلمة واحدة، ثم اقترب من أذني وهمس:  
- والله قلت له ما تَضْرِبُشِ الورقة كلها في سِرْنَجَة واحدة، وَمَا سَمِعْشِ كلامي  
يا صلاح.. أنا السبب!!  
- لا يا رامي.. مش إنتَ السبب يا رامي.. عمره.. والله يرحمه.  
- خُدْنِي بعيد يا صلاح.. نمشي من هنا.. مش قادر أف وفِ سَطِّ الناس.. حاسسُ  
إن كل الناس بِتُبْصِ عليَّ وتقول إن أنا اللي مَوْتُهُ.  
- ياللا يا رامي.. ياللا بينا يا بهاء نمشي من هنا.  
ذهبنا إلى ميدو وزونى.. لم نطلع البيت، ولم نضرب "كَلَاكْس واحد".  
جلسنا في السيارة تحت منزل ميدو لمدة ساعة نستعيد شريط الذكريات، ورامي  
يتذكر حواراته مع عاطف، ويقول لنا:  
- أنا مش مصدق!! إزاي دا حصل؟! يعني مش ها أشوفه تانى؟ لا.. لا..  
مش ممكن!!

وبعد أن هدا قليلاً، واستجمع قواه، سألته:  
- إيه اللي حصل يا رامي؟ امتي آخر مرة شَفْتَهُ؟!  
- كان عندي النهارده الصبح.. زَمَّر ومِرَضَاش يطلع، وطلب منى ألبس وأنزل  
بسرعة.. نزلت.. ركبت عربيته، وقال لي عايز أضرب.. وكنت حاسس إنه  
مستعجل ومش زى عوايده، وفي الطريق إلى أم نادية، قال لي: لازم نَبْطَلُ  
بودرة.. كفاية كده، إحنا بقى لنا كتير بِنُضْرِب.. وسألني كتير عن الشلة، سألتني  
عليك يا صلاح، وعليك يا بهاء، وعلى أحمد وحسين، وسألني عمنا إيه في  
أمريكا.. وحكيت له، ولما رجعنا قُلْتُ له تعال نضرب عندي في البيت، رفض  
وصمم يضرب في النادي، فقلت له أنا هاجيب عربيتي وأجي وزاك.. بعد  
ما نزلت من عربيته قلت له: ما تَضْرِبُشِ الورقة كلها في سِرْنَجَة واحدة.. أصل  
أنا عارفه، كان دايمًا "يطافس" وقلبه ميت.. وقال لي حاضر بس مانتأخرش..  
سلام..

- ليه بس كده يا عاطف؟

- ياه!! ياه!! ياه!! مش ممكن أتخيل إن دى كانت آخر مرة أشوف فيها

عاطف!!

قُلْتُ:

- الله يرحمك يا عاطف.. كنت جدع.

وقال بهاء:

- ياللا يا جماعة نمشى.. أنا عايز أضرب يا صلاح.

- وأنا كمان.. أنا ما ضربت بش النهارده.

الغريب أننا لم نتردد بعد ما حدث لعاطف، لم نرتدع أو نخف.. عاطف

أخطأ.. ولكن نحن لن نخطئ..

توجهنا إلى الصيدلية لشراء السرنجات.. بهاء كان معاه بودرة كثيرة،

وضربنا نحن الثلاثة.. إنما سيرة وصورة عاطف لم تفارق خيالنا، وظلت

موضوع حديثنا.. وما بين جملة وأخرى، نقول:

- هتوْحْشْنَا جدا يا عاطف.

- الله يرحمك يا عاطف.

تذكرت يوم "كَبْسَة" أهله فى منزله.. ويوم الغرزة والقسم.. أصبحت

ذكرى يا عاطف!!!

امتدت الجلسة بيننا أكثر من ساعة.. نحن الثلاثة لم نستطع سماع

الموسيقى، وكنا نتكلم بصعوبة، واختفت الضحكة، والضرب لم يكن له طعم،

وبين حين وآخر تتدفق الدموع من عيني رامى، وكنت أشعر بكم الأسى الهائل

فى أعماقه، وأنه كالبركان يكاد ينفجر غضبًا، ولم يتوقف عن قوله:

- أنا باحبه يا صلاح.. كان جميل.

وحوالى الساعة الثامنة، قررنا الذهاب إلى النادى لمعرفة آخر الأخبار، ولم يعد الزحام هناك بالكثافة نفسها، وبين الناس وقف مجموعة من الأصحاب.. اقتربنا منهم، وجاءنا حمادة وفادى، وتحدثنا مع رامى..

حمادة : البوليس بيدور عليك، امش من هنا بسرعة.

فادى : وباباك كمان بيدور عليك.. متهياالى البوليس راحولك البيت.

رامى : طيب وسألوا على حدّ غيرى؟

حمادة : سألوا على الدنيا كلها.. على تامر.. وعادل.. وصلاح.. وبهاء وسامح.

فادى : سامح وتامر فى القسم، وعادل اختفى، وإنت يا صلاح، خليك بعيد إنت وبهاء.

بهاء : هنعمل إيه؟

فادى : اختفوا.

رامى : ها نروح عند ميدو، وأول ما يظهر سامح أو تامر.. تعالوا لى هناك.. ولو بابا سألك عنى، إنت ما شفّيتيش.. فهمتني؟!

فادى : ماشى.. بس إنت ما تتحرّكش من عند ميدو.. مش عاوزين نلف عليك.

فجأة، سيطر علينا الخوف، ليس بسبب وفاة عاطف فقط.. ولكن الموضوع أصبح فيه بوليس، ونيابة، وسين.. وجيم، وقلق.. وفوراً توجهنا إلى بيت ميدو.. بطبيعة الحال، شغلتنا الأحداث الأخيرة بكل تفاصيلها، وقضينا الوقت كله نتكلم فى شبح المشكلات القادمة.. وحديث فادى وحمادة عن البوليس والتحقيقات جعلنا نشعر أن فى الجو شحنة كهربائية هائلة، وساد الجلسة التوتر الشديد؛ إذ لم نمر بمثل هذا الموقف من قبل، وتساءلنا عما يقوله رامى عند التحقيق معه، وكل منا يدلى برأى، وأكثر ما يخيفنا قرار إجراء التحليل له.. حقاً كارثة..

وكان رأى حسين مطمئناً:

- ما ينفَعش، لازم إذن من النيابة.

وأخيراً تعلن "الكلاكسات" وصول سامح وفادى، وأسرعنا بالنزول

إليهما، وباهتمام سأله رامى:

- عمّلت إيه يا سامح؟

- ولا حاجة.. شويّة أسئلة.. سألوني آخر مرة شفته إمتى؟ أصحاب من إمتى؟

بتأخدوا مخدرات مع بعض؟ بعد شوية عادل جه وكان معاه باباه.. مُستشار زى

ما إنت عارف.. فالدور إنتلم بسرعة، بس المشكلة إنهم سألوني عليك بالاسم،

وأسئلة كتيرة كمان.. الظاهر فيه حد من أمن النادي، قال فى التحقيق إن رامى

أكثر واحد صاحبه.. لكن ما حدّش قال إنك بتأخد مخدرات..

- إيه رأيك يا صلاح، أعمل إيه؟

- أحسن حاجة تزوّج، وتأخد باباك معاك القسم، علشان ما يئنش إنك هرّبان من

حاجة.. إنت شايف إيه يا ميدو؟

- عندك حق يا صلاح، وإنت يا رامى ماكنّتش فى النادي أصلاً، ووصلت بعد

ما عاطف أفور.

وكان تعليق بهاء:

- بالضبط كده.. إنت كنت فى البيت، برّحت النادي، ومن على الباب عرفت

اللى حصل.. ما تخفش يا رامى.

- ماشى.. بس بابا هيتأكد إنى باضرب، لأنه شاف عاطف معايا النهارده.

- ما هو عارف إنك ببيضرب.. وكل الناس عرفت خلاص.. أقعد لك يومين فى

بيتكم والدنيا تتلم.

وكان لى رأى:

- باباك مش مشكلة دلوقت.. هيّنام فى ثانية، بس نخلص الأول من تحقيقات

البوليس والغم ده.

انطلق رامى بسيارته إلى البيت، وحاول أن يقنع والده بأنه لا يعرف أى شيء عن هذا الموضوع، وطبعاً لم يصدقه الوالد، وإن كان يريد أن يصدق، وفى رأيه أن المشكلة الأساسية هى وفاة عاطف، فذهبا معاً إلى القسم، وأخذوا أقوال رامى، الذى أنكر تماماً أنه رآه فى ذلك اليوم، وأنه لم يذهب إلى النادى.. بالإضافة إلى أنه لا يعرف أى شيء عن المخدرات، ولا يعرف أن عاطف يتعاطى المخدرات، وتطابقت أقواله مع أقوال عادل وسامح.. وبهذه الصورة وضعت النهاية للموضوع، وفى اليوم التالى سافر رامى إلى الغردقة مع والده؛ ليبتعد عن هذه الأجواء، وعن النادى والمنطقة كلها.

واستمر للموضوع صدها القوي، فكل من لا يعرف.. أصبح من العارفين، وكل من لم يسمع عن البودرة، سمع عنها وأصبحت على كل لسان.. وكل الأهالى عرفت بما جرى، وبدأت حملة واسعة فى النادى لضبط أى مخالفة أو خروج على النظام.. الحملة كانت مشددة على كل الشباب بلا استثناء، فقد استيقظ مجلس إدارة النادى على المفاجأة المفزعة، وأن المنطقة حول النادى مؤبوءة، ولا بد من محاربة هذا الوباء، وفى الواقع أن عدد الضربىة ارتفع بشكل غير طبيعى ومخيف، والموضوع لم يعد ضربياً "وهزاراً" وخفة دم، لا.. أصبح وفاة، وبوليساً، وسُمعة.

أذكر جيداً، أن هذه كانت آخر مرة يتجمع فيها الأصدقاء الخمسة معاً.. لم يجتمعوا منذ ذلك اليوم.. وللأسف الشديد أبداً..  
ورحمة الله عليك يا عاطف.

## التجنيد

جاء موعد تقديم أوراقى للجيش.. استمارات.. كشف طبي.. تجنيد.. سلاح.. كتيبة.. وحدة.. مركز تدريب.. موضوع مهم وصعب، ورفض الوالد أن يجرى اتصالاً تليفونياً واحداً، يساعدى فى هذا الموضوع.. إنها فرصة ذهبية بالنسبة له؛ للتربية والانضباط.. إنه لم ينجح منذ سنوات فى إقناعى بدخول كلية الشرطة، وجاءت الفرصة التى يتمناها من كل قلبه، وكان حاسماً، فقد أراد لى دخول الجيش لأعرف كيف يكون الالتزام، ولمواجهة الحياة برجولة.

بدءاً من يوم الكشف الطبى، وضح لى وضوح الشمس حجم صعوبة الفترة، والأيام التى سوف أعيشها.. لم أسمع إلا الأوامر الصارمة: قف هنا.. إخّع ملابسك.. تعال.. امش.. شتائم، أصوات عالية، "شخط"، وأصلاً والذى لم يكلمنى مستخدماً "الشخط" أو العنف، لأنه يعرف جيداً لو أن هذا حدث، كنت سأترك البيت.

بعد انتهاء الكشف الطبى، دخلت سلاح المشاة، ومركز التدريب فى المعادى لمدة ثلاثة شهور، وبعدها يتم التحويل إلى وحدتى الأساسية فى السويس أو فى الإسماعيلية.. "يا سلام".. حقاً.. إنها مأساة.. وبعد الكشف الطبى مباشرة، بدأت أفكر بعمق فى الموضوع، يا ترى من يستطيع مساعدتى فى حل المشكلة؟ مثلاً والد ريكو لواء فى الجيش، ويحببنى فعلاً، وفى رأيه أننى من أحسن أصدقاء رامى، وأننى من عائلة محترمة.. لكن فى هذا الوقت، لم يعد ريكو يشعر بمن حوله وبمتاعبهم، أو بمعنى أصح اختلفت أولوياته بعد أن سيطر عليه موضوع الضرب، وقلت له إنت المسئول عن إبلاغ والدك بتفاصيل موقفى

فى الجىش؁ ومكان ترحىلى؁ وأى وحدة؁ والرقم العسكرى.. أعطىته كل التفاصيل؁ على أمل أن يتصرف والده ويخرجنى من هذا الموقف الصعب. وكانت الخطة البديلة تعتمد على حسام؁ وعلى صديقه؁ وهو ضابط شرطة شهيم من شيلة مصر الجديدة؁ واسمه ماجد؁ بالإضافة إلى المقدم طلعت؁ وهو ضابط جيش من سكان مصر الجديدة أيضاً؁ وصديق حسام جداً؁ الذى عرف منى كل الموضوع؁ وفهم كل التفاصيل؁ وكنت أعتد عليهما كلياً فى هذه القصة؁ وكل آمالى أن أطلع فى يوم وصولى؁ أو أخرج فى اليوم التالى على الأكثر.

وصلت إلى منطقة التجنيد يوم السبت الساعة التاسعة؁ وأخذت كل تفاصيل الترحيل؁ واسم الكتيبة؁ واسم قائد الوحدة؁ واتصلت تليفونياً بصديقى رامى؁ وصديقى حسام.. كلاهما طمأننى بأنه لا داعى للقلق؁ ووعدانى بالتصرف.

وفى سيارة ميكروباص.. وصلت إلى الكتيبة؁ ودخلت المعسكر الساعة الخامسة بعد الظهر؁ ولا شىء على الإطلاق يمكن أن أعمله؁ وبدأت أسمع التعليمات والأوامر:

- تعال يا عسكرى.. إجمع يا عسكرى.

وأعجب من هذا كله؁ جاءنى شخص قصير وعجيب المنظر؁ وقال لى بأعلى صوت:

- لمّ الورق اللى فى الأرض.

نحن فى الصحراء!! أين الورق الذى يتحدث عنه؟! بالإضافة إلى هذا.. فإن الذى يعطينى هذا الأمر؁ من رابع المستحيلات أن يقف ليكلمنى فى الشارع.. أعتقد أنه لا يعرف القراءة؁ وجاء إلى هنا من آخر ركن فى العالم.

فى ذلك اليوم، كنت أرتدى جينز "ليفيز"، وحاداء ماركة "إيلاس"،  
واقترب منى اثنان من الشباب، مظهرهما يتحدث عن أصلهما الطيب، وقال  
أحدهما:

- إيه ده؟ إنت جاي الجيش بجزّمة إيلاس؟

إنهما من بورسعيد، ويبدو واضحاً أن لهما خبرة فى الملابس  
المستوردة والماركات العالمية، وأعجبني أسلوبهما فى الحديث، وقد شعرا أنني  
فى حالة اكتئاب، فقالوا:  
- خليك معانا.

وافقت طبعاً، إذ ليس عندى أى اختيار آخر.. وجاء موعد العشاء،  
ورفضت دخول عنبر الأكل، ولم أكل، واشتريت شيكولاته بالبسكوت، وزجاجة  
مياه غازية، واكتفيت بهذا تماماً.. وقفنا فى طاور طويل للتوزيع على عنابر  
النوم.. وكان الجو بارداً جداً.. طبعاً برد، فنحن فى الصحراء.. واضطرت  
إلى دخول عنبر النوم.. سريري فى عنبر به أكثر من ثلاثين سريراً، والمرتبة  
عبارة عن تراب، وسلموا لكل منا بطانية.. والأوامر:  
- ولا كلمة يا عسكري منك له.. والصّحيان الساعة خمسة.

طبعاً لم أنم.. من الخوف، والتراب، والروائح الكريهة.. استيقظنا الساعة  
الخامسة صباحاً على أصوات عالية ومزعجة، وخبّط ورزّع.. وطبعاً لم أدخل  
الحمام، وأسرع إلى الشبابان وأخذاني إلى مكان به خرطوم ماء، وغسلت وجهي،  
ومرة أخرى أكلت شيكولاته وشربت الشاي، ولم أمد يدي للإفطار المكون من  
فول شكّله غريب، وخبز شكّله أغرب.. واستغفر الله العظيم يارب.. أين أنا؟  
وما هذا الذى أمر به؟! نصحنى الشابان بإخفاء علبة السجائر، وقال أحدهما:

- سجائر "مارتجورو" فى الجيش؟! الحمد لله إنك لابس "إيلاس" و"ليفيز" ومفיש  
حد فاهم حاجة.

\* ماركة فرنسية مشهورة.



إن وجودهما بجانبى جعل الموقف أكثر سهولة.. وحوالى الساعة العاشرة بدأ تسليمنا المِخْلة، وبعض الملابس، وجزء أكبر من مقاسى بكثير، وبعض الأشياء التى لم أفهم أولها من آخرها، وعلى الفور ذهبت للمقدم قائد الكتيبة، وقلت له:

- يا أفندم.. أنا لازم أمشى من هنا.  
- تمشى ترُوح فين؟! إنت فاكر نفسك فين؟! فى النادى؟!  
- أنا عايز أجازة أربعة وعشرين ساعة بس.. أرجع البيت.. يعرفوا أنا فين..  
وإرجع تانى.. بصراحة يا أفندم.. أنا مش ها أقعد هنا خالص.  
- ليه إن شاء الله؟!

- يا أفندم أنا كنت فى مَدرسة لغات، وخريج جامعة، وعضو فى احسن نادى فى مصر، وكل صيف فى أمريكا، ولو قعدت هنا يوم كمان هأموت.. وبصراحة الواسطة بتاعتي "فلان الفلانى".

قلت له اسم معروف جيداً، من الشخصيات المرموقة والقريبة من رئيس الوزراء فى تلك الأيام، وهو من أقارب والدته ميدو، والتى كانت تعمل مديرة مكتبه، وقد وعدتني بمُساعدتي فى موضوع التجنيد، لكننى اعتمدت على رامى وحسام، وسألنى المقدم:

- والدك بيشتغل ايه؟  
- والدى المهندس "....." عضو فى مجلس الشعب.  
- والدك المهندس "....."؟!  
- أيوه يا أفندم.. يوم واحد يا أفندم وإرجع.. دا أنا حتى ما قُدرتس أدخل الحمام.  
- الأول شوف المِخْلة وظببُطها، وبعدين نشوف موضوع التصريح.  
- وعَد يا أفندم؟!  
- خلاص يا صلاح، راجع المِخْلة الأول.  
- شكراً يا أفندم.. شكراً يا أفندم.

راجعت المخلة، ورجعت إلى مكتب المقدم للمرة الثانية.. فقال لي:

- والله ما عرفتُكش بليس الميرى!! شكك اتغير في الكاكي!!

- ممكن التصريح يا افندم.

- النهارده مش هاینفع.. أوعدك بكرة ادبلك التصريح لمدة 24 ساعة بس.. يعنى لغاية الساعة ستة الصبح تانى يوم.. مش أكثر.

- يعنى النهارده مش ممكن يا افندم؟

- لا.. مش هينفع.. مفيش ولا واحد من دفعتك أخذ تصريح.. وأنت هتبقي أول واحد بكرة.

- خلاص يا افندم.. أستحمل لبكرة.. شكراً يا افندم.

واليوم فى الجيش كأنه سنة.. عقارب الساعة لا تتحرك.. والساعة الخامسة مساء كأنها الساعة الثانية عشرة ليلاً.. ولم أكل.. اكتفيت بالشيكولاته بالبسكويت، وزجاجة مياه غازية.. وكانت الليلة الثانية مثل الليلة الأولى.. لم أنم ساعتين متواصلتين.. صوت صفير الهواء، و"الشخير" والروائح الكريهة، والخوف من المجهول طرد النوم تماماً، بل شعرت أنني فى كابوس لا نهائى.. ولم أقرب من الحمام، ولم أفطر.. بسكوت وكوب الشاي، وشكراً.. ووقفت فى الطابور، وسمعت الشنائم بأعلى صوت، وبدأ مسلسل وقوع المجندين فى حالات إغماء.. البعض يقول إنه مريض، والبعض يدعى إنها ضربة شمس.. ولم أعرف الحقيقة.. هل هذا تمثيل، أم أنهم يقولون الحقيقة.

وبعد طابور الصباح.. بدأ الطابور الجماعى لتحية العلم، وكلمة الترحيب من قائد الكتيبة.. بعد انتهاء هذه الإجراءات وهذا الفيلم الممل.. صدرت الأوامر بالجري مرتين حول الملعب.. خرجت من الطابور، ولا أحد يفهم ما الذى فعلته، ولم أرد على أحد، واتجهت الى مكتب المقدم.. وجاءنى الضابط المسئول عنا.. وسألنى:

- ليه مشيت من الطابور يا عسكري؟

- سيادة المقدم قال لى أجيئه يا افندم.

- وليه ما استأذنتش منى؟

- أنا آسف يا افندم.

- باين عليك ها تشوف أيام سودا فى الجيش.

لم أرد.. وتمنيت أن أقول له: لن ترانى أبداً يا افندم.. ولكن بصراحة

لم أستطع.. وسكت تماماً.

سبب هذا الحوار لى التوتتر، وشد أعصابى، وكان واضحاً أن الضابط

سوف يضعنى تحت الملاحظة، وبكل تركيز.. إذا ما العمل؟ أنا فى حالة

لا تسمح بأية مناعب أخرى، وانتظرت ساعة حتى وصل سيادة المقدم وسألنى:

- إيه يا صلاح.. واقف كدا ليه؟

- فى انتظار سيادتك يا افندم.. التصريح من فضلك.

أخرج المقدم التصريح من جيبه وقال:

- إنفضل يا سيدى.. تصريح أربعة وعشرين ساعة.

- ربنا يخليك يا افندم.. مش ها أنسى لحضرتك الجميل دا أبداً.

وأصبح التصريح فى يدى.. إنها الساعة الثانية، ومشيت أكلم نفسى..

إلى أين أتجه!؟

وأيضاً لا بد أن أبلغ الأصحاب البورسعيديين بأننى أخذت التصريح.. شعرت

بإسفاقهما، فمنذ يومين لم أكل، ولم أدخل الحمام، وشعرا بعدابى.. وبقدر فرحتى

بالتصريح، كنت حزيناً وغازباً لأن والد رامى لم يتصرف، ولم يبعث لى بأى

"مرسال"، وحسام أيضاً لم يحضر كما وعد.. وبخطوة سريعة مشيت

فى المعسكر، نعم كنت سعيداً بتصريح الخروج.. ولكنى أشعر أننى كاره للحياة،

يومين عذاب "وبهدلة".. فى هذه اللحظات سمعت "صول" ينادى على اسمى..

توقعت أنه من طرف والد رامى.. فسألته:

- نعم.. عايز إيه!؟

- هو إنت.. ذا إنت غلبتنا علشان نلاقك.

قلت (بانفعال):

- غلبتكم إيه؟! سائيني هنا باعمل إيه؟

- إحنا بندور عليك من إمبراح.

- من إمبراح؟! خرّجنى من هنا بسرعة.. وامسك، أدى تصرّيح، أخذته النهارده

بالعافية علشان خلاص بأموت.. مذخّلش الحّمّام من يومين، ولا أكلت أى حاجة.

- فين المِخْلة؟!

- فى العنبر.

- ياللا رُوح جيبها.

أخذت المِخْلة من العنبر، وأثناء سيرى فى المعسكر، قابلت الضابط

الذى عاملنى بعُنف وشدة، وسألنى:

- مش قلت لك تجيلى.. ماجتش ليه؟

- والله يا افندم.. لسّه ماشى من مكتب سيادة المقدم بلوقتِ حالاً.

- وعلى فين بالمِخْلة يا عسكري؟

- معايا سعادتك جواب إلحاق على كتيبة خدمات.

- يا سلام!! من أولها كدا.. وزينى الجواب.

- أتفضل سعادتك.

- ذا كله متوضّب بقى!! عال.. عال.. بس ها ترُوح فين؟! ها أشوفك تانى..

الإلحاق هيخلص وترجع.

فقلت له:

- أكيد يا افندم.. شكراً يا افندم.. عن إندك يا افندم.

وبعد خطوات جاعنى الصول الذى سوف أخرج معه من المعسكر،

وسألنى:

- هو خطك فى دماغه ليه؟!

- أصلى خرجت من الطابور.. طبعًا إتجنن.

- هات المخلة.

أخذ الصول المخلة منى، وذهب إلى زميله وأعطاهها له، وطلب منه أن يضعها فى المَخْرَن، ثم قال لى:

- تصرّيح المبيت أنفذك من الظابط اللى حطك فى دماغه، ومن بكره عندك إلحاق خدمات لمدة شهر ويتجدد، وبعد كدا هنشوف سيادة اللواء هيامر بايه.

- يعنى إيه إلحاق؟

- يعنى تُقعد فى بيتكم، لأن الإلحاق ده على كتيبة قائد صديق لسيادة اللواء.. فهمت؟

وتنفست الصعداء: أه ه ه ه .. الحمد لله.. الحرية.. الحرية.. الحرية.

عدت إلى بيتى وكاننى كنت على سفر منذ سنتين.. طرقت الباب بقوة.. ولم أرفع يدى من على الجرس إلى أن فتحت أختى رولا..  
- حمّد الله على السلامة.. مالك؟ بتخبّط كدا ليه؟  
- يا رولا يا حبيبتى.. كائى غايب من سنين طويلة.. مش من يومين.  
وفجأة.. وجدت أبى أمامى، يقول لى:

- خرّجت إزاي من معسكر التجنيد؟

- طبعًا مش فى دماغك، وما صدقت رميتى هناك.. صح؟! ماشى يا بابا.

- خرّجت إزاي يا صلاح؟

- كنت عاوزنى أقعد هناك على طول واللا إيه؟! ولعلمك أنا مش راجع المعسكر ده تانى.. خلاص.. خلصت.. إتعلّمت الدرس كويس أوى، ومش راجع الجيش تانى.

- إزاي يعنى؟

- هنشوف.. وعن إذنك أدخل الحمام.. ما دخلتوش من يومين.. وعازب أكل أى حاجة.. ما أكلتش غير بسكوت فى اليومين دول.

أخذت دشأ، ودخلت إلى السرير لأنام ساعة واحدة.. واتصلت برامى ولم أجده، وتركت له رسالة مع والدته ليتصل بي بمجرد رجوعه البيت.. ولم أجد حسام أيضا.. ردت دُعاء على تليفونى، وقالت لى إنه خرج مع ماجد وطلعت، وراحوا لكُ معسكر التجنيد، فقلت لها:

- بعد إيه؟ أنا رجعت خلاص، على العموم ها انام ساعة؛ لأنى ما نيمش من يومين.. إتبهدلت وتعبت جدا.. أخبار الضرب إيه؟

- سيم!!

- لِمَا أصحى هاغذى عليكم، ولما يرجع حسام قولى له يكلمنى.

- اتفقنا.

- باقولك إيه.. كلمى نانسى وقولى لها تيجى.. وحشيتى.

- دى ليلة بقى.

قضيت الليلة فى بيت حسام فى مصر الجديدة، وكنت فى منتهى الغضب لعدم اهتمامه بالموضوع، ولأنه تركنى فى المعسكر لمدة 48 ساعة.. وقال حسام مفسراً الموقف:

- والله كنا عندك، وقابلنا ظابط وحدثك، واتضح إنه يعرف طلعت، وخدم معاه فى الجيش، وحكى لنا قصة الإلحاق.. ماشى يا سيدى.. إلحاق على مفيش.. الضابط ده كان ناوى يظبطك لما ترجع، بس علشان خاطر طلعت خيعدنيها لك.

- والد رامى اتصرف وعمل الواجب، بس لازم أنظم الموضوع، لأنى عشت كارثة.. فكرت أهرب.. ما أستحملش اللي حصل لى.. ياللا ضربتني.. ومش دافع كمان.

- إنسى.. الدفع قبل الرقع.

- لا.. لا.. لا دى لغة جديدة يا معلم!!

- مفيش فلوس وعاوزين نجيب شغل.. بأقولك ايه يا صلاح، عربيتي بايظة، وما تسافرش، وعاوزين نطلع السويس بكرة نجيب بودرة، وهوجب معاك واجب ماتحلمش بيته.

- هو أنتم بتجيبوا من السويس؟

- من السويس أو بلبيس، ولعلمك السويس ساعة من هنا، وأقل بسواقتك، والبنزين على، وهناك ما تتكلمش كثير، أصلك خنفس وهتفضحننا.  
- أنت تأمر يا معلم.

قضينا نحن الأربعة ليلة طويلة.. ضرب، ضرب، ضرب.. فعند وجود البودرة لا نتوقف عن الضرب، لدرجة أنني لم أستطع حتى التحدث مع نانسي في آخر الليلة.. وفي اليوم التالي سافرنا إلى السويس، ودخلنا عند تاجر يعيش في الضواحي، وأحسن استقبالنا، ودخل حسام في الحديث مع التاجر قائلاً:

- أخبار الشغل ايه يا معلم؟

- زى الفل.. هتجرب بنفسك.

- الكمية اللي فاتت كانت قلة شوية.

- يا راجل حرام عليك.. على العموم فيه شغل جديد.. بودرة "ملبكة".\*

- يا راجل.. ملبكة؟ والله زمان.

- خذ الورقة دي يا حسام بيه؟!\*

سألت حسام:

- يعنى ايه ملبكة؟

- أصبر.. هتشوف دلوقت.. بس عيبها أنها بتجيب زغطة.

- ياللا يا عم حسام.. خلص.. عايز أشوف قصة الملبكة ايه.. اضرب لى

الأول.. بأقولك ايه.. غير العرق.. عروفي باظت.

\* بودرة مثل العجينة.

وبدا حسام بتجهيز السوست.. قائلاً:

- إِدَى يا جِدَى.. دى بُودرة عالية جدا.
  - ياللا يا حسام، ادفع وياللا بينا.
  - ايه النظام يا معلم؟
  - قل لى ايه رأيك بس الأول؟
  - حلوة.. الجرام بكام؟
  - 400 جنيه؟
  - جرام ايه ده إن شاء الله؟!
  - طيب عاوز قد ايه؟ وهنحسب لك الجرام علشان خاطر ك بـ 350 جنيه.
  - ياللا يا صلاح.. إحنا أخذنا قد ايه يا معلم؟
  - عيب يا حسام بيه.. هتدفع الواجب؟
  - أعملك ايه بس يا معلم.. ما إنت بتستغلنا!! هُمّا 200 جنيه.
  - والله ما جيت حقها.. يا حسام بيه إنت مش زيون!!
- استمرت عملية المساومة طويلاً بين حسام والمعلم، فلم أستطع التركيز معهما، فقد بدأت أغيب عن الوعي، وأفيق، ثم أغيب مرة أخرى.. وفي النهاية لم أعرف كم دفع.. أتصور ليس أكثر من 280 جنيهًا فى الجرام، وهذا السعر ممتاز؛ لأن الجرام ثمنه 500 أو 600 جنيه فى القاهرة.. أسرعت إلى السيارة، وخرج خلفنا المعلم.
- مع السلامة يا بهوات.. ما تغيش علينا يا حسام بيه.
  - آجى لك على آخر الأسبوع.
  - بتور يا باشا.
- فقلت:

- باقول لك ايه يا معلم.. عايز سيرنجة علشان الطريق.. أنا ماليش ذنب فى القصة دى كلها، وعلى ما أوصل القاهرة أكون فوعت خلاص.



- بس كدا.. عنيينا يا أستاذ.. يا ثابت.. إعمل سيرنجتين للبهوات.
- إنت عندك سيرنجات كمان؟!
- طبعًا يا باشا.. ساعات بيجي لنا زباين، ومفيش معاها سيرنجات.. شغل ميكروباص، وتفتيش.. وإنت فاهم يا بيه.
- إتفضلوا يا بهوات.. سيرنجات وصاية.
- تسلم يا ثابت.
- وأعطاء حسام 20 جنيهاً.
- شكرًا يا باشا.. شرفقتوا يا بهوات.
- با قولك إيه يا حسام.. إحنا ليه بنجيب بؤذرة من أم سيد؟ الورقة من هنا أحسن ألف مرّة.. نمشيها السويس على طول.
- المشكلة في العربية.. ومشوار برضة.
- مشوار إيه.. أنا ولا حسيت بالطريق وإحنا جابين.. ودلوقت تعال إنت سوق، علشان "المبتكة" دي بنت".....".
- أنا أسوق؟! حاضر يا سيدى.
- قل لى يا حسام.. الجرام بيعمل كام ورقة؟ وبكام الورقة؟
- بيعمل اللى بيعمله.. وإنت مالك إنت.. إنت عليك تضرب، وبنس.
- عدّاك العيب.

عدنا بعد الرحلة التى استغرقت من الساعة السادسة حتى الساعة العاشرة

مساء، وفي بيت حسام وجدنا نانسي ودعاء فى انتظارنا.. قالت دعاء:

- جالك 60 تليفون يا حسام.

- طبعًا.. الكل عارف إنى رايح أجيب بؤذرة.

قالت نانسي لحسام:

- شكلكم "يشعوذ" يا أولاد الإيه.. أنا عاوزة أضرب بسرعة.

\* يشجع على التعاطى.

- حالاً يا قمر .

واستمرت القصة بهذا المنظر.. نطلّع السويس نجيب الشغل ونرجع..  
حسام يَقْطَع وَيبيِع.. وتمر بنا الأيام على هذا المنوال، وذات يوم، أول ما وصلت  
بيت حسام، قال لى:

- أنا بَعْتُ عربيتى .

- بَعْتَهَا؟ قول فَوْرْتَهَا .

- فَوْرْتَهَا أو بَعْتَهَا.. فى ستين ذاهية .

- مع أنى يا أخى كنت باحبها .

- والعربية كمان كانت بِنَشْكُرْ فيك يا صلاح.. يالاً بسرعة.. المرة دى على  
بلبيس .

- إنت بتعرف السكك دى إزاي؟ وإمتى؟!!

- واحد صاخبى اسمه هيثم.. هنروح معاه.. هو عاوز يجيب.. فأدى توصيلة،  
وأكيد هو هينوجب معانا، ونعرف سكة جديدة.. وبلبيس أقرب من السويس .

- يمكن البوئرة هناك وحشة؟

- وحشة إيه؟ هو أهبل واللاً تلميذ؟! وبعدين هو ضرب من بودة السويس قبل  
كدا، وبيقول بوئرة بلبيس أحلى والجرام بـ 250 جنيه بس.

- ماشى.. بلبيس.. بلبيس .

اشتهر حسام فى مصر الجديدة، ولم يكن يعرف أكثر من خمسة أو ستة  
أصحاب ضريبة.. والآن أصبح عنده أكثر من عشرين زبون.. وارتفع عدد  
الشباب.. ولم يعد المكان أمام البيت يسع لوقوف السيارات، وشعر الجيران بأن  
هناك كارثة ما تدور فى شقة حسام ودعاء، بتعبير آخر معروف لنا "إنشُمُوا"،  
فأخذ شقة جديدة، أو بالمعنى الأصح، دعاء أُجْرِبَ شقة جديدة لشخص من  
الخليج، وقدّمت له حسام على أنه شقيقها الكبير.. وطبعاً كان الزواج "عُرْفى"،  
تماماً مثل الذى قبله، والذى قبله.. لكن من مزايا هذا العريس أنه يزور مصر

إضافة إلى هذا كله.. فإن هذه الدار فى مصر الجديدة، بجانب منزل حسام ودعاء ونانسى.. لقد تم حل جميع المشكلات.. مُدهش.. رائع.

وفى رأى، أن الأمور سارت إلى الأحسن بعد حل موضوع التجنيد، وليست هناك مشكلة بالنسبة للضرب؛ لأن حسام فتح الدُولاب مع دعاء، وبدأت آخذ منه تذاكر وأبيعتها للأصدقاء فى المهندسين.. ثمن التذكرة 30 جنيهاً وأبيعتها بـ 40 جنيهاً، وكل ثلاث تذاكر، يصبح لى شخصياً تذكرة هدية.. شىء سهل وجميل، وكان رامى أحسن زبون، يأخذ منى يومياً هو وشلته 6 تذاكر على الأقل، وأحياناً ثمن التذكرة 40، أو 50 جنيهاً ويتوقف ذلك على من يشتري، ومتى؟! وقد دفعت من قبل لكل هؤلاء الشباب عشرات المرات من جيبى، وجاء الوقت الذى أطلبهم بالرد.. ثم الضرب إذا وجد البوذة أمامه وثنمها 50 جنيهاً، أفضل له مائة مرة من ألف والدوران بحثاً عن دولاب للشراء منه.

وبدأت أنفذ عمليات جديدة.. مثلاً اشتري سلسلة أخت فلان الذهب وثنمها 300 جنيه، وأدفع 200 جنيه، وساعة "رولكس" ثمنها 6000 جنيه، وادفع 2000 جنيه، ولم يكن من الصعب إعادة بيع هذه الأشياء فى النادي، ومكسب الساعة يصل إلى 2000 جنيه، والسلسلة 100 جنيه والنظارة 50 جنيهاً، ولكنى رفضت شراء أجهزة الفيديو؛ لأن بيعها صعب، واكتشاف الأهل لاختفائها سهل، فيتسبب فى عديد من المشكلات.

وبدأ التغير واضحاً بالنسبة لصديقى رامى.. لم يعد الإنسان الجميل الرياضى، بعد أن فقد كثيراً من وزنه، حتى سيارته "بى إم دبليو" الجميلة تحتاج إلى سمكرة ودهان من الأول للآخر.. ماذا جرى للأناقة؟ وأين ذهبت الصديقات الفاتنات؟ أين الجيتار؟ أين.... وأين....؟ حبيبته نيللى وضعت نهاية لعلاقتها، بعد أن ساءت سمعته، وعرف عنه أنه ضرب، وكلمة رامى "مُذمّن" أصبحت على كل لسان.

إضافة إلى هذا كله.. فإن هذه الدار في مصر الجديدة، بجانب منزل حسام ودعاء ونانسي.. لقد تم حل جميع المشكلات.. مذهش.. رائع.

وفي رأيي، أن الأمور سارت إلى الأحسن بعد حل موضوع التجنيد، وليست هناك مشكلة بالنسبة للضرب؛ لأن حسام فتح الدُولاب مع دعاء، وبدأت آخذ منه تذاكر وأبيعها للأصدقاء في المهندسين.. ثمن التذكرة 30 جنيهاً وأبيعها بـ 40 جنيهاً، وكل ثلاث تذاكر، يصبح لي شخصياً تذكرة هدية.. شيء سهل وجميل، وكان رامى أحسن زبون، يأخذ مني يومياً هو وشلته 6 تذاكر على الأقل، وأحياناً ثمن التذكرة 40، أو 50 جنيهاً ويتوقف ذلك على من يشتري، ومتى؟! وقد دفعت من قبل لكل هؤلاء الشباب عشرات المرات من جيبى، وجاء الوقت الذى أطلبهم بالرد.. ثم الضرب إذا وجد البؤزة أمامه وثنمها 50 جنيهاً، أفضل له مائة مرة من اللّف والدوران بحثاً عن دولاب للشراء منه.

وبدأت أنفذ عمليات جديدة.. مثلاً اشتري سلسلة أخت فلان الذهب وثنمها 300 جنيه، وأدفع 200 جنيه، وساعة "زولكس" ثمنها 6000 جنيه، وادفع 2000 جنيه، ولم يكن من الصعب إعادة بيع هذه الأشياء في النادي، ومكسب الساعة يصل إلى 2000 جنيه، والسلسلة 100 جنيه والنظارة 50 جنيهاً، ولكنى رفضت شراء أجهزة الفيديو؛ لأن بيعها صعب، واكتشاف الأهل لاختفائها سهل، فيتسبب في عديد من المشكلات.

وبدأ التغير واضحاً بالنسبة لصديقى رامى.. لم يعد الإنسان الجميل الرياضى، بعد أن فقد كثيراً من وزنه، حتى سيّارته "بى إم دبليو" الجميلة تحتاج إلى سَمَكَة ودهان من الأول للآخر.. ماذا جرى للأناقة؟ وأين ذهبت الصديقات الفاتنات؟ أين الجيتار؟ أين.... أين...؟ حبيبته نيللى وضعت نهاية لعلاقتها، بعد أن ساءت سمعته، وعُرف عنه أنه ضرب، وكلمة رامى "مؤمن" أصبحت على كل لسان.

ولم تنته العلاقة بينى وبين راندا.. كنت أتردد كثيراً على الجامعة للتواصل مع شلتى هناك، وهى دائماً معهم، ولا تزال صديقتى.. حقاً.. لقد انكسر بيننا شيء ما، والكل يعرف هذا جيداً، وكان من الواضح أن هذا الشيء من المستحيل إصلاحه.. وهى موقفها معى واضح، بينى وبينها هى "مراتى"، وأصحابى شهود العقد العرفى، ولكن فى حقيقة الأمر.. لقد انتهى ما بيننا.

راندا تسكر ولا تشعر بمشكلة، "چوينتين" وليست عندها مشكلة.. وأنا أيضاً لم تكن عندى مشكلة، تسكر، أو تحشش كما يحلو لها، إحساسى ومشاعرى تجاهها اختلفت كثيراً.. لم أعد أحبها، ولكن وجودها لا يضايقتى، خلوة.. ذمها خفيف وتعيش معى بالطول والعرض.. فهى "مراتى" أولاً وأخيراً.

أما مريم بوجهها البرىء.. فإنها لم تتغير.. بالعكس ازداد اهتمامها، وازداد تعلقها بى، بل حُبها.. وكثرت هداياها، ورأيها غير المعلن، ولكنه واضح ومفهوم: "أعمل اللى إنت عاوزه، وعمرى ما هأقولك إنت بتعمل ايه.. إعمل أو ما تعملش.. كلم أو ما تكلمش".

إنها حقاً ذكية؛ لأنها استطاعت أن تعرف أننى سأفعل كل ما أريد.. وأنفذ أفكارى.. وكان أهم شيء بالنسبة لها أن تتزوجنى فى نهاية المطاف.. فكرة الزاوج من مريم لم تكن تضايقتى.. على العكس تماماً، كانت فكرة مقبولة؛ خاصة بعد الموقف الذى حدث من راندا.. كنت أشعر أنه ليس هناك أفضل من مريم.. تحبنى حباً أفلاطونياً، ولا تعرف أى شيء فى الدنيا، وفى حياتها لم تمسك يد أحد غيرى.. وكرجل شرقى، يهمنى أن أكون أول رجل فى حياتها.. ثم ليس هناك أجمل من التمتع بحريتى.. أتصرف كما أريد، ومطمئن تماماً إلى أن فى بيتى زوجة محترمة تنتظرنى، وليس لها مطامع أكثر من الحياة معى.

## أجازة

أكبر مفاجأة حدثت آنذاك، كانت في مطلع شهور الصيف؛ حيث كان قرار سفر بابا، وماما، ورولا لعمل جولة في بعض الدول الأوربية، وزيارة أسرة أخى كريم فى إنجلترا، ورؤية التوأم الصغير "رنا ودنيا" لأول مرة بعد سنتين من ميلادهما.. والرحلة تستغرق شهور الصيف.. ما هذا الجمال؟

سوف أعيش وحدى فى البيت.. نعم وحدى ومعى 4 سيارات!!  
وبالنسبة لى، ليس أمامى خطة للسفر وبما أننى فى الجيش، فقد كانت الخطة الترفيهية أنى أضرب فى البيت، وانتظر زيارة الصديقات.. أخذت من الوالد نفقات الإقامة التى تكفى لمدة شهرين، والمبلغ لا يكفى الضرب لمدة أسبوع.. إذا ما الحل؟! وجدته.. فصلت سلك الكيلومتر للسيارات الثلاث، وأجرت سيارة والدى لأحد الأصدقاء الملتزمين ليسافر بها إلى شرم الشيخ.. بدلاً من تأجير سيارة أخرى من الأسواق، وبدلاً من أن يدفع 200 جنيه يومياً، يدفع لى 150 جنيهًا فقط.. وهذه فكرة عملية ومربحة له ولى.. وأهم شرط أن يحافظ على السيارة.. ووعدنى بهذا، ونفذ وعده فعلاً.

وأخذ حسام السيارة الثانية للسفر إلى السويس أو بلبس أو هنا وهناك.. إنها سيارة أمة، واشترطت عليه المحافظة عليها، دون خبطات أو أشياء مهمة داخلها، ويتم غسلها فى محطة البنزين كل أسبوع، وبصراحة حسام لم يُخب ظنى فيه أبداً، وفى المقابل "سوسته يومياً فى البيكو".

وتتحرك السيارة الثالثة وفقاً للظروف.. إنها سيارة أختي رولا.. سيارة "مشاوير" .. يأخذها من يريد شراء الأكل أو حشيش أو لقاء صديقه.. وحقبة الأمر لم تكن تتحرك إلا قليلاً.

وتبقى سيارتي لا أحد غيري يركبها.. عربيتي وحدى.. إنني أحبها، وأخاف عليها.. قمة الأنانية.. وكان الموقف كالاتي:

▪ الفلوس موجودة..

▪ العربيات موجودة..

▪ شقة لوحدى، نعم وحدى.. آخر مزاج..

في تلك الأيام، كانت راندا موجودة أغلب الوقت مع شلة الجامعة، وكانت تشعر بأن هناك أشياء غريبة ومريبة، وأن الموضوع ليس موضوع سيجارتين ملقوفتين، ولكنها لم تستطع معرفة الشيء الغريب والمريب، ومن حين إلى آخر، كانت تسأل:

- هو فيه إيه؟ هو إنتم نائمين على نفسكم كدا ليه؟

طبعاً لم يخطر ببالها، ولم تكن قادرة على استيعاب أننا بنضرب بودرة.

وتسكن مريم ذات الوجه البريء في العمارة المجاورة.. وكانت على دراية كاملة بما يحدث.. تقف في شرفة بيتها، تفتح فمها في ذهول لرؤية شباب من الجنسين في انتظار المصعد، وأحياناً لا يصبرون على الانتظار طويلاً أمام أبواب المصاعد، فيقفزون على السلالم نزولاً أو صعوداً.. وسياراتهم أحدث موديلات: "فورد كابورليه، مرسيدس كوبيه، جولف كابورليه" .. وهم جميعاً غاية في الأناقة، ويحكي مظهرهم أنهم أولاد ناس، وهي ترى ما يحدث خارج بيتي، أما داخله فلا تراه، وإذا رآته فلن تستطيع استيعابه.

وقد سمحت لها بزيارات سريعة من حين إلى آخر، وتأتي دائماً وهي تحمل مختلف الهدايا بأفكار مبتكرة، وبعد سفر أهلي مباشرة أهدتني كلب "يورك شاير" جميلاً.. إنما أصحابي المزعجون كانوا ينفخون الحشيش

فى وَجْهه، وبالنالى أصرخ فى وجوههم، طالبا الرُّحمة لهذا الكائن الجميل والذى أحببته كثيرا.. ورأت مريم عشرات الأمور العجيبة، ولا تَعْلِقُ من جانبها.

وتردد أصحابى من الجامعة على بيتى، وكان يأتى فى صحبتهم أصدقاء لهم، وبعضهم لا أعرفهم، وأحيانا أخرج وأتركهم فى البيت، وعندما أعود.. أجد مجموعة أخرى، ويعم السلام على أنغام الموسيقى.. لكن الفوضى تعم أيضا، فلا شيء يثبت فى مكانه، وانقلب الليل نهارا، والنهار ليلاً.. ولم يعد من المعروف لأحد مواعيد النوم، أو الصُّحيان.. وليست هناك خطة أو هدف.. فقط الاهتمام بالخروج، والشرب والضرب والموسيقى والحفلات والبنات.. والحال عاجبني، وأصبحت الحياة احتفالية يومية.

وذات صباح.. دخلت سريري الساعة السابعة صباحا استعدادا للنوم، وارتفع رنين التلفون.. إنه بالنسبة لى من الأشياء المزعجة بسبب معاكسات البنات الكثيرة، ولا يتسع وقتى لمثل هذا الصداق والأحاديث المملة، ومع هذا "رَدَيْت" على التلفون، ودار الحديث التالى، ومن غير "ألو" قلت:

- أفنديم.

- مُمكن أكلم صلاح؟

- نقوله مين؟

- هالة.. هو ما يعرفنيش.

- دا أنت جريئة أوى.. يعنى بيتكلمى الساعة سبعة الصبح، وبتردى، وكمان ما يعرفكيش.. أحسن لك تكونى عايزاه فى حاجة مهمة أوى، أنا صلاح.. خير يا هالة.

- أنا أسفة إنى بتكلم فى وقت زى ده.. بس الحقيقة أنا من يومين باتكلم، ومفيش حد بيرد على.

- أنا كنت معدى بالصُدفة وداخل أنام فجت سليمة.. نعم؟! خير؟! عايزه إيه من صلاح!؟



حاولت الكلام بأسلوب مهذب؛ لأن صوتها عَجَبَنِي، وأسلوبها راق  
يؤكد أنها بنت ناس..

- أنا وَصَلْتُ من انجلترا.. وقابلتُ مَأمَتَكَ عند كريم، وقالت لي أَكَلَمَكَ  
في الأوقات غير المناسبة عشان أعرف الأقبك.

- ياه!! دا إنت طلعت مهمة بجد!! آسف لو كنت دَخَلتُ شِمال، أصل المُعاكسات  
في التليفون كثيرة، وأنا خلاص زهِقْتُ.

- وَلَا يَهْمُكَ.. أنا مَعَايا جَوَابات، وَصوَر لأجمل توأم في الدنيا "رنا و دنيا".

- إيه المفاجأة دي.. أنا نَفْسِي أَشوْفُهُمْ.. قولي لِي: جُلُوبِين؟ يارب يُكونوا شَبَه  
مَأمَتُهُمْ!؟

- الحقيقة هُمَّا أجمل توأم في العالم كله.. الصور هَتَعَجِبِكَ أوى.

- بس إنتِ مَا قُلْتِيش، تَعْرِفِي أخويا مَبِين؟

- بابا بِيَشْتَغَلُ مَعَاه.. ولعلمك أنا أعرف أهلك كلهم، وَحَكُوا لي عنك كثير.

- لِعَلْمِكَ كل كلامهم مُجَرَّد إشاعات.. دا أنا طيب جدًا.

- ومين قال إنهم قالوا إنك شرير!؟

- بِأَقُولُكَ إيه يا هالة.. كَلَمِينِي عن نَفْسِكَ شوية.. عِنْدِكَ كام سنة؟ جامعة إيه!؟  
أنا حاسبسُ إن مُمكن نكون نَعْرِفُ بَعْض.

- أنا عندي عشرين سنة.. في الجامعة ".....".

- يا سلام.. يبقى أكيد نَعْرِفُ بَعْض.

- أنا أعرف إنك اليوميين دول في الجيش، بس بِنْتَفَرِّجُ عليه فيديو، وعامل  
مَشاكل كثيرة.

- لا.. لا.. دا كله إفتراء.

- قل لي.. ممكن نكون نَعْرِفُ بَعْض إزاي؟

- أنا شِلْتِي كُلَّهَا لِسَه في جامعتك، وصاحبتي.. أَقْصُدُ اللِّي كانت صاحبتِي  
من نفس الجامعة، فَأَنَا مُعْظَمُ الوَقْتِ عِنْدُكُمْ.

- صاحبتك مين؟
- ميش صاحبتى.
- أوكيه.. مين هى؟ جايز أكون أعرفها.
- راندا.. رفيعة وطويلة وشعرها منكوش.
- بيتهىالى أعرفها.. كانت بتأخذ معايا درس.
- بقولك إيه انا خلاص صحيت.
- والله أسفة.. بس هم اللى قالوا أكلّمك فى أوقات غريبة، وأنا فعلاً باحاول من يومين، وميش عارفة ألاقبك.
- ميش مشكلة.. وبما أنى صحيت.. أقوم أخذ دُش وأجى لك أخذ الصُور.. إنت ساكنة فين؟
- فى المهندسين.. شارع ".....".
- أوكيه.. بعد ساعة أكون عندك.. أه عمارة كام؟ دور كام؟
- بصراحة.. لم أقرر الذهاب من أجل الصُور.. ولكنى أردت أن أشوف هالة، وأعرف من هى.. إحساسى قال لى إنها حلوة.. أيضا أعجبنى أسلوبها فى الكلام، فقررت أشوفها ودون تردّد.
- أخذت "الدُش"، لفيت سيجارة، واخترت ملابس أنيقة بعناية، وكنت فى هذه الأيام أتبع موضحة أمريكا، ألوان كثيرة، وسلاسل فى الرقبة لا يقل عددها عن خمس أو ست، بالإضافة إلى مجموعة مثلها من الأتسيالات فى يدى، وشعرى طويل والنظارة المرآية.. شكلى خنفس جداً.
- وصلت إلى منزل هالة.. طرقت الباب، ثوانٍ قليلة وفتح الباب.. ياه!! تسمرت فى مكانى لحظات.. "صاروخ".. يا نهار أبيض على الجمال.. جمال لدرجة إنى سيكت تماماً.. لم أنطق من روعة المفاجأة.. ابتسامه ملائكية لوقفتى الحائرة.. وظللت ثابتاً فى مكانى ساكناً.. تماماً.. فقالت:
- صلاح.. إزيك.. اتفضل.

استجمعت كل قوايا.. ركزت وقلت:

- مش تقولي إنك حلوة كده؟

- إتفضل.

جلسنا في الرُيسيشن وسألتني:

- تَشْرَب إيه؟ نِسْكَافِيه؟ شاي؟ كوكا؟

"بابتسامه خبيثة" قلت:

- بيرة.

- لأ.. مَا عَنْدِيش بيرة.

- طيب.. ويسكى.. واللاً هتقولي كمان مفيش ويسكى!!

- تَخَيَّل!! وكمان مفيش ويسكى!!

- خلاص.. نَمَشِيهَا نِسْكَافِيه، بقولك إيه.. هاتي لي الصُور الأول.

- حاضر.. دقيقة واحدة.

وكلمت نفسي:

- يا نهار أبيض.. إيه ده؟ هي دي؟ خَلَصْ يا مُعَلِّم.

- إتفضل الصُور.. ها أعْمِل نِسْكَافِيه وأجى.

- بِنَفْسِكَ؟! ده يبقى أجمل نِسْكَافِيه في العالم.

تخرج هالة بابتسامه جميلة.. وأخذت أقرأ رسالة أهلي وأتأمل الصور..

وتعود هالة ومعها نِسْكَافِيه.. قائلة:

- شُفْتِ الصُور؟! شُفْتِ ضِحْكَتَهُمْ؟ وَنَظْرَةَ عَيْنِيهِمْ؟! تَخَيَّل وَحَشُونِي أوى.

- لما يكون عندهم 16 سنة، هيكونوا أجمل بنات العالم، وَمِسْئُولِيَّتِي أَفْتَحْ عَيْنِيهِمْ

على حَقِيقَةِ الدُّنْيَا.

- لا.. والنبي.. سَيَبْهَمُ يَعِيشُوا دُنْيَا الْبِرَاءَةِ.

- إِنْتِ بَايِنَ عَلَيْكَ جَائِيَةٌ مَشْحُونَةٌ مِنْ إِنْجِلْتْرَا.

- بِصِرَاحَةٍ.. كُلَّهُمْ كَانُوا يَبْشُرُونَا فِي شِقَاوَتِكَ طَوَّلَ الْوَقْتِ.

- ظلم.. افترا.. بس غريبة إنى ماشفكيش قبل كدا فى الجامعة!!

- أنا شفتك، ما اللى إنت فيه دا ماينفعش مايلفتش نظر حد.

- هَنَظُّطُ؟!!

- إيه السلاسل والأنسيالات دى كلها؟ إنت فاكر نفسك فى نيويورك  
واللا فى هوليوود؟

- بقولك إيه.. إحنا فى بلد حر، أنا أكل اللى يعجبنى، وأبس اللى يعجبنى،  
وأعمل اللى يعجبنى.. بس إزاي صحيح عمري ما شفتك قبل كدا؟!

- أصل أنا من الدرس على البيت، وميش باقعد فى الجامعة خالص.. ماليش  
فى المناظر دى.

- باين عليك دحاحة.

- أيوه.. أنا من الأوائل، بس والله مَشُ باذاكر كثير.

استغرقت جلستنا معاً ثلاث ساعات.. كلام، كلام، كلام.. وشعرت أنها  
مهمة ولديها رغبة فى التعرف على أسلوبها الخاص.. حقاً إنها ذكية وليست  
سهلة.. على أية حال.. الطريق مفتوح أمامى، ولن أتركها تغلت من يدي، سوف  
أسأل عنها.. أعرف أصلها وفصلها من أصدقائى.. وكان أول من سألت،  
هو صديقى مصطفى:

- مين يا سيدى هالة دى؟

- إنسى.. ولا تُخَطِّرْ فى بالك.. نصُ طالبة الجامعة جفوا وراها.

- ماشى.. دى بقى يا معلم بتاعتى أنا.. ومِش هتفُلتُ من إيدى.

بدأت الحوارات التليفونية يومياً ولمدة ساعات طويلة.. ومن حين لآخر  
نذهب معاً إلى النادى، وكان واضحاً أنها معجبة، ولكن بحذر شديد.. فهى تتأنق  
وتتألق فى مظهرها وكلامها.. تثق فى نفسها وفى جمالها.. وسَمَعْتُهَا فى الجامعة  
عشرة على عشرة.

والعكس صحيح بالنسبة لى.. صاحب راندا، صايح وضايح، والسُّمعة فى الجامعة لا تُسرُّ عدوا ولا حبيبا.. ومع هذا محبوب من الناس، وكانت هذه هى الميزة الوحيدة.. وقد أعجبنى كثيرا أنها لا تحب البقاء بالجامعة.. ومن جانبى لم أكن أريد الظهور معها هناك، فقد تتسبب راندا فى مشاكل، وأردت أن أسيطر على الموقف.. وبعد عشرة أيام، كان عيد ميلاد هالة، وكانت هذه هى فرصتى لاستعراض عضلاتى أو إمكاناتى، وأن أقدم فى هذه المناسبة شيئا ما قد يعجبها، ويدير رأسها.. ولم أتردد.

- حجزت ياخت فندق لمدة ساعتين.
- الاحتفالية لنا وحدنا.. هى وأنا، وتورته صغيرة مع أجمل "كارت" تهنئة فى العالم.
- موسيقى تناسب ذوقها، وكانت الموضة أغانى هادئة لـ "مايكل بولتن".
- باقة ورد أرسلتها إلى البيت.. وأعتقد أنه كان أجمل، وأكبر، وأشيك "بوكيه" فى مصر.
- نصف من الذهب، مكتوب عليه لا الله إلا الله، والنصف الآخر محمد رسول الله.

باختصار.. عملت أراجوز يومها، وقلت لها:

- إِنْفَضِّلِي.. نَصْن تَلْبَسِيه، وَالتانى تَدِّيهِ لَلِي يَسْتَاهلِك، حتى لو ماكنش أنا.

كلام مؤثر.. الدنيا حلوة.. والجو تحفة.. أسوأ ما فى الموضوع، إنى كنت ضارب أكثر من مرة، وتحت عيني سواد، ويبدو على الإرهاق..  
وَصَارَحْتِي قَائِلَةً:

- بَصْرَا حَة إِنَّتْ عَاجِبْتِي، بس أنا خايفة منك.. معروف إنك شقى، وكل يوم مع  
وَاحِدَة، غير موضوع الشرب، دى قصّة تانية كمان.  
- بقولك يا هالة، واحده.. واحده، وكله هيبقى لوكس.

- ايه لوكس دى؟ عليك كلام.. مش عارفة بتجيبه منين.. ولا مامتك ولا باباك  
ولا أخوك ولا أختك بيتكلموا كده؟!!

- يعنى.. نقول مبروك؟ نقرأ الفاتحة.. بسم الله الرحمن الرحيم....، ورفعت  
يدى، وبدأت فى قراءة الفاتحة.. وابتسامة مضيئة قالت لى:

- فاتحة ايه اللي بتقراها؟! إرحمنى.. إدينى فرصة أفكر.. أحسن أنا بجد قلقانة.  
وعرفت.. أو بكل تواضع، أيقنت أنى دخلت قلب هالة، ويبقى الاقتراب  
من عقلها، لكنّها مسألة وقت.. ثم يحق لى أن أقول لنفسى: يارجل أنت لم ترها  
إلا منذ عشرة أيام فقط.. ومن الواضح أنها إنسانة ليست سهلة.. وسوف تتابعنى  
بكثير من التركيز.. ليست مشكلة على أية حال.. لن تغلت منى.. مستحيل، أنا  
ألفها فى سيجارة وأشربها.. إنما لن ألهو بها.. هذا أيضاً مستحيل.

مرت أيام الإجازة سريعاً، وعاد أهلى من رحلتهم.. مرّ الشهران كالحلم  
الجميل.. يا ألف خسارة..

عودة إلى الاستقامة، أو بمعنى أصح: "كله يزجّع فى مكانه".

## حفر الباطن.. والجائزة

وفى تلك الأيام كنت لازلت مجنداً فى الجيش، وعاش الوطن العربى كله تحت وطأة مشكلة احتلال العراق للكويت.. أيام سادها التوتر والانفعال بين أطراف كثيرة، وكانت أمريكا ستدمر الكويت لإخراج العراقيين منها.. المنطقة مشتتة، والجيش المصرى فى حالة تأهب، وكنت بعيداً عن كل المشكلات، فمهمتى أنا محددة، مكلف بمسئوليات فى إحدى الدور العسكرية، ولكن المشكلة كانت فى صديقى فتحى، زميل مرحلة الدراسة الجامعية.

لقد تم استدعاء زميلى فتحى كضابط احتياط، ولم اكن أدرى إلى أى مكان تم ترحيله.. إنه ليس الفتى المدلل منلى، لقد تعود طوال عمره الحياة الخشنة، ثم هو الآن ضابط احتياط.. إنها مسؤولية كبيرة.. المهم ذات صباح، تلقيت اتصالاً هاتفياً من فتحى، وكانت المحادثة قاسية بالنسبة لى، فكرهت الأحداث الرهيبة الساخنة، والموقف برمته أكثر وأكثر.. وجاء صوته خافتاً:

- إزيك يا صلاح؟ واحشنى أوى، وإزاي بابا وماما؟  
- أبو فتحى!! إنت فين يا عم؟ والله واحشنى جداً.. إيه يا بنى مش ها نشوفك  
واللآ إيه؟

- والله يا صلاح مش عارف.. جايز أعرف أشوفك.. وجايز ما أعرفش،  
أنا بأكلمك علشان أسلم عليك، وأقول لك أنا رايح حفر الباطن.

- حفر الباطن؟ يا نهار أبيض!! إنت رايح مع الكتيبة المصرية.  
- أيوة.. جالى إستدعاء النهارده الصبح.. ولازم أسلم نفسى بكره، فقلت أكلمك،  
وأسلم عليك لأنى مش عارف هارجع تانى واللآ.....

- بلاش تقول كِدا يا فتحى.. دا عُمُر الشقى بقى.. وإن شاء الله تَرْجِعْ بألف سلامة.. بسْ إنتَ خلى بالك من نَفْسِك، وأول ما تَرْجِعْ بِالسَّلَامَةِ كَلِّمْنِي.. اتفقنا؟
- ربنا يُسْتَرُ.. أَشُوفَكْ عَلَى خَيْرٍ.. وَسَلِّمْ لِي عَلَى الْأَهْلِ.
- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.
- سيدنا محمد عبده ورسوله.

انتابتنى حالة من الذهول بعد انتهاء هذه المحادثة التليفونية.. وظللت أكلم نفسى: فتحى!! حفر الباطن!! العراق!! الكويت!! أمريكا!! لقد بدوت متماسكاً طوال المحادثة بيننا.. ولكنى شعرت بعدها بالخوف، وأيضاً الحزن.. كلاهما يتصيب من مسام جلدى، وأردت البكاء بصوت عال.. رحمتك يا الله.. لماذا فتحى بالذات؟ وما كل هذه الأخبار السوداء؟ لماذا يذهب فتحى إلى حفر الباطن؟ ماذا يفعل هناك؟ ثم سيحارب من؟

عشرات الأسئلة بلا إجابة.. وأمسكت القلم، وكتبت رسالة إلى رئيس الجمهورية.. حكيت فيها عن فتحى ذلك الفتى الطيب.. فى أعماقه قدر هائل من الخلق الكريم.. وحكيت فى الرسالة عن أيام عشناها معاً، وقدرته على العطاء وإنكار الذات، والتفانى فى منحنى المحاضرات والملازم لأخذ فرصتى كاملة فى المذاكرة والنجاح.. كانت رسالة طويلة، حَمَلْتُ سيادته فيها مسئولية صديقى فتحى، وختمتها بقولى: دَمٌ فَتْحَى فِى رَقَبَتِكَ يَا رِيس..

ومرت سنة التجنيد بالنسبة لى بسلاسة، وهدوء، وبلا مشكلات لكنهم طلبوا منى التواجد ساعات منتظمة ولمدد أطول، فقد تقرر افتتاح الدار، ومن المهم استكمال الأشياء التى لم تُسْتَكْمَلْ بعد.. وكان العميد نائب الدار، يجمع فى يده كل الخيوط، وكنت مساعده بل وصديقه، وكان يثق فى ذوقى، وعهد إلى باختيار أنواع وألوان أقمشة مفروشات القاعات، ومنها قاعة الأفراح الكبرى، والستائر.



وكان العميد أيضاً يتمتع بالذوق الجميل، وهو شخص ذكى ومرن، وكنا نقضى معاً ساعات طويلة بدءاً من العاشرة صباحاً حتى الساعة الثانية ظهراً.. أعرض عليه خلالها المناقصات وعروض الأسعار لكل الأشياء المطلوبة بكافة تفاصيلها.. وكانت ثقته بى كبيرة، وذات يوم سلمنى حقيبة بها 40 ألف جنيه ثمناً لشراء تليفونات وأجهزة أخرى.. ولم أخن العهد ولا العهدة.

بصراحة.. أحببت الدار كثيراً، وأحببى العاملون بها، وشعرت أننى أضفت لمسات مهمة وجميلة فى المكان.. وفى يوم افتتاحها، كنت العسكرى الوحيد الذى جلس على مائدة وزير الدفاع، كواحد من أعضاء الفريق الذى قام بتجهيز الدار للافتتاح.

وبعد هذا اليوم التاريخى فى حياتى.. استمر تواجدى بها ثلاث مرات أسبوعياً لمدة ساعتين تقريباً، وبقية اليوم أقضيه مع حسام ودعاء ونانى فى مصر الجديدة، ومعهم صديقنا الضابط ماجد.. كنت أذهب إليهم لقرب المسافة سيراً على الأقدام، أضرب وأعود إلى الدار بعد حوالى نصف ساعة.. وكله تمام.. ومع الأيام، لاحظت أن بعض العاملين بالدار بدأ يشك فى الأمر، ويشعر بأن هناك شيئاً ما خطأ.. ولكن لم يناقشنى أحد فى الموضوع.. وانتبهت، وبدأت أراجع ولا أذهب إلى الدار بعد الضرب، أو على الأقل حذدت الجرعة، لأن أحد الضباط أيضاً بدأ يراقبنى بعين ثاقبة، وكأنه يقول: يا معلم.. أنا فاهم كل حاجة.

انتهت فترة التجنيد.. حقاً كانت أياماً جميلة، تعلمت فيها الكثير؛ خاصة عندما قمت بشراء احتياجات ومستلزمات الدار، كنت أدرس الأسعار، وأقارن بينها.. التجربة عملية ومفيدة جداً.

وفى تلك الفترة، تلقت الأسرة نبأ سعيداً بحصول والدى على الجائزة الأولى، فى تصميم واحد من أكبر المشروعات الهندسية فى السعودية.. واقترح الوالد أن أسافر، أنا ووالدتى معه؛ لننتعرف إلى الناس هناك، ومشروعاتهم

التموية الكثيرة، فقد تكون فرصة بالنسبة لى للتفكير فى العمل والاستقرار هناك.. ولم أكن قد سافرت إلى بلد عربى من قبل.. كل رحلاتى إلى أوربا وأمريكا.. بالإضافة إلى هذا، كانت الدعوة لاستلام الجائزة، تشمل دعوة لأداء العمرة مع والدى ووالدى.

كان أول خاطر: أن أقلل من الضرب، بعد أن أصبحت أضرب كل يوم تقريباً.

والخاطر الثانى: أن أشتري ملابس جديدة.

والخاطر الثالث: الدعوة من أحد الأمراء المرموقين.. إذا كل شىء بمستوى الأمراء.

والخاطر الأهم: تمنيت أن أرى الكعبة، وأصلى فى الحرم المكى، ففى كل يوم.. يتوجه الآلاف من مصر والملايين من العالم إلى هناك.. وطبعاً أزور المدينة المنورة التى أجمع كل الناس على حبها.

سافرنا، بابا وماما وأنا.. والرحلة "ملوكى" منذ بدايتها.. التذاكر درجة أولى.. رغم أنه قد سبق لى وجربت السفر بالدرجة الأولى.. لكن بهذا المستوى.. لا، لم يحدث.. الطائرة عملاقة، واسعة، كرم ضيافة، والخدمة ممتازة.. عشرة على عشرة.. وصلنا الرياض، وعلى الممر كانت تنتظرنا سيارة ليموزين، وتسلم مندوب ديوان الأمير جوازات السفر، والتذاكر أيضاً لاستلام الحقائب.

ما أروع الترحاب الذى استقبلنا به، والكرم العربى الأصيل الذى يبدو فى كل تصرف.. كل شىء جميل إلا الجو.. الحرارة شديدة، والرطوبة أيضاً.. أظن من المستحيل الوقوف فى الشارع دقيقة واحدة أثناء النهار.

وصلنا قصر الضيافة، والتقىنا مع الفائزين الآخرين بجوائز أخرى.. واستقبلنا الأمير، صاحب الدعوة، بحفاوة بالغة.. وكل التفاصيل تحكى عن الكرم، الثراء، والمعرفة بأقدار المدعوين.

فى غرفتى كل ما أحلم به.. فاكهة، وثلاجة مليئة بالعصائر والمثلجات من كل الأنواع.. كل ما أريده موجود تحت أمرى.. وكأنى أعيش عصر ألف ليلة وليلة، وشُبَيْك لَبَيْك.

الأعجب من هذا وذاك.. وجدت رجلاً يقف بالقرب من باب غرفتى، فسألته عن سبب وقوفه عند بابى طوال الوقت، وأدهشتنى الإجابة:

- لو إحتجت إلى أى شىء، أنا هنا تحت أمرى.

- حاجة إيه اللى ممكن أعوزها؟! كله موجود.. "اتكل على الله"، ولو سألوني عنك ها قول لهم راح يجيب ريش فيل أبيض، وعَدَى على كل كام ساعة عشان القلق.

لم يصدق الرجل نفسه، وشكرنى و"اتكل على الله" ومن حين إلى آخر، يطرق بابى ويسألنى: هل أحتاج شيئاً ما، واطمننه، كل شىء تمام.

هذه الرحلة كانت بمثابة رحلة تغذية، ويا إلهى.. ما كل هذا الكم من الطعام؟! إننى لا أفعل شيئاً إلا الاستمتاع بما لذ وطاب، وبصراحة إنها فرصة ممتازة لزيادة الوزن، وامتلات قليلاً بعد أن فقدت كثيراً من وزنى وأصبحت كالشبح.

وجاء يوم الاحتفال.. وتسلم الفائزون جوائزهم، وكانت الجائزة الكبرى من نصيب والدى، وشد سمو الأمير على يده بحرارة، وهو يسلمه "شيك" المكافأة المالية عن مشروعه الهندسى، الذى تفوق به على المشروعات الهندسية الأجنبية.

تبادل الفائزون التهاني، خلال حفل العشاء مع سمو الأمير وضيوفه الذين يعملون فى البنوك والسفارات والمشروعات الحديثة.. إنها تجربة جديدة بالنسبة لى، وحقاً إنها رحلة جميلة.. مختلفة.. وممتعة.

صباح اليوم التالى مباشرة.. جاعنى الوالد فى غرفتى، وأعطانى 5000 ريال، رغم أننا اتفقنا على 3000 ريال فقط منذ بداية الرحلة..

وقال لى:

- اشتر كل ما يعجبك، ومن جيبك.. من محفظتك، ولا تقبل أبداً أن يدفع لك أى واحد هلة واحدة.

أذهشنى كلامه.. ولم أعلق.

خرجت مع مندوب بعث به رئيس ديوان الأمير، يرافقتى فى رحلة المشتريات، وفهمت معنى ما قاله والدى، عندما وصلت عند المحصل "الكاشير" للدفع.. فقال مندوب رئيس ديوان الأمير:

- ما بيصير إنك تدفع!! إنت اختار.. والرجال يتولون توصيل كل شىء إلى القصر.

رفضت بأدب، وصممت أن أدفع من فلوسى، وإلا فإننى سأعود إلى القصر ولن أشتري شيئاً، وقلت له بحسم واضح:

- إنها تعليمات الوالد، ولا بد من تنفيذها.

أمام إصرارى، وافق الرجل، وبدأت أختار مشترواتي.. "چينزات، تى شيرتات"، وكله من ماركات عالمية، وأنفقت 4500 ريال، واحتفظت ببقية المبلغ.. فسوف ينفعنى بعد العودة إلى بلادى.

وبصراحة.. كنت أجلس على عرش السعادة، وأشعر بالفخر عندما زارنا سمو الأمير فى قصر الضيافة، لتحية الفائزين وعائلاتهم قبيل السفر لأداء العمرة.. وضغط سمو الأمير بيده على يد والدى بإعزاز قائلاً:

- ألف مبروك وبالتوفيق دائماً، والحقيقة أن ابن سيادتك أخلنا برفضه شراء أى شىء على نفقة الديوان كهدايا رمزية.. فاسمح لى أن أهديه ساعة يد هدية منى، وبارك الله فى أخلاقه، والفضل يرجع لوالدته السيدة الفضلى.

بصراحة.. شعرت أن ما قاله سمو الأمير يساوى أكثر من مليون ريال، وقد لاحظت أن كلمات التحية والتهنئة للآخرين لم تكن بالحرارة والقوة نفسها.. وعرفت فيما بعد أنهم قاموا بشراء كل احتياجاتهم على نفقة ديوان الأمير..

هذه الساعة أعتر بها للآن.. كانت ومازلت بالنسبة لى رمزاً للعزة والكرامة،  
وفهمتُ الوالد، عندما شرحها لى بوضوح:

- أنا هنا لتكريمى، واستلام جائزة عن مشروع وعمل مبدع.. وليس للإنفاق  
علىّ أو على عائلتى.

سافرنا كلنا لأداء العمرة.

طبعاً تمنيت أشوف الكعبة.. بصراحة الموضوع شغل تفكيرى كثيراً، فقد  
قرأت عنها ورأيتها على شاشات التلفزيون، وحكى لى الناس عنها الكثير..  
وقد قالوا لى مثلاً:

- أنا بكيت أول ما شفت الكعبة.

- أنا جالى ذهول أول ما شفت الكعبة.

أنا.. لم أبك.. ولم أشعر بالذهول.. ولم ينتبانى الشعور بأنى مبسوط  
أو شعور آخر مختلف.. الحقيقة لم أفهم، ولم أحدد إحساسى بدقة.. وبعد أن  
مرت الدقائق، وأحسست بالرهبة والخشوع بلا حدود.  
تأملت وبتركيز شديد حركة طيران الحمام.. هل يطير فوق الكعبة  
أم يطوف حولها؟

يا إلهى.. هنا كان فيل إيرهة!! واقتربت من الحجر الأسود.. لمستته..  
يا إلهى.. الزحام بالقرب من الحجر الأسود فوق التصور.. وشغلنى بئر زمزم..  
وتدفق المياه.. قرن.. وراء قرن يا إلهى.. ما أعظمك.....

ما أروع أداء العمرة مع بابا وماما.. ودعوت ربى أن يغفر لى "البلاوى"  
التي عملتها فى هذه الحياة القصيرة.. نعم، والعمر كله قصير، مهما طال.

وزرنا المدينة المنورة، وهناك كان إحساسى بالراحة، وفى أعماقى دائرة  
مضيئة، ولست أدرى لهذا سبباً، لكن بصراحة شعرت بالراحة كثيراً فى المدينة  
المضيئة، الهادئة، وبين أهلها الناس الطيبين، وصليت كثيراً عند قبر الرسول  
صلى الله عليه وسلم.. فعلا سجدت فى المدينة المنورة.

انتهت الرحلة الجميلة على خير، وعدت إلى مصر.. وقد ازداد وزني ثلاثة كيلو جرامات، ولم يعد لون الوجه باهتاً، ولم تعد منطقة السواد تحت العينين واضحة.. فعلا عشرة أيام ليست من العمر، والفارق بين ما قبل الرحلة، وما بعدها واضح جداً.. عدت هذا الإنسان الممتلئ صحةً، وكأني جئت للحياة بكل نضارة من جديد، أيضاً مشترواتي كلها أنيقة، ومعى مبلغ لا بأس به.. وكل شيء تمام.

ومنذ اليوم الأول لوصولي.. عرفت أخبار الأصدقاء، واحداً، واحداً، بونو يضرب "بهبب"، والجُرعة زادت، ولو استمر على هذا المِنوال سَيَفْقِد عقله، وَيَجَن، نعم.. هو ورث ملايين، إنما المثل يقول: خذ من التل.. يخل.. بالإضافة إلى أنه قد فصل من الجامعة بعد رسوبه للمرة الثالثة.

ريكو، الشيء نفسه، يضرب بلا حساب، وصديقه الجديدة بنت تاجر مُخَدَّرات في شبرا، وتغير كل شيء.. صحته، شكله، مظهره، وكثرت مشاكله، وساءت سمعته إلى أقصى درجة، ولم يدخل الامتحان.

زوني.. كما هو.. صداقته مع نيفين مستمرة، ويقضى معها كل النهار، ويذهب آخر الليل عند ميدو يشرب سيجارتين وزجاجة بيرة مع علاء.. هذا البرنامج اليومي رسمته له نيفين، ولم يخرج عنه.. ولا ينظر حوله أبداً.. لا يمين ولا شمال.. هي بصفة مستمرة فوق رأسه، وهو سعيد بهذا، ويحبها حقيقة.. وبعد سبع سنوات في الكلية، استطاع أخيراً النجاح في السنة الأخيرة.. نعم.. عنده ملحق في مادتين، ولكنه نجح.. وعبر.

"ميدو"، كما هو.. ينتظر في بيته من يأتي ليأخذه في جولة، وأحياناً يضرب مع بونو، وأحياناً مع ريكو.. أو يلف سيجارتين مع زوني، وأحياناً يضرب معي ثم يذهب إلى النادي الأهلي لمشاهدة مباريات الكرة، ومن حين إلى آخر يذاكر.. بشكل عام لا أحد يفهمه.. المهم أنه نجح..

ولكنه يرفض البحث عن عمل.. قرر ألا يعمل.. ويقول:

- ماليش نفس اشتغل.

يذكرنى دائما بفيلم "الأيدى الناعمة".

علاء، لا يتغير، بيرة.. أفلام جنسية، قراءة مجلات وصحف.. ينفق بلا حساب، وفيما يبدو أن ثروته من الميراث على وشك النهاية.. شىء متوقع، فهو منذ عشر سنوات ينفق ببذخ، ولا يريد أن يبحث عن عمل، ويريد البقاء فى البيت طول الوقت مع اثنين من أصحابه، حياتهم هم الثلاثة مملة إلى أقصى درجة.

واضطر حسام ومعه دعاء إلى الانتقال إلى شقة تالثة فى مصر الجديدة أيضاً، بعد أن اشتبه الجيران فى تصرفاتهما المريية، وضيوفهما الغرباء الذين يترددون عليهم فى كل الأوقات.. وكان من الواضح أن المال لا ينقصهما، وأعتقد أن دعاء تحصل على بعض هذا المال من الرجال الذين تتزوجهم.

نانسى بدأت تتعلق بى، وكنت على العكس تماماً، وكانت تطاردنى باتصالاتها التليفونية، وعندما ترانى لا تدعنى فى حالى، وكنت أفلت بصعوبة.. إنها الآن تحببى بجنون، وهذه كارثة!! نانسى؟! هذا آخر شىء يخطر على بالى. راندا.. كما هى تحببى جداً، ولكنها بدأت تفهم الحقائق؛ فالزواج لن يحدث.. وقبّلت فى نهاية الأمر أن تكون موجودة فى حياتى، ولكن دون مسؤولية.. عندما أطلبها تنفذ فوراً، وعندما أقول لها مع السلامة تنفذ أيضاً ودون مناقشة.

مريم، فأنا حبها الأول، وحبها الأفلاطونى.. ولا تريد أكثر من أن تكون بجوارى.. بل ويكفيها أن تسمع صوتى هاتفياً، وعندما نلتقى، فى كل مرة أفاجأ بهدية محترمة، أو مفاجأة لا تخطر على البال.. ولم يغيب عن خيالها أبداً أن حلمها فى النهاية سوف يتحقق، وأنى سوف أتزوجها فى يوم من الأيام.. كنت أرى مريم مرة فى الأسبوع، أو مرة كل أسبوعين، وفى كل مرة أصطحب أحد

الأصحاب؛ حتى لا أشعر بالملل.. إنها بنت بسيطة وطيبة.. كأنها ملاك في زمان ليس به ملائكة.

هالة الجميلة.. هي وخذها في القلب.. فعلا أحبها، وأحلى الأوقات هي التي أقضيها معها.. هي أيضاً بدأت تتعلق بي، بل أحسست فعلاً أنها بدأت تحبني.. المشكلة كانت الشك.. وتساءلني ألف سؤال وسؤال:  
- كنت فين؟ ومع مين؟ ورجعت إمتى؟ وشربنت واللاً لأ؟

سمعتي بالنسبة لها كانت سيئة، وكان من السهل عليها معرفة أخباري من أصدقائي في الجامعة، وكل التفاصيل تصل إليها بسهولة.. إنها تتمنى أن أهدأ.. وأن أحسن اختيار أصدقائي.. وأن أتوقف تماماً عن الشرب.. وأن أبدأ التركيز في البحث عن عمل، وبناء المستقبل.. كل كلامها منطقي ويدخل العقل، إنما المشكلة أين العقل؟ العقل في اتجاه آخر تماماً.. في "جوينت".. في زجاجة ويسكي.. في سوسته.. إنما في المستقبل!! إنه شيء بعيد.. بعيد.. كنا لا نخرج إلا قليلاً لأنها متفوقة ومن الأوائل.. تقضى وقتها في المذاكرة والتحضير والقراءة.. بينما أقضى وقتي في بلبيس أو السويس أو الساحل.. الفارق كبير.. هي جادة تذاكر، وأنا، على العكس، سهراتي مرعبة، وكل ليلة فيلم شكل، وأصحو في "عز الظهر".. بمعنى العلاقة مستمرة، ولكنها ليست مستقرة.. بصفة مستمرة تشك، وقصة راندا تسبب لها صداغاً مستمراً.. هي تعرف وسمعت، وترى راندا، وتعلم بمدى حبها لي.. ولم يكن بيني وبين هالة أى علاقة جنسية.. فهي لم تعطني الفرصة، ولم تسمح أبداً بوجود مثل هذه القصة، وكنت بصعوبة، في أى مكان وفجأة، أخطف قبلة سريعة.. كان الموضوع صعباً جداً.  
كان أهلى من المعجبين بها، ولكن في رأيهم أنها مغرورة إلى حد ما.. وبصراحة معها كل الحق.. فهي فتاة متفوقة، ذكية.. بنت ناس ومن عائلة محترمة.. وفي منتهى الجمال "صاروخ".



رولا أختي.. توأمي، كما هي دائماً، تدلّني، تهتم بي كثيراً، تدافع عني في كل المواقف، وتغضب وتثور إذا قال عني أحدهم: صايغ أو ضايغ أو مستهتر ولا فائدة منه.. إنها حامى الحمى، وكريمة معي.. تعطيني من مالها الخاص بسخاء.. كانت رولا دائماً تحل مشكلاتي المادية.. فعلاً أخت "بعشر" رجالة وهي كثيرة السفر.. عملها في الأمم المتحدة يضطرها لحضور المؤتمرات والندوات، وبعد زواجها لم تعد رحلاتها كثيرة بالدرجة نفسها، وطبعاً لم تعد تعيش معنا في البيت نفسه.. ومع هذا كنت "أتكعبل" فيها كل يوم تقريباً.

ونحمد الله، عاد فتحي من حفر الباطن، سالمًا.

# عيون قارئ

## صدمات متتالية

رجعت من السعودية، وكانت الرحلة جميلة حقاً.. دخلت إلى المنزل، واستقبلت أول مكالمة تليفونية من شريف ملك "الغرز"، وقبل أن يسأل عنى وعن حالى، دخل فى الحديث مباشرة:

- تعال بسرعة يا صلاح.

- فيه إيه؟

- يا عم جارك مراد عندى، وأفوز من نفسين بانجو.

- مراد.. هو مراد بيشرّب؟! دا حتى مبيشربش سجاير.

- يا سيدى شرب، تعال بس بسرعة.

نزلت جزئى على شريف، أشوف حكاية مراد إيه.

مراد جارى، طيب جداً.. كان من أشطر الناس أيام المدرسة، وتخرج فى كلية الهندسة.. هوايته الأولى والأخيرة السيارات، ولم يفكر طوال عمره فى دخول عالم المخدرات.. كنت فى حالة دهشة، أصابت تفكيرى بالشلل، وعندما وصلت إلى شريف، وجدت منظرًا غريبًا.. مراد جالس على الكنبه فى "البلكونه"، ورقبته مائلة.. وعلى صدره فوطه، وسألت شريف:

- مراد مالاه؟ إيه اللى حصل يا شريف؟

- كنت فى الشارع وقابلته.. سلامات، وبغدين سألنى معاك حشيش؟! رديت: إنت بتشرب يا مراد؟! أنا اللى عارفه إنك حتى ما بتشربش سجاير، قال لى: بشرب دلوقت حشيش، بيرة، ويسكى، كله.. قلت له: معايا بانجو، فقال البانجو ده مبيعلمش حاجة، قلت له: اللى معايا بيعمل.. طلعتنا على البيت عندى ودخلنا بلكونه الأوضة، لأن أبويا وأمى موجودين.. قعدنا على الكنبه فى البلكونه،

ولقيت له جوينت، فقال لي: ما تلف 5 ولا 6 علشان نشربهم، قلت له: لا..  
 اشرب ده الأول، ولما تحتاج تانى أنا معايا كثير، وهالفلك زي ما أنت عايز..  
 أنا كنت متأكد إنه مش هيقدر يشرب أكثر من جوينت، لان "السّف" اللي معايا  
 جامد "....."، وفعلًا ولع الجوينت وخذ حوالي عشر أنفاس ورا بعض.. رجّع لي  
 الجوينت وقعد على الكنبه وأنا كملتھا.. نص دقيقة ولقيته نزل في الكنبه لتحت،  
 وديماغه واقعة على كتفه.. سألته: مالك يا مراد، قال: أنا تعبان أوى.. سألته:  
 تعبان إزاي؟ فيه إيه؟ رد بصعوبة: إن دماغه ثقيلة أوى ومش قادر ياخذ نفسه  
 ولا قادر يتحرك.. وابتدا وشه يصفر ويعرق جامد أوى.. جريت على المطبخ  
 وعملت مية بسكر ورجعت أكلمه.. مايردش على.. أجيبه يمين، شمال مقبش  
 فائدة، كلمني أبوس إيدك.. حاولت أشربه، فشلت.. أعمل إيه؟! رجعت المطبخ  
 تانى، وكل قزايز المية الساقعة اللي في التلاجة حطتها في حلة كبيرة وعليها تلج  
 من الفريزر، جببت الفوطة الكبيرة، وحطتها على صدره وكتافه زي ما أنت  
 شايف كده، قاعد بيحلق.. غرقته مية، مسكت كوباية، ومليت بقى، ونفخت في  
 وشه زي المكوجية، كل رشة يتنفض، بس مكش بيفتح عينيه، ولا بيتكلم.. وبعد  
 ما انفخ الميه على وشه أنشفه بالفوطة.. واستمر الحال دا لمدة نص ساعة، لحد  
 ما أخيرا نطق وقال لي: كفاية.. أنا كويس خلاص.. فسألته: يعني تقدر تقوم  
 ترووح؟ قال لي: كمان شوية، وطبعًا أنا كنت خايف حد يدخل وهو في الحالة  
 دي، جريت على التليفون أكلمك، سببته دقيقة واحدة.. رجعت لقيته فصل تانى،  
 فكرت أسببه نايم لغاية لما إنت تيجي.. قل لي: هنعمل إيه في التهمة دي!!؟  
 - نرّش ميه على وشه تانى، يفوق، تأمن لي الطريق لغاية لما ننزل.. عربيتي  
 تحت، حاقعه فيها وأنيمله الكرسي وأطلعك تانى نشوف موضوع البانجو  
 اللي معاك ده إيه.

- يا عم بانجو جامد شوية، بس مش قصة.

\* الصنف.

- طيب وأخبار البُوْثرة إيه يا شريو؟

- البيسة، لا، أنا لِسُهْ خارج من المستشفى من كام يوم ومُهْدَى اللعب.

- البُوْثرة بقى اسمها بيسة؟

- آه إسم الذلَع الجَدِيد.. وبعدين علشان نتكلم بِرَاحَتنا، هُوَ مين حَيَفَهُم إن بيسة يَعْنِي بُوْثرة.

- بيسة.. بيسة.

- بقولك إيه، خَلَصنا من التُّهْمَة دى، أمى ممكن تَكْبِسُ فى ثانية.

من الأشياء اللى كنت أهتم بها.. علاقتى بأهل أصحابى؛ فوالدة شريف كانت دائمًا وأبدًا تعتبرنى من الأولاد الصالحين، أبناء العائلة العريقة، والمستوى الدراسى الجيد، ولم تتخيل أبدًا أننى أتعاطى أى مخدر، وكانت دائمًا تشجع شريف بأن يعتبرنى مثله الأعلى، ويتمسك بصداقتى، وأن يتجنب أصدقاء السوء.. فكنت أحرص كل الحرص على أن تستمر مثل هذه النظرة فى أعين أهل أصدقائى، وكنت أبذل جهدًا للحفاظ عليها.

وبدأنا فى رَشِّ المياه مرة أخرى على وجه مراد إلى أن بدأ يفيق، وفورًا ضربناه يمين وشمال، وتحدثنا معه، شَجَعْنَاهُ على الحركة إلى أن نجحنا.. أمَّنْ شريف الطَّرِيق، ودَخَلْنَا الأَسَانِسِير.. واستند مراد على كتفى، وَرَجَوْتَهُ أن يتمالك نفسه إلى أن نصل إلى السيارة.. بصعوبة وصلنا إلى السيارة.. ولكن كَشَفْنَا البَوَاب.. فقال:

- خير يا صلاح بيه، هُوَ الباشا ماله؟

- مفيش، بَطْنُه بتوجعه، عنده مَعْص.

وصلت إلى السيارة وفتحت بابها.. أدخلت مراد وفتحت له الكرسي..

فى أقل من لحظة نام، تَرَكْتَهُ وصعدت إلى شريف مرة أخرى، وطلبت منه نُوَلِّعْ جُوَيْبَتَيْنِ من البانجو، الذى قضى على مراد.. كان الصنف قويًا، ولكن لم يكن سببًا لشعورى بأى شىء أكثر من "السُّطَل"، وأعترف أن البانجو ما هو إلا مخدر

غبي.. شربت "جُوبِئَتَيْنِ" مع شريف، ونزلت إلى مراد فوجدته نائمًا.. ولم يتحرك من مكانه، لكنه بدأ يعي بوجودي وأخيرًا تحرك، وتكلم بصعوبة وتلعثم عندما سألتني:

- هو أنا فين؟ هو إيه اللي حصل؟ دماغى.. آه يا دماغى.. أنا عايز أروِّح.  
أخذته إلى بيته، ومشيت بعد أن أعطيته الوصايا العشر، وكانت آخر وصية:

- وَلَا أَنَا شُوفْتِكَ وَلَا إِنَّتَ شُوفْتِنِي.

تقابلنا بعدها بحوالى شهر، وصارحنى بأنها كانت آخر مرة في حياته يشرب فيها مخدرات من أى نوع.

وفى منزلى وبعد العودة مباشرة، دارت فى بيتنا أسطوانة من كلمات الوالد وألحانه ومطلعها: لازمَ تشتغل.. هذه الكلمات التى يرددها على مَسْمَعِي بلا توقف، وأنغامها النشاز كرهتها من كل قلبى، فهى تعذبني، وتذكرني بالفراغ الذى أحياه، والوالد لا يمل، ولا يتوقف عن اللوم والتأنيب كلما رآنى قائلاً:  
- مَا يَنْفَعُ حَيَاتِكَ تَسْتَمِرُّ بِالْمَنْظَرِ دَه.. الاستهتار، والسهر خارج البيت، والبَنَات، والفلوس اللى بتصرفُها من غير حساب، ومَقِيشِ أى نظرة للمستقبل.  
وعندما يفقد الأمل، يقول لى:

- أَنَا نَاوِي أَقَاطَعُكَ.. يعنى مَالِيشِ دَعْوَةَ بِيكَ، وَلَا لَكَ دَعْوَةَ بِيَّا.

- اِرْحَمْنِي يَا بَابَا.. أَنَا خَلَاصَ حَفَظْتِ اللِّي هَتَقُولُهُ.. وَمِشْ كُلَّ يَوْمٍ اسْمَعُ نَفْسِ  
الأسطوانة.

وفى حقيقة الأمر.. كان موضوع المقاطعة المتكرر بالنسبة لى شخصيًا جميلًا، ويعجبني لأكثر من سبب.. السبب الأول، أننى لن أسمع هذه الاسطوانة المشروخة خلال فترة المقاطعة، والسبب الآخر أننى لن أكون مُضطربًا لذكر مَبَرَّراتِ التأخير كل ليلة.. وبشكل عام، كان لقاءنا فى البيت يحدث صدفة من حين إلى آخر، فهو يصحو فجرًا فى موعد عودتى، وما يدور من حوار بيننا

لا يزيد عن كلمتين: "صباح الخير"، أو "تصبح على خير" .. وأنا استيقظ في الرابعة بعد الظهر، لأجده تناول طعام الغداء بعد عودته من الشركة، ودخل إلى غرفته لينام ساعتين، ويستيقظ ليجلس إلى مكتبه، ويعاود نشاطه في رسم مشروعاته أو إجراء اتصالاته المهمة.. وهو على النقيض منى تماما، كل شيء مرسوم في حياته، ومخطط له بالدقيقة والثانية، وأحاول إذابة الجليد، وكسب وده، وأقول له:

- مساء الخير يا بابا.. وَحَشْتِي والله.  
- إنت خلّيت فيها صباح من ليل.. وبعدين أنا لى أكثر من عشر أيام  
ما شفّتكش.. ينفع الكلام ده؟!  
- والله يا بابا.. ظروف.. الحياة صعبة، والدنيا مش زى الأول.. أقولك إيه  
بس؟! كفاح.. الحياة كفاح.

- طيب وبعدين.. يعنى هاشوفك إمتى؟  
- ناخذ ميعاد.. إيه رأيك يوم الجمعة على الغدا؟  
- خلاص.. يوم الجمعة، نتغدى فى النادي.  
- والغدوة دى على أنا.  
- طبعًا هتغرمنى، وتاخذ منى حق الغدوة عشر مرات.  
- زيتنا فى ديقنا يا إكسيلانس.  
- أنا نفسى أعرف بتجيب الكلام السوقي ده من فين؟  
- يا "إكسيلانس"، ابنك "تيلتوارجى" قديم.

ظل لقاء الجمعة فى النادي لطيفا، إلى أن فتح الوالد موضوع البحث  
عن عمل، ورفضت قائلا:  
- أنا لازم أستريح شوية.  
- تستريح من إيه؟

- إتحرجت.. وخلصت فترة التجنيد، والله العظيم حضرتك راجل مفترى، وربنا ما يرضاش بالظلم.. هو اللي أنا عملته ده كان سهل؟! وخلي بالك، حضرتك بعيتى فى موضوع الجيش، ولا كلمت بنى آدم واحد علشان أخذ إعقا، ما تفكرش أنا ها أعدى لك الموضوع ده.. لنا وقفة.. بس كل وقت وله أدان.  
- بقى كده؟! لك حق، فعلاً أبوك عايز يتربى.

تدخل رولا فى الحوار ضاحكة:

- عيب كدا يا صلاح.

لا تعليق من أمى، وكعادتها فى مثل هذه المواقف، تفضل أن تبدو كأنها لم تسمع الحوار.

كان الشد والجذب السمة المميزة للعلاقة بينى وبين الوالد فيما يتعلق بالأمور المادية، وكانت لنا كل أسبوع معركة حول هذه القضية الحيوية.. تبدأ بأن أطلب بالدعم المالى، ورفع الميزانية المقررة، وأن تضاف إليها منحة خاصة، وتنتهى المفاوضات باتفاق جديد، وأخذ منه المبالغ التى أطلب بها.. تنتهى باننى الغالب ولست المغلوب.

الحق يقال.. كان الوالد شديد الكرم معى، يعطينى بسخاء حقيقى،

صبراً عظيماً، حتى حينما يجوز لى قصي من حبه يمكن تصور هده ولا يمكن

تأخذها بعين السبر، هذا خلاف أن المتغيرات تتسلف وتتحقق كل المبلغ الذى

فحصيرة، وعظيمة لأن لم تكن لتبقى كثيراً، كنت أعتمد على كتابه بر سائل

وإوتة، أقول فيها:

- صباح الخير يا حياتي..

تخية عتقيرة من العزقة المجاورة.

ل علشان واضح جداً أن حضرتك يستهزئ منى اليومين اللي فاتوا تدو

المستار، ما يتدبش قلوب، والكلام دم عيب وما يصحش.. لابد من تصحيح

والعودة إلى الواقع والحق..

من فضلك يا بابا سيب لى مائة جنيه، وِخَلِّيك أب جدع ولطيف..

ابنك البار..

صلاح بك.

كنت كثيرًا ما أحاول، وأبذل جهدًا فى الكتابة باللغة العربية الفصحى،  
ويأخذ الوالد كل ورقة أكتبها، ويصححها بقلم أحمر، ويعيدها إلىّ وقد كتب جملة  
صغيرة: تفضل آخر مبلغ إلى آخر الشهر.. ويعطينى نصف المبلغ المطلوب،  
فقط: خمسين جنيه.

لم يكن ذلك مهمًا بالنسبة لى، فقد حصلت على مبلغ ما.. وبالنسبة  
للوالد؛ فهو يشعر بارتياح لأنه أظهر اعتراضه، وهدد وتوعد.. وكنت أعرف  
جدا أن هذا التهديد مثل غيره "فَشِينُك".. أعترف منذ صغرى أن يدي كانت  
طويلة، تعبت فى بنطلون أخى كريم، وشنطة أختى رولا، ودولاب أمى،  
ومحفظة والدى.. ومن فترة لأخرى أقوم بعملية سطو على أحدهم.. ولم يكن  
هناك أى حل لهذا الموضوع الخطير، إلا أن يحترس كل منهم، ويركز جيدًا فى  
إخفاء أمواله.. وبطبيعة الحال، إذا وُجِهت إلىّ الاتهامات أو نظرات الشك  
والريبة، كنت أنكر بشدة قائلاً:

- لأ.. مش أنا طبعًا.. أنا لَمَّا باخد أى حاجة بقول على طول.. وبعدين أنا  
معايا فلوس، وميش عايز فلوس.. هو أى ظلم وِخَلِّاص.. "وإن بعض الظن إثم"..  
رَبَّنَا هَيِّئْ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيَّ الظلم ده.

وتضيع الحقائق، وتدور بعض الشكوك حول الشغالين فى المنزل.

عودة إلى الشلة مرة أخرى.. ظل الحال كما هو.. زونى وميدو  
لا يتوقفان عن شرب البيرة والحشيش، ريكو ازدادت جرعاته، وبونو وصل  
إلى درجة تَخَطَّى الخط الأحمر.. وكنت أقضى معظم الوقت مع مصطفى  
من شلة الجامعة.. شاب ظريف، طيب وكريم بوقته وأمواله، فوالده من أكبر  
الأثرياء، وكلما سافر الى الخارج، نأخذ سيارته المرسيديس آخر موديل، ومن



السيارات القليلة في ذلك الحين، والتي بها تليفون، وعلى مقعد القيادة شاب صغير.. وكنت أفضل الجلوس في المقعد الخلفي، ألف سجاير، وأشرب البيرة، وبكل عظمة استند على المسند، وابدأ اتصالاتي التليفونية، وأعطى تعليمات:

- إطلع على المهندسين.. أدخل شارع شهاب نعلق بنتين.. وطبعاً السيارة المرسيدس تدير رأس كل من يراها من الجنسين، حتى ضباط الشرطة، يبدو في أعينهم وربما على ألسنتهم التساؤل:

- أولاد مين دول اللي راكبين عربية آخر موديل، نمرتها (نمرتين فقط) ملاكى القاهرة!!

لازال الضرب لذيذاً، حقاً إن مشكلاته أصبحت أكثر وضوحاً، ولكن مازال الموقف تحت السيطرة.. يوم أضرب مع رامى، واليوم التالى مع حسام، وأخذ البؤذرة وأطلع على الجامعة، أضرب مع مصطفى وآخرين.. الجامعة مليئة بهم، ولكن لكل منهم طريقته الخاصة.

لم تكن هناك أى مشكلات مادية.. دائماً هناك حل، بمعنى أن كل الطرق مفتوحة ولم تُقفل بعد.. ولكن فى أوقات كثيرة بدأت تتأبني أحاسيس مختلفة بسبب موضوع البؤذرة، وكثيراً ما قررت أن أتوقف تماماً عن الضرب، بسبب المواقف السخيفة التى نواجهها من الضريبة، ومن التجار.. كنا نقضى ساعات بحثاً عن البؤذرة ولا نجدها، ونتجول من تاجر إلى آخر، ونحن نشتل من الغيظ والغضب.. دولاب قفل، والثانى أسعاره باهظة، والثالث لديه بؤذرة قليلة وسيئة؛ فنضطر إلى السفر لشرائها من السويس أو بلبس أو الإسماعيلية.. هناك نجدها بوفرة أكثر، وأحسن، وأرخص أيضاً.. المشكلة الوحيدة، أنه لا بد من شراء كميات، على الأقل جرام، وثمانه فى ذلك الزمان ستمائة جنيه بما يعادل ستة آلاف جنيه فى هذه الأيام.

استمرت المحاولات الضاغطة لتشجيعى للبحث عن العمل من: ماما، وبابا، ورولا، وكريم، الذى تسلم عملاً جديداً فى إحدى الشركات العملاقة

في إنجلترا، من هالة، ومريم.. باختصار من كل الناس المحبة والعاقلة،  
والتي يهتما أمرى.

استطاعت أختى رولا من خلال علاقاتها الواسعة، أن تحدد لى موعدًا  
لللقاء رئيس مجلس إدارة شركة جديدة للمواد الغذائية، لم تكن معروفة فى  
الأسواق، والدعاية عنها محدودة.. إنما لا مانع من التجربة.

تمت المقابلة مع رئيس مجلس الإدارة، ومدير المبيعات، وخلال اللقاء  
كنت حاضر ذهن، وفى أحسن حالاتى، وأجدت التهاور بلباقة، وعرضت  
بعض الأفكار المبتكرة عن تسويق الأغذية؛ فموضوع الشراء والبيع فى دى  
ومن هواياتى المفضلة منذ أيام الطفولة، ومنذ فكرت فى بيع أول دراجة تلقيتها  
كهدية عيد ميلادى الخامس، ومنذ صغرى كنت أبيع السجائر فى المدرسة.

وبعد ساعة من هذا اللقاء الناجح.. تلقيت التهنئة من رئيس مجلس  
الإدارة شخصيًا، وقال لى:

- مبروك.. تمت الموافقة على تعيينك بمرتب 500 جنيه، بالإضافة إلى علاوات  
ونسبة من المبيعات، وأنت تحت الاختيار لمدة ثلاثة شهور.

طار أهلى من الفرح.. الحمد لله يارب.. صلاح نجح فى المقابلة،  
وأخيرًا قرر أن يشتغل، ويكف عن أفكاره العجيبة، التى تقفز إلى ذهنه من حين  
إلى آخر، دون مقدمات، وذات مرة قلت لأبى:

- بابا.. عايز أفتح نادى فيديو فى النادى.

الوالد رفض طبعًا، وإنما بعد سنتين.. افتتح نادى الفيديو فى النادى..  
وعندئذ صارحتنى أمى بأنها كانت فكرة ممتازة.. وفكرت فى مشروع جديد  
آخر، قائلًا:

- بابا.. أنا عايز أعمل عربية سندونشات ومشروبات مثلجة فى شارع جامعة  
الدول العربية.. أو أفتح محل شرائط كاسيت وصُور فرق الموسيقى،  
والإكسسوارات بقاعة الأولاد الخنافس، وهى موضه خطيرة الأيام دى.

رفض الوالد الفكرة، كما رفض مناقشتها معي.

المهم.. بدأت العمل في شركة المواد الغذائية بالتدريب المطلوب على مدار يومين، كل يوم أربع ساعات.. رسمت خطة طموحة، وقمت بجولات منظمة على المطاعم، والفنادق الكبيرة.. وحقيقة لم أكن أتوقع كل هذا النجاح خلال فترة قصيرة، وعلى مدار شهرين حققت ضعيف الهدف، وقررت الذهاب إلى شرم الشيخ.. فكنت أخذ الطائرة وأقوم بجولة في كل الفنادق.. وعندما تصل السيارة محملة بمنتجات الشركة، يجدونني قد عقدت الاتفاقات ووقعت العقود بكميات أخرى جديدة.. وتعود السيارة من شرم الشيخ، وقد أفرغت كل حمولتها من منتجات.. نعم، كنت "شاطر" جدا، وهذا التميز ساعدني كثيرا، وعزز موقفي في الشركة.

لم يمنعني هذا النجاح من التزويغ الكثير من حين إلى آخر.. كان من المفترض أن أذهب إلى المصنع مرتين أسبوعيا، ولكنني كنت أكتفي بالذهاب مرة واحدة في الأسبوع.. اعتبرت أن هذا حق؛ فالتسويق وبيع المنتج يتحققان فعلاً بأعلى المعدلات، رغم أنني لا أعمل أكثر من ثلاث أو أربع ساعات في اليوم.. في رأيي هذا يكفي جدا، مادام أدائي في العمل أكثر من ممتاز بشهادة الجميع، كما أنني أحقق هدفاً يزيد عن الهدف المأمول.

بعد النجاح في شرم الشيخ، ناقشت مُديرِ الشركة في أن أقوم بتجربة جديدة، وهي محاولة إقناع الدور العسكرية بالتعاقد معنا.. رفضوا وقالوا إن مثل هذه المحاولة لن تنجح، بحجة أنه من الصعب التعامل مع مثل هذه الدور، فلن توافق على الأسعار التي ننشدها، ولن تتم نظم الدفع أيضاً بسهولة.. لم أقتنع، ونوجهت إلى الدار التي قضيت فيها فترة التجنيد العسكري، وساهمت بجهد في شراء كافة احتياجات قاعاتها وأجهزتها، بالإضافة إلى علاقتي الممتازة بإدارتها والعاملين بها.. إنهم جميعاً وبلا استثناء يحبونني، فقرروا خوض التجربة

والتعاقد لأجل خاطري، واعترافاً بالأيام والأسابيع والشهور الجميلة التي قضيتها بينهم.

لقد شجعني هذا الدعم المعنوي الهائل على التوجه إلى دار "....." من أكبر الدور في مصر.. ونجحت في بيع كمية هائلة، وكان الدفع شبه فوريًا، لدرجة أنني استطعت تحصيل نصف المبلغ في اليوم نفسه، والنصف الثاني بعد شهر، بينما كانت الفنادق الكبرى تدفع بعد 45 يومًا.

لم تحدث هذه المعدلات في الشركة من قبل، وفاق هذا الإنجاز التصور.. أصاب الذهول مدير قسم التسويق ومدير قسم الدعاية.. وبعد ثلاثة شهور، ذكّرت الإدارة المالية بدفع ما استحقه من مكافآت.. ولكنني تلقيت ردًا غريبًا، فاللوائح تقول إن الشهور الثلاثة الأولى هي فترة الاختبار، ولا يحق لك الحصول على مكافآت في فترة الاختبار، لكن تقرر رفع مرتبك إلى 800 جنيه حتى نهاية العام، وإذا أثبت كفاءة، نرفع المرتب مرة أخرى، وسنبدأ احتساب المكافآت اعتبارًا من اليوم. وبالطبع.. لم يقنعني هذا المنطق.

هل من المعقول أن أحقق ضعف الهدف، ولا أحصل على حقي بحجة أنني في فترة الاختبار؟! لم تكن "الفلوس" هي المشكلة لكن المشكلة هي عدم مصارحتي بهذه التفاصيل منذ البداية.. ولم أعد أعمل بالهمة ذاتها، واكتفيت بموعد واحد في اليوم، والمتابعة من خلال الاتصالات التليفونية، والذهاب إلى الشركة في فترات متباعدة.. باختصار لم أعد أعمل بالحماسة السابقة نفسها. اعترف أنني.. في خلال الفترة التي عملت فيها بجدية.. لم أكن أضرب إلا نادرًا؛ لأنني ركزت في عملي، الذي أعجبني وأحبيته، لأنه مختلف، وكانت علاقاتي الكثيرة والقوية تدعمني، ولا أحد ينافسني.

للأسف، لم يفهم أحدهم سرّ هذا التحول، واختفيت تمامًا دون أن أتقاضى بقية المبالغ المستحقة لى لديهم.. لا يهم.. المهم أن الموقف لم يعجبني.

تركت العمل.. وارتفع معدل الضرب مع حسام ودعاء ونانسي، وفي أوقات كثيرة، تمنيت أن أمر على بهاء، ومنعني ما سمعته عن مشكلاته الكثيرة.. كما أنني لا أعرف كيف يستقبلني أهله في ظل هذه الظروف الصعبة.. بصراحة كنت أخشى الذهاب إليه، فالموقف بالنسبة لى غامض، وكل ما أعرفه عنه وأسمعه من الأصحاب، هو أنه في أسوأ حالاته.

في تلك الأيام.. ازدادت مشكلات الضرب، ومطاردة الضريبة.. وكم صدمني نبأ بيع رامى لسيارته "بى إم دبليو" وتسلم ثمنها واختفى تمامًا، وصدمني أكثر أن أعرف أن والده يبحث عنه في كل مكان.. وفي يوم ما فاجأني سيادة اللواء بزيارته، وبعث لى البواب:

- خير يا عم عويس.
- سيادة اللواء "....."، والد صاحبك رامى تحت فى العربية، وعائزك.
- أنا نازل على طول.

وبمجرد أن رأني والد رامى، بادرنى قائلاً:

- إزيك يا صلاح.
- إزيك يا أنكل.. اتفضل معايا فوق فى البيت.
- شكرا يا صلاح.. اسمعنى كويس.. أنت طبعا عارف اللي حصل لصاحبك رامى.. أدمن الهيروين، وأنا أتأكدت.. وعارف كمان أنك بعذت عنه بسبب الموضوع ده.. مش إنت بس.. إنت وأحمد وحسين.. وعرفت أن بهاء أدمن هو كمان.. دا غير أولاد كثير من سكان المنطقة.. دى مصيبة.. مصيبة كبيرة، وأنا مش عارف أعمل إيه؟! رامى سرق ذهب مأمته كله.. مأمته اكتشفت الموضوع بالصدفة.. إنت عارف هي مش بتخرج كثير من البيت، والعلبة فى

الدولاب مش بتتفتح.. ولما فتحتها بالصدفة، اكتشفت أن الذهب كله مش موجود!! مش بس كده، عربيتة باعها واختفى.. أنا مش عارف ممكن يكون راح فين؟! قلت ألك جايز تعرف تساعدني، رامي هتضيع يا صلاح.. وإنت وهو إخوان من أيام الحضانة.. ولو تعرف حاجة عنه قل لي.

لم أرد بكلمة واحدة.. كلماته كانت أشبه بالصاعقة، وكنت فى حالة ذهول.. كان والد رامي على وشك البكاء فعلاً.. هذا الرجل العملاق، جلس فى سيارته مرتديا ملابس لواء جيش مهيبه، ويعز على أى إنسان أن يراه فى هذا الموقف.. كيف يحطم الأبناء آباءهم إلى هذه الدرجة؟! كم كان ضعيفاً.. وكم كان مسكيناً.. يثير الشفقة، ويبعث فى النفس ألمًا بلا حدود.

كدت أبكى.. وأنا أجلس بجانبه فى سيارته الفولكس بيتلز الصغيرة.. إن من حبه الكبير لابنه رامي، اشترى له سيارة "بى إم دبليو".. وعندما ينطلق رامي بها فخورًا ومزهوًا، يصطف الشباب فى الشارع، ونظرات الإعجاب والانبهار تطل من كل العيون، فهم لا يعرفون لها أصلًا أو نوعًا أو ثمنًا.. وأخيرًا نطقت، قائلاً:

- والله يا أنكل ما أعرفش حاجة عنه من فترة طويلة.
- ما أقدرش ألومك.. ما إنت لازم تبعد.. رامي ضاع خلاص.. لك حق يا بنى.
- لا.. ما ضاعش ولا حاجة يا أنكل.. إن شاء الله هيبقى كويس.
- يارب.. ما عنديش حد ألكأ له بعد ربنا غيرك يا صلاح.. طيب يا حبيبي لو كلمك، من فضلك قل له يرجع البيت، وقل له إن أنا جيت لك، وسألت عليه، وإن مامته عيانة فى البيت، ومش قادرة تستحمل اللي بيحصل ده.
- حاضر يا أنكل.. حاضر يا أنكل.

تحرك سيادة اللواء بسيارته، ووقفت ثابتًا فى مكانى مثل التمثال..

وقفت أكلم نفسى:

- يا نهار إسود.. إيه اللي بيحصل ده؟! الدنيا مآلها بقى سودا كدا ليه؟

## أمى

تعودت الاستيقاظ مبكرًا بفضل العمل فى شركة الأغذية، وانفقت مع حسام على اللقاء لشراء بُوذرة من تاجر كبير اسمه أبو سريع، وهو لا يتعامل أبدًا مع الورق الصغير، وأقل شىء ربع جرام، حتى يمنع الضَّرْبِيَّة من التردد عليه كثيرًا.. وَعَمَلْتُ لبابا بهلوان، وبصعوبة استطعت تدبير 80 جنيهاً، ودبر حسام مبلغًا لا بأس به، وقبل إجراء عملية التمويل هذه لا نستطيع تخطيط برنامج اليوم.. ماذا نفعل، وإلى أين نذهب؟! وبعد ما نُضْرَب، لا يهم كثيرًا ما يحدث فى يومنا.. تحركنا الظروف كيفما تشاء، كما تحرك الرياح مركبنا بلا شراع.

ضربنا وكانت البُوذرة قوية إلى حد كبير.. وبعد تقسيم البُوذرة بينى وبين حسام، عدت إلى بيتى حوالى الساعة العاشرة.. فعلاً كانت البُوذرة شديدة، لم تكن مضروبة برشام أو "نوقاسى" أو أى شىء آخر.. ومع هذا لست أدرى لماذا مرّ بخاطرى أن أضرب مرة أخرى.. ولم لا؟ البُوذرة كثيرة ولا مانع من جرعة أخرى صغيرة.. لن تضُر.

كما لا أنسى.. أن وضع دولابى فى غرفتى يساعدى على التحرك فى جانب منه، دون أن يرى أحد ماذا أفعل.. وأعددت الفنجان، وعملت سوسته "حقنة"، ولكنها لم تكن سوسته شخص يريد التعلية فقط.. وبعد إزالة كل الآثار المريبة، وإخفاء البُوذرة فى الدولاب، أحضرت حزام "البرئس" وقمت بربطه جيدًا حول يدى، وضربت الحقنة.

وفجأة، فتحت عيني على مفاجأة رهيبه.. فوجئت بأمى تكلمنى ولم أسمع كلامها جيدًا.. وحاولت أن ترْفَعنى من على الأرض.. وأن تُضَعنى بهدوء

على سريري.. حاولت استيعاب الموقف، وأن أساعدها للصعود على السرير، وتسمرت عيناى على الحقنة المليئة بالدم، وذراعى أيضا تتدفق منه الدماء؛ لأننى بمجرد أن ضربت الحقنة، سقطت من طولى.

رويدا رويدا بدأت أنتبه إلى موقى الخطير، ولكننى فى حالة لا تسمح بالسيطرة على قواى.. وبعد دقائق مددت يدى وأشعلت سيجارة وكنت مغمض العينين.. وفيما يبدو ولأول مرة استطاعت أمى أن تفهم، لماذا أشرب السيجارة وأنا مغمض العينين.. إذا، ففى كل مرة دخلت إلى غرفتى، ووجدت فى يدى سيجارة وعيناى مقفلة، كانت البؤذرة السبب، وليست الرغبة فى النوم.. وكم دارت من مشادات بسبب حرق القمصان، والملاءات والبساطين، والكراسى فى البيت أو السيارة.

ورأيت حبات الدموع تغطى وجه أمى، وملامح وجهها تبدو مثل لوحة سيربالية، تتداخل فيها خطوط الأسى والدهشة والذهول.. وجاءت كلماتها خافتة بصوت هامس.. وأخيرا سمعت جملة واحدة تكررهما، بلا توقف، بعد هذه الصدمة الهائلة:

- هو فيه ايه؟ هو إنت بتأخذ ايه؟

- مفيش حاجة يا ماما.

- مفيش حاجة إزاي؟ دا إنت كنت بتموت من دقيقة واحدة!! قل لى إنت بتأخذ ايه؟ والحقنة دى بتاعة ايه؟ رد على.

- بؤذرة يا ماما.

- بؤذرة.. هيروين!! لأ.. مش ممكن!!

كانت تجلس بالقرب منى.. تراجعت، وجلست فى آخر السرير.. مرت دقائق طويلة دون أية كلمة، وقد وضعت يديها على رأسها، وكأنها تمثال الحزن.. ولست أدري ما الذى دار فى رأسها فى تلك الدقائق الرهيبة.. رأيت أعلى درجة من درجات الدهشة والذهول.. رأيتها فى قمة حزنها.. قمة أعلى



بكثير من قمة حزنها يوم وفاة جدتي.. أننى لم أرها فى هذا الموقف منذ وُعيت فى هذه الحياة.. وبعد الصمت الرهيب، سألتنى:

- من إمتى!؟

- كام شهر.

- أخذت كام مرّة!؟

- يعنى.. مِش كثير.

تَرَكتنى وَحدى، وخرجت من غرفتى.. كُنت طبعًا فى دنيا بعيدة، وفى عالم آخر.. لا أشعر بوقوع المصيبة، وحجمها.. وبدأت أشعل سيجارة من سيجارة، وجاءتنى أمى، وقالت بحسم:

- أنا مِشُ هَا أقول لبَابَاك، لو وَعَدْتنى إن دى آخر مرة تأخُد فيها الأرف ده..

إنتَ كنتَ هَتَمُوت!! فاهمُ يعنى إيه هَتَمُوت!؟

- خلاص يا ماما.. أنا عُمُرَى مَا هاخُد البُوذرة دى تانى أبدا.. والحمد لله ربَّنَا ستر.

ولم أصدّق نفسى.. جاءنى الحل على صينية من ذهب، وخرجت من الموقف الكارثة ببساطة.. أنا وعدت، وهى صدّقت.. ولكن فى الحقيقة، ومنذ هذا اليوم المشهود، ضاع أمتى، فقد بدأت أمى تجمع بدأب شديد قطع الصورة الممزقة مثل "البازل" لترى صورة مكتملة.. راجعت الميزانية فى دولابها، ومن المؤكد سألت نفسها: ألف مرة حاولت أعرف سر اختفاء سلاسل وأساور رولا الذهب.. ولم أعرف.. وحاولت تحليل شكوى الوالد من حين إلى آخر عن اختفاء أمواله من محفظته.. كيف كانت تفسرها؟ هل أنفقها ونسى؟ وفى حالة ضياعها.. من وراء هذا الضياع؟ أما كريم.. فهو أغرب فرد فى الأسرة.. كانت تختفى ممتلكاته، وأثق أنه يعرف جيدًا من يَسْتولى عليها.. لكنه يسكت.. لا يتكلم ولا يصارح أحدًا بحقيقة الأمر.. ولا يتحدث أبدًا عن أشياءه المفقودة.

بدأت أُمى التركيز والمتابعة لكل تحركاتى.. إلى أين؟ ومع من؟ ومتى أعود إلى البيت؟ وإذا تأخرت عن الساعة الثانية عشرة تكلمنى عند الأصدقاء.. وأقول لنفسى:

- ياه!! دِلوقتِ يا ماما تقولى الكلام ده؟ دِلوقتِ؟ ما خلاص.. اللى حصل.. حصل.. تأخرت كثيرًا فى البحث، والرقابة، والمتابعة.

بعد هذه الواقعة، استمر الضرب.. ولكن فى هدوء، وبجرعة أقل، وحاولت بقدر الإمكان ألا يحدث هذا فى البيت، أو أضرب عند الأصحاب ولا أعود إلا بعد أن أستعيد توازنى، وأبدو فى حالة أقرب إلى الطبيعية.. ولكن المشكلة كانت فى الرقابة المشددة على كل تصرفاتى وتحركاتى.. ولم تعد المسألة سهلة، بل كانت فعلاً صعبة.. نظراتها فاحصة، وثاقبة بعد أن اتضح الموضوع، وعرفت أُمى الأعبى.. وبدأنا لُعبة القط والفأر.

قررت أُمى أن تتولى زمام المسئولية نيابة عن والدى، وأعلنت قرارها

ذلك لوالدى قائلة:

- مالكش دَعوة بصلاح خالص.. أنا اللى ها أديله مصروفاته كلها.

وكانت تتأملنى بصفة مستمرة قبل الخروج: ماذا أرئدى، وكيف أبـدو

شكلا.. وموضوعا.. سواء من الناحية المظهرية أو الصحية.. وتسالنى إلى أين

أذهب؟ ومع من؟ ومتى أعود؟ ورغم تركيزها الشديد وإصرارها على معرفة

كم معى من أموال، وماذا تبقى منها.. مع هذا أصبحت يـدى أكثر طولاً.

بدأت خطتى بعمل نسخة من مفتاح دولابها.. وتبين أنه من النوع الذى

لا يمكن عمل نسخة منه إلا بعد فك "الكالون"، فأعطانى الرجل مفتاحاً يفتح مثل

هذا النوع من الدواليب.. وهكذا امتلكت مفتاح الكنز، لأنى أعرف جيداً أنها

تحتفظ بكل أموالها ومجوهراتها فى هذا الدولاب.. وكان الجزء الثانى من الخطة

- لكى أفلت من إعادة ترديد نغمة البحث عن عمل - أن أعلن قرارى بالتقدم

للتسجيل للدراسات العليا، والحصول على درجة الماجستير.. أجمل ما فى

الموضوع أن العائلة تثق في ذكائى وقدراتى، وخاصة بعد النجاح بتقدير جيد فى السنة الثالثة ومثله فى السنة الرابعة، ولم أذاكر أكثر من شهرين.. ومن يحقق هذا الإنجاز يستطيع أن يحقق إنجازاً أكبر.. وقد ثبت هذا عملياً بعد تجربة التجنيد، والعمل فى شركة الأغذية.

- ماما.. أنا خلاص نويت أعمل ماجستير.. ومن بكره هأ اشترى الكتب.. أنا بعت جواب علشان أفرح كريم بالخبر والقرار ده.. ورد على برسالة جميلة.. الموضوع مش سهل، بس مفيش مشكلة خالص، وزى ما نجحت فى تالته ورابعة.. أنجح فى الرسالة.

إنه كلام يعزف على الوتر الحساس، ويعجب بابا ورولا.. أمى لم تصدق نفسها أو أُنبيها.. وكانت سعيدة بمعنى الكلمة، وقالت لى:  
- يا سلام أمأ فكرة، وشىء مُدهش فعلاً.. شيد حيلك يا صلاح.. وبعد الماجستير هاجيب لك أى عربية تشاور عليها.

- عربية إيه بس يا ماما!! الكلام دا كان زمان.. خلاص.. موضوع العربيات مش مهم أبداً دلوقت، خَلينا نشوف مُستقبلنا.. ضيَعنا وقت كثير.. وجه وقت الجد.. وعلى فكرة مش عاوز فلوس.. أقل مبلغ كفاية.. خَلينى أركز فى موضوع الرسالة.

وعادت أمى إلى أبحاثها ومحاضراتها.. والتركيز فى امتحانات الطلبة ووضع الأسئلة.. والتصحيح.. وكأننى بهذا القرار رفعت من على كتفها أحمالاً ثقيلة.. وعندما أخرج، أطمئنتها بأننى لن أغيب أكثر من ساعتين لزيارة أحمد وحسين.. إنهما بالنسبة لها من أولاد العائلات الأصيلة، وعلاقتى بهما ممتدة منذ أيام البراءة والطفولة الجميلة.. تلك الأيام التى لم تشهد فيها المتاعب أو المشكلات الصادمة التى تعيشها الآن.. وكانت عندما تسمع هذين الاسمين تشعر بالاطمئنان.. أما جارى حسام، فقد انكشف أمره، وأصبح مثل الكتاب

المفتوح، وعرفت أنه ضريب.. تابعت أخباره، وسألت عن أخلاقياته وعن "أصله  
وفصله"، وضربت حصاراً لتحديد علاقتي به.

بعد هذا اليوم المشهود.. اليوم الصدمة، استقرت الأحوال وانتظمت  
تماماً.. معى مفتاح الكنز.. أو مفتاح دولاب أمى، وأقضى معظم الوقت فى  
البيت، فى غرفتى، أجلس إلى مكتبى الذى صَفَقْتُ عليه الكتب التى اشتريتها  
للتحضير للدراسات العليا ورسالة الماجستير.. والغريب فى الأمر، أو ربما هذا  
هو الطبيعى، رغم كل هذا التسيب كنت أحب القراءة وأنا ضارب؛ فالمناخ العام  
فى بيتنا يشجع على القراءة.. والذى لديه اشتراك سنوى فى معظم الصحف  
اليومية، والمجلات الأسبوعية بسبب انشغاله بالقضايا السياسية إلى جانب  
مشاريعه الهندسية، وهذا عودنى قراءة الصحف بانتظام، أو على الأقل قراءة  
العناوين، وصفحات الرياضة.. ورغم أننى أهلاوى صميم، إلا أنه لا مانع من  
متابعة أخبار بقية الأندية، والأخبار الرياضية عموماً.. واستمر والذى بلا يأس،  
يبحث عن وسائل تشجعتنى على القراءة الجادة.

هدأت الأحوال وسكنت العواصف، وبعد جلسة ودودة مع والدى، سألتنى  
عن الرسالة، وحدثنى عن مشروع هندسى عملاق سينفذ مع شركة إماراتية،  
وبعد أن استمعت منه إلى قصيدة إعجاب بعقربتى، تشجعت وقلت:

- عايز 500 جنيه علشان أسافر إسكندرية مع أصحابى؟

- ليه؟ هو إنت رايح أوروبا؟

- طيب خليه 400 جنيه.

- ولا 400.. وبَعْدِين أنا مش موافق إنك تسافر من أساسه.

- ليه بس يا بابا؟! هو إنت على طول كده مُعْتَرَض!!

لم أكن أريد أكثر من 300 جنيه، ولأنى أعرف مسبقاً أسلوبه فى  
المساومة على كل مبلغ أطلبه.. بدأت برقم أكبر لأحقق هدفى، وأحصل على  
ما أريد..

بعد دقائق صمت، قال:

- أنا ها أوافق بس على شرط.. وَهَدَيْتْكَ كمان الـ 500 جنيه اللى إنتَ طالِبها.  
- الأمرُ أمرك يا حاج دادى.. أشرط.

- عندى مجموعة مقالات قصيرة عن أخطر المعارك فى تاريخنا العربى،  
عاوزك تُلخّصها.. هتاخذ منك يومين.. ثلاثة، ومقالات عن أهم المناطق  
السياحية فى العالم، عاوزك تترجمها.. وبرضه هتاخذ منك يومين.. ثلاثة، مش  
أكثر.

- ليه المقالات دى؟ إيه أهميتها دى بالنسبة لك؟

- ذا موضوع يخصنى.. قلت إيه؟

- أنا عايز أسافر بكره.

- طيب.. أنا هاعمل معاك اتفاق رجالة.. خذ الفلوس وسافر وانبسط،  
ولما ترجع سلمنى المقالات خلال أسبوع.

- اتفقنا.. فىن المقالات؟ وايدك على الفلوس.

- أدى المقالات.. والفلوس تاخدها منى بكره.

- لا.. لا.. دى مقالات كتيرة.. حضرتك ضحكت على.. كل نوع  
بـ 500 جنيه.. حسابنا على الأقل ألف جنيه.

- خلاص.. أقعد وِبِلاش تِسافر.. وبعد أسبوع سلمنى المقالات وخذ الألف جنيه.

- أنا ها أوافق، وهاخذ نص المبلغ مُقَدَم.. بسْ إعمل حسابك النص التانى، أسلم  
وَأَسْتَلِم.

إنها كانت وسيلة لأهدأ واستقر ولأتدرب على القراءة.. إنها ليست من  
هواياتى، واكتسبتها من الجو الذى أعيشه، وهكذا سوف تصبح مشروعًا مربحًا  
"بِزَيْس".. وكنت، بينى وبين نفسى، أثق أن هذه المقالات لا تهتم أبى فى كثير  
أو قليل.. ولكن أعتقد أنها معلومات مفيدة فى رأيه، وكان يهمله أن أعرفها.

عاشت أُمى فترة من السلام النفسى بعد هذه التغيرات الجديدة؛ ذلك  
أننى أقضى معظم وقتى فى البيت.. وهذا تغير كبير، ولكنها لا تعرف أننى  
وحدى فى البيت.. ومفتاح دولابها معى.. دولاب هذا أم مغارة على بابا؟ إفتح  
يا صاصو.. ياسلام.. شُبَيْك لَبَيْك.. الدولاب بين يديك.. وبهدوء أتفرج على  
محتويات الدولاب الغنى بالمنمنمات الكثيرة القيّمة فى شكل أساور، خواتم،  
سلاسل، مصاحف، ساعات، وكلها أشياء ثمينة جدًا.. كان أجمل ما فيه الأوراق  
النقدية.. جنيهات مصرية، دولارات، إسترليني، مارك ألماني.. فرنك فرنسي..  
كنز فعلا.. ولست أدري لماذا تضع كل هذه الأموال فى الدولاب؟ لماذا  
لا تضعها فى البنك؟

وتحسبًا لأى ظروف.. كان من رأى الوالد تخصيص مبلغ ما  
للطوارئ، وكانت أُمى حريصة على وجود المبلغ المقرّر كاحتياطي بعد أن  
واجهت أزمة صحية كبيرة، واضطرت إلى السفر المفاجيء إلى لندن لإجراء  
عملية جراحية خطيرة.. وبصراحة كان المبلغ المُحتَجَز كبيرًا، لكننى لم أبدأ  
بالسحب من النقد المصرى، سحبت من الدولارات لأن الورقة فئة مائة دولار،  
تحل مشكلات وتكفى أكثر من يوم.

سحبت حوالى 50% من ظرف الدولارات خلال ثلاثة أشهر.. كنت  
أضع ورقة فئة مائة دولار فى مكان سرى تحت الدواسة أمام باب الشقة، يأخذها  
حسام، ويرجع بعد ساعتين أو ثلاث، ويضع البُودرة فى المكان نفسه.. وعندما  
شعرت أن كمية السحب قد زادت، وأصبح من السهل كشفها، بدأت التحول إلى  
الأوراق النقدية المصرية.

لم تنتبه أُمى إلى عملية السطو على دولابها.. ولو فرض واكتشفت  
المأساة.. فإنها قد تشك فى ذاكرتها؛ إذ لن تتخيل، ولن تصدق أننى الفاعل..  
كما أنها تريد من أعماق قلبها أن تصدق أن واقعة البُودرة فى اليوم المشهود،  
كانت فى الأصل غلطة، وحادثةً عابرةً، ولن يتكرر.

كنت على ثقة من أن أمى تحاول إقناع نفسها بالتغير الإيجابي فى حياتى،  
والحقيقة فى رأى أنها تتعذب، فهى تكاد تلمس الحقيقة، ولكنها تكذب نفسها.. كل  
شئ على ما يرام.. وتكذب عينيها، وتتجاهل المنظر المؤلم للشبح الذى تراه  
أمامها يتحرك، بخطوات مهزوزة، وغير ثابتة، وقد تناقص وزنى كثيرا، وتحت  
عينى هالات سوداء، وتغيرت شخصيتى بشكل ملحوظ، لا يخطؤه أحد.

فى تلك الفترة، أصبح حسام مكشوفاً أمام الدنيا كلها.. والده، والدته، أخواته  
والجيران، وظهر من حوله عشرات الشباب الذين يضربون البوذة بصورة  
رهيبة، ومجموعة جديدة بدأت الدخول فى هذا النفق المظلم، ومنهم من بدأ بيع  
البوذة، وفتح دُولابا للبيع.. أصبحت المنطقة موبوءة، مثل غيرها من مناطق  
كثيرة.. والمُصيبة الأكبر أنهم تجمعوا فى مكان واحد، وكل منهم يمثل مصيبة  
وكارثة مستقلة.. إذا كيف يكون الموقف عندما تتجمع كل هذه القنابل الموقوتة  
معاً؟!!

بعد شهر عاد رامى إلى منزله بعد أن أنفق ثمن السيارة.. كنت أزوره  
من حين إلى آخر فى بيته، وكانت أسرته تستقبلنى بحفاوة كبيرة، وبعد قضاء  
بعض الوقت معهم، أخرج مع رامى ونشترى المطلوب ونعود معا إلى بيته..  
كم تغير رامى فى تلك الأيام!! اشترى له والده سيارة 128، ووعدته بصدق  
أن يشتري له "بى إم دبليو" أخرى إذا توقف عن الضرب.. بدأ رامى يستخدم  
أسلوب النصب الواضح، ويبيع التذكرة بمبلغ 60 جنيها، رغم أنه اشتراها بمبلغ  
40 جنيها فقط.. ويدخل عند التاجر، ويخرج من مكان آخر، ويدعى أنه قد تم  
القبض عليه، ويختلق قصصا، ويلفّق أحداثا عجيبة.

لم أصدق أن رامى يفعل مثل هذه التصرفات.. ولم يحدث أبدا أن جريها  
معى، إلى أن جاء اليوم الذى لعب فيه اللعبة نفسها معى.. فقد ذهبنا معا لشراء  
بودرة من دولاب فى بولاق، وكنت أعرف جيدا أن ثمن الورقة 30 جنيها،

وباعها لي بضعف الثمن.. أنا شخصياً قمت بالحركة نفسها أكثر من مرة،  
لكن مع رامى.. لم تحدث أبداً، سكت وقلت لنفسى:  
- يا حرام.. رامى أذمن خلاص.

يا ألف خسارة.. لم يعد ريكو يحتضن جيتاره.. لم يعد يعزف، أو يبتكر،  
ويبدع ألحانا جديدة.. اختلف الحال تماماً.. يمسك الجيتار ليعزف، فيتركه بعد  
دقائق معدودة، بعد أن كان يقضى معه ساعات وساعات.. أصبح قطعة أثاث  
مهملة، الى أن باع الجيتار.. إنه قطعة منه!! رامى يبيع الجيتار؟! إذا لا شيء  
عزيز أو غال.. لا شيء يساوى ورقة بؤذرة.. يا خسارة يا رامى.. شكله تغير،  
ولم يعد أنيقاً كما كان.. فقد الكثير من وزنه، وبرزت عظام وجهه، ولا يستطيع  
التركيز.. وفي يوم مررت عليه في البيت، وقابلت والدته، فسألته:  
- رامى موجود يا طنط؟

- لا.. يا صلاح.. مش موجود.

- طيب يا طنط.. ها افوت عليه تانى.. وسلمى عليه.

- حاضر.. ها أقول له، وخلينا نشوفك أكثر من كده شويرة.

- حاضر يا طنط، وسلمى على أنكل.

وبعد خطوات من بيته، وجدت رامى فى سيارته، ومعه ثلاثة شباب..  
شكلهم مريب.. كل منهم ليس مدمناً فقط، بل مجرمًا أو "قتال قتل"، وجذبته من  
ذراعه قاتلاً:

- رامى.. أنا عذبت عليك من دقيقة واحدة.. تعال.. غاوزك.

- إنت فين يا سيدى؟ مختفى وشكلك كده واقع على دولاب سقع؟!

وأخذت رامى إلى سيارتى، وسألته:

- مين الناس دول؟ شكلهم غريب، وميش عاطفى خالص.

- اللى جنبى حمزة.. واللى قاعد ورا سامح، وواحد صاحبه.

- سامح؟! يا نهار إسود.. ذا أنا مغرفتش.



- سامح خلاص بيستلم.. بيودّع.. بيضرب حوالى جرام فى اليوم.
- يا نهار إسود!! جرام؟!
- وحمزة ساكن فى عمارتى.. ابن ناس، بس البودرة بهدلته.. المهم عايز ايه؟
- إنت بتبيع واللا ايه؟
- لا يا أخی.. بابيع ايه بس؟ إحنا نروح نشترى سوا.. معاك كاش أد ايه؟
- هى الورقة بكام؟
- فيه ورقة ب 40.. وفيه ورقة ب 100.
- خلىنا فى ام 40.. تكفى كام واحد.
- تمسك إثنين!!
- يعنى تموت واحد.. قشطة.. أدى 80 جنيه.. وياللا بينا.
- ناخذ سامح معنا.. ونيجى معاك فى عربيتك.. با أقول لك ايه.. هو فاهم
- إن التذكرة ب 60 جنيه.. أنا مش ها أضحك عليك.
- وكنت أعرف جيداً أن ثمن التذكرة 30 جنيها.. "ما علينا".. توجهنا نحن
- الثلاثة إلى عين شمس.. المكان عجيب، والشوارع ضيقة، نُدخل يمين.. نُدخل
- شمال، ووصلنا عند عمارة خمسة أدوار.. الساعة الثامنة.. ومرت الدقائق،
- ثقيلة، والساعة الثامنة والنصف عُمرنى الإحساس بالقلق:
- ايه الحكاية يا عم سامح؟ هو فيه ايه؟
- رامى خلع يا باشا؟ تخيل؟!
- لا.. رامى مش ممكن يعملها معايا.. انسى يا ابنى.. رامى معايا فى الفصل
- من حضانة.. يمكن مستنى الشغل يتقطع.
- بس كده كثير.. دا إحنا لنا أكثر من نص ساعة.. والمفروض يطلع وينزل
- فى دقيقة!!
- غريبة جدا!! هو الرّاجل فى الدور الكام يا سامح؟! تعرّف؟!
- آخر دور.. بتفكر تطلع واللا ايه؟!

- ليه لآ؟! أنا ها اطلع أشوف إيه الحكاية.

- ماشى.. بس مايتأخرش إنت كمان.

- هو الرجل اسمه إيه؟

- اسمه سيّده.

والمعروف، عندما نذهب لشراء المخدرات.. أن نقف بعيدًا بالسيارة، وليس بالقرب من التاجر، تفاديًا للرقابة الحكومية.. مشيت في اتجاه العمارة.. الشارع هادىء، والظلام دامس، ودخلت من باب ضيق، في عمارة صغيرة، سلّمها بلا إضاءة، وتحسّست طريقي وصعدت السلالم على مهل، وعند الدور الثانى قابلتني طفلة صغيرة وقالت لى:

- أوعى تطلع.. الحكومة فوق.. وبيستنوا الزباين ويقبضوا عليهم، دا فيه عشرة ممسوكين.. وأبويا نزلنى وقال لى رُوحى لعمتك، وفهمنى أقف جنب البيت علشان أقول للزباين ما تطلعش.

ترددت لحظة.. أطلع.. أو أنزل، وحسّمت الطفلة الموقف بقولها:

- ياللا أنزل بسرعة.. هاتروح فى داهية.

رجعت إلى العربية، وحكيت كل اللى حصل لسامح الذى صرخ قائلاً:

- يا نهار إسود!! رامى إتمسك؟ ياللا بينا يا عم من هنا.

رجعت ومعى سامح.. دخل سامح النادى، وقررت أنا العودة إلى البيت الساعة الحادية عشرة، وليس معى نقود، ضاعت مع رامى، ولا أدري ماذا أفعل.. وفى تلك الليلة، ولأول مرة عرفت فيها أعراض انسحاب البوثة من الجسم.. لكنها الأعراض المحتملة أو الخفيفة.

دخلت إلى سريري الساعة الواحدة، واستحال نومي.. ظللت أتقلب و"أفرك"

فى السرير.. لم أنم ثانية واحدة.. غمرنى العرق.. وجريت إلى الحمام والام.. ومغص.. أمعائى تتمزق.. آه والإسهال.. آه.. يالها من ليلة صعبة مؤلمة.. وأخيراً نمت الساعة الخامسة صباحًا، وصحوت وقفزت من السرير الساعة

الثامنة، وقيل أن يخرج والدى إلى مكتبه، ابتكرت قصة عن سيارتى التى تحتاج إلى إصلاح، وأخذت منه خمسين جنيهها، وانطلقت بالسيارة وذهبت إلى أم سيد فى الجيَّارة.. ولم أتخيل أن أجدها فى هذا الوقت المبكر.. الساعة التاسعة لكن الباب الأسود مُغلق.. إذا عندها شُغل.. أوقفت السيارة فى مكان بعيد، وبعد ثوان رجعت إلى السيارة، ومررت على الصيدلية قبل الذهاب إلى البيت.. وكنت مطمئناً لوجود الليمون فى الثلاجة.. إذ لا بد من إضافة نقطة ليمون على البودرة.. وذات مرة سألتنى أمى:

- إيه حكايته يا صلاح.. دائماً تسأل: عندينا ليمون؟ وساعات بتشتري ليمون وبكميات كبيرة كمان.. ليه؟ فهمنى!!؟

- يا ماما أنا أهم حاجة عندي الليمون.. أنا ما يهمنىيش الأكل، ما يهمنىيش الشرب.. أنا يهمنى الليمون، وكمان أنا مش عايزه ليموناده.. عايز الليمون أمصه.. هو دا النظام، وما تشغليش بالك.

طبعاً.. لم تفهم أمى كلامى، ولم يخطر ببالها طبعاً، ماذا أفعل بالليمون، وما فائدته.. وبعد دقائق معدودة.. تغير الحال، والشخصية المتعبة، والمصابة بالإسهال، والرذاذ الذى لا يتوقف من الأنف.. كل هذا تغير فى لحظة واستعدت نشاطى، وتذكرت رامى وما حدث له ليلة أمس، وحوالى الساعة الحادية عشرة اتصلت تليفونياً، وردت والدته:

- صباح الخير يا طنط.. إزاي حضرتك؟

- الحمد لله.. إزيتك يا صلاح؟

كان صوتها خافتاً، وكأنها لا تقوى على الكلام.. فسألتها:

- يا ترى.. حضرتك قلت لرامى إني عديت عليه إمبراح؟

ردت باكية:

- لا يا حبيبى.. أصل أنا ما شفتوش.

- مال صوتك يا طنط؟

- لا.. مفيش حاجة.

- طيب، هو جاي إمتى؟

- مش عارفة يا صلاح.. مش عارفة يا صلاح.

- فيه إيه بس يا طنط؟

- مفيش حاجة.. ها أقول له يا حبيبي إنك اتكلمت.. باي.. باي.. مع السلامة.

وبذلك، تأكدت أن رامى قد قبض عليه.. غمّرنى الإحساس بالأسى،

لكن لا شىء أستطيع عمله..

يا حرام.. رامى أدمن، وهذه هى نهاية الإدمان.. وحتى هذه اللحظة،

كنت أتصور أننى اختلف عن كل هؤلاء المدمنين.. أنا ليست عندى مشكلة

نهائياً؛ لأننى لو أردت التوقف عن الضرب.. فسوف أتوقف فوراً.. لكننى

لا أريد.

وفى يوم ما.. قررت ماما إعادة تنظيم الدولاب، وإخراج كل الملابس

الصيفية، وتعليق ملابس الشتاء بدلاً منها، وكانت المفاجأة المذهلة.. ومن بعيد

جاءتنى صيحة أو بمعنى أدق صرخات أمى:

- الفلوس فين؟ الذهب فين؟ الدولاب حصل فيه إيه؟

وكاننى لم أكن أعرف بأن هذا اليوم أت.. أت.. ولم تمر ثانية واحدة..

إلا ووجدت أمى فى غرفتى.. فتحت دولابى بسرعة خاطفة، إنها "كبسة" غير

متوقعة نهائياً.. ووجدت: سرنجات.. بُوذرة.. ليمون.. فنجان.. أوراق مالية

مختلفة.. من بينها دولارات.

انفجرت أمى باكياً.

لم تتكلم.. لم تسألنى.. لم تناقشنى.. ولم أعرف بدقة سر هذا البكاء.

طبعاً.. تصورت أنها تبكى على أموالها التى سَطَوَتْ عليها.. تبكى على

الدولارات التى صرفتها فى شراء البُوذرة وَضَرَبَتْ بها.. المبلغ كان كبيراً،

فتصورت أنها تبكى ضياع أموالها وذهبها.. لم أفهم سر هذا البكاء إلا بعد

أن أخذتني في أحضانها واستمرت في بكائها.. لقد سرقت دولابها، وهي تأخذني بين ذراعيها.. وتبكي بحرقة!! فقلت لها:

- مَا تُعْطِيشُ كِدْهَ يَا مَامَا.

اعتذرت أُمِّي عن الذهاب إلى الجامعة.. وهذا نادرا ما يحدث.. وظلت حبيسة غرفتها، تأتي إلى كل ربع ساعة، تتألمني، ثم ترجع إلى غرفتها، وترجع إلى وتسالني سؤالا أو سؤالين، وتعود إلى غرفتها، وتمر دقائق، تأتيني وتكلمني بكل هدوء:

- بِتَأْخُذُ إِنْتَ وَمِينْ؟

- أَصْحَابَ مَا تَعْرِفِيهْمُشْ.

- اسْمُهْمَ إِيهْ؟

- وَلَا وَاحِدَ فِيهْمَ تَعْرِفِيهْ.

- سَاكِنِينَ فِينْ؟

لا أَرُدُّ.. فَتَسْتَمِرُّ فِي أَسْئَلَتِهَا الْمَغْمُوسَةَ بِالذُّمُوعِ:

- طَبْعَا حَسَامَ مِنْهْمُ.. وَمِينْ كَمَا نْ؟

- بَجْدَ يَا مَامَا، وَلَا وَاحِدَ فِيهْمَ تَعْرِفِيهْ.

تعود إلى غرفتها بإحساس الإنسانة المهزومة في أهم معركة في

حياتها، وبعد ربع ساعة تعود إلى وتسالني:

- بِتَأْخُذُ كُلَّ يَوْمٍ؟

- لَأ.. مَشْ كُلَّ يَوْمٍ.

شعر والدي أن هناك شيئا ما مربيا.. ولكنه لا يعرف ما هو.. فسأل

أُمِّي:

- مَا لَكُمْ؟ هُوَ فِيهْ إِيهْ؟

- مَفِيشْ حَاجَةٌ.. بَارَاجِعْ مَعَ صِلَاحِ كُتُبِ وَأَوْزَاقِ الرِّسَالَةِ.

كان من الواضح أن أمى لا ترغب فى تصدير المأساة إلى الآخرين.. ولكن فى الوقت نفسه الكارثة كبيرة الحجم، والموضوع ثقيل، ولا تستطيع أن تتحملة وحدها.. كانت توأمى رولا أوّل من عرف بحدوث الكارثة.

جاءت رولا الساعة الثالثة، فوجدت أمى فى البيت، وأدهشها ذلك لأنها تعرف جدول محاضراتها، وتصورت أنها تمر بوعكة صحية.. جاءتنى رولا تُسَلِّم وتقبّلنى كالمعتاد، وحدثتنى نظراتها بأنها تشعر بأن هناك شيئاً ما خطأ.. وبدأت استردّ الوعي كاملاً بما يحدث حولى، عندما دخلت أمى غرفتى، ووقفت الباب، وبلا مقدمات قالت:

- إسمعيني يا رولا كويس.. فيه كارثة.

- إيه يا ماما؟ فيه إيه؟ قلقتيني.

- آه يا رولا.. لازم تقلقى.. أخوك بياخد هيروين.

- هيروين؟! يعنى إيه؟! يا دى المصيبة؟! إزاي؟

- من حوالى سنة شهر، دخلت على أخوك الأوضة لقيته مغمى عليه وواقع على الأرض، وجنبه حُقنة كلها دم.

وظلت رولا طوال الوقت فى حالة ذُهول، يداها على وجهها، وفمها مَفْتُوح، وتَصْرُخ قائلة:

- يا نهار إسود.. يا نهار إسود.

- أنا للأسف الشديد تخيلت إنها غلطة وِعَدَّت، وتفاهمت معاه، وصدقته لما قال لى دى آخر مرة.. بس النهارده الصُبح اكتشفت أن أخوك أخذ ألوف الدولارات من دولابى، وذهب كثير، وبيأخد هيروين كل يوم.

- إيه ده اللى ماما بتقوله يا صلاح؟

- بصّى على ذراعه وإنت تفهمى كل حاجة.. ورَيِّها ذراعك.

ودون أى مقاومة رفعت يدي لترى رولا ذراعى.

- يا دى المصيبة!! حَقْن!!

بعد أن حكّت أُمى لها تفاصيل الكارثة منذ البداية.. منذ اليوم الذى وجدنتى فيه راقداً على الأرض بلا حراك، والحقنة بجانبى مليئة بالدماء، أعلنت لنا قرارها بكل حسم ووضوح:

- أنا قررت أخذ إجازة بدون مرتب، أو حتى أقدم استقالتى من بُكره الصبح؛ بحجة إن حالتى الصحية لا تسمح، وأقعد جنبه أشوف إيه اللى بيحصل.. وإزاي نعالج الكارثة دى.

- فَهَمْنِي يَا صَلاَح.. فِيهِ إِيهِ؟ اَتَكَلِّمْ بِسْرَعَة.

- مَا عَنْدِي ش حَاجَة أَقُولُهَا يَا رُولا.

رَدَّت أُمى مَنفَعَلَة:

- لَأ.. إِنْتَ لَازِم تَتَكَلَّم.. أَمَال عَايز تَتَكَلَّم إِمْتِي؟ بَعْد مَا تَمُوت.. أَخُوكِ يَا رُولا كَانَ فِعْلاً هَيَمُوت.

- وَاللَّهِ الْعَظِيم كُنْتُ حَاسَّةً إِنْ فِيهِ حَاجَة غَلَط، بَسْ عَمْرِي مَا تَصَوَّرْتِ، وَلَا خَطَر فِي بَالِي أَنْ صَلاَح مِمكِن يَكُون بِيَاخُذ هَيْرُوبِينَ.

- طَبَعًا دَلُوقْت بَسْ فَهَمْتُ أَخُوكِ خَاسِسٌ كِدْه لِيهِ، وَتَحْت عَيْنِيهِ أَسْوَد، وَعَيْنِيهِ الْمَكْسُورَة دى.. وَالسَّجَايِر الَّلِي بِنَقَع مِنْ إِيْدِهِ، وَالسَّجَايِر الَّلِي بَاشِيْلَهَا مِنْ إِيْدِهِ وَهُوَ نَايِم، وَالْمَلَايَاتِ الْمَحْرُوقَة، وَالتَّيْشِيرَاتِ الْمَخْرُومَة وَالتَّلِفُونَاتِ الْمُرِيْبَة.. وَأَنَا قَاعِدَة جَنْبَهُ مَش فَاهْمَة بِيَكَلِّمْ مِين.. وَيَقُول إِيهِ.. أَد كِدْه أَنَا مَغْفَلَة؟! مِنْ هُنَا وَرَايِح.. مَفِي ش خُرُوج مِنْ الْبَيْت.. مَفِي ش تَلِفُونَات.. رَجَلِي عَلَى رَجْلِكَ وَإِنْتَ يَا رُولا مَعَايَا.. هَتَسَاعِدِينِي.. مَش هَتَسَيِّب أَخُوكِ ثَانِيَة لَوْحَدْه.

شَلَالِ الدَّمُوعِ يَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنِي رُولا.. وَبِصُوتِ خَافَتْ تَقُول:

- حَاضِر.. حَاضِر يَا مَآمَا.

- وَمِشْ هَنَقُولُ لِبَابَاكَ أَي حَاجَة.. دَا لَوْ عَرَفْ مُمكِن يَمُوت فِيهَا.

- حَاضِر يَا مَآمَا.

- دَلُوقْتِ أَسِيْبِكِ مَعَ أَخُوكِ.. تَقْعُدِي مَعَاهِ وَتَفْهَمِي مِنْهُ كُلَّ حَاجَة.

- حاضر يا ماما.. إطمئني.. صلاح هيحكى لي كل حاجة.

تركنا أمي وحدنا.. رولا تنظر إليّ بذهول.. لم أنطق بكلمة واحدة..  
هي أيضا لم تتكلم، صمت رهيب، ولا أقوى على النظر إلى وجهها البريء،  
إلى أن استجمعت كل قواها، ومسحت دموعها المنهمرة كالشلال، وبدأت تتكلم:  
- إزاي يا صلاح؟ إزاي؟

- ماعرفش يا رولا.. ماعرفش.. والله مش عارف.

- أول حاجة أنا ها أجيب مصحف، ويحلف عليه أن عمرك ماها تاخذ  
أي مخدرات تاني.

- حاضر..

- المصحف أهه.. إحلف.. امسكه واحلف إن عمرك ما تاخذ مخدرات تاني.

أمسكت المصحف بين يدي.. وأقسمت:

- والمصحف الشريف، أنا عمري ماها أخذ مخدرات تاني.

بعد هذا القسم، هدأت أختي، وشعرت كأن المشكلة قد حُلّت تماما،  
وتركتني وحدي وذهبت إلى أمي.. وأعتقد، بل كنت على يقين أن أمي لم تصدق  
هذه المرة.. ولكنها من أعماقها كانت تريد أن تصدق، وكل تصرفاتها منذ يوم  
الصدمة، تبدو كأنها صدقت فعلا أنني سأتوقف عن تعاطي المخدرات.

وملأت الشكوك رأسها، وقلبيها، وأصبحت هي وحدها التي تستقبل  
الاتصالات التليفونية.. وتسال في كل مرة: هل فلان يتعاطي المخدرات؟ ومن  
هذا، وابن من، وابن يسكن، ومع من يعيش، وماذا يفعل في حياته؟! أسئلة..  
أسئلة دون توقف.

وأعدت أمي بالاتفاق مع رولا جدولاً زمنياً بحيث لا تتركاني وحدي  
في البيت أبداً.. وكم تعذبت في أيام الرقابة المشددة.. إنها أول مرة أتوقف فيها  
عن الضرب لعدة أيام، وبدا الأمر وكأنني مريض، وسألني الوالد:

- مالك؟ عامل كده ليه؟



- عندي برد في معدتي.

آلام في جسمي من الصعب وصفها.. مغص، إسهال.. علة المناديل لا تكفي إلا ساعات قليلة، ولا أستطيع النوم، والجديد أيضاً.. أنه لم تعد عندي شهية للأكل نهائياً.. فقدت الإحساس بالتذوق.. حتى السجائر لم يعد لها طعم، تغير طعمها، وبعد أن كانت خفيفة أجدها ثقيلة، وتوقفت تقريباً عن التدخين، بعد أن كانت السجارة معلقة دائماً بين شفتي.. ولم أتصور أبداً أخذ أي نوع آخر من المخدرات أو الخمر.. لقد تعلق ذهني بمخدر واحد.. البودرة ولا شيء غيرها.

استمرت حالة الطوارئ لمدة أسبوع أو عشرة أيام، وهدأت الأحوال بعد أن رفعت أمي الرقابة عني، وعادت إلى الطلبة والمحاضرات وتصحيح الأوراق.. وبدأت رولا تنتظم في عملها إلى حد ما.. لكن درجة التركيز عالية، ولم تتوقف المتابعة والأسئلة، والتقطت أنفاسي، وتحسنت حالتني الصحية، وهدأت نفسيًا، وأصبحت شبه طبيعي، وخرجت أكثر من مرة لزيارة ميدو وزوني، وهناك أشرب سيجارتين حشيش، ونلعب كوتشينة، وأرجع البيت قبل الساعة 12:00 مساءً، وكل شيء تمام.

لكن المشكلة في دماغي.. كأن هناك قردًا أو نسانًا ينط في رأسي كل خمس دقائق، يقول لي: إضرب بودرة.. ثم الخطر زال والرقابة رفعت عنك، ارجع مرة ثانية للصياغة لكن نظمها.. وأقول لنفسي: لأ.. مستحيل.. ولا داعي أبداً للمشاكل.. كفاية البيرة، الويسكي والحشيش.. وتذكر المصحف والقسم.

وفي يوم قررت أن أزور صديقي رامي، وأسمع منه تفاصيل أحداث الليلة السوداء التي كنا فيها معاً.. الحجة أنني أريد الاطمئنان عليه، ولا أريد الضرب.. وعندما رأني كان جالساً مع والدته.. وكأنه رأى ليلة القدر.. استقبلني بالأحضان قائلاً:

- إنت فين يا صاصو؟

- كان عندي شغل، إزي حضرتك يا طنط؟

- الحمد لله.. أنا كويسة.. إزيك إنت يا حبيبي؟ اشتغلت فين يا صلاح؟!

أنكرت تركي للعمل قائلا:

- اشتغلت في شركة مواد غذائية، نائب مدير تسويق، بس أنا في إجازة لمدة

أسبوع؛ لأنني تعبت جدًا في الشغل الشهرين اللي فاتوا.

- ربنا يوفقك.. عقبال رامي.. بآياه جابله شغل، بس هو بيدلج شوية..

باللا شجعه يا صلاح.

- ربنا يسهل يا طنط.. إن شاء الله كل حاجة هتبقى كويسة.

في رأي والدة رامي، إن صلاح إنسان ممتاز، صديق ابنها من أيام

المدرسة والطفولة البرينة، تخرج، ويعمل نائب مدير، بمعنى إنه أحسن صديق

لابنها..

فقال رامي:

- كفاية رغي وكلام.. تعال يا صلاح نقعد سوا، من زمان ماشفتكش.

- عن إديك يا طنط.

- أتفضل يا حبيبي.. ها اعملك كاكاو.

- شكرًا يا طنط.

- إيه الأخبار يا صلاح؟

- الأخبار عندك إنت.. إيه اللي حصل في الليلة السودا.. يوم مارحنا عين شمس

سوا؟

- أسكت.. كانت ليلة سوداء فعلا.. طلعت يا معلم.. لقيت ظابط ومعاها أمناء

شرطة قاعدين جوه، وكل واحد يدخل المكان يتكلمش في ثانية.

- وبعدين؟

- أخذونا على القسم، وعملوا لنا مخضّر تعاطى، وكلمت بابا، وِجَالِي، وخرجت من الحجز تانى يوم.. ومن يومها وأنا قاعد فى البيت، أخرج مع أخويا بس.. وباحاول أَلِمّ الدور شوية، وإنت النجدة بالنسبة لى.. قل لى أخبارك إنت إيه؟
- أنا إنكشفت.. أمى عرفت.
- ما هى عارفة من زمان.
- لا، اكتشفت أنى رجعت أخذ من تانى.. هى كانت فأكرة إنى بطلت زى ما وعدتها، وعرفت أنى سرقت الذهب والفلوس من دولابها.
- أخذت أد إيه؟
- كثير جداً.. ماكنتش باعد.. بس أوف.
- علشان كده كان معاك فلوس كتيرة اليومين اللى فاتوا.
- وبعدين يا ريكو.. هنعمل إيه فى المصيبة اللى إحنا فيها دى؟
- يا عم، ولا مصيبة ولا حاجة.. إسمع.. عايزين ننزل نضرب يا صاصو.
- مقيش معايا فلوس.. عشرة جنيه بس.. إنت معاك كام؟
- أنا ها أتصرف.. هاخذ من البواب.
- البواب!؟
- عادى.. يا ما أخذت منه، ولما بتيجى أى مصلحة، وتفرج، أرجع له فلوسه وزيادة.. مالكش إنت دعوة.. أنا ألبس، وإنت اطلع لأمى نيمها.
- ماشى.
- يا طنط.. بنفكر نروح النادى؟
- بلاش يا صلاح.. خليك قاعدين فى البيت.
- أصل رامى زهق من قعدة البيت، وعايز يغير جو.
- بس يا صلاح أنا خيفة، وبعدين باباه ممكن يتخانق معايا لو عرف إنه خرج.. طيب استنوه لما يرجع واستأذنه.

- نَسْتَأْذِنُ إِيَّاهُ يَا مَمَا!! قَوْلِي لَهُ نَزِلْ مَعِ صِلَاحٍ عَلَى النَّادِي، وَإِيْدِكَ عَلَى عَشْرِينَ جَنِيْهٍ عِلْشَانَ أَكْلِ حَاجَةِ هُنَاكَ.

- طَيِّبْ يَا رَامِي، بَسْ صِلَاحٍ يَرْجِعُ مَعَكَ هُنَا.

- مَا تَخَافِيْشْ يَا مَمَا.. إِطْمَئِنِّي، صِلَاحٍ مِشْ هَائِسِيْبِنِي.. يَا لَلَا.. بَايْ بَايْ.

أَخَذَ رَامِي 50 جَنِيْهًا مِنَ الْبَوَابِ، وَأَخَذَ مَنِي الْجَنِيْهَاتِ الْعِشْرَةَ، بِالإِضَافَةِ إِلَى 20 جَنِيْهًا أَخَذَهَا مِنَ الْوَالِدَةِ، وَانْطَلَقْنَا إِلَى بُولَاقٍ وَاشْتَرَيْنَا وَرَقَتَيْنِ، ثَمَنَ الْوَرَقَةِ 50 جَنِيْهًا، وَأَقْنَعَ التَّاجِرُ بِدَفْعِ بَقِيَّةِ الْمَبْلُغِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي.. وَكُنَّا قَدْ تَعَوَدْنَا مِثْلَ هَذِهِ الصَّفَقَاتِ مَعَ التَّجَارِ، وَلَكِنْ الْمَشْكَلَةُ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَنَا مَلِيْمٌ وَاحِدٌ، وَمَطْلُوبٌ شِرَاءُ السُّوسْتِ.. مَا الْحَلُّ؟ مَنْ يَدْفَعُ؟ مَنْ؟ مِيدُو.. إِذَا إِلَى هُنَاكَ.. وَعِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى مِيدُو، قُلْتُ لَهُ:

- تَصَوِّرْ مَعَانَا بُوْذِرَةَ، وَمَفِيْشْ مَعَانَا وَلَا مَلِيْمٌ نَشْتَرِي سُوْسْتِ.

- جِيْتُوا فِي وَقْتِكُمْ.. تَصَدِّقُوا أَنَا مَا ضَرَبْتُمْشْ مِنْ زَمَانٍ، وَنَفْسِي أَضْرَبُ جَدًّا.. ظَبْطِنِي يَا رَامِي.

- بَسِ الْبُوْذِرَةَ الَّتِي مَعَانَا مِشْ كَفَايَةَ.

- يَا أُخِي.. إِيَّاهُ الْبَخْلُ دَه!! نَشْتَرِي تَانِي.

- خَلَّاصٌ، رَجَّعُونِي الْبَيْتَ وَرُوحُوا إِشْتَرُوا.. مِشْ عَائِزٌ أَبُوِيَا يَرْجِعُ، وَأَنَا بَرَه.

- خَلَّاصٌ يَا رِيكُو.. أَضْرَبُ أَنْتَ وَرَقَّتِكَ.. وَأَنَا وَمِيدُو نَقْسَمُ وَرَقَّتِي، وَبَعْدَيْنِ أَنَا وَهُوَ نَشْتَرِي تَانِي.

- مَا شِي.. إِطَّلِعْ يَا صِلَاحِ عَلَى الصِّيْدَلِيَّةِ.. مَعَكَ لَمُونَةٌ فِي عَرِيْبَتِكَ؟

- عَيْبٌ.. إِفْتَحِ الدَّرَجَ.. أَكِيدُ هَتَّلَاقِي لَمُونَةَ.

## مواجهة مع الموت

ضربنا.. وعند بيت رامى وقفنا دقائق للسلام والقبلات والأحضان..  
ومن أعجب الأشياء بعد ضرب البودرة، تبدأ الموجات المتتابعة من السلّامات  
والأحضان، كما لو كنا فى نهائى الكأس، وفزنا بجدارة.. حقاً إنه لشيء غريب!!  
وفى تلك اللحظات التقينا بصديق رامى، وكنت أعرفه اسمه: إبراهيم، وضرب  
معنا أكثر من مرة، وطلب من رامى أن نأخذه معنا ليشتري ورقته.. وسألته:

- هتجيب أد إيه يا هياما؟

- ورقة.

- إيه رايبك فى البودرة يا ميدو؟

- جلوة يا معلم.

- إنت بتفأر يا ميدو.. يا ابن الإيه.. "الدوز" بتاعك واطى.. وأنا يا ذوب الورقة  
تكفينى.

- أصل أنا ماضربيش من زمان، فعملت معايا أحلى شغل.. هى الورقة بكام؟

- 50 جنيه، وإحنا عاوزين نشترى ورقتين.

- ماشى.. وادى 100 جنيه.

فقال إبراهيم:

- يا صلاح، أنا معايا 40 جنيه، كمّل لى 10 جنيه أو نحاول ندى لحسونة

140 جنيه بس، هنيشترى ثلاث ورقات.. ده بيوس إيده وش وضهر.

- أنا ها أتصرف.

- اشترينا ثلاث ورقات، ودفعت 130 جنيهاً فقط.. وهكذا عادت لى
- 10 جنيه، التى كانت معى مُنذُ البداية، وَخِلالَ تَجهيزِ السوست، قلت:
- بأقولك إيه يا ميدو، مَا يَضْرِبُش الورقة كلها، إضْرِبْ شوِيَّةَ والباقي لِبُكره.
- لا.. إنتَ عارفنى.. أنا مش بحب أشيل بُونزة.
- وكان تعليق ابراهيم:
- يا عم، دى ورقة مش قِصَّة.. أنا أصلاً ضَرَبْتَهَا خَلاص.
- ضَرَبْتِ لِنَفْسِي، وَبَعْدَهَا ضَرَبْتِ لِأَحْمَد؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَضْرِبُ لِنَفْسِهِ.
- تَمَام.. تَمَام.. مِية مِية.. تَسَلِّمِ إِيْدِكَ يَا صَاصُو.
- فَجَأَةً، وَفِي لِحْظَةٍ، أَغْمَى عَلَى مِيدُو، وَضَرَبَ رَأْسَهُ فِي زَجَاجِ بَابِ السَّيَّارَةِ.. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ:
- يَا نَهَارِ إِسْوَد.. دَا مِيدُو أَفْوَر.
- مِيدُو.. مِيدُو.. فُوءَ يَا مِيدُو.. إِيَه دَه!! مِشْ بِيْنطَقُ!! نَعْمَلْ إِيَه؟! مِيدُو.. مِيدُو!!
- نُوصلُه عِنْدَ بَيْتِهِ، وَنَسِيْبُهُ هِنَاكَ.
- يَعْنِي نَسِيْبِهِ يَمُوتُ يَا إِبْرَاهِيمُ.. لِأَنَّ مِشْ مُمَكِن.
- طَيِّب.. نُوذِيَه مُسْتَشْفَى السُّمُومِ.
- فِينِ مُسْتَشْفَى السُّمُومِ دِي؟
- فِي رَمْسِيَس.
- قَلْ لِي بِسْرَعَةٍ أَمْشِي إِزَاي؟
- عَلَى طُول.. بَسْ إِسْمَعِ مَالِيَش دَعْوَةَ.. مِشْ هَا اذْخُلْ مَعَاكَ.. دَا فِيهَا سِينِ وَجِيمِ.
- مَبْدُخُلُش.. وَصَلْنِي بِسْ وَمَالِكُش دَعْوَةَ.. حَاوَلْ تَقْوَاهُ.. رُشْ عَلَى وَشْهُ مِئَةٍ بِسْرَعَةٍ.
- الْمِية مِشْ مَابْثَرَةٌ فِيهِ يَا صِلَاح.

- يَا رَبِّ.. يَا رَبِّ.. أَسْتَرْ يَا رَبِّ.. وَالنَّبِيَّ يَا رَبِّ عَدِيهَا عَلَى خَيْرٍ.. يَا أَحْمَدُ..  
رُدْ عَلَيَّ يَا مِيدُو.. مَا تُموتُش يَا مِيدُو.. يَا رَبِّ.. يَا رَبِّ..

وصلنا إلى مُسْتَشْفَى السُّمُومِ، وَجَرِيتُ فِي مَمْرَاتِهَا.. يَمِينٌ وَشِمَالٌ..  
وَلَا أَجِدُ أَحَدًا لِأَسْأَلَهُ، وَلَمْ أَجِدْ لَافِتَةً تُوَضِّحُ الْمَعَالِمَ فِي هَذَا الْمُسْتَشْفَى.. وَقَفْتُ  
حَائِرًا، لَا أَعْرِفُ مَاذَا أَفْعَلُ، وَأَخِيرًا رَأَيْتُ طَبِيبًا، يُؤَكِّدُ مَظْهَرَهُ أَنَّهُ إِنْسَانٌ مُحْتَرَمٌ،  
وَأَنْنِي أَسْتَطِيعُ التَّفَاهُمَ مَعَهُ.. جَرِيتُ إِلَيْهِ وَفِي لَهْفَةٍ قَلْتُ:

- مِنْ فَضْلِكَ يَا دَكْتُورُ.. مَعَايَا وَاحِدٌ صَاحِبِي، وَاخِذْ "أَوْفِرْ دُوز" مِنْ سَاعَةٍ..  
أَعْمَلُ إِلَيْهِ؟ أَرْجُوكَ سَاعِدْنِي.

- حَالَتُهُ إِلَيْهِ؟

- مَشْ بَيْنَطَقُ.. بَسْ قَلْبُهُ بَيْنَبُضْ.

- هُوَ فِينْ؟

- فِي الْعَرَبِيَّةِ بَرَّهْ.. أَرْجُوكَ يَا دَكْتُورُ.. تَعَالَى مَعَايَا شَوْفُهُ، وَأَعْمَلُ لَهُ أَيَّ حَاجَةٍ  
بِسُرْعَةٍ.

وَفِي اللَّحْظَةِ نَفْسَهَا، أَسْرَعَتْ إِحْدَى الْمَرْضَاتِ وَرَاءَ الطَّبِيبِ، وَقَالَتْ:

- يَا دَكْتُورُ الْمَرِيضُ اللَّيِّ فِي.....

- وَالنَّبِيَّ سَيِّبِي الدَكْتُورُ دِلُوقْتِ.. مَعَايَا وَاحِدٌ بِيَمُوتُ فِي الْعَرَبِيَّةِ.

وَعِنْدَمَا رَأَاهُ الطَّبِيبُ، أَمْسَكَ بِيَدِهِ، ثُمَّ تَأَمَّلَنِي بِنَظَرَاتٍ فَاجِصَةٍ، وَفِي

لَهْفَةٍ سَأَلَنِي:

- إِلَيْهِ يَا دَكْتُورُ؟ هَنَعْمَلُ إِلَيْهِ؟

- لِسُهُ عَائِشٌ.. بَسْ مَالُوشَ عِلاجَ هِنَا.. إِجْرِي بِيهِ بِسُرْعَةٍ عَلَى مُسْتَشْفَى "...."  
وَإِنِّي وَحِظْتُكُ.. يَا تَلْحَقْ.. يَا مِتْلِحَقْشُ.. هِنَاكَ، هِيْدُولُهُ حَقْنَةً.. الْحَقْنَةُ دِي مِمكِن  
تَبْقَدُهُ.

- شُكْرًا يَا دَكْتُورُ.. إِرْكَبْ يَا إِبْرَاهِيمُ.. هِيَ الْمُسْتَشْفَى فِي الدَّقِيقِ.. صَحْ؟!

- صَحْ.. إِجْرِي بِسُرْعَةٍ.. مَا قَدَّامُوشَ كَثِيرٌ.

- شكراً يا دكتور.. رَبَّنَا يُسْتَر.

ولم ينطق إبراهيم بكلمة واحدة.. وطوال الطريق، لم أتوقف عن الدعاء بصوت عالٍ مسموع:

- يَا رَبِّ اسْتُرْهَا.. عَدِّيْهَا لَنَا يَا رَبِّ.. وَالنَّبِيَّ يَا رَبِّ.. يَا رَبِّ.

ثم أخاطب إبراهيم قائلاً:

- اِعْبَلْ دِمَاغَهُ يَا إِبْرَاهِيمَ، رُشٌّ عَلَى وَشْهِ مِئَةٍ.. يَا أَحْمَدُ.. رُدُّ يَا مِيدُو.. وَالنَّبِيَّ يَا مِيدُو مَا تَمُوتُش.

وصلنا إلى المستشفى، وبنظرة خاطفة رأيت لون وجهه الأزرق، إنه يرقد دون حراك.. ودون إحساس، مثل تيار الكهرباء المقطوع.. ميدو فاصِل تماماً، وتبادلتُ مع إبراهيم نظرات القلق والرعب، لدرجة أن إبراهيم قال لي:  
- الظَّاهِرُ إِنَّهُ مَاتَ.

وضعت يدي على قلبه.. إنه لا يزال ينبض.. قفزت من السيارة، وفعل إبراهيم الشيء نفسه، ولكنه جرى بعيداً، بعيداً عن السيارة.. إنه يهرب من مواجهة تبعات هذا الموقف البائس.. ولم أهتم، وجريت داخل المستشفى، وصرخت بأعلى صوتي:

- عايز دكتور بسرعة.. معايا واحد بيَمُوت في العربية.

لا أحد في مكتب الاستقبال.. وجاءت ممرضة، ونظرت إليّ في ذُهل، ثم خرج الطبيب من غرفته، وسأل:

- هو فيه إيه؟

- معايا واحد صاحبي في العربية.. واخُد "أوفر دُوز".. بسرعة يا دكتور.. لازم تَنْقُذْهُ.. في مستشفى السموم قالوا لي عِنْدَكُمْ حَقْنٌ بِنَقْد.

قال الطبيب (وهو يوجّه كلامه إلى الممرضين):

هَاتُوهُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ بِسُرْعَةٍ.. ثُمَّ سَأَلَنِي:

- هو واخُد إيه؟



- بُودرة.
- واخذ كميةً أد ايه؟
- تذكرة واحدة.. بس هو أصلاً مش بياخد إلا كل فين وفين؟
- ثمن الحقنة 650 جنيه.. معاك فلوس؟
- اتفضل.. ميدالية المفاتيح، دى ذهب.. ومفاتيح العربية كمان.. مش مهم أى حاجة.

أعطيته الميدالية وبها مفاتيح السيارة.

- أدهشت الطبيب بكلامى، وخوفى.. تركته وجريت لأتابع نقل أحمد من السيارة إلى "الترولى" وعندما عدنا إلى الطبيب، أعطى تعليمات سريعة:
- دخلوه.. وهاتوا سيرنجة بسرعة.. ذا أزرق.. مفيش فى وشه نقطة دم.
- يا دكتور.. فيه أمل؟ أرجوك قل لى يا دكتور.
- خليك إنت بره.. ما أعرفش فيه أمل واللاً.

أخذت أدعى وأقول:

- يارب.. أستر يارب.. والنبي يارب.. آخر مرة أضرب فيها فى حياتى.. بس ميدو يعيش.. والنبي يارب.

انتظرت خارج غرفة الطبيب.. الدموع تغسل وجهى، ولا أتوقف عن الدعاء، بينما شريط ذكرياتى وصداقتى مع ميدو يمر مثل فيلم سينمائى.. هل هذه نهاية الفيلم، أم بداية لحياتنا الجديدة المختلفة؟! وقفزت أمام عينى صورة مجسمة لوالدته، وأخرى لأخيه.. وبعد عشر دقائق طويلة ورهيبه، خرج الطبيب من غرفته، فقفزت إليه، وكل خلية فى جسمنى تتسائل:

- خير يا دكتور؟!

- ذا فعلاً مَحْظوظ.. لو كنت تأخرت خمس دقائق، كان مات.. بس هو محتاج حقنة ثانية.. واضح إن جسمه كان نضيف، وأخذ كمية كبيرة.

- مش مشكلة يا دكتور.. اِدَى لُه حَقنة تانية.. ممكن أشوفه؟ مش هَا اَعْمِلْ اَى حاجة، بَسْ هَا اَقِفْ جَنْبُه.

- استنى.. هانادى لك بعد شوية.

وبعد خمس دقائق عاد الطبيب، وقال لى:

- تعال يا سيدى.. وشوف صاحبتك.. فاء بَسْ بيخرف.

فى قفزة واحدة كنت بجانب ميدو.. نائم على السرير، ويحرك رأسه..

حركات عَفوية غير منتظمة.. وسألته:

- ميدو.. يا ميدو إنت سامعنى؟

- آه.. أنا فين؟

نطقها بصعوبة بالغة.. فقلت له:

- حرام عليك يا أخی.. مَوْتَتى.. الحمد لله.. الحمد لله يارب.. شُكْرًا يا دكتور..

شكرا.. الحمد لله.. الحمد لله.

- إنت باين عليك صاحبة أوى؟!

- أكثر من صاحبه يا دكتور، وأكثر من إخوات كمان.. دَا إْحْنَا مَثْرَبِين مع

بعض من أيام الحضانة.

- كُنت فى مَدْرسة إيه؟

- مَدْرسة ".....".

- وَأَنَا كَمَا كُنت فى نفس المدرسة.. بَسْ أَنَا أَكْبَرُ مِنْكُمْ بِكَام سنة.. قُلْ لى..

وإنت كمان بتأخذ بُوْترة واللا إيه؟

- لا يا دكتور.. أَنَا مَا بَاخُدْش.. لو كُنت بَاخُدْ مَكُنْتَش عرفت أجيئه هنا.

بيبدو أن كلامى كان مقنعًا إلى حد كبير.. ولست أدري هل صدقنى

الطبيب، أم أراد أن يبدو مُصَدِّقًا لما أقول.. واستمر يسأل:

- طَيِّبْ إيه بس اللى وصله للهباب ده؟

- عِلْمى عِلْمك يا دكتور.

- طيب.. دلوقتِ هتعمل إيه؟

- بَصُ يا دكتور.. أنا عايز منك خدمة.. أنا مش ها أقدر أكلّم مامته، ولا أخوه.. ممكن حضرتك تكلمهم؟! أنا ها أدليك نمرة التليفون، وقُلْ لهم من فضلك وهم جايين يجيبوا فلوس معاهم.. أطمن يا دكتور.. أنا مش ها أمشي.. أنا ها قاعد هنا فى أى أوضة، وأدينى مفتاح العربية أركنّها بعيد شوية عن المستشفى، علشان ما حدّش منهم يشوفها.. وحضرتك خلى معاك الميدالية الذهب لغاية لما أخوه بيحى ويدفع الفلوس.. وقول لهم إن واحد كان معاه، ودخله المستشفى ومشى.. أرجوك يا دكتور.. من فضلك.. مش عايز أكون فى الموقف ده.

- اللّى يعمل كذا مع صاحبه، ماينفعش يهزّب.. خذُ مفتاح عربيتك والميدالية. وافق الطبيب الشهم على طلبى، وابتعدت بالسيارة عن بوابة المستشفى.. ثم انتظرت فى غرفة صغيرة إلى أن جاءت والدّة أحمد وشقيقه علاء.. ولم أعرف ماذا دار بينهما وبين إدارة المستشفى التى أنقذت حياته، وظللت فى مكانى فى انتظار خروجهما مع ميدو من المستشفى، التى عاد فيها إلى الحياة.. وقلت لِنَفْسِي:

- يا إلهى.. أحمّك وأشكرك.

كان يوماً طويلاً، ورهيباً.. مرت كل ثانية وكأنها سنة أو أكثر.. لقد تأخرت عن الموعد المتفق عليه مع أمى.. إنها الساعة الثانية بعد منتصف الليل.. ولا تكفى كلمة التعب لتصف حالتى.. أنا لا أقوى على المشى.. قدماى لا تحمِلاننى، وعندما أدخل إلى البيت بهذا المنظر، بالتأكيد سوف تشك أمى.. ومعها حق فى هذا الشك.. لكن لا شىء يهم الآن.. المهم أن ميدو لم يموت.. إنه حى.. لم يموت.. والأهم أيضاً أن ربنا سترها معنا، والشرطة لم تتدخل.. يهون التعب والهالك الذى أشعر به.

عندما دخلت إلى البيت.. بدأت أمي تفحصني كعادتها.. تتأمل وجهي،  
وتتظر في عيني.. ولم يكن يبدو بعد هذا الموقف الرهيب، أنني ضربت بؤثرة،  
وإنما شكلي كان مرهقاً للغاية، وشعري أشعث، وفي ثانية ألفت لها قصة عن  
مباراة كرة في شارع بيت ميدو.. ولست أدري هل صدقتني أم لا، وتركنتي  
لأخذ الدُّش، وأدخل غرفتي.. وفي سريري بدأت أكلم نفسي:  
- كفاية كذا يا صلاح.. كفاية.. كفاية.

في اليوم التالي، شعرت بالإرهاق الشديد.. لا أستطيع الحركة من  
مكاني، ولست قادراً على الكلام، أو التفكير في الضرب.. فقط أفكر في ميدو،  
وأريد الاطمئنان عليه، لكنني خشيت الاتصال به، ماذا أقول له؟ وبالتأكيد والدته  
وشقيقه علاء قد عرفا أنني وراء كل ما حدث، وآخر من كان معه قبل إصابته  
بهذه الأزمة القاتلة.

مرّ يومان ولم أخرج من البيت، وكنت تحت رقابة أمي.. وكنت  
أتصرف بهدوء تام؛ لشعوري بالتعب الشديد، كما أن قصة الأمس لم تفارق  
خيالي.. وفي اليوم الثالث كنت أحسن حالاً، ولكن لا يشغلني إلا التفكير في  
أحمد، ولا أعرف ماذا أفعل.. أحسستُ بعجزى، وبالرعب عند سماع رنين  
التليفون.. فقد خشيت أن تتصل والدة ميدو، وتكلم أمي لتحكى لها عما حدث  
لابنها، وتولت أختي رولا الردّ على رنين التليفونات، ونادتني.. وسمعت دقات  
قلبي.. لماذا أخاف؟ إن كل شيء يخيفني.. نادى رولا على قائلة:

- يا صلاح، تليفون عشانك.. أحمد.

- إزيك يا ميدو؟! كويس إنك كلمتني.

- إزيك يا صلاح!؟

- الحمد لله.. أنا كنت عايز أطمئن عليك.. بس مش عارف أعمل إيه؟

- تصوّر.. من يومها وأنا نايم.. تخيل نمت 36 ساعة متواصلة.. وليسّه صاحي  
من نص ساعة.

- طنّط ماجدة وعلاء عملوا إيه؟
- منْدبةً طبعًا.. الدنيا مَوْعَة في البيت.
- عرفوا إني كنت معاك؟
- عيب عليك.. طبعًا لأ.. دبستها في إبراهيم.. قلت لهم قابله بالصدفة، ورحنا ضربنا سوا.
- ويغدين؟
- أمي منهارة طبعًا.. عياط مُستمر، وعلاء مش بيكلمني.. أنا غاوزك تحكي لي حصل إيه.. لَمَّا علاء قال لي إن فيه واحد معاك هو اللي ودّاك المستشفى، وسابك هناك، عرفت على طول إنه إنت.
- وحكيت لميدو ماحدث بالتفصيل.. حتى وُصول والدته وعلاء إلي المستشفى..

- يا نهار أبيض!! إيه ده؟ أنا فعلا كنت ها أموت!!

- الحمد لله جت سليمة.. ربنا ستر.
- تصدّق يا صلاح أنا لسه تُعبان، وديماغي لسه ثقيلة.. ها ادخل أنا تاني.
- نام إنت وأستريح، وأنا أعدّي عليك بكرة.

وضعت سماعة التليفون، وأنا لا أكاد أصدق أن سيناريو هذه المأساة سار على هذا النحو، وأن اسمي لم يذكر نهائيًا في أحداث تلك الليلة السوداء، وأني خرجت منها، كما يُقال: "مثل الشعرة من العجين".. وعندما ذهبت إلى ميدو، وجدته جالسًا مع زوني، وضممتنا جلسة ممتعة معًا، نتذكر أيام زمان، نحكي ونضحك ضحكات من القلب.. أحسست بأن ميدو اليوم يختلف عن ميدو قبل الحادث المروع.. نعم.. شيء ما مختلف.. لكن ما هو هذا الشيء؟! لم أستطع تحديده.

وطلّعتنا إلى "البلكونة" لأن حسين يريد أن يشرب "جُوينت" .. وأعطاني  
"الجُوينت"، وأخذت نفسي، وأعطيتَه لميدو قائلاً:  
- صباح الفل يا معلم.

قال أحمد.. وقد نظر إلى طويلاً:  
- مش ها اعرف أمد إيدي على أى مخدرات مرة ثانية.. خلاص يا صلاح..  
جلوين على كده.. صقر الحكم.

أعدت الجُوينت إلى حسين، وأكملنا حديثنا، وهذه كانت آخر مرة أقول  
فيها لصديقي ميدو: "صباح الفل يا معلم" .. وعدنا إلى حديثنا السابق، حديثنا حول  
المأساة، وقال أحمد:

- بس علاء هيتجنن علشان عايز يعرف مين إبراهيم؟ عايز يشوفه علشان  
يشكره لأنه ودّانى المستشفى، لأن الطبيعى إنه كان رمانى فى أى مكان  
وهرب.. والدكتور قال لعلاء إن واحد صاحبى أنقذنى من الموت فعلاً، وإنه كان  
ممكن يروح فى داهية لو كنت مت.. بس هو ماهموش.

كانت هذه هى نهاية السهرة.. وعند باب البيت نظر إلى ميدو نظرة  
لها معانٍ كثيرة، وأخذنى بين ذراعيه، "حضنتى" بقوة، حضن دون أى كلام  
أو نقاش، وكسر حسين المشهد بكلمتين.. قائلاً:

- بالراحة يا عم.. هتفحصه.  
- سلام يا ميدو.. تصبّح على خير يا صاحبى.  
- سلام يا رجاله.. أشوفكم بكره إن شاء الله.

عدت إلى بيتى، وكنت أشعر بالسعادة الحقيقية.. ووجدت أمى فى  
انتظارى كالمعتاد، وكالمعتاد أيضاً أمطرتنى بمليون سؤال:

- باين عليك مبسوط .. خير!؟  
- عادى يا ماما.. كانت سهرة حلوة عند ميدو.. إفتكرنا فيها أيام زمان،  
وضحكنا من قلبنا.

- كان مين هناك؟

- حسين.. وطبعًا علاء.. كل شوية يعدّي ويقعد معانا.

- طيب تتعشى إيه؟

- إتعشيت خلاص.. ما إنت عارفة بيت ميدو.. "رُسْتوران".

دخلت إلى غرفتي، وأنا أشعر بالسعادة.. فعلاً كانت ليلة سعيدة.

وفي الصّباح، فاجأتني أمي بأنها حجزت موعدًا مع طبيب باطنى،

وتخصصه الكبد، فهي قلقة بسبب نقص الوزن، والهالات السوداء تحت عيني..

وذهبتنا معًا، ومن خلال الحوار فهمت أنها التقت به فى زيارة خاصة، وشرحت

له الحالة، وطلبت منه مساعدتها، بأن يشعرنى بخطورة ما أفعله، وقدّر الطبيب

حجم القلق الذى تمر به، فطلب أشعات وتحاليل، وفى الزيارة الثانية صارحنى

قائلًا:

- إنت محتاج علاج مستمر لمدة سنة، وأشوفك كل شهر، وطبعًا مش هينفع أبدًا

بشرب تانى، لأن الشرب تأثيره قوى وخطر على الكبد.

- حاضر يا دكتور.

بعد هذه الزيارة العلاجية، شعرت بالقلق فعلاً.. لكن مشكلتى فى القرد

والنسناس الذى يقفز فى دماغى: اضرب.. اضرب.. وأقاومه، وأطرد الأفكار

من رأسى، وتفاديت لقاء حسام أو الظهور معه، فكل الناس تعرف قصته..

وأنه قد تمّ طرده من موقعه فى الشرطة بسبب المخدرات، وكانت مشكلاته

كثيرة، وفقد وزنه بشكل واضح، وعرف كل الناس عنه أنه مدمن.

وأعترف، أيضًا بأن أسلوبى فى الحياة قد تغير كثيرًا، سواء بالنسبة

لمواعيد النوم أو الخروج، ونقص الوزن، والإهمال فى ملابسى ومظهرى..

ولا شك أن الناس أذكىاء، ومنتصرون أنهم لا يعرفون الحقيقة، والحقيقة عكس هذا

تمامًا.. إنهم يعرفون ويفهمون كل شىء، واحترامًا لاعتبارات كثيرة لا يتكلمون.

فى تلك الأيام، كثر الحديث عن البوثة.. الصحف تنشر كل يوم أخبار القبض على التجار.. أحدهم متلبسًا ومعه 150 تذكرة هيروين.. وامتلات صفحة الحوادث بأخبار الشباب الذين يتعاطون المخدرات، وأخبار القبض على طلبة يتعاطون الهيروين داخل سيارة.. حملات بوليسية بتركيز شديد، كما زادت التحقيقات الصحفية، والمقالات، والأعمدة حول كارثة الإدمان وخطورته.. وبسبب هذا أصبح من الصعب الحصول على البوثة، فاتَّجَّهنا إلى "أبو صليبة"، ونطحن عليها قرص دواء "توقاسى" ونشمه، وأحيانًا نشرب كودافيين، لأن به نسبة كودايين عالية، وأبو صليبة.. كنت أسميه "أبو مصيبة"، يا ساتر يارب.. كنت أشعر أنه يحدث تغييرًا خطيرًا فى شخصيتى، كان يحولنى إلى إنسان شرير.. إنه يحول البنى آدم إلى مخلوق خطير، بل مجرم يفقد القدرة على التمييز تمامًا.. لا يدرك ما يحدث حوله.. يسرق أى شىء.. يقوم بأى تصرف أهوج ومجنون.. فى أى وقت، وتحت أى ظرف.. الحقيقة أننى كنت أخاف من "أبو مصيبة" أو "أبو صليبة"، لأننى فى كل مرة استيقظ لأجدنى عملت كارثة، أو مصيبة بسبب "أبو صليبة".

رغم محاولات أمى المستمرة فى مراقبتى، مع من أتحدث تليفونيًا، وفى أى الموضوعات نتكلم.. وقبل الخروج، وأنا على الباب، توقفتى لتسألنى: ماذا معك فى جيوبك؟ وماذا معك فى محافظتك؟ وتكرر الأسئلة نفسها بعد العودة إلى البيت.. وتضيف:

- ورنى ذراعك.. كنت مع مين؟ اكتب لى أرقام تليفونات كل أصحابك.

كانت تتصل بهم فعلا، وتسألهم عنى، وتفتح معهم التحقيق دون كلل أو ملل، وكنت أعب معها لعبة القط والفأر، ورغم كل هذا الحصار، كنت أستطيع الإفلات.



## وشاية

وخلال تلك الفترة العصبية، التقيت مع راندا، وكان اللقاء ساذجا،  
وأمسكت يدي، وظلت تقول:

- أنا مراتك وحبيبتك.. وما أقدرش أعيش من غيرك أبدا.  
وفجأة انفجرت وقلت لها:

- إنت عارفة كويس إنت عملت إيه!! أنا باخد بُوثرة وإنتِ السبب.. بُصّي  
دراعى.. شوفى مِخْرَمِ إزاي؟! شايفه اللي إنتِ عملتيه، عمل في إيه؟  
طبعاً لم تكن راندا هي السبب.. ولكنى وجدتُها فُرصةً أُعملُها شَماعةً،  
وأشعُرُها بالذنب وتأنيب الضمير، وأردت أن تفهم أنني اختفيت طوال هذه  
الفترة، ليس بسبب حب جديد، كما تدعى، ولكن لأنى بأضرب، وهي السبب.  
وسيطر على أُمى الإحساس الطاغى بأن راندا أحد أسباب الانهيار  
الذى أمرُ به، وبدأت تعاملها بجفاء، وترد على اتصالاتها التليفونية بخُشونة،  
ولا تستقبلها بحفاوة كما كانت.. لكنها فى الوقت نفسه كانت معجبة بقصتى مع  
هالة.. كانت فعلاً تحبها، رغم أن الحديث بينهما سريع، وعلى فترات متباعدة..  
هالة أصلاً شخصية متحفظة، وخجولة، ونادراً ما تتصل بى تليفونيا، وكنت  
أسألها:

- إنتِ مِشْ بِتَكَلِّمِينى ليه؟

- لأنِ عمرى ما اتكلمت ولقيتك.. فاتكلم ليه؟ ولو اتكلمت عُمر ما حدٌ هيقول لك  
إنى اتكلمت.. أصل اللى بيكلموك كثير، فيقولوا مين ولأ مين؟!

وكانت هالة أجمل ما فى حياتى.. وتوطدت العلاقة بيننا، إلى أن يُست  
نانسى منى تماماً، فقد كنت عند حسام فى مصر الجديدة، وضررنا قبل مجيء

نانسى، وبعد وصولها مباشرة ضربت هى الأخرى، ودار بيننا حديث غريب جدا:

- إنت بتعمل معايا كده ليه؟
  - بأعمل إيه؟
  - ولأ بتكلمنى.. ولا بتعبرنى.. كأنى كلبه.. هو علشان بإحبك تعاملنى كده؟
  - هو أنا قلت لك إنى ها اتجوزك؟ هو أنا وعدتلك بحاجة؟
  - وما بتجوزنيش ليه إن شاء الله.. عارضة ولا حولة؟!!
  - لا.. مش عارضة ولا حولة.. إنت بس صائعه وضائعه.
  - طبعا.. دلوقت صائعه وضائعه.. ماشى يا صلاح.
  - هو أنا الأول قلت لك إنك برنسيه واللا إيه؟
- فتدخل حسام فى الحوار قائلاً:

- بس يا نانسى.
  - دافعت دعاء عن نانسى قائلة:
  - لا.. يا صلاح.. مش كده.
- ردت نانسى بغضب:

- طيب يا حبيبى.. خلى البنات الحلوين بتوع الجامعة ينفعوك.
- فكرتيني.. أنا عندي مكالمه مهمه، ومش عايز حد يدخل على.
- هتسوف يا صلاح.
- خوفتيني.

ولم تكن هاله تركز فى القصص والأفلام والمصائب والمشكلات التى كانت تسمع عنها؛ فالبنسبه لها أهم شىء التركيز فى المذاكرة.. اتصلت بها وقلت لها:

- مذاكرة!! مذاكرة!! نُخرج ساعة واحده بس.
- طبعا وزايا مذاكرة.

- طيب أشوفك.. وحشتيني أوى.. لفة بالعربية واطلعي ذاكري على طول.
- ياه.. إنت مُصيبة من مصايب الزمن.. اسمع.. هي نص ساعة مش أكثر..  
ناخد لفة في المهندسين وترجعني البيت على طول.
- اتفقنا.. تلت ساعة وأكون عندك.
- سلام يا حسام.
- على فين؟
- أنا رايح مشوار ساعة.. ولما أرجع مش عايز ألاقى نانسي هنا.
- وبعد عشرين دقيقة وصلت عند هالة.. كانت في انتظاري، ولونها  
باهت، وشكلها غريب.. وركبت إلى جانبي، ودون مقدمات سألتني:
- إنت كنت فين؟
- يعني إيه كنت فين؟
- يعني إنت جاي منين؟
- من مصر الجديدة.. ليه فيه إيه؟
- عند مين في مصر الجديدة؟ جاوبيني.
- ليه بس؟! فيه إيه؟! كنت عند حسام.
- بعد ما قفّلت معايا بخمس دقائق، حبيبة القلب كلمتني.
- حبيبة القلب مين؟
- ما قالتش اسمها.. بس قالت لي إنها حامل.
- قلت في دهشة:
- حامل؟! مين دي اللي حامل؟! إيه اللي إنت بتقوليه ده؟
- ولا تقول لي ولا أقول لك.. روح يا ابني شوف حبيبتك الحامل.. ما ينفعش  
تبتعد عنها في ظروف زي دي.
- حامل إيه بس؟! أنا مش فاهم حاجة!!

- بعد ما حَضَرْتِكُ قَفَلْتُ معَايَا.. واحِدَةً كَلَمْتَنِي، وَقَالَتْ لِي إِنهَا صَاحِبَتُكَ، وَإِنهَا حَامِلٌ فِي الشَّهْرِ التَّانِي، وَإِن أَنَا لَازِمٌ أَبْعُدُ عَنْكَ عِلْشَانَ حَضَرْتِكُ بَتَّجَوَزَهَا.

- إِيهَ الْهَبَلُ ذَهْ!! دَا فِيلِمُ هَابِطُ.. أَنَا عَرِفْتُ مِينَ اللَّيِّ عَمَلْتُ كَدَه.. وَعَمَلْتُ كَدَه لِيه!!

- أَنَا بَقِيَ مَا يَهْمَنِي شِ أَعْرِفُ.. إِسْمَعُ يَا صِلَاحُ.. أَنَا مَشْ عَاوَزَاكَ تَكَلَّمْنِي تَانِي أَبْدَا.. إِنْسَانِي، وَخَلِيكَ فِي الْحَوَامِلِ بَتُّوعَكَ.. أَنَا مَا بَقَيْشْ أَثِقُ فِيكَ.. وَعُمُرِي مَا هَا أَثِقُ فِيكَ.. مِنْ فَضْلِكَ إِيْعِدْ عَنِي وَسِيْبَتِي فِي حَالِي.. أَنَا مَشْ أَذْكَ، وَلَا أَذْ مَوَاضِيْعَكَ الْعَجِيْبَةَ دِي، كَفَايَةَ كِدَه.. الْمَوْضُوعُ بَيْنَا أَنْقَلُّ خَلَاصُ.. أَنْقَلُّ تَمَامًا.

انتهى موضوع هالة بهذه النهاية المأساوية.. وحاولت أكثر من مرة أكلمها، واطرح لها، إنما بالنسبة لها الموضوع انتهى.. وعلى رأيها "انقل" تماما.

استمررت علاقتي بالفتاة النقية الرقيقة: مريم.. وزاد تعلقها بي، وكنا نتحدث تليفونيا ساعات طويلة، واكتشفت أنها تعرف عنى كل شىء، فهي تتابع أخبارى من خلال الجيران، وعندها كل المعلومات والتفاصيل الدقيقة، وتعرف كل صغيرة وكبيرة فى حياتى، وكنت أهم إنسان فى حياتها.. وكثيرا ما كنت أمرُّ بأزمات مالية، فأخترت قصة درامية أرويها لها.. كأننى أحكى فيلماً من أفلام الميلودراما الساذجة، وأحكى عن صديقى وصاحبته التى قررت قطع علاقتها به، بعد اكتشافها أنها حامل، وضحك عليها ولا يريد الزواج بها كما وعد، وهى مضطرة لإجراء عملية إجهاض، وأريد مساعدتها مالياً، لكن ليس معى الثمن الباهظ الذى يطلبه الطبيب لإجراء العملية.

ترددت فى هذه الفترة عشرات القصص للفتيات اللاتى لم يعُدْنَ عَذَارَى، وتسمع مريم هذه القصص ولا تصدق، إلى أن تكتشف أن ما أقوله لها

صحيح مائة فى المائة، بعد أن وقعت صديقته فى الفخ، وتوالت قصص صديقاتها.. وفى كل فترة تحكى لى عن مأساة جديدة، وفى ذهول تقول:

- تصور، سلوى مش "ثيرجين"، وقالت لى إن صاحبها رياض هدها لو بعدت عنه، هيفضحها، وهى مش عارفة تعمل إيه؛ لأنها دلوقت بتكرهه من معاملته الوحشة معاها.

كما حكى لى قصة صديقته منار.

- تصدق إن منار سافرت مع أمين العجمى، وهيقعدوا يومين هناك.. لكن قالت لمامتها إنها مسافرة مع سلوى!؟

وأحاول أن أشرح لها الهدف من هذه الرحلة.. وأسألها:

- يعنى تفتكرى هتأسفين مع بعض ليه؟ هيناموا كل واحد فى أوضة لوحده!؟

- طبعا، الفيلا بتاعة أمين فيها أوض نوم كتيرة.

تمر الأيام، وبعد شهرين أو ثلاثة، تحكى لى، وهى فى قمة الانزعاج:

- إلحق.. مصيبة.. منار حامل فى الشهر التانى، وعأيزة تعمل عملية إجهاض.. وتصور كمان، فلانة صاحبة فلان وقعت فى المشكلة نفسها..

وتتلقى هذا الكلام كالصاعقة.. فهى بريئة براءة الأطفال، وكنت أشعر

أنها أختى الصغيرة، ولم تحرك غرائزى كأنثى، رغم أنها جميلة، واحترمت براءتها وسذاجتها.. وقد كانت أمى تعرفها من خلال اتصالاتها التليفونية الكثيرة، وهداياها القيمة التى تبعث بها إلى من حين إلى آخر.

وبعد اكتشاف أمى اختفاء الذهب والأموال، وبعد تحديد ميزانيتى

بمعرفتها.. كنا كثيرا ما نختلف فى رفع تلك الميزانية، أو منحى معونة، وترفض خشية الوقوع تحت إغراء شراء المخدرات، ولم يكن عندى اختيار غير اللجوء إلى مريم..

كنت أحياناً أقول لها:

- إزيك يا مريم.. بأقولك إيه، تعالى بسرعة وهات معاك 200 جنيه.

حقاً.. إنه مبلغ كبير فى ذلك الوقت، ولكن هى أيضاً لم يكن عندها اختيار آخر، وعن طيب خاطر، كانت تنفذ كلام حبيب القلب، وأحياناً تأخذ من والدها أو من والدتها، أو تستدين من إحدى صديقاتها.. فقد كانت مستسلمة تماماً، وتصدق كل قصصى وأفلامى، وأسعدها جدا أن يحدث بيننا هذا التقارب.. والحق يقال، لقد مرت مريم بأيام صعبة، ولكن كله يهون، مادامت علاقتها بى حميمة وبالقرب منى.

ظلت أمى تراقبنى، وتلاحقنى، وأهرب من أسئلتها، ولكنها كانت تكشفنى بنظرة أو كلمة، وأكرر وعدى لها بأنها آخر مرة، وكتبت لها عشرات الرسائل، أعدتها فيها بأننى لن أتعاطى المخدرات نهائياً.. ولا أنفذ وعودى.. كلها فى الهواء.. وكلها حبر على ورق.

نعم.. هى لم تأخذ أجازة دون مرتب، وبحجة ظروفها الصحية تعاون معها زملاؤها، وقاموا بتنسيق الجدول، وتبادلوا إعطاء المحاضرات الخاصة بها، وإجراء الاختبارات كما عودت طلبتها، وكانت هى تصحح هذه الاختبارات، وتسلمها أوّل كل أسبوع.. وتتناوب أختى رولا معها خلال الساعتين اللتين تذهب فيهما الى الجامعة، ولكن الأعبى توفقت على كل محاولات حصارى، وفى نهاية المطاف.. أختلق قصة تصدقها أختى، وأنزل اشترى وأضرب وأعود بانسا.

ورسمت أمى خطة جديدة، وعقدت لقاءات مستمره مع أصدقائى.. كل أصدقائى دعتهم واحداً، واحداً الى البيت.. سواء من يتعاطى منهم أو من لا يتعاطى.. وكانت تقضى معهم ساعات طويلة كل يوم، تسألهم وتحاورهم بلا كلل أو ملل، وكثيراً ما كنت أعود الى البيت لأجد أصدقائى عندنا فى المنزل.

وكان الجزء الثانى من الخطة، هو إحكام الحصار حولى.. راقبت اتصالاتى التليفونية.. أخضعت دولابى وملابسى وغرفتى لحملة تفتيش يومية، وعندما أنام، تذهب إلى الجراج وتقوم بالبحث والتفتيش الدقيق فى السيارة، كما رفعت القفل من باب الحمام ومن الغرفة.. راقبت حركة الشباب الذين يتحركون حول العمارة، فهى تعرف أن حسام أحد هؤلاء الشباب، ولست أدري كيف عرفت أنه يترك لى ورقة البؤذرة والسُّوسنة تحت الدواسة، وذات مرة ضبطته أثناء رفعه للدواسة، وفتحت الباب فى اللحظة نفسها، التى وضع فيها حسام السرنجة، فرماها وجرى، وبالطبع لم تستطع اللحاق به كى تمسكه متلبساً، وأخذت السرنجة، وهى فى حالة غليان.. ولم تتم فى تلك الليلة.. مثلها مثل ليالٍ كثيرة، وأصبحت أمى لا تنام إلا قليلاً، ولا تنام فى غرفتها، بل تنام على مقعد بالقرب من باب الشقة لتطمئن على وصولى، وترى بنفسها كيف أبدو، وتسالنى ألف سؤال وسؤال، وبعد أن أنام تذهب لتنام فى سريرها.

أما والدى.. فكان يشعر أن هناك شيئاً ما غير عادى، وغير مفهوم بالنسبة له، لكن هو بشكل عام كثير السفر، ولا يركز إلا فى مشاريعه الهندسية، واتفاقيات مع الشركات والمكاتب العالمية.

## غياب الضمير

ازدادت الأزمات المالية، ولم تعد النقود متوافرة معى لشراء البُوذرة، وفى صباح يوم من هذه الأيام السوداء، عرفت مصادفة أنه يوم زفاف ابنة عمى سلمى.. هذه العائلة لها مكانة خاصة لدينا فقد توفى عمى وترك أطفاله صغاراً. فى ذلك اليوم خرجت مع حسام، وذهبنا لشراء البُوذرة، ولم نجد، ولكننا وجدنا "أبو صليبة" أو "أبو مصيبة"، واقترح حسام أن نطحن أربعة "أبو صليبة" مع قرصين "توقاسى"، إلى أن نجد البُوذرة.. وقد كان، ونفذنا الاقتراح، واتفقت معه أن نتقابل بعد ساعة، يحاول خلالها بكل الطرق أن يتصرف ويجهز مبلغاً لشراء البُوذرة، بينما أذهب إلى بيت عمى فى المهندسين، لأثبت حضورى أمام العائلة فى يوم زفاف سلمى الصغيرة. وصلت إلى بيت عمى.. مظاهر الفرحة جميلة، العروسة سلمى سعيدة جداً، شقيقها معتز يستقبل الضيوف، ويقف وقفة رجل، ويبدو دائماً أكبر من سنه.. وأخت العروسة سحر، تكاد تطير بجناحين من الفرحة، وزوجة عمى أسعد واحدة فى الدنيا.. كل ركن فى البيت تملؤه الفرحة، و أنغام الموسيقى، والزغاريد تنطلق هنا وهناك..

بحفاوة بالغة استقبلنى الجميع، رغم انشغالهم بالحديث عن الفستان، وموعد الكوافير، والزفة.. والكوشة، ورغم اتساع البيت.. إلا أن زحام الضيوف كان أكبر من اتساع البيت، وفى كل جانب منه، مجموعة مشغولة بالكلام فى الترتيبات النهائية، قبل نزول العروسة الصغيرة سلمى من البيت للذهاب إلى الفندق.



خطر ببالي أن ألقى نظرة من الشرفة لأطمئن على سيارتي التي ركنتها  
صف ثان.. وفي طريقى إلى "البلكونة"، مررت بغرفة نوم سلمى، ولمحت علبة  
قطيفة، وسألت نفسى:

- يا ترى.. العلبه دى فيها ايه؟

فتحتها بسرعة، ووجدت خاتماً ماسياً رائعاً.. أغلقت العلبة بسرعة،  
وعدت إلى الصالون حيث تعلو الموسيقى، والضحكات، والغناء.. ولكن شكل  
الخاتم لم يفارق عيني.. وقفز شيطان "أبو مصيبة" إلى رأسى، وقلت لنفسى:  
الخاتم يحل مشكلات كثيرة، ثم الزحام فى البيت غير عادى.. لا.. ولن يشك أحد  
أننى أخذته.. مستحيل أن يشك أحد فى صلاح.. ممكن أن تكون إحدى صديقات  
سلمى محل الشك، حركات بنات وغيره من بعض.. أو يشكون فى "شغالة" يدها  
طويلة، مدت يدها وأخذت الخاتم، فى البيت ثلاث شغالات.. ممكن أخذه وتعدى.  
وفى أقل من ثانية، غاب فيها الضمير، وانتصر الشيطان.. فتحت  
العلبة، ووضعت الخاتم فى جيبى، وبعد ثانية أخرى رجعت الصالون أغنى  
وأرقص، وبعد رقصتين قلت لسلمى:

- مبروك يا عروسة.

- ماتتأخرش.

- حاضر.. أنا جاى مع رولا.. اتفقت معاها.. باى.. باى.

نزلت ومعى كنز.. وفى الموعد المحدد قابلت حسام، وسألته:

- عرفت تجيب فلوس؟

- 30 جنيه بالعافية.

- خليهم لك.. هات بيهم سجاير.. امسك.. شوف.. خاتم الماظ.

- ايه ده.. جبهه منين؟

- علقته من بيت عمى.

- يا ابن "....". إزاي!؟

- وَلَا حَاجَةَ.. الدنیا زَحْمَةً، وَدَوْشَةً، وَفِرْحًا.. لَقَيْتُهُ، فَأَخَذْتَهُ.. يَجِيبُ كَام؟
- مَا أَعْرِفُش.. بَسْ شُكْلُهُ يَجِيبُ كَثِير.
- طَيِّبْ وَنِتَصْرَفْ فِيهِ إِزَاي؟
- دَهَبْ وَالْمَاضِ، تَخْصِصْ نَانَسِي.
- لَا يَا أُخِي.. دِي حَرَامِيَّة، وَمَمَكْن تَسْرَقْنَا.
- مَا نَقُولُش إِنَّهُ بِنَاعِكَ.. أَقُولُ لَهَا بِنَاعِي أَنَا وَعَلَّقْتَهُ مِنْ مِرَاتِ أَخَوِيَا.
- وَنَلَاقِيهَا فِين دِلْوَقْتِ؟
- هِيَ وَدِعَاءِ كَلْمُونِي، وَضَارِبُهُم السَّلَكِ، وَعَاوِزِينَ يَضْرِبُونَا وَمَفِيشَ مَعَاهُمْ فُلُوس.
- عَلِيَّ النَّهَارُودَه.. النَّهَارُودَه بَسْ يَا حَبِيبِي.
- إِيهَ الْمُعَامَلَةُ دِي؟ دَه أَنَا يَا مَا شَيْلَتِكَ يَا صِلَاح.. إِنَّتِ نَاسِي وَاللَّأ إِيهَ؟ عَلِيَّ الْعَمُومِ هَتْرُوحِ فِين؟ بُكْرَه تِيْجِي عَلِيَّ حَجْرِي تَانِي.
- أَنَا بَهْزَرُ يَا أُخِي.
- عندما وصلنا إلى مصر الجديدة، وجدنا دعاء ومعها نانسي، وبعد ما فعلته مع هالة، وتسببت في قطع علاقتنا، كرهتها من كل قلبي.. إنما المضطر يركب الصعاب.
- وأخرج حسام الخاتم من جيبه، وأعطاه لدعاء، التي قالت:
- يَا جَمَالَهُ.. دَا أَلْمَاضِ بَجْدِ، بَصِي يَا نَانَسِي.
- يَا هَا!! دَا قِيرَاطِ، لَوْ مَا كَانُش قِيرَاطِ وَنُصْ.. جِبْتَهُ مَنِين يَا حَسَام؟
- خَاتِمِ مِرَاتِ أَخَوِيَا.. عَلَّقْتَهُ مِنْ سَاعَةٍ.
- يَا ابْنِ ".....".
- يَجِيبُ كَام يَا نَانَسِي؟
- حَوَالِي خَمْسَةَ أَوْ سِتَّةَ.. مَشْ أَقَلْ مِنْ كِدَه.. صَحْ يَا دِعَاءِ!!
- لَوْ الْفَاتُورَةُ مَوْجُودَةٌ.. يَسَاوِي أَكْثَرَ بِكَثِير.

ضحك حسام ساخراً وقال:

- فاتورة إيه يا هبة..ها اسرقة بفاتورته؟! طيب ياللا.. عاوزين نخلص.
- ذهبنا إلى الجواهرجى، ودخلت نانسى ومعها دعاء.. وبعد قليل عادت نانسى وقالت:
- كان عاوز يدفع ثلاثة ونص وبالعاافية خلتهم أربعة.
- كم شعرت بالندم.. كنت حزينا من قلبى.. أردت أن أعيد الخاتم، ولكن للأسف.. الأمر قلت، والموضوع انتهى.. وقلت:
- طبعاً يا حسام.. ضربت لها باكوا على الأقل فى القصة دى.
- لا يا راجل.. أكيد دعاء هتقول لى لو عملت علينا أى مصلحة.
- إيه النظام؟
- ياللا بينا على السويس.
- ماشى.. بس لازم أرجع بسرعة.. عندى فرح.

سافرنا.. وفى السويس صرفنا ألفين من الأربعة.. ورجعنا وكل واحد منهم معه ما يكفيه لمدة ثلاثة أو أربعة أيام، ومعى ما يكفينى لمدة أسبوع بالإضافة إلى ألفى جنيه، وأخفيت هذه النقود تحت الاستبن، فمن المستحيل أن أحتفظ بها فى غرفتى، فقد أخضع للتفتيش المفاجيء من أمى.. فهى تقوم بحملات التفتيش فى أية لحظة.

عدت من السويس، وكنت أترنج، ورمقتنى أمى بنظراتها الثاقبة.. كل شىء يبدو واضحاً ومفهوماً، ولم تتكلم.. وبعد الدش، بدأت أرتدى ملابسى الأنيقة استعداداً للفرح.. صدق المثل القائل: "يقتل القتل ويمشى فى جنازته".

كيف غاب الضمير؟! كيف؟ لا ادري!!

وصلت إلى الفندق مع رولا.. وذهبت ماما مع بابا فى سيارته.. دخلت قاعة الفرع بمنتهى الثقة.. أسلم وأحيا الأقارب وأقبلهم، وكان شيئاً لم يحدث..

وأشعلت سيجارة من سيجارة، وأضحك مع هذا وذاك، وكأنتى لم أقم بجريمة فى الصباح.

كنت أراقب سلمى من بعيد.. انطفأت الفرحة، الابتسامة حزينة.. نعم سلمى الصغيرة حزينة، ومع هذا تحاول أن تجامل الناس.. أكاد أرى الدموع فى عينيها.. هذه الصغيرة لونها باهت.

لقد سرقت فرحتها يوم فرحها.. وفى لحظة أخرى أحس أنها طبيعية، وكان شيئاً لم يحدث، وجاءت لحظة تقديم الشبكة، وارتفعت أنغام الموسيقى، ودُهشْت!! الشبكة؟! من أين جاءوا بالشبكة؟! إذا ماذا سرقت؟ خاتم من؟! ووقفت أمى وزوجة عمى جنب العروسة التى همس زوجها حسن فى أذنها، وبكل التركيز ووقفت أراقب كل حركة، وفى رأسى تدور الأسئلة:

- يا ترى هيكشفوا دلوقت إن الشبكة اتسرقت؟! طيب ويعملوا إيه لما يعرفوا؟ هيتصرفوا إزاي ساعتها؟

وحدث ما لم أتوقعه، دوت الزغاريد.. ووصلت الشبكة على صينية مغطاة بالورود، وأمسك زوجها حسن بالعلبة، فتحها، وأخرج الخاتم، ووضعها فى إصبعها، وقبّل يدها، وصفق المدعوون وانطلقت الزغاريد، ودارت أكواب الشربات.

تخيلت أنهم اكتشفوا سرقة الخاتم.. فاشتروا شبكة جديدة، وفيما بعد عرفت الحقيقة الأليمة، إنها ليست شبكة جديدة، ولكنها استعارت شبكة أختها سحر، وكان هذا هو الحل الوحيد للخروج من هذا المأزق.. وبصراحة، لا أحد تعامل معى بجفاء، ولم يوجه إلى أحد كلمة واحدة لا تعجبني.. لا همسات، ولا تلميحات، وقد تصرفت على سجيّتى، على أساس أن الشبكة موجودة، وليست هناك مشكلة على الإطلاق.

بعد الفرح.. كان موضوع سرقة الخاتم له توابع، مثل الزلزال وتوابعه، وفى اليوم التالى مباشرة، سمعت من رولا قصة ضياع الشبكة.. روتها لها

سحر، وبالطبع عرفت أمى القصة من زوجة عمى، وأنهم فكروا فى إبلاغ الشرطة بعد اكتشاف السرقة، ولكنهم غيروا رأيهم حتى لا يحدث تشويه لجمال هذا اليوم أكثر من هذا، وقرروا أن يمر الحدث الأليم، وكان شيئاً لم يحدث، وقالوا:

- عَوْضْنَا عَلَى اللَّهِ.

وأصيبت العروسة الصغيرة، بالانهيار، ورفضت السفر لقضاء شهر العسل، بينما ظلت زوجة عمى تبحث عن الخاتم فى كل ركن فى البيت، على أمل أن تجده.. رغم أنها كانت تشك انى أخذته.. ولأنها إنسانة محترمة.. لم تصارح أمى بشكوكها، ولم تقل لها كلمة واحدة تشير بأصابع اتهام إلى أحد.. بل إنها لم تذكر اسمى فى الموضوع نهائياً.. كانت زوجة عمى تخشى على الرابطة العائلية الحميمة أكثر من أى شىء.

تدريجياً، وبمرور الأيام هدأ الموقف، ولم تعد قصص الخاتم المفقود تتردد، وتصورت أن الكل قد نسى الموضوع، وفيما بعد عرفت أن والدى سأل زوجة عمى عن ثمن الخاتم، عرفت السر وراء سؤاله ذات يوم، وكان يوم مولد النبى.

فى صباح ذلك اليوم.. أصر والدى على إيقاظى من النوم.. فتح النور،

ثم فتح الشباك، وقال:

- يا صلاح.. إصْحَى يا صلاح.

- ليه يا بابا؟ عايز ايه بس.. هى الساعة كام؟

- الساعة 10:00.. قوم، هُنْخَرُجْ سَوا.

- هُنْخَرُجْ نروح فىن دِلْوَقْت؟ يا بابا.. أنا نَمْت الساعة 5:00 الصبح.

- أنا فى أوضة المَكْتَب.. وَقْدَأَمَك نص ساعة تَجْهَزْ فيها.

- ليه؟ هُنْروح فىن؟

- هُنْروح سَوا بيت عمك.

- ليه؟؟ ميش عايز أروح.. أنا تغبان.

وأصرّ والدى.. وأحسست أنني أعيش كابوسًا أسود.. ضربت رأسي  
في الوسادة، وبدأت أكلّم نفسي:

- أروح بيت عمي!!! إيه السبب؟

لقد اختفيت منذ يوم القصة المأساوية، ولا أريد الذهاب هناك.. ولكن  
والدى يصر، ولا مناقشة ولا تفاهم.. وظل يروح ويجيء إلى غرفتي في محاولة  
مستمرة لإيقاظي:

- ياللا يا صلاح.. قوم.. خذ دُش والبس.

- حاضر.. حاضر.

أخيرًا، وبمنتهى التكاثر قمت، ولبست بعد دُش ساخن، وظللت  
أتساءل: ياه!! أروح بيت عمي؟ لماذا؟ ثم أنا لا أريد الذهاب إلى هناك!! لا أريد  
دُخول هذا البيت لمدة عشر سنوات قادمة على الأقل!! مَنْ هناك يا تُرى؟  
كنت أفكر في إنها ستكون كارثة كبرى لو وجدت سلمى هناك..  
وكارثة أكبر لو أحدهم سألني عن الخاتم.. سوف أنكر صلتني بالموضوع نهائيًا،  
ثم ماذا أقول لو حاصرني معتر ابن عمي بالأسئلة؟

ألف سؤال وسؤال دار في رأسي، منذ أصرّ والدى أن نذهب إلى زيارة  
بيت عمي، صباح يوم مولد النبي. وعندما وصلنا، لم يكن الاستقبال بحفاوة  
كالمعتاد، وأعترف أيضًا أنه لم يكن استقباليًا باردًا، ولكن بعد هذه المدة الطويلة،  
كان الطبيعي والمتوقع منهم الاحتفال القوي بحضوري.. وكان واضحًا أن  
الموقف "متأزم" بعض الشيء.. وسألته زوجة عمي:

- تشرب إيه يا صلاح؟

- شكرا ولا حاجة.. كمان شوية.

فى هذا اليوم تأكّدت شكوكى فى أن الجميع يعلم جيّداً أنى أخذت الخاتم.. لقد قمت بهذه الزيارة من أجل خاطر والدى.. وسألت نفسى: لماذا وافقت؟ لماذا استسلمت لرغبته؟ لماذا خضعت لإرادته؟

أحسست أن الجو تملؤه موجات كهربائية، وأننى تعرضت لماس أقرب إلى صاعقة كهربائية.. وكان الكلام الموجه إلىّ قليلاً من زوجة عمى.. وتبادلنا ابتسامات باهتة، ليست مثل كل الابتسامات التى تعودتها.. واستمرت زوجة عمى تُكرّر سؤالها لوالدى:

- نشرب الشاي دلوقتٍ والآن بعد الغداء!؟

- نشرب دلوقتٍ.

شربنا الشاي، ثم نادى بابا على سلمى فهى لم تشاركنا جلستنا.. جلست فى غرفة أخرى، وهذا التصرف من جانبها لم يحدث من قبل أبداً.. ظلت تدخل غرفة وتخرج من الأخرى.. كأنها لا تريد مواجهتى بكلمة، أو أن تقع عينها فى عينيّ.. وكأنها هى سارقة الخاتم، ولست أنا. ودارت عينيّ التائهُتان فى الغرفة التى شهدت رقصتى معها يوم الفرح.. واستقرت على ظرف وضعه والدى بجانبه.. كان يحمل هذا الظرف الكبير فى السيارة، ولم أنتبه إليه.. تسمرت عيناى على الظرف، هل يحمل أوراقاً مهمة؟ ولماذا لم يتركه فى السيارة؟ ومرة أخرى نادى على سلمى، وتبعته زوجة عمى التى قالت:

- تعالى يا سلمى.. عمك عاوزك.

- نعم يا عمى.

مد والدى يده بالظرف قائلاً:

- امسكى يا سلمى، دى فلوس الشبكة بتاعتك.

- لا يا عمى.. أنا مش عايزة أى حاجة.

- خدى يا سلمى الفلوس.. وكفاية اللى أنت استخملتية.

- فرحتى كانت بالخاتم اللى اشتراه حسن، ولا أى خاتم فى الدنيا ممكن يكون زيه.

- أنا عارف يا سلمى من غير ما تقولى.. ومفيش أى فلوس ممكن تعوضيك عن اللى حصل.. امسكى يا سلمى.

ساد الصمت الرهيب.. الكل يستمع إلى الحديث بينهما، دون تعليق بكلمة

واحدة، وبعد تردد قالت:

- حاضر يا عمى.

وأخذت سلمى الطرف، بينما الدموع تتدفق من عينيها كالمطر،

وأسرعت تجرى إلى غرفتها، وكسر حاجز الصمت قول والدى، الذى ضربنى

فى مقتل:

- ربنا يجازى اللى كان السبب..

# عيون قارئ



## دوامة

ياله من يوم!!

ياله من زيارة!!

ياله من كابوس!!

خرجت من بيت عمى، وأنا أشعر بهزيمة قاتلة، رغم أنه لم يوجه أحد إلى كلمة واحدة.. بل لم يلمح أحد بكلمة، ولم يلمنى أحد.. ولكنى شعرت بأن المعاملة كانت جافة، على عكس ما تعودت.. وبكل صراحة، كانت هذه أقل عقوبة فى مأساة بهذا الحجم.. ما فعلته كسر قلب سلمى يوم فرحها!! لقد دمرت فرحة العائلة بالكامل.

لقد جعلنى هذا الحدث المأساوى أفكر فى موقفى من الحياة.. لقد وضح لى أن لا شىء عندى غالٍ أو عزيز.. وأننى أصبحت مثل أصحابى الذين كنت أطلق عليهم صفة المدمنين.. قبل هذا اليوم كنت أرى نفسى غيرهم، وأرى أننى أستطيع فى أى وقت الرجوع عن هذا الطريق.. لكن أصبح واضحاً كالشمس أننى مثلهم.. وأننى لا أستطيع الرجوع.

ما حدث منى، كنت أسمع عنه، ويدهشنى.. ولم يكن ما أسمعه بمثل هذه الصورة البشعة!! أنا سرقت خاتم بنت عمى الماسى يوم فرحها.. يا نهار إسود يا صلاح.. غاب الضمير.. مات الضمير.. أنت أدمنت فعلاً.. ليس هذا فقط، أنت أيضاً إتجنت.. انتبه، السرقة أصبحت خارج المنزل.. وثبتت أيضاً زيف الجمل التى كنت أرددها لأصحابى مائة وألف مرة:

- لو حد له عندى فلوس، ييجى ياخذها.

- أنا مبسوط بالضرب.. لو مش عايز آخذ، مش ها آخذ.

هذا مجرد كلام ليس له أى أساس من الصحة.. وكنت أشعر بالأسى لما يفعله بهاء، ولما يحدث من رامى، كلاهما يعز على حاله، و"يصعب" على أن أراهما فى موقفهما الضعيف المهزوم.. أصبحت مثلهما، وأن الأوان أن "أصعب" أنا أيضًا على نفسى.

ويعز على أن أجدنى أمر بهذا الموقف الضعيف المهزوم.

أصبحت الدنيا مغلقة بالسواد، ولم أعد أرى شعاع ضوء واحدا، وعندما نزلت إلى أرض الملعب الموبوء، وفى دائرة صغيرة جدًا.. عرفت أن "قلان" بيضرب، و"علان" أيضا، و"ترتان" هو الآخر، والحقيقة المرة أن عدد الضربىة أصبح غير طبيعى.. فعلاً المنطقة موبوءة، وفى كل عمارة كان هناك أكثر من شابين مدمنين، وربما أكثر، بالإضافة إلى الأولاد الصغار الذين يحاولون جس نبض الملعب، وفهم ماذا يفعل الذين هم أكبر منهم.. وبعضهم اقترب من المجموعات المكونة من شابين أو ثلاثة.. يلتقون، وكل منهم يضع ما معه من نقود "جمعية"، ويتوجهون معا إلى أماكن مهجورة ومظلمة، تجرى فيها عمليات الشراء والضرب.

اكتشفت أن هذه المجموعات تجتمع قريباً من بيتى، وعند كشك سجاير تجرى اتصالاتهم بالمدمنين الكبار، وخلال اللقاء بهم، يتبادلون الأخبار والخبرات، وأسماء التجار وأماكنهم، ومتى يشتغل هذا التاجر أو ذاك، وكم ثمن البوذر.. ويستمعون أيضا إلى قصص "قلان" الذى قبض عليه، وآخر باع سيارته، والثالث باع الفيديو، والرابع الذى فقد حياته.. ومات.

أحكمت أمى حصارها.. قفلت غرفتها بالمفتاح، وأصبح والدى يخفى محفظته، وإذا فتحت أمى الباب، ودخلت الحمام، وفى أقل من ثانية أدخل الغرفة، وأخطف سلسلة ذهب أو أسورة، وأخرج من البيت قبل أن تخرج هى من الحمام.

أصبحت أستولى على النقود بكل الطرق.. ولكن الأمر يزداد صعوبة..  
واسأل نفسي: إلى متى؟ وإلى أين؟ ما نهاية هذا النفق المظلم؟ وكثيراً ما أشعر  
بلحظات الندم خاصة بعد الضرب، فأبدأ في كتابة الرسائل إلى أفراد إسرتي..  
رسائل من يقرأها لا يفهمها، فالخط يرتجف، والسطور معوجة، والكلام نازل  
تحت وطالع فوق.

ولم يكن أحد ينفذني في الأزمات سوى مريم.. يااااه..

بدأت هي الأخرى تتعرض لضغوط ثقيلة لتوفر لي المبالغ المطلوبة،  
وكأنت تستسلم، وتحاول، وتعمل المستحيل وتعطيني ما أريد.. ولم يتوقف الأمر  
عند هذا، بل بدأنا نبيع الذهب.. باعت سلسلتين، وأكثر من "غويشة"، بالإضافة  
إلى "أنسيال"، ثم الثاني.. وبالطبع فهمت أنني أمرٌ بمشكلة، وأنى مدمن..  
لم تعد تشك في هذه الحقيقة.. لكن حبها لي أكبر من أى مشكلة، وأعطتني الأمان  
والإحساس بأنها لن تتركني، مهما كانت المشكلات والأسباب.

لم أكن أفهم سر حبها، ولم أكن أفهم لماذا تتحمل كل هذا العناء؟ نعم،  
هي طيبة ونقية، وتشعر أنني أحافظ عليها، ولست مثل أصدقاء صاحباتها، الذين  
خدعوا البنات البرينات، كل بطريقته، وصارحتني بقولها:

- على أد ما أنا زعلانة على حالك واللى إنت فيه، على أد ما أنا سعيدة لأنسى  
أنا الوحيدة اللى واقفة جنبك.

فعلا، كانت هي الوحيدة التي تقف معي.. ولا أحد غيرها من البنات.  
هذه السنة كانت مريرة، ثقيلة، وأيامها سوداء، والمنحنى ينزل بمعدل  
غير طبيعي، وإذا توقفت عن التعاطي يوماً أو يومين، أعود للضرب في اليوم  
الثالث بمعدل أعلى، وكأني أنتقم من نفسي، وبعد أن كان الضرب مرة واحدة  
في اليوم، ارتفع إلى مرتين وأحياناً ثلاثاً، وكله يعتمد على ما معي من نقود.

بدأت أرى أصحابي من ضريبة الجامعة كثيراً، بعد أن اكتشفوا أنني  
أستطيع بيع الأشياء، التي يريدون التخلص منها لتوفير النقود لشراء البودرة،

وكنت أصطادهم وأضرب معهم.. طبعاً لم يكن من السهل أن أجد 100 جنيهه كل يوم لشراء البوذرّة.. الأمر أكثر صعوبة بعد أن أصبحت مكشوفاً.

وكان مصطفى هو صديقي الوحيد الذي استمرت علاقتي به رغم ما حدث في حياتي من تدهور، وكنت أخشى عليه من الوقوع في هذا المنزلق، وقد أكد لي إحساسى الشخصى أننى بدأت أعرز في هذا المستقع، وجعلنى أرفض أن تنزلق قدمه ويقع في الهاوية، ولا أنسى أبدا الحديث الذى دار بيننا، قال لي مصطفى:

- بَا أَقُولُكَ إِيه.. أَنَا عَايزَ أَضْرَبُ.

- بَصْنُ يَا مُصْطَفَى.. الْمَوْضُوعُ دَه كَمِين، وَأَنَا خَلَّاصَ إِيْمَسَكْت.. عَايزَ أَخْرَجُ مِنْهُ، بَسَ الْمَشْكَلَةُ إِيْنِي مَشْ عَارِفَ هَا أَخْرُجُ إِزَايَ وَإِيْمَتِي!! خُذْ نَصِيحَتِي.. كَفَايَةَ.. إِيْنْتِ جَرِبْتِ وَعَرَفْتِ وَشَفْتِ.. اللَّيْ أَنَا فِيهِ وَحَشْ جَدَا يَا مُصْطَفَى.. نَاسَ كَثِيرَ بِنَقَعِ الْيَوْمِينِ دُول.. نَاسَ بِالْهَيْلِ بِنَقَعِ.

- يَا أَخِي مَا تَخَافُش.. إِيْنْتِ عَارِفَ أَنَا بِأَضْرَبُ كُلَّ فِينِ وَفِينِ.

- مَا إِيْنْتِ عَارِفَ بَرُضُهُ.. أَنَا كَمَا نَ كُنْتِ بِأَضْرَبُ كُلَّ فِينِ وَفِينِ.. يَارِيْنَتِي أَقْدَرُ أَكُونُ مَكَانَكَ.. وَاللَّهِ الْعَظِيمِ مَا كُنْتِ ضَرَبْتِ.

- يَعْْنَى وَلَا الْمَرَّةُ دِي بَسَ؟! مَرَّةً أُخِيرَةَ.

- أَنَا مِنْ سَنِينِ بِأَضْرَبُ.. وَكُلَّ يَوْمٍ أَقُولُ لِنَفْسِي دِي الْمَرَّةُ الْآخِيرَةَ، وَعِمْرَهَا مَا كَانَتْ الْآخِيرَةَ.. إِسْمَعْ كَلَامِي وَعِلَّشَانِ خَاطِرِي.. أَنَا مِشْ عَايزَكَ تَبْقَى فِي اللَّيْ أَنَا فِيهِ.. الطَّرِيقُ أَسْوَد.. وَطُولُ عَمْرِي كُنْتِ وَاقِفٌ فِي مَكَانِكَ دَه.. وَكُنْتِ مَبْسُوطَ بِيهِ جَدًّا.. وَكُنْتِ ذَايِمًا بِاتَّرْتِيقِ عَلَى النَّاسِ اللَّيْ وَقَعْتَ، وَأَقُولُ: "أَنَا لَا يَمْكُنُ أَعْمَلُ زِيْهِمْ".. أَنَا أَبْطَلُ فِي أَيِّ وَقْتِ، بَسَ أَنَا مِشْ عَايزَ أَبْطَلُ، أَصْلُ هَمًّا مَا عِنْدَهُمْشَ إِرَادَةَ.. وَقَالَ إِيَهْ كَمَا نَ، طُولُ الْوَقْتِ أَحْكَمَ عَلَيْهِمْ: إِيْنْتِ يَا فُلَانِ خَلَّاصَ بِنَمُوتِ.. طَيِّبْ يَا أَخِي مَا تَخُشْ مُسْتَشْفَى.. وَبِالْمَنْظَرِ اللَّيْ أَنْتِ فِيهِ دَه، الْحُكُومَةُ مِشْ هُنْسِييَكَ.. وَفُلَانِ دَه.. أَنَا مِشْ عَارِفَ أَهْلَهُ سَايِينُهُ كَدَه إِزَايَ؟ بَصْنُ

بقي عامل إزاي؟ فاكّر يا مصطفى رامى صاحبي؟ تَخَيَّل إنه بقى مُرشد  
للحكومة!! تخيل!!

- رامى؟! ريكو!!؟

- أيوه يا مصطفى، جَدَّوه، علشان يبلِّغ على التجار الجُداد، وعلى العيال  
الضَّرَّيَّة، الطابط أسهل له يجيب واحد يجندهُ مقابل إيه.. إنه يسيِّئه يضرب  
وما يُقبُضُ عليه.

- طيب.. ورامى أهله سايبينه كده إزاي؟

- يعنى أنا أهلى سايبنى كده إزاي؟ خلى بالك، بينى وبينه خطوة.. أو خطوتين،  
مش أكثر.

- وبعدين يا صلاح؟ هتعمل إيه؟

- مش عارف.. أول مرة يا مصطفى أبقى مش عارف.

قبل أن تمر أربع وعشرون ساعة على هذا الحوار مع صديقى  
مصطفى، ذهبت إليه فى الجامعة، فوجدته ينتظرنى بالقرب من الباب الرئيسى،  
وقبل دخولى نادانى بإشارات سريعة:

- إمشى من هنا بسرعة.. اسمك على كل الأبواب.

- أبواب إيه؟

- أبواب الجامعة كلها، فاكْرينك معانا فى الجامعة.

- هو فيه إيه يا مصطفى؟ أنا مش فاهم حاجة!!

- مسكوا كل الناس اللى شاكين أنهم بيضربوا، وأخدوا منهم عيّنات للتحليل،

وأنا منهم، إنما الحمد لله أنا ما أخذتُش إمبارح، كان زمانى مرفود.. أخذوا منى

العينة وبقالى ساعة مسنتيك، خايف تيجى وتدخل بمسكوك.

- مسكونى ليه؟

- فيه عيال قالوا إن إنت بتبيع فى الجامعة.

- مين وِلاد "....." دول؟

- مش مهم ميئن دلوقت.. المهم بمشي من هنا علشان ما حدش يشوفك..  
خصوصا ان انت عربيتك معروفة للكل.

- طيب بقولك ايه.. اذيني 100 جنيه لخصن مفيش معايا ولا مليم، وعائز  
أضرب.

- إمبك.. معايا 70 جنيه.. خدhem كلهم.. خلى بالك من نفسك.

- ماشي.. سلام يا مصطفى.

وبذلك أغلقت الجامعة.. التي كانت تساهم في حل مشكلات كثيرة  
أبوابها في وجهي.. وبات من الواضح أنني احترقت فيها هي الأخرى.

وأصبح موقف أمي أكثر صعوبة.. تحرياتها مستمرة طوال الوقت،

وكل يوم التحقيق معي لا ينتهي.. ومضاف إليه التفتيش ومراقبة كل حركة

وهمسة.. احتارت في أمرى، ماذا تفعل مع بنى آدم، عمره أكثر من 25 سنة،

طايح وفالت زمامه؟! كيف توقفه عند حذو؟! كانت تقضى ساعات طويلة معي

في مناقشة المأساة.. وأنا ضارب تسمع منى أحلى كلام.. وأنا ضارب موافق

على كل شيء، ودائما على استعداد للتغيير من الغد.. أعد بهذا في كل جلسة،

ولكن هذا الوعد لم يأت ميعاد تحقيقه أبدا.

يا حرام.. أمي كانت تتفخ في قرينة مقطوعة، وكل ما نقوله ليلا،

وكل ما أعد به، أنسأه تماما في اللحظة التي استيقظ فيها، وأبدأ في التخطيط

للحصول على النقود، وأرسم خطة للخروج لشراء البوذرة والضرب والتعاطي..

ورغم كل ما حدث، ويحدث منى، لم تفتح الموضوع مع والدي، ولست أدري

لماذا أخذت هذا الموضوع الخطير على عاتقها؟ لماذا تحملت هذا العبء الثقيل

وحدها؟! وشاركتها أختي المسكينة رولا.. أما أخى كريم فكان يعمل ويدرس

في إنجلترا، ولا يعرف أى شيء عن أى شيء.

ذات صباح، ذهبت إلى حسام وفاجأته بقرارى:

- حسام، أنا قررت أبيع العربية.

- يا راجل؟
- وايه يعنى.. فى ستين داهية.. وأنا أصلاً كرهتها.
- طيب وهتبيعها لمين؟
- معرض عربيات.. نبدلها بعربية صغيرة وناخد الفرق.
- أنا أعرف واحد هنا فى مصر الجديدة.
- ياللا بينا نروح له.
- ذهبنا وقد كان، وقال حسام بعد رحيلنا من المعرض:
- معقول؟! نبيع عربية فى رُبْع ساعة وناخد بذالها عربية 127 بباب واحد؟
- وايه يعنى.
- حتقول لأهلك ايه؟
- وهُمًا مآلهم.. دى عربيتى وبيعتها.
- لا يا حبيبى.. اسمك فورتها.
- باقول لك ايه.. بيعتها.. فورتها.. ولعنتها.. منحدش له دَعْوَة.
- أخذنا الفلوس.. واشترينا كمية لا بأس بها.. المشكلة إن أى مبلغ لا يكفى إلا أياماً قليلة.. وبعد يوم واحد من بيع العربية، كانت البوثرة التى معى كثيرة، و"طفاصة" أخذت جرعة كبيرة، ضربت و"أفورت" ووقعت على الأرض فى المطبخ.. حدث هذا فى البيت للمرة الثانية، وعندما دخلت أمى المطبخ وجدتنى جالسا على الأرض، وكنت جاهدا أحاول الوقوف، فسألتنى فى لهفة:
- مالك؟ فيه ايه؟
- مفيش حاجة.. خبَطت فى التلاجة، وقعت على الأرض.
- ايه ده؟ ورينى؟ عندك سبنة إتكسرت.
- بجد.. إزاي؟
- أسمع، إنت خلاص.. لازم تسيب البلد دى وتُسافر.

جريت على غرفتي ليس لرؤية السنة المكسورة، ولكنى أردت أن أفرد  
بنفسي ولو لدقائق معدودة.. هل فقدت عقلي؟! ماذا فعلت؟ كيف أخذ جرعة  
كبيرة بهذا الشكل؟ هل كنت أريد الانتحار.. لا أعرف، وهل المشكلة في البلد؟  
لا طبعاً.. المشكلة ليست في البلد.. المشكلة في أنا شخصياً.. إنما قد يكون في  
هذا السفر الحل للمشكلة، وعلى أمل أن ينجح، قالت أمي:

- أنا فكرت في الموضوع، وهو ذا الحل الوحيد.. ومفيش غير كده.. هتسافر  
أمريكا، عند خالك ممدوح.

ولأول مرة أعرف أنباء سفر خالي ممدوح إلى نيويورك للعمل،  
واستكمال دراساته العليا.. أذهلني النبأ، الذي لم أسمع به من قبل.. وكيف لي أن  
أعرف أخبار عائلتي التي لا أتعايش معها؟! واستمرت أمي في حديثها قائلة:

- إنت تروح عند خالك شهرين لغاية ما تقف على رجلك، وبعدها تعتمد على  
نفسك، وهناك تبني مستقبلك، ولو أنت مصمم إنك تأخذ مخدرات وتعيش الحياة  
الفاشلة دي، إنت حر.. تعيش.. تموت.. تتسجن.. تتجبن، تدخل مستشفى..  
إنت حر.. بس خد بالك، كل ده من غير ما يَأْثُر على حياة خالك، وعلى  
مستقبله، وعلى عيلته.. أنا خلاص، عملت اللي على.. وإنت أعمل اللي عليك..  
أنا قررت أكلّم خالك وأقول له.. وإنت من بكره تروح على السفارة، تأخذ  
التأشيرة، ومع ألف سلامة.

مسكينة يا أمي.. الصدمات أكثر من احتمالها.. وهي تتحمل المشكلة  
وحدها، بالإضافة إلى الإحساس بالفشل، فاضطرت إلى أن تستعين بشقيقتها  
الوحيد ليساعدها في هذه المحنة.

أما أختي رولا، حياتها هي الأخرى تحولت إلى مأساة كاملة..  
ولا أراها إلا وهي باكية.. طوال الوقت تبكي، ثم تبكي، ثم تبكي.. كانت تقضى  
معى الساعات بعد التعاطي.. تتكلم معى برقة وحنان، فى محاولة صادقة  
بإقناعى أن أتوقف عن التعاطي، وتقسم لى إنها على استعداد لأن تفعل أى



شيء، وكل شيء، وفي كل مرة، أؤكد لها، وأعدّها وَعَدًا مُضَاعَفًا، بأنني سأتوقف نهائياً، وتصدقني.. العجيب حقاً أن تصدق وعودي.. ولكن لا عجب، فهي أطيب إنسانة في الدنيا كلها.

حقاً إنها إنسانة جميلة، ومظلومة معي، وفعلاً كنت أشفق عليها.. وكلمة دخلت عليها غرفتها، أجدها تمسك بكتاب أو صحيفة تقرأ، وتبكي.. تقف أمام المرأة، وتبكي.. وتبكي.

وفي تلك الأيام، كان والدي كثير السفر إلى الخارج للتعاقد مع الشركات الهندسية العالمية.. وبالتالي لم يكن يدري شيئاً عما يحدث، ولكنه يشعر بأن هناك مشكلة.. ولأنه يفتقد الخبرة في مواضيع التسيب والانفلات.. لم يمر بخاطره أبداً أنني أتعاطى هيروين.. ربما بعض الشك في شرب الخمر أو الحشيش فقط.. ولكن هيروين.. فهذا هو المستحيل، ولا يردُّ على البال والخاطر.

وعندما عرفت أمي نبأ بيع السيارة، وشراء سيارة أصغر، لم تهتم.. لقد خرج الموقف من يدها، ولا شيء يشغل تفكيرها إلا موضوع السفر، وفي أسرع وقت.. وفي يوم ما، وجدتها تجلس مع مريم.. هل جاءت إليها متطوعة لتهدئ من روعها، أم استدعتها؟! لا أدري.. لقد دار بينهما الحوار التالي، كما عرفت من مريم فيما بعد:

- طَبَّعاً كل المواضيع واضحة، ومش عايزة شرح.. صلاح لازم يسافر في أسرع وقت.

- أنا رأيي كده برضه يا طنط.

- أنا كلمت أخويا وشرحت له الوضع بوضوح.. أنا كمان مش عايزة أسبب له مشاكل، إنما مضطرة.

- وهو قال إيه يا طنط؟

- هيقول إيه؟! طَبَّعاً رأيي إن دي آخره الدلع اللي صلاح إدلعه.

- الظاهر كده فعلاً.
  - إنما قلت له مقيش حد ألجأ له غيرك، وأعمل اللي ربنا يقدرك عليه.. وفهمته إن صلاح اللي أنت سببته هنا من سنة، إتغير، ومش هو صلاح اللي هيسافر له.
  - وقال إيه يا طنط؟
  - ممدوح أخويا راجل شهيم، وقال لى خليه بيحى، وأنا ها أشوف أقدر أعمل إيه معاه.. بس فهمته كويس أن صلاح بقى بنى آدم تانى.
  - والله يا طنط، صلاح كويس، بس لما بيكون فإء.
  - المشكلة يا مريم إنه خلاص مش قادر يفوء.. صلاح آدمن.. عارفة يعنى إيه آدمن؟! لا حول ولا قوة إلا بالله..
  - إن شاء الله يا طنط نعدى من الكابوس ده.
  - يارب.. أنت مش متخيلة أنا بادعى له أد إيه.
  - وأنا كمان والله يا طنط.. وإن شاء الله بعد ما يسافر، أنا هأسافر أعمل عمرة، ومش ها اعمل حاجة فى الكعبة غير إني أصلى وأدعى له.
  - أخته إنهارت خلاص.. رولا بتحب صلاح أكثر من أى حاجة فى الدنيا.. توأم، إحساس محدش يعرفه غيرها.
  - ربنا يسترّها يا طنط.. إن شاء الله يخرج من الكارثة دى.
- الخطة أصبحت واضحة ويجرى تنفيذها بدقة.. لقد تقرر السفر إلى أمريكا، وانتهى الأمر.. وكان رد الفعل إن الزمام أفلت منى، ومن الجميع، وقد احتاجت الإجراءات ستة أسابيع، خلالها، كنت أتعاطى بشكل هستيرى، أحياناً ثلاث وأربع مرات فى اليوم، وأيضاً بعثت السيارة الصغيرة دون علم أمى، وصرفت فلوسها كلها حتى آخر مليم.
- وفى هذه الفترة توطدت علاقتى بجارى شريف "ملك الغرز" اتصل به أو يتصل بى، للذهاب إلى بولاق، أو الكحكيين لشراء البيسة.. وقد نجحت فى الحفاظ على مظهرى أمام والدته، وفى رأيها أننى من أفضل أصدقائه، وتشجعه

على الاتصال بي كصديق وفي، ومن عائلة محترمة، ولم تكن تعلم أنني أتعاطى أى مخدرات، ولم ينجح شريف فى الحفاظ على هذا المظهر أمام والدتى، فقد حضرت فى يوم إلى المنزل فجأة، بعد أن تعاطينا الحقن مباشرة، كنا فى حالة نشوة وشبه غيبوبة.

وجدتنا جالسين فى غرفة المعيشة، وشريف يمسك بتفاحة فى يده، ولكنه لا يستطيع أن يرفع يده ليأكلها، وكان الأسهل بالنسبة له أن ينزل برأسه إلى يده التى سندها على قدميه كى يستطيع أن يأكل التفاحة، وفى يده الثانية سيجارة يدخنها، وبالطبع مكان "الطافية" هو الأرض.. وفى الركن الآخر كنت نائما على الكنبة، وأضع قدمى على كرسى صغير، واستندت برأسى إلى الكنبة، مستمعا إلى الموسيقى، وفى يدي سيجارتين، واحدة مشتعلة والثانية جديدة، حتى لا أقوم بأى مجهود لإحضار سيجارة أخرى، وأمنى "طافية" السجائر، ويتضح منها أننا شربنا على الأقل 20 سيجارة.

دخلت أمى، وفى أقل من ثانية فهمت الموقف بوضوح، وصاحت بغضب:

- إيه ده؟! إيه اللى إنتم فيه ده؟!!
- إيه يا ماما، مالك؟! ده شريف.. كويس خالص.. ده زى الفل.
- انتبه شريف بصعوبة، وبصعوبة بالغه ألقى التحية:
- إزيك يا طنط.
- لم ترد أمى وكأنها لم تسمع، لكنها استمرت فى ثورتها قائلة:
- انزلوا من هنا حالا.
- حاضر يا ماما.. إحنا كنا نازلين فعلا.
- غادرت أمى الغرفة وذهبت إلى غرفتها.. فسألنى شريف:
- هى مالها.. زعلانة ليه؟
- أكيد "هرستنا".

- ليه يا عم.. ما إحنا زى الفل أهه.

- تفتكر!؟

وكأننا نعيش فى عالم الأحلام، ولا أحد منا يستطيع تمييز أى شىء يحدث حوله، تماسكت.. وأغلقت التليفزيون والفيديو ونزلنا نطوف الشوارع بلا هدف، ومرت علينا أيام وأسابيع، ولم يتخللها أحداث جديدة وكنا نضرب كل يوم وبشراهة.

فى تلك الفترة رفعت أُمى يديها عنى.. فقد كان اهتمامها الأول والآخر كيف تنتهى من إجراءات السفر بسرعة.. وأحيانا كانت تفاجأ بدخول أشكال جديدة وغريبة فى بيتنا.. أصحاب كأنهم نسخة مكررة منى، وبلا تردد أو مراعاة لأية قواعد، كانت تتبعها من قبل.. تفتح الباب فوراً، وتطردهم قائلة:  
- اطلعوا بره.. مش عايزه أشوف حد منكم هنا.

وعندما عاد والدى من رحلة من رحلاته الكثيرة، فوجيء بقرار السفر إلى أمريكا، وبالتفاق مع خالى ممدوح على استضافتى لفترة ما ثم أسافر إلى أصحابى فى كاليفورنيا.  
وافق والدى.. لم يمانع رغم أن فكرة السفر والحياة فى أمريكا لا تعجبه أصلاً، ولا تتفق مع مبادئه وآرائه، ولكن حجم المشكلات التى سببتها لهم جميعاً كان كبيراً، ومن المحتمل أن يكتب لى النجاح فى هذه القارة، وأستطيع بناء مستقبلى هناك.. كما أن رولا شجعت أيضاً فكرة السفر بسرعة؛ فهى تشعر أننى لو لم أسافر سوف أفقد حياتى كلها، أو يقبض على، وأعيش وراء الأسوار بقية عمرى.

قبيل السفر لم أتوقف عن التعاطى، وأعددت نفسى تماماً للسفر.. حقيبتى وضعت بها كل ملابس الصيف والشتاء، سأسافر بلا عودة.. ماذا فعلت بنفسى بهذا الإدمان، الذى حطمنى والتهم صحتى وابتسامتى؟! لم تتوقف رولا عن البكاء.. ولكنه كان بكاءً يلفه الأمل هذه المرة.. وشاركتها مريم البكاء،

وفى رأيها أن هذا التغيير أفضل مما يحدث لى هنا، وأنه قد آن الأوان لهذه  
النقلة.

وكانت أمى أحسن حالا، وأكثر اطمئنانا، وقررت أن تستعد للسفر  
لأمريكا وتلحق بى بعد شهر.. بداية لتطمئن تماما على الموقف والوضع الجديد،  
ومصيرى فى هذا العالم، ثم لتزور شقيقها الوحيد وأسرتة، وبطبيعة الحال..  
فإنها فى حاجة إلى هدنة بعد هذه الحرب التى خاضتها، وفرضت عليها رغم  
أنفها.

عيون قارىء



## رحيل

رفضت أن يذهب أحدهم معي إلى المطار، وهم أيضا فضلوا هذا، وكان يوم الوداع في بيتنا مؤثرا فوق الوصف والكلام.. شدُّ والدي على يدي بقوة، وقال لي:

- شد حيلك.. ابني مستقبلك، وبعد كذا ارجع بلدك ناجح رافع راسك.. إنت مش أقل من إخوانك، بالعكس أنت أذكاهم، أنا مرتبيكم إنتم الثلاثة، وعارف إنك فعلا أذكاهم.. وربنا يوفِّقك.

رولا.. لم تتكلم.. إنها تبكي.. وأمي أخذتني في أحضانها، وبين

ذراعيها، سمعت منها الوصايا العشر:

- ماتسببش أى مشاكل لخالك.. خالك عنده شغله وعنده دراسته وسمعته، وأسرتة وأولاده.. دى فرصتك. أخرج من المستنقع، وابدأ حياة نظيفة وجديدة، وأنا ها آجى وأخصلك ونرتب كل حاجة.. الأولوية صحتك.. رجّع صحتك الأول.. وبعدين تشتغل.. وعدتني كثير، وأخلفت وعدك كثير.. إفتكر أد إيه الوفاء بالوعد مهم إذا كان الإنسان.. إنسانا بحق وحقيقى.. ممكن المرة دى تنفذ وعدك؟

- إن شاء الله يا أمى.. ادعى لى إنت بس.

- بادعى لك، فى كل يوم، فى كل ساعة، فى كل دقيقة.

لكن من الذى أصر على توصيلى للمطار؟! صديقى مصطفى.. صمم

أن يصحبني إلى المطار، وكانت أمى مطمئنة؛ لأنها واثقة أن مصطفى إنسان

ممتاز، ولا يتعاطى المخدرات.. وفى طريقنا إلى المطار قال لي:

- هتوْحشنى يا صلاح.. بس الحمد لله أنك هتسافر وتبعد من هنا.

- خلاص، خربتها يا مصطفى.. ولعت الدنيا.. وفعلا لازم أمشى.
- إنت هتعمل إيه.. وناوى تروح فين بعد ما تمشى من عند خالك؟
- معرفش أى حاجة.. أهم حاجة إنى أبطل.. دا الهدف الأول والأخير.
- با أقولك إيه يا صلاح.. أنا عايز أشكرك.

- تشكركى؟ على إيه؟! دا أنا أخذت منك كمية فلوس!!

- فلوس إيه بس اللى إنت بتتكلم عليها؟ أنا عايز أشكرك لأنك ماجرتيش معاك فى الضرب، أنا فعلا مش عارف كان زمانى فين دلوقت؟ وكان مصيرى إيه؟ ناس كتير أوى فى الجامعة ضاعوا، يوم ماتكلمنا سوا، وكنا مع بعض فى الجامعة، والكلام اللى دار بينا، أنا عمرى ما ها أنساه، وكان لك حق فى كل كلمة قلتها لى.

- البويرة دى حرب خسرانة يا مصطفى.. شفت أنا كنت فين من كام سنة، والنهادره أنا فين؟ لعلمك، دا ربنا سترها معايا، كان ممكن أكون فى السجن أو ميت.

- إنت لازم تنطل يا صلاح.. لازم.

- ياريت يا مصطفى.. بجد ياريت.

وصلنا إلى المطار وأخذنى بالأحضان، وشهدت صالة المطار أجمل لحظات الوداع المؤثرة بين صديقين، ووعدى ووعده أن نتبادل الرسائل من حين إلى آخر.. ومشيت بعيدا، بعيدا واحتضننى الأسى، وقدمت جواز السفر، وأحسست أن عيني تبكيان بغير دموع.

عندما حلقت الطائرة فى سماء القاهرة، سمعت دقات قلبى، وغسلت وجهى بدموعى، ونمت باكيا حتى وصلت الطائرة مطار أمستردام.. وبسرعة حصلت على فيزا ترانزيت، وانطلقت خارج المطار محاولا البحث عن البويرة.. وهناك بعيدا.. وبعد ما يقرب من ساعة، وتحت أحد الكبارى الصغيرة رأيت ثلاثة شباب.. على الفور وبالخبرة عرفت وأيقنت أننى وصلت إلى

هدفى.. أسرع إليهم وأشترت البودرة والسرنجات، وفي ثوان معدودة ضربت، وطيران على المطار.. ومن أمستردام إلى نيويورك، ونزلت في مطار كيندى، وكنت فى حالة إعياء تام من كم الجرعات التى تعاطيتها، وهناك سألتى مسئول المطار:

- شكلك عيان!!

- دور برد وسفر مُرهق.

- إنت جاي أمريكا ليه؟

- خالى بيشتغل هنا، وجاي أزوره واقعد معاه شهرين تلاثة.

وسجلوا اسمه، وعمله، وعنوانه، ولم أكن متماسكا، فنادوا على خالى فى الميكرفون، فأصابه الهلع فى تلك اللحظة، تخيل أن هناك كارثة؛ خاصة أنه قد فهم الوضع من أمى، فشعر برعب حقيقى.. دار فى ذهنه بسرعة البرق أن صلاح بالتأكيد جاء بمصيبة، لكن فى حقيقة الأمر أنهم أعلنوا هذا النداء كوسيلة لمساعدتى، وبمجرد أن رآنى سألتى:

- فيه إيه يا صلاح؟ إنت معاك حاجة ممنوعة؟

- ماتخفش.. مفيش معايا أى حاجة خالص.

سلم على بحرارة، وأخذنى إلى سيارته ودار بيننا حديث هادىء.

- إزئيك يا صلاح.. أخبارك إيه؟

- والله أخبارى مش كويسة.. أكيد ماما حكيت لك كل حاجة.

- هى حكيت لى، بس أنا عايز أسمع منك.

- مآكنئش أعرف أن البودرة دى مصيبة.. مآكنئش أعرف، أخذت مرة.. فى

التانية فى 10، فى 100، فى 1000، لغاية ما خلصت وخربت الدنيا.

- وبغدين؟ ناوى على إيه؟

- عايز أبطل.. حاولت كتير.. بس كل مرة بارجع تانى.

- معاك مخدرات؟ مش عايزك تكذب على عشان أعرف أساعدك.



- لا.. مَفِيشَ معايا مَخْدَرَات.. لو معايا كنت أخذتها.
- آخر مرة أخذت إمتى؟
- قبل ما اركب الطائرة فى هولندا.. أنا خايف من اليومين اللى جاينين..
- أنا مش عارف ها اعْمَل إيه؟! أنا ها اتعَب أوى.
- أكيد.. من أعراض الانسحاب.
- أفندم؟
- طَبْعاً حَتَّعَب بسبب أعراض انسحاب المخدرات من جسمك.
- وإنت عرفت الكلام ده إزاي؟
- قَرِيت شوية، ما أنا كان لازم أفهم فيه إيه!
- أنا ناوى أَسْتَحْمَل، مَاعَنْدِيش اختيار.
- أنا حاولت أخذ أجازة علشان أكون جَنِّبَك، بَسْ مَا عَرَفْتِش.. على العموم
- النهارده الخميس، وبُكْرَه عِنْدِي شغل والسبت والحد إحنا مع بعض.
- وصلنا إلى بيت خالى، فيلا صغيرة حولها حديقة جميلة.. وكان الجو
- بارداً، وأثار الثلج فى كل مكان، وقبل أن ندخل البيت، قال لى:
- على فكرة، رغبة مَاعَنْدِهاش فكرة عن أى حاجة خالص، مارُضِيَّتِش أقولها،
- غير لو أنت عايز تقولها.. أنا مَاعَنْدِيش مشكلة.
- كَوَيْس أنك ما قَلَّتِش.. طبعاً مش عايزها تعرف .
- استقبلتني رغبة بحفاوة وترحيب كعادتها، وأول حاجة قالتها لى:
- إنت مالك خاسس كدا ليه يا صلاح؟
- مبش بأكُل كويس.
- ولأول مرة أشوف أولاد خالى: أشرف وشريفة.. أنا شُفْتُ صورهم
- فى القاهرة مع أمى، ولكنهما أجمل من الصور ألف مرة.
- ومر اليوم الأول دون متاعب لأن المخدرات لازالت فى جسمى..
- وفى اليوم الثانى، بدأت أشعر بالتعب: عرق شديد، إسهال، صداع، برُد، تكسير

يكاد يحطم عظامى وضملى عى، وبصعوبة نمت ساعة واحدة، تحملت الامى بكل قواى، ولم أخرج من البيت فى اليوم الثالث، ولا ثانية واحدة.

بصراحة.. أحسست أنها فرصتى، التى يمكننى استغلالها، وفعلاً أحاول التوقف عن التعاطى.. ومر أول أسبوع بصعوبة حقيقية، فقد عانيت من موجات الاكتئاب.. وتحسن الحال فى الأسبوع الثانى، وأحسن وأحسن فى الأسبوع الثالث، وأصبحت قادراً على النوم المتواصل لمدة 6 ساعات، وهذا ما كنت أتمناه.. فقد كنت لا أنام أكثر من ساعتين أو ثلاث على الأكثر.. تحسنت صحتى وازداد وزنى 5 كيلو جرامات.. الفارق كبير الآن.. لكن الهالات السوداء تحت عينى لازالت موجودة، إنما أفضل كثيراً وكم أسعدنى البقاء فى بيت خالى، لأول مرة منذ فترة بعيدة أحس بالأمان، والراحة، والدفء، والهدوء.

أخيراً توقفت الجرى خوفاً، واللهاث والقلق.. أخيراً أستطيع الجلوس هادئاً، ومستمتعاً بالهدوء ودون صخب من أى نوع، وأقول لنفسى:  
- كان فى الكلام دا من زمان؟ كان فى؟  
خالى ممدوح.. كان كريماً، لطيفاً، محباً، ودوداً معى إلى أقصى درجة.. وهكذا كانت زوجته رغبة، وأولاده الصغار، مسلمين جداً، حقاً إنها عائلة جميلة، وربنا يحميهم جميعاً.

بدأت ألتقط أنفاسى، وأستجيب للدعوات التى توجّه لى مع خالى فى إجازة نهاية الأسبوع، وكنا نخرج فى رحلات، ونستضيف الأصدقاء، وأقف فى استقبالهم.. أخيراً عاد صلاح وأفاق من غيبوبته.. أخيراً استطاع صلاح أن ينام ويقف على قدميه.. أخيراً أصبح الصباح يُصبح على، وأعيش النهار.

الاتصالات التليفونية من أمى وأختى رولا مستمرة يومياً من بداية رحيلى وسفرى، وطبعاً هذه اللفتة مشروعة بعد كل هذا العذاب الذى سببته لهما.. كان معهما كل الحق فى شعورهما بالقلق، وفعلت مريم الشىء نفسه..

تكلمنى كل يومين أو ثلاثة، وتبعث برسائلها المطولة، وتكتب يومياتها، وكيف تعيش حياتها يومياً.. كانوا جميعاً سعداء عندما أطمأنوا من خالى شخصياً.

وبعد شهر جاءت أمى.. وصلت بالسلامة، ولم تصدق عينيها عندما رأتنى.. الوجه مضىء، أجلس بهدوء، وأتكلم بهدوء.. إنسان صحى وشخصية جديدة مختلفة.. وقضينا معاً أجمل الأيام، وبعد أن مر الشهر الثانى، قلت لـنفسى: حان وقت الرحيل.. إنهم جميعاً يرحبون بوجودى بينهم، وبصراحة لم أكن أريد مغادرة هذا البيت الآمن، ولم يطلب أحد منى هذا.. إنما أنا الحمد لله استعدت وعيى، ولا يجوز أبداً أن تستمر حياتى هكذا فى حالة من حالات البطالة.. لقد حان الوقت أن أبدأ من جديد، وأصنع مستقبلى وأبنيه.. ثم فى البداية والنهاية، لقد أدى أهلى واجبهم نحوى.. وكما يقال دائماً فى مثل هذه الحالات "عملوا اللئى عليهم وزيادة".. لقد آن الأوان أن أتوجه إلى أصدقائى فى كاليفورنيا لأبدأ حياة جديدة.. ورحب صديقى رافقت بالفكرة، وهو يعيش فى كاليفورنيا منذ ثلاث سنوات، والحياة كفاح ومازال فى أول الطريق.

ذهبنا إلى المطار، ولم تكن لحظات الفراق سهلة، بل صعبة، وقبلتسى أمى وهى فى غاية السعادة، وفى أعماقها إيمان قوى بأن المشكلة قد تم حلها أخيراً، وأنها كانت أزمة كبيرة "وعدت".. وبعد أن سمعت وصاياها العشر، منحتنى خمسة آلاف دولار.. نفقات إيجار شقة صغيرة، والمأكل والاحتياجات الأخرى حتى أبدأ العمل.

فى تلك الأيام، كان مبلغ الخمسة آلاف دولار مبلغاً محترماً، ولم أشعر بالقلق من الناحية المادية، فأنا أعرف جيداً كيف أدبر وسيلة عمل، وأكسب وأعطى احتياجاتى بلا متاعب أو مشكلات.

استقبلنى الأصحاب بصدر رحب، وكنت فى ضيافتهم لعدة أيام، إلى أن أنظّم أمور الحياة.. واشتريت سيارة جميلة "هوندا" بسعر معقول، وفى حالة ممتازة، وتوجهت إلى الجامعة، للتعرف من خلال الإعلانات إلى العائلات التى

تطلب إيجار الغرف في بيوتهم للطلبة.. كان منها إعلان صاحبه عازف جيتار في إحدى الفرق الموسيقية، ويعيش مع والدته في فيلا صغيرة.. حولها حديقة جميلة، وقابلت والدته.. وسألته عن دراستي، وعن أهلي، وطبعا إجاباتي كلها تؤكد أنني شاب ممتاز، ومن أحسن عائلات مصر، وهذه حقيقة، وجاء أمريكا بلد الأحلام، يتعلم، ويعمل ويبني مستقبلا، ويكون ثروة.. إنه الحلم الأمريكي.. أعجبته، وانفقنا.

في اليوم نفسه أخذت حقائبي من عند أصحابي، وذهبت لأعيش مع هذه العائلة الصغيرة.. أحببتني الأم، وكذلك ابنها ريتشارد عازف الجيتار، وأنا أيضا أحببتهما.. وبسرعة البرق ربطتني علاقة صداقة مع ريتشارد، وانفقنا أن نخرج معا ليعرفني إلى أصدقائه.. خرجت مع ريتشارد.. أخذني في سيارته، واستمعنا إلى الموسيقى وطلع "جوينت" وسألني:

- بتشرب؟!!

توقعت هذا الموقف، بل وتمنيت أن يحدث هذا الموقف، بالقدر نفسه أو أكثر قليلا تمنيت ألا يحدث.. بالتأكيد لآعب جيتار في فريق موسيقى.. بالتأكيد يتعاطى المخدرات.. مددت يدي وأشعلت "الجوينت".. وأخذت نفسين، ثلاثة.. فقال:

- ايه ده؟! هات.. هات.

ضحك، وضحكت.. وأعطيته "الجوينت".. نفسين في نفسين، وانتهى أمره، وأشعلنا الثاني، ووصلنا إلى البار، وكنت الوحيد غير الأمريكي.. ودارت الموسيقى وأكواب الشراب، والماريجوانا.. والبنات.. يا نهار أبيض.. يالها من سهرة، ليست على خاطر أو البال.. واحتفل أصدقاء ريتشارد بوصولي إلى كاليفورنيا، ووجهوا لي الدعوة لحضور حفلاتهم.. وطبعا رحبت.

ربطتني وريتشارد علاقة صداقة قوية.. كنا نخرج معا كثيرا وساعدني في استخراج رخصة القيادة، وفتح حساب بالبنك، والشيكات، والحصول على

بطاقة الائتمان.. وبصراحة ساعدنى بكل ود ومحبة، بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك شيء يشغله سوى الموسيقى وحدها.

قضيت شهراً بهذا الأسلوب إلى أن وجدت عملاً في محطة بنزين أعمل بها ليلاً.. وكبداية، لم يضايقنى هذا العمل، كنت أخذ معى جهاز تسجيل، أستمع إلى الموسيقى، وأشعل "جُوينتِن"، وتتقضى الليلة.. وكنت حريصاً ألا يعرف ريتشارد أو والدته حقيقة عملى فى محطة البنزين؛ فمثل هذا العمل لا يليق بى، وكانت حجتى فى الخروج كل ليلة أننى ألتقى بأصحابى من المصريين كل ليلة.. نلعب كوتشينة، ونقضى أوقاتاً ممتعة معاً، إلى أن أجد عملاً، وتبدأ الدراسة.

لم يمانع أهلى بأن تكون البداية فى مثل هذا العمل، إلى أن أجد العمل المناسب.. وكان أهم ما يشغلهم ألا أتعاطى المخدرات، وكنت ألتقى رسالة يومية من مريم، ومن حين إلى آخر تحدثنى تليفونيا، إنها تحببى حباً جنونياً، وساندتني ووقفت بجانبى "وقفة" عشرة رجال، ولم يكن لى فى حياتى فى الفترة الأخيرة علاقات عاطفية مع أحد غيرها.

واستمر خالى يتصل بى يومياً ليطمئن، ويسألنى عن احتياجاتى.. كان موقفه منى كريماً ومحبباً بحق، وفى واقع الأمر، لم أكن احتاج إلى شيء محدد.. لكنى بدأت أشعر بالملل.. الحياة روتينية، أنام صباحاً، وأعيش ليلتى فى المحطة وراء الزجاج.. وفى ليلة من الليالى، جلست أستمع إلى الموسيقى، وأشعلت جُوينتِن، وفجأة وقفت سيارة ليموزين سوداء فارهة، ونزل منها شاب شعره طويل ومجعد، واقترب من الزجاج، وسألنى:

- كوكاين؟ ماريجوانا؟ كراك؟ سبيد؟!

وبلا شعور سألته:

- هيرويين؟

- بيور؟

- أيوه.. بيور.

- مفيش معايا دلوقت، بس أقدر أجيب لك بعد شوية.

- بكام؟

- أول مرة على حسابي.

بسرعة خاطفة اختفى الشاب.. وكأنه لم يكن موجوداً.. لم أكن أعرف.. هل هذا حلم أم حقيقة؟ وهل يعود مرة أخرى أم لا، وضربت أخماساً في أسداس، وفجأة عاد ووقف أمامي مرة أخرى ومعه تذكرة.. فعلاً ذعرت لأنني كنت في عالم آخر، سرحان وأفكر فيما حدث، وبسرعة فتحت درج المكتب، وأخذت التذكرة وسألته للمرة الثانية:

صلاح : قل لي بكام؟

الشاب : على حسابي.. وانسى المرة دي.

صلاح : وبكره؟

الشاب : 20 دولار.

صلاح : عايز سرنجة.

الشاب : حالاً.

وأحضر لي سرنجة من السيارة.. أخذتها منه، وضربت في أقل من دقيقة، وظل واقفاً وراء الزجاج يتأمل ما أفعله، ثم انطلق بسيارته، وأنا جلست ووضعت رأسي بين كفي.. فقد أدركت فوراً حجم الكارثة التي أمر بها، وقلت لنفسى:

- تانى؟! تانى يا صلاح؟! والمرة دي إنت لوحدك.. وفي أمريكا!!

في الليلة التالية.. جلست في المحطة أنتظره.. كنت أعرف أنه سيأتي، في الوقت نفسه تمنيت ألا يأتي، لا أريد حضوره حقاً.. ويا للهول.. ويا ليلة

سوداء، الدنيا تدور بي من جديد وسرحت بعيداً، وجلست مهموماً، والقرود  
أو النسناس يقفز وينط في دماغى.. وقفز الشاب من سيارته، وقورا سألته:

- اسمك إيه؟

- فرانك.

- وأنت؟

- كراكس.

كان اسماً جديداً أطلقه على أصحابى بعد رحلة الغردقة.. "كراكس"..

اسم مخدر جديد.. ظهر فى ذلك الوقت، وكان من المعروف أنه شديد  
الخطورة.

- أنا مستعجل، بس قلت أعدى عليك لو عايز حاجة.

- أه.. بؤذرة.

- 20 دولار ودولار للسرنجة.

أعطيته النقود، وترك لى السرنجة والورقة، وطار بسرعة الريح، وهذه  
المررة لم ينتظر ليزرى مشهد الضرب.. وتكرر هذا السيناريو لمدة أسبوع، وفى  
ليلة الإجازة الأسبوعية أخذت تذكرتين.. وتقاربنا وكان خفيف الظل، يحب  
الضحك، وفى الأسبوع التالى سألتنى:

- تحب تشتغل معايا؟

كانت الإجابة (كالقذيفة):

- أيوه.. أشتغل معاك.. من النهارده هاسيب شغلى فى المحطة واشتغل معاك.

تركت العمل فى المحطة، بعد أن قضيت بها حوالى ثلاثة شهور،  
وجاعنى فى الموعد والمكان المنفق عليه، وكانت المحطة قاعدة الانطلاق  
وأخذنى فى سيارته، ودون مقدمات قال:

- الشرط الأول، مفيش بؤذرة.. كوكايين مفيش مشكلة.. ماريجوانا مش مشكلة..  
بس بؤذرة لأ.. أنا مش باشتغل مع ناس مينة.

- مفيش بودرة.. مش مُشكلة.

لم أقل لا.. لم أرفض.. رغم أنها مشكلة بالنسبة لى، فأنا أحب  
البُودرة.. إنما المهم المخدرات بشكل عام متوافرة، وسوف أجرب، ربّما أتعود  
الكوكايين.. والمشكلة الأخرى، أننى تعودت تعاطى البُودرة خلال أسبوعين، وأن  
الخروج من هذا المأزق ليس سهلاً، لأن فرانك كان واضحاً وحاسماً عندما قال:  
- يوم ما يَضْرِبُ بودرة؛ إحنا مش ها نشتغل مع بعض تانى.

وتعبت جُداً لمدة يومين، وإلى حدّ ما سندننى الكوكايين والسبيد..  
والحمد لله خرجت من الأزمة، وشرح لى فرانك أسلوب العمل معاً:  
- فيه زباين تروح لهم الشغل، وزباين تروح لهم البيت.. وفيه زباين تقابلهم فى  
أماكن عامة زى موقوف سيارات، أو فى الشارع قُدّام محلات الأكل، والشغل  
بالساعة وهتاخد فى اليوم 200 دولار، والشغل خمسة أيام فى الأسبوع..

هكذا أصبح دخلى 200 دولار فى اليوم، بدلا من 250 دولار فى  
الأسبوع من محطة البنزين.

العرض مغر فعلاً، بالإضافة إلى أننى سوف أحصل على المخدرات  
بأسعار خاصة أو مجاناً.. واختفيت تماماً عن أصحابى المصريين، ولم أعد أكلّم  
صديقى رأفت، ولم يكلمنى أحد منهم.. فقد شعروا بالاطمئنان لأننى أعيش فى  
بيت ريتشارد ووالدته، وأعمل فى محطة البنزين.. وأعطانى فرانك جهاز بيجر  
للاتصالات السريعة.. يمكنه أن يكلمنى فى كل وقت ومكان، ويطلب منى الذهاب  
لمقابلته، أو المرور على المشتري.. وكان يسعدنى رنين "البيجر" ويشعرنى أننى  
مطلوب ومهم.. كما أعطانى شنطة صغيرة سوداء، وكنت أحمل ثلاثة أنواع من  
المخدرات: كوكايين وماريجوانا وسبيد، وهو عبارة عن مخدر يمنح الشخص طاقة  
غير طبيعية، ويجعله منتبهاً ومستيقظاً لمدة يومين، وأحياناً أكثر.. وقد سبق لى أن  
جرّبته فى بلادى واسمه ماكس.. مخدر قوى يجعل عينى الإنسان مفتوحتين



"مِفْجَلَةٌ" طوال الوقت، وشعر الرأس واقفاً، وكان معروفًا باسم "كيف الحرامية"؛ لأنه يجعلهم منتبهين، وفي نوبة صحيان طوال الوقت، بينما كل الناس نيام.

في الأسبوع الأول كنت أبيع بمبلغ 700 دولار في اليوم، وأخذ منها 200 دولار.. وفي نهاية الشهر الأول زاد عدد زبائني، وبدأ بعضهم يعطى رقم "البيجر" لأصدقائه، وهذا يعطيه للآخر.. فاشتريت أجهزة صغيرة أسجل فيها أسماء الزبائن، وأرقام التليفونات والعناوين، وأرسم خرائط الطرق إلى بيوتهم، وأماكن اللقاء.. وعندما يتصل بي شخص لا أعرفه، أسأله من أعطاك رقم "البيجر"، وأعرف الاسم، وأراجع الأجنحة؛ لأعرف هل هذا الاسم عندي وفي أوراقى أم لا.

وفي الشهر الثانى.. زاد عدد الزبائن، وحققت فى اليوم الواحد 1500 دولار بدلا من 700 دولار، ورفع فرانك العمولة إلى 300 دولار، وكم كان مسرورا بما حققته فى زمن قياسي، وكنت معه أكثر من ممتاز، وكثيرا ما أهدانى كوكايين.. بل وأكثر من هذا، وجه إلى الدعوة لزيارته فى بيته، واكتشفت مدى ثرائه.. إنه يعيش فى فيلا وحيدا، والفيلا أنيقة حولها حديقة بها حمام سباحة.. وهو يوجر شقة أخرى صغيرة يستخدمها كمخزن يضع فيه المخدرات، ولا يبقى فى الشقة الواحدة أكثر من شهرين.. فقد رسم لنفسه نظاما يضمن له الأمان، ولم يكن يهتم كثيرا بموقع الشقة.. المهم أن يحقق لنفسه أكبر قدر من الأمان، ومن الواضح أنه نجح فى هذا.

وبعد أن كثر عدد الزبائن، قررت أن أغير رقم "البيجر"، ولا أتعامل إلا مع عدد قليل منهم، الذين أعرفهم جيدا، ويطلبون ويشترون بمبالغ كبيرة، ووافق فرانك، وكان من رأيه تغيير الرقم.. أما زبائنه شخصيا فكانوا على أعلى مستوى، ويقوم بتوصيل المخدرات إليهم بنفسه، ولثقته الكبيرة كان يأخذنى معه فى بعض المهمات.. أصبحت صديقه، كما أصبحت مفاجاته الحلوة تسعدنى..

ومن حين إلى آخر يكلمنى، ويقول لى تعال حالا، عندى لك مفاجأة جميلة،  
وأجد فى بيته حفلة، وعشرات البنات الجميلات "صواريخ"، وببساطة يقول لى:  
- اختار اللى تعجبك.

كانت مثل هذه الحفلات تتكرر كل أسبوع أو عشرة أيام، وكنت فى  
الحفلة أشرب الويسكى، وأتعاطى كوكايين وماريجوانا، ولم يكن لثلاثتها التأثير  
المدمر الذى تفعله البوثة.

سارت حياتى مع فرانك للشهر الخامس دون مشكلات، وهو الشهر  
الحادى عشر لى فى أمريكا، واختلفت ظروفى، وارتفع دخلى إلى حد كبير،  
لكنى كنت أنفق ببذخ، وبدأت أهتم بأناقتى ومظهري، وأدفع أثمانا باهظة فى  
الملابس الغالية، وأذكر أننى دفعت 800 دولار "ثمنا لقبعة كاوبوى". إنها  
أعلى قبعة رعاة بقر.. وكنت أسهر فى الأماكن الفاخرة، بمستوى سهرات فرانك  
نفسه.

بطبيعة الحال.. كنا نختلف معاً فى بعض الأحيان، ولكنها كانت  
خلافات صغيرة، وتمر سريعاً.. وطبعاً، وكالمعتاد، لم يسلم من بعض حركاتى  
الشيطانية، فقد سطوت على الكوكايين أكثر من مرة، وفى مرات زيفت  
الحسابات، ولكن فرانك لم يكن يدقق فى أمور كثيرة، فهو يقدر أننى حققت له  
مكاسب كبيرة.. أحببى فعلاً، وكان رأيه أننى شخص خفيف الظل، وقويته  
علاقتنا وأصبحت وطيدة، وبدأ يأخذنى معه إلى كل مكان، وعرفنى بالأماكن  
التي يشتري منها، وكيف تتم الصفقات، وكم يدفع ثمناً لها.. وهذه قصص أخرى  
تروى فى مجلدات.

وبصراحة لم يحدث أن تجاوزته أبداً فى هذا الموضوع، وكان أيضاً  
شديد الوضوح معى.. كانت له عبارة شهيرة: لو أننى خرجت من تحت مظلتى،  
فلن يكون مسئولاً عنى.. وهذه العبارة كانت لها معانٍ كثيرة جداً.. من أبسطها  
أنه لو قبض على فلن يساعدنى، ولن يساعد فى الإفراج عنى.. وأخذنى معه

أكثر من مرة، ورأيت أنه وهو يدفع الرشاوى، وحاول في مرات كثيرة، أن يثبت لى أن لديه علاقات قوية، مع شخصيات لها وزنها، وأنه فى أمان أيضا من ناحية الشرطة.. إنه يعرف معظمهم معرفة وثيقة.

أصبحت علاقتى مع ريتشارد وثيقة جدا.. كنت أخرج معه، أو مع أصدقائه، وأسهر معهم فى حفلاتهم وتدريباتهم.. لم تكن لى صديقه محددة، فقد كان هدفى أن أكسب كثيرا، وأنفق كما يحلو لى، وأقضى أوقاتا مريحة فى تلك الحفلات، وشعرت أننى أستطيع أن أعيش بهذا الأسلوب مدى العمر.. نمط من الحياة مشكلاته بسيطة.. وكنت من قبل قد عشت أياما بائسة، وأصعب منها.

اشتريت سيارة "جيب" جديدة، وأدخلت فيها التليفون، وشعرت أننى سعيد بالحياة بهذا الأسلوب، معتقدا أنها سوف تدوم بهذه الكيفية، بل إنها سوف تصبح أحسن وأفضل.. وازداد عدد الزبائن، ومن حين إلى آخر أغير رقم "البيجر".. وطلبت من الزبائن عدم إعطاء الرقم الجديد لأحد، وإذا حدث هذا، فلن أبيع له، وأصبحت مثل فرانك، وأصبح عندى أكثر من 60 أو 70 زبونا محترما، ولكن ليس على مستوى زبائن فرانك نفسه.. إنما بشكل عام.. كان زبائنى لا بأس بهم، ويطلبون منى كميات كبيرة.. جعلتنى أبيع بمبلغ يصل إلى 3000 دولار فى اليوم الواحد ودون مجهود، وأصبحت أحصل يوميا على 500 دولار.. العجيب فى الأمر، أننى أقمت علاقات صداقة قوية مع بعض هؤلاء الزبائن، لأن بعضهم كان يدفع جزءا من المبلغ، ويدفع بقية المبلغ خلال الأسبوع.. ولم أكن أجد ما يمنع من تأجيل الدفع، وكنت أثق أنهم سيسددون ديونهم.. لقد مررت بمثل هذه المواقف من قبل، مع الفارق أننى فى معظم الأوقات لم أكن أدفع ديونى.

كان يبدو أن بعض هؤلاء الزبائن من الشخصيات المهمة المرموقة، وكان هذا واضحا من مظهرهم الأنيق، وملابسهم الرسمية.. ولكنى لم أهتم بمعرفة نوعية العمل الذى يمارسونه.. بالتأكيد بعضهم يعمل فى بنك، أو شركات

هندسية، أو رجال أعمال.. وكانت أماكن اللقاءات تختلف، ويتوقف تحديد المكان حسب أين هم، وأين أنا، وبعض الناس كنت ألتقى بهم في بيوتهم، وبعضهم في أماكن العمل.

مرت السنة الأولى في أمريكا، والحال كما هو.. أموال كثيرة، زبائن كثيرة، ورجع لى حلم هوليوود، والحياة فى أمريكا بالمخدرات والبنات، ولكن مع الفارق.. أنا لن أعود مرة أخرى إلى ضرب البودرة، وأتعاطى المخدرات التى لا تسبب المشاكل، وكان هناك مخدرات لا تسبب مشاكل.. والحقيقة المؤكدة أن جميع المخدرات تسبب المأسى والمصائب.

و ذات ليلة سهرت مع ريتشارد وأصحابه.. وهم جميعا يتعاطون الكوكايين والماريجوانا، وهذا هو الشيء العادى مع فريق موسيقى.. وفى مثل هذه الحفلات، كثيرًا ما قدّمتُ الماريجوانا والكوكايين هدية للفريق، باعتبارى ضريبًا مثلهم، ومعروف عنى الثراء.. وكنت أتخيل أننى سوف أحظى بحبهم.. وفى الحفلة الأخيرة، تنبهت، رغم الشرب والضجيج، وأصوات الغناء العالية.. فقد وقعت عيناي على ريتشارد، يتحدث مع شاب بعث له الكوكايين من قبل.

صوب ريتشارد نظراته إلى.. نظرات غريبة أذهشتنى، نظرات لها معان كثيرة.. فيها الذهول يمتزج بالعتاب والدهشة، وعندما التقت العيون الأربعة، عيناي وعيناه، قرأت الرسالة بوضوح كأن ريتشارد يقول لى:

- أنا عرفت.. وفهمت السر.. عرفت إنت بتشتغل إيه.. عرفت خلاص!!

شعرت بالاضطراب، وأن أصابع الاتهام تشير إلى.. الصورة واضحة الآن.. ولقد انكشفت تمامًا بعد هذا الحديث الهامس بين ريتشارد والشاب الذى وقف معه فى ركن بعيد.. عرف السرّ فى أن اسمى كان "كراكس".. الآن فقط عرف أن هذا الاسم لم يأت من فراغ، ولكنه يأتى من الواقع.

فى تلك الليلة، ذهب ريتشارد وصديقه ليندا معى فى سيارتى إلى الحفلة، ومن الطبيعى أن نعود معا بعد قضاء السهرة.. لم يتكلم ريتشارد إلا

كلمات قليلة.. أنقذ الموقف أن صديقته ليندا معنا، وأنا لم تكن وحدنا، فكانت هي تتكلم معي معظم الوقت، وحاولت أن أستجمع شتات أفكارى، وأرد بجمل قصيرة، ولم يتوقف " البيجر " عن الرنين، وأخيرا تكلم ريتشارد وقال:  
- "البيجر" بيرن كثير، مع أنك مالكش مدة طويلة فى أمريكا.  
وأضافت ليندا:

- أه.. لك حق يا ريتشارد.. أنا برضة أخذت بالي من الحكاية دى.  
لم أجد ردًا، وتظاهرت بأننى أحاول معرفة من يكلمنى لأقول "البيجر"،  
وقفلته فعلاً.. لم تسكت ليندا، واستمرت تسأل:

- صحيح.. إزاي عندك كل الأصحاب دُول فى فترة قصيرة كذا؟  
- دُول أصحابى من زمان.. من رحلات أمريكا قبل كذا، ومعظم الأصحاب  
دول من مصر.

كان الرد مقنعًا، وهزت رأسها عن قناعة بكلامى.. فهى لا تفهم حقيقة  
الموضوع، وأسئلتها بريئة؛ لذا كانت الأسئلة واقعية.. وعندما وصلنا إلى البيت،  
وقفت بالسيارة، ونزل ريتشارد بهدوء، ولم ينطق بكلمة واحدة، فقررت أفتح  
الموضوع، وبطريقة مختلفة، لأرى رد الفعل.. دخلنا البيت، وقلت له:  
- عاوزك يا ريتشارد.. عاوزين نتكلم.  
- إدينى ربع ساعة.

بصراحة، كان إعطائى هذا الوقت مفيدًا، فقد كنت فى حاجة للانفراد  
بنفسى لدقائق، لأجهز أفكارًا تساعدنى فى الحديث معه.. التقطت أنفاسى،  
وخرجت إلى الحديقة، وخرج ريتشارد ورائى وفى يده جُوئنت وأشعله وأخذ  
نفسين وأعطانى الجُوئنت.. هذه الحركة كانت غريبة فى هذا التوقيت، وهذا  
التصرف جعلنى أشعر بأنه لازال هناك قدر من الود بينى وبينه، وبدأت حديثى  
بقولى:

- أنا ناوى أعزل من هنا خلال اليومين الجايين.

- على فين؟
- لقيت بيت صغير.. مش بعيد من هنا.
- على العموم.. إنت عندك لغاية آخر الأسبوع يا صلاح.. ولما تغيّر العنوان والسكن لازم تغيّر عنوان مُراسلاتك كمان.
- أكيد.
- فيه ايه يا صلاح؟ إنت لازم تشرح لى.
- مش هينفع بلوقت.. بس فى يوم من الأيام هاشرخ لك كل حاجة.
- خلى بالك، الطريق ده عُمُر ما حد دخل فيه ونجى أو سليم، أنت معدى على الكوبرى اللى بيولع.
- شكراً على اهتمامك..
- أنا مش ها أقول لأمى، ولا ليندا.. أمى هاتزعل جداً، لأنها بتحبك بجد.
- وأنا كمان بحبها.. قبل نهاية الأسبوع ها اكون بره البيت.
- فكر تانى يا صلاح.. اللى إنت فيه يستاهل أنك تفكر تانى.
- حقيقة الأمر لم يكن عندى مكان آخر للسكن.. لكن المشكلة لها حل
- مادامت معى النقود المطلوبة.. إذا لن يكون من الصعب أن أجد مكاناً آخر..
- وبعد ثلاثة أيام وجدت بيتاً صغيراً وجميلاً، ومن مزاياه أن البيت لا ينقصه أى شىء.. بيت مجهز بكل شىء.. ولم يكن ريتشارد فى البيت، عندما قمت بنقل ملابسى وحقائبي.. أعتقد أنه اختار هذا التوقيت عن عمد، وفضل ألا يكون موجوداً، فقد قضينا معاً أياماً حلوة، أما والدة ريتشارد.. فكانت موجودة، وتأثرت جداً حتى أنها بكت فى لحظات الوداع.. وعندما أعطتني مبلغ التأمين، رفضت بإصرار، وقلت لها:
- أنا كان لازم أقول قبل ما امشى بفترة كافية، علشان لو فيه حد تانى يأخذ مكانى.
- متهيألى أنا مش ها اجيب حد تانى يأخذ مكانك.

- الفلوس دى حَقَّك، ومن فضلك تقبليها.. هو ريتشارد وليندا فين؟
- ريتشارد بيكره لحظات الوداع، وسلام الوداع.
- أكيد ها اشوفه قريب.
- من فضلك خليك على اتصال، كلمنى واديني نمرك الجديدة.
- طبعاً، أول مكالمة هتكون لك.
- هتو حشنى.
- و انت كمان.

تأثرت كثيرا من هذا الموقف، وتأثرت أكثر لأن والدته ريتشارد كانت تبدو حزينة؛ لأننى سأتركهم وأنتقل إلى بيت آخر، والأهم من كل شىء، كان عندي الإحساس بأننى أعيش بين عائلة.. أحبها وأحببتى كما أحببتها.. كنت أرجع البيت وأجد من يسألنى عن أحوالى، ومن يهتم بى بكل صدق وحب.

وقبل أن أخرج من البيت، مدت والدته ريتشارد يدها بظرف، وقالت:

- ريتشارد سايبك لك الظرف ده.

أخذت الظرف، وقبعتها ودخلت سيارتى.. فتحت الظرف فى السيارة،

فوجدت شيكاً بمبلغ 2000 دولار ورسالة قصيرة من ريتشارد، كتب لى:

" شكراً على الفلوس.. أنا عارف إنى أخرتها.. أنا نفسى أساعد..

بس فعلاً ما أقدرش.. خلى بالك من نفسك". ريتشارد

أول خاطر.. أنا نسيت تماماً انه اقترض منى هذا المبلغ.

الخاطر الثانى.. من الواضح أننى أمر بمشكلة، وأن ريتشارد

لا يستطيع أن يساعدى.

وعندما قرأت تلك الكلمات، شعرت أننى فى مشكلة فعلاً.. وأن المشكلة

أيضاً كبيرة.. وهل ياترى المشكلة لها حل، أم لا؟ ومن يساعدى فى حلها؟

رسالة قصيرة، وكلمات قليلة وقفت عندها كثيراً، وقرأت الرسالة أكثر

من 100 مرة.. ووضعت الشيك فى الظرف، مع بقية جواباتى.

انتقلت إلى البيت الجديد.. كان جميلاً، لكنه "ميت" .. يفتقد الروح،  
ومشاعر الحب والحنان.. ليس به أصحاب، وليس به ريتشارد ولا ليندا،  
ولا والدة ريتشارد التي أحببتها جداً.. هنا أنا وأخذى تماماً.. نعم وحدي، وكثيراً  
ما جلست أفكر في ريتشارد ورسالته، ومشكلتي أنني طوال الوقت أفكر في  
المشكلة وأعايشها، ولم أفكر أبداً في أن أعيش الحل.

عيون قارئ



## العودة

استمرت الأمور دون تغيير لمدة أسبوع، ثم أسبوعين، أبيع كثيراً، وأسهر مع فرائك وأصدقائه.. وكانت كل الأمور تسير بشكل طبيعي.. وجاء يوم، استيقظت صباحاً لأجد رقمًا تليفونيًا اتصل بي على البيجر أكثر من 20 مرة، أدهشني هذا كثيرًا.. من هذا الذي يتصل بي كل هذه المرات المتتالية؟ ولماذا؟ تصورت أنه شخص يريد كوكابين.. ربما.. لكن بالتأكيد لن يتصل بهذا الإلحاح.. كلمت الرقم، ورد على ستيف:

- النمرة دي طلبتني.. أنا باكلّم مين؟

- أنا ستيف، وعازب أشوفك دلوقتٍ حالاً.

- هالو ستيف.. هو فيه ايه؟

- ها أقول لك لما نتقابل عند المول.

- تحب أجيب معايا شرايط وسيديهات.

- لا.. لا.. تعال من غير أى حاجة.

- أوكيه.. ادّيني 20 دقيقة.

أسعدتني المكالمة لأن ستيف كان قد اقترض منى 400 دولار، ولكنها مكالمة غريبة.. لم أفهم منها أى شيء!! إنه يريد رؤيتي فوراً، وكلمني أكثر من 20 مرة، ولم يطلب كوكابين وأكد في كلامه تعال من غير أى حاجة.. إذاً، بالتأكيد الموضوع ليس دفع ديونه!! إذاً، ما الموضوع؟

إنه رجل فى الأربعينيات من عمره، عرفنى إليه صديقه روبرت، وكنت دائماً أسجل فى الأجنحة أننى تعرفت إلى فلان، عن طريق فلان.. وقد عرفت ستيف منذ ثلاثة شهور، والحقيقة أنه خفيف الروح، وكنت أشعر أنه

شخصية مهمة.. من ملابسه، وسيارته، وأسلوبه، وقال لى إنه يعمل فى مجال الكهرباء، وعندما سمعت مجال الكهرباء اكتفيت بهذا، ولم أسأله عن تفاصيل أخرى.. وأذكر أننى تصرفت معه بشهامة ونبل فى أحد المواقف.. لقد تعودت أن يطلب منى كميات كبيرة، وذات يوم طلب كمية، وعندما ذهبت إليه لأعطيها له، فوجئت بأنه لا يملك ثمنها، وليس معه أية مبالغ ولا يستطيع أن يعدنى بمواعيد للدفع.. بمعنى أنه ليس معه جزء من المبلغ، وبقيه المبلغ فيما بعد، لا.. وصارحنى بموقفه المالى قائلاً:

- أنا مفيش معايا فلوس خالص.. والنهارده 20 فى الشهر، ومش ها أفتر أدليك فلوس قبل يوم 1 فى الشهر الجديد، وبعدين أنا ها أدليك النص، والنص التانى الشهر اللي بعده.

- طيب وأنا أعمل إيه لو ما دفعيش؟! مانتساش إنت واخذ كمية كبيرة!!

- القرار قرارك.. أنا شرحت لك الموقف، وإنت حر.

لقد مررت بمواقف من هذا النوع لا أول لها ولا آخر.. ورفضت كل مرة دون تردد أو مناقشة، ولكن هذه المرة، جملة سريعة قالها ستيف.. جعلتني أوافق ولا أرفض طلبه.. فهمت منه أنه سيخضع للعلاج.. إنما لماذا أوافق بعد أن سمعت هذا الكلام؟! الفكرة هنا أننى كنت أشعر بمعاناة التوقف عن التعاطى، وكنت أعرف جيداً إحساس آخر مرة ضرب قبل التوقف، فوافقت قائلاً:

- موافق.. وأنت مدين لى بمبلغ 400 دولار.

وكانت هذه هى آخر مرة أرى فيها ستيف، لقاء حدث منذ شهر أو أكثر قليلاً، حتى تلقيت منه هذه المحادثة التليفونية الغريبة.. وأسرعت إلى المكان المتفق عليه، ووجدته داخل سيارته، وعندما رآنى أسرع إلى سيارتى، وقال:

- إطلع بسرعة من هنا.

أفزعنى كلامه بهذا الأسلوب الأمر، ولم أفهم له سبباً.. المهم سِمعْت الكلام، ونفّذت.. وسألته:

- على فين؟

- إطلع على الطريق السريع.

- هي ايه الحكاية بالظبط يا ستيف؟

- اللي ها أقوله لك دلوقت مهم وخطر.. وخاص بينى وبينك.. فاسمعى كويس.. أنا ودانى وروبرت، اختارونا إحنا الثلاثة فى مكان عملنا بشكل عشوائى؛ لاجراء إختبار وتحليل تعاطى المخدرات.. أنا فى فترة العلاج من شهر، وبالتأكيد العينة بالنسبة لى هتكون سلبية، لكن بالنسبة لروبرت ودانى بالتأكيد هتكون العينة ايجابية.

- أنا قابلتهم من يومين!!

- ودا معناه العينة ايجابية، ومعناها تبدأ تحقيقات واسعة وخطيرة، ودائماً الأسئلة تبدأ من إمتى؟ وايه أنواع المخدرات؟ ومين ببيعها لك؟ وفين بتشوفه؟ أسئلة كتيره لغاية ما يعرفوا كل التفاصيل، ويوصلوا إلى كل الحقائق المطلوبة، واللى هم عاوزين يعرفوه بدقة.

ودارت الدنيا بى.. ما هذا الذى أسمعُه؟ وأين يعمل هؤلاء الأصدقاء

الثلاثة؟

- إنتم بتشتغلوا فين يا ستيف؟

- مش ممكن أجاب على سؤالك، بس لازم تفهم إنه مكان حساس جداً.. جداً.

إنه سؤال لا يهم أبدا معرفة إجابته الآن، ولكن السؤال الأهم:

- أعمل ايه يا ستيف؟

- تسافر فوراً من كاليفورنيا إلى ولاية تانية.. سافر نيفادا.

- وليه كنت مهتم بأن تقول لى كل ده؟!

- إذا قبضوا عليك، ها تضطر تقول اسمى.

- اطمئن يا ستيف.. مش هيحصل.
- مش هيكون عندك اختيار يا صلاح.
- بعد إلحاح، أخبرنى ستيف بمكان عمله.. توقف عقلى عن التفكير..
- تمنيت لو أنه لم يخبرنى، ثم أكمل حديثه قائلاً:
- عرفت أنا ليه بتمنى إن اسمى ما يتذكرش أبداً!!؟
- عرفت.
- كان لك عندى 400 دولار.. دلوقت إحنا خالصين.
- وفى هذه اللحظة فتحت زجاج السيارة ورميت "البيجر".
- ضاع أمنى فى دقائق معدودة.. تجربة جديدة رهيبة أواجهها وأنا وحدى تماماً.. وقد اقترح المغادرة إلى ولاية أخرى.. أى ولاية؟
- لا.. لا.. لن أذهب إلى ولاية أخرى.. ودون تردد، قررت أن أرجع مصر.. وطنى.. وفى أسرع وقت.. أرجع فوراً.
- وفورا رجعت إلى بيتى الصغير، الذى لم أشعر بأى تجاوب أو تعاطف نحوه.. لم أحبه نهائياً.. جمعت كل ملابسى فى الحقائب بسرعة مذهلة.. قررت التوجه إلى أحد الفنادق.. وضعت فى الفندق الحقائب، وعدت إلى ذلك البيت مرة أخرى لأطمئن أننى لم أنسى به شيئاً، وفعلاً وجدت حقيبة بها كل الرسائل التى تلقيتها من أهلى، ومن مريم.. وبعد أن اطمأن قلبى إلى أن كل شىء تمام، قفلت الباب من ورائى، وأنا أعرف تماماً أننى لن أعود إلى هذا البيت مرة أخرى، واتصلت بصديقى رأفت وقلت له:
- أنا عايزك ضرورى جداً يا رأفت.. أنا راجع مصر.
- إنت فين؟ أنا مش فاهم حاجة خالص.
- أنا فى الفندق.. خذ العنوان وتعال لى بسرعة.

بعد نصف ساعة جاعني رأفت، وصارحته بكل شيء، وهو في حالة  
ذهول تام، ردًا بجملة واحدة:

- أنا دلوقت بس فهمت إنت كنت بتجيب الفلوس دي كلها منين!! فعلا، إنت  
لازم تمشى من هنا بأسرع وقت ممكن.. وما ترجعش هنا تاني.  
ولم أكن أريد العودة إلى هذا البلد مرة أخرى، وكانت أمنية حياتي  
أن أخرج منها في أسرع وقت ممكن..

- أنا فعلا اشتريت تذكرة من شركة سياحية من ساعة، وأول طائرة على مصر  
بعد 4 أيام.. يوم الاثنين الساعة اتنين.

قلت لنفسى: أنا مش ممكن أنسى الميعاد دا أبدًا.. فى حياتي كلها.

- أحسن حاجة يا صلاح إنك اشتريت التذكرة.

- أنا محتاج على الأقل، يومين.. ثلاثة، أحصل فيها فلوسى من البنوك، وأبيع  
العربية، وأعمل "شوبنج".

- أهم حاجة.. إنت ما تتحركش من الفندق.. أنا معاك اليومين الجايين لغاية  
ما نخلص كل حاجة سوا.

عيون قارى

- بس أنا خايف يا رأفت يسجلوا اسمى فى المطار!؟

- لا.. لا.. مش للدرجة دي.. الأول هيحاولوا يجمعوا معلومات، وبعدها يدوروا  
عليك، تكون أنت سافرت خلاص.

- أنا خايف جدًا يا رأفت.. طيب أسافر ولاية تانية، وأسافر من هناك؟

- ما تخفش أوى كده.. المهم ما تسوقش العربية خالص اليومين دول.. أى  
حاجة تحصل، ولو مخالفة بسيطة، ممكن يكون اسمك يتبلغ وظهر على  
"السيستم".

غمرنى الإحساس بالزعب.. وفى هذه الليلة استحال نومى، وأحسست  
أننى أعيش فى كابوس أسود.. وكان اليوم التالى يوم الجمعة، وذهبت مع رأفت  
إلى البنوك، وسحبت كل أموالى من ثلاثة بنوك، ثم ذهبنا معًا إلى معرض

سيارات وبعنا السيارة "جيب" .. بدأنا يومنا التاسعة صباحا، حتى الحادية عشرة مساءً .. كنا قد أنجزنا خلال تلك الساعات عشرات المواضيع المهمة، وطلبت منه أن نذهب في اليوم التالي إلى "المول" لشراء بعض الهدايا.

في تلك الأيام الثلاثة السوداء .. تعاطيت فيها كمية مُخَدَّرَات غير طبيعية ..

أولاً: معى حقيبة مليئة بالمخدرات، وثانياً: لن أبيع مرة أخرى، ولن أرى فرانك أو غيره في عمري كله .. وفوق هذا وذاك سيطر على الشعور الرهيب بالخوف، وهذه المخدرات لا بد أن أنتهى منها .. وكان من الممكن أن أرميها، أو أتركها مع رأفت يعطيها لأحد أصحابه، الذين يتعاطون المخدرات .. لكنى أردت أن أنتهى منها بنفسى، وانتهيت أيضاً من شراء الهدايا لكل أصحابى .. وأهلى، ومريم .. وقد وضعتها في 9 حقائب.

لم أنم ليلة الأحد، سهرت مع رأفت، وتعاطيت مخدرات بلا حساب، وشربت الويسكى، وأعددت حقائبي .. وكانت المهمة صعبة، فقد اشتريت بجنون .. إذا كل شيء معد الآن للسفر، وآخر شيء طلبته من رأفت:

- تعرف أنا نفسى فى إيه؟
- بعد كل اللى اشتريته دا، لسه نفسك فى حاجة؟
- مش حاجة اشتريها .. نفسى فى مكان أروحه.
- نفسك تروح فين؟
- نفسى أروح هوليوود لآخر مرة .. أمشى فى الشارع الرئيسى، وبعُد كذا أتصوّر جنب ياقطة هوليوود.
- غالى والطلب رخيص.
- عارف يا رأفت، أنا حياتى تتفَع فيلم، ويتعمل فى هوليوود كمان .. بس لسه مش عارف نهايته هتكون إيه؟! لو إتمسكت .. أنا ها أنتجر، وتكون دى نهاية الفيلم .. فيلم دراما ابن ".....".

- ياللاً بينا على هوليوود وبلاش الهبل اللي أنت بتقولُه ده.. وبعد كده نرجع ناخذ الشنط فى عربية نصُ نَقْل ونَطَّلَع على المطار.

وأخذنى رأفت.. ومشينا فى الشارع الرئيسى، وصعدت لألتقط صوراً بجانب اللافتة الهليوودية، وعُدنا لأخذ الشنط، ونذهب إلى المطار..

ماذا أخاف؟؟ أخاف من كل شىء.. من خيالى.. وهرب دَمَى، وشعرت أن كل العيون مُصَوَّبَةٌ نحوى، فمنظر 9 حقائب مع شخص، منظر غير مألوف، ولافت.. وسارت الإجراءات، ودفعت قيمة الوزن الزائد، وتسلمت بطاقة المغادرة، وَقَلَّتْ لصديقى رأفت:

- أنا مش هارتاح يا رأفت إلا لما الطيارة تطير فوق السحاب.

- يا أخى ماتخافش.. خلاص كله تمام والحمد لله.

- وَقَفْتِكَ معايا أنا عُمْرِى ما ها نساها.

- إنت أخويا الصغير.. وآخر حاجة أقولها لك: ارجع بيتك.. أنت بلوقت معاك فلوس.. اعمل مشروع، شوف أى "ببزنس" وإبدأ حياة جديدة.. أنت عارف كويس أنا كان نفسى أسافر معاك على نفس الطيارة، مصر وخشيتى، بس أنا مش ها ارجع من البلد دى إلا لما أنجح.

- هتتجح يا رأفت.. ربنا معاك.. أشوف وشك بخير.. كلمنى يا رأفت، وأنا كمان ها اكلّمك.. ربنا يستر ومايخلصش لك مشاكل بسببى.

- حتى لو حصل، ماتقلقش، هنعرف نتصرف.. سَم لي على كل اصحابنا، واحد واحد.

- أشوف وشك بخير.. سلام يا رأفت.

- هتوخشنى.. بجد هتوخشنى يا صلاح.

مرت هذه الساعات وكأنها سنوات.. سنوات طويلة.. انطلقت نحو بوابة الخروج.. وأخيراً دخلت الطائرة ولكن الخوف يُسيطر على، وأتصور أن

بين لحظة وأخرى سوف أسمعهم ينادون اسمي، ويطلبون مني النزول من الطائرة.

خَوْفٌ وَرُعْبٌ غَيْرٌ طَبِيعِي، وَلَا تَصِفُهُ الْكَلِمَاتُ، وَلَمْ أَهْدَأْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُ هَدِيرَ الْمَحْرَكَاتِ، وَتَحَرَّكَتِ الطَّائِرَةُ عَلَى الْمَمَرِ، وَانْطَلَقَتْ فِي الْجَوِّ.. أَحْمَدُكَ يَا رَبِّ.. وَاشْهَدْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.. وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَاتِ فَقَطْ، وَأَخِيرًا، شَعَرْتُ بِالْأَمَانِ.

ما أجمل هذا الشعور!!

ما أروع الإحساس بالأمان!! ما أجمله!!

وعندما وصلت إلى مطار باريس.. شهد الناس أغرب منظر، نزلت على رُكْبَتِي فِي الْمَطَارِ، وَقَبِلْتُ الْأَرْضَ، وَالتف الناس حولى فى المطار يتأملون منظرى ساجداً على الأرض، وفعلاً كان المنظر يستحق الفرجة.. رفعت رأسى، وجلست على الأرض، وأسندت ظهري إلى أحد الجدران لأستريح.. نعم.. أريد أن أستريح.. ومن مطار باريس كلمت خالى ممدوح، وقلت له أنا فى طريقى الى القاهرة، فأصابه الذهول، وسألنى:

- مَعْقُولٌ يَا صِلَاحُ.. تَسَافِرُ كَدَه فِجْأَةً؟! عَلَى الْأَقْلِ كُنْتُ كَلَّمْتَنِي.. وَجِيتَ قَضَيْتِ الْوَيْكَ إِنْ دَعَدْنَا!!

- أَصَلَّى قَرَّرْتُ فِجْأَةً، وَأَخَذْتُ طَيَّارَةَ مَبَاشِرَةً مِنْ كَالِيفُورْنِيَا وَمَآنْزِلَتُنْشِ نِيُويُورْكَ.  
- بِالسَّلَامَةِ.. وَسَلَّمَ لِي عَلَى أُخْتِي وَبَابَاكَ وَكَرِيمِ وَرُؤُولَا.. وَهَا أَشُوفُكُمْ لَمَّا أَنْزَلَ أَجَازَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ.. بِجِذِّ مِشْ قَادِرٍ أَصْدُقْ.. رَجِئْتُ تَانِي صِلَاحُ أَبُو الْمَفَاجَاتِ!!  
- بُوَسَّةٌ كَبِيرَةٌ لِلْعَفَارِيْتِ أَشْرَفُ وَشَرِيفَةٌ، وَحَشُونِي، وَطَبَعَا سَلَّمَ لِي عَلَى رِغْدَةٍ وَاشْكُرْهَا.. مَعَ السَّلَامَةِ.

لم أتماسك بعد هذا الاتصال، وانهارت دموعى وأخفيتها وراء النظارة، فقد قضيت معهم أجمل الأيام، وشعرت بالأمان.. غاب عقلي عندما عرضت نفسى لهذه الأخطار المهولة.



وكانت الصورة عند أهلى، وعند مريم وأصدقائى، أننى بدأت بالعمل فى محطة بنزين، وبعد شهور عملت فى معرض سيارات، والحقيقة أن صديقى رأفت هو الذى يعمل فى المعرض، وقد أتاحت زيارتى المتكررة له فرصة التعرف على التفاصيل، وفنون التعامل مع الجمهور.

كم كانت الصدمة بالنسبة لهم جميعًا كبيرة، عندما أخبرتهم بقرار العودة بعد أربعة أيام.. لم يفهم أحد سببًا لهذه العودة السريعة المفاجئة، ويحق لهم أن يسألونى عشرات الأسئلة المنطقية:

لماذا ترجع الآن؟ ولماذا هذا القرار المفاجيء؟ ما سره؟ ما سببه؟ وماذا تفعل هنا؟

وكم فرحت عندما عرفت أن أخى كريم وأسرته فى مصر، وهو مكلف من الشركة الأم فى إنجلترا، بمهمة القيام بإجراءات إنشاء شركة جديدة فى مصر، وفروعها فى أكثر من دولة عربية.. وهكذا ولأول مرة منذ زمن طويل، يجتمع كل أفراد العائلة على أرض الوطن، فدائمًا، ومنذ وعيت.. كان أحدنا مسافرًا لسبب أو لآخر.

استقبلنى فى المطار مريم ومصطفى وخطيبته الجديدة سندس.. وفى رحلات سابقة كان عشرات الأصحاب يخرجون لاستقبالى فى خمس أو ست سيارات.. وطبعًا أهم سؤال، بادرنى به مصطفى:

- إنت إيه اللى رجعت فجأة كده؟
- ولا حاجة.. حسيت بالملل، ومعايا شوئة فلوس حلوين.. قلت كفاية كده.. أرجع وأعمل مشروع فى مصر.
- لحقت تعمل فلوس فى سنة وشوئة؟
- العربيات شغلها بيكسب كويس يا درش.. سيبك أنت.. أخباركم إيه؟
- قررنا نتجوز قريب.

فرحت سُنْدَس بما قاله خطيبها وقالت:

- ياريت.. بس بعد مَانَجَل شويّة مشاكل.

- كل شيء وله حل.

- وانت يا مريم.. مش هتتجوزي؟

- ايدى على كتفك.

- ايه ده؟ انت اتعلمتى تردّي؟!!

- طبعا.. تلميذتك النجيبه.

# عيون قارئ

## السطر الأول

وصلت بيتنا، ولن أنسى سلام بابا، كأنه يقول: "هَارْد لَك" سافرت،  
وفشلت، ورجعت.. لم يقل هذه الكلمات صراحةً، لكنى أحسستها.. أمى.. سلّمت  
علىّ والخوف فى عينيها.. رولا سلّمت والفرحة مرسومة على وجهها.  
دخلت غرفتى، ووضعت فيها الشنط بين ذهول الجميع، وكسرت رولا  
حاجز الصمت، وسألتنى:

- إيه كل الشنط دى يا صلاح؟ أنا مش مصدّقة!!
- اشتريت هدايا وعملت شوبنج مش هزار.
- باباك ممكن ينهار لما يشوف الشنط دى كلها!!
- ندخلها الأوضة قبل ما يُشوفها.
- دفعت جُمرِك أد إيه؟
- دفعت كثير يا رولا.. بس مش مُهم.. "شوبنج" يساوى.. الشىء البايخ إنهم  
قعدونى فى الجمرِك ساعة، وعينى على الشنط.. كنت خايف شنطة تزُوح كِده  
واللأ كِده.
- بجد.. دفعت كام؟
- سبعة الألف جنيه.
- يا نهار أبيض.. ذا كثير جدًا.

دخل بابا إلى غرفته، وكانت ماما ترد على التليفونات، وتحكى أخبار  
عوذتى للأقارب، وكريم فى المكتب.. إنه يقدر العمل، ولا يعود من الشركة قبل  
منتصف الليل.. ويتحمل المسؤولية بكل ضمير حى ويقظ..

رجعت إلى بلادي ومعى مبلغ لا بأس به، اتخذته من تجارة المخدرات لمدة ثمانية شهور، ولو لم أكن أنفق بجنون، لأصبحت أملك ضعفاً هذا المبلغ، وأشرقت شمس يوم جديد.. وعلى أرض الوطن أحسست أن الصباح له طعم ومذاق مختلف.. سمعت تغريد العصافير.. لكن هنا وعلى سريري يرقد إنسان مُتَغَبِّ.

وكان من أهم أولوياتى شراء سيارة جديدة، وتجولت على المعارض، ووقع اختياري على سيارة "فورد موستنج كابورليه"، ودفعت ثمنها 120 ألف جنيه.. والله زمان.. وفى أقل من أربع وعشرين ساعة من وصولى أصبح عندى سيارة آخر موديل.

بحثت عن حسام، رغم أن أمى سبق أن منعتنى من الاتصال به.. وبكل الطرق كنت أتحايل على كل أنواع الحصار، وأكلمه، لكنه غير موجود.. فماذا أفعل؟ بصراحة صوّرت لى الضغط النفسى الذى شعرت به فى هذا الأسبوع، أننى لن أشعر بالراحة إلا إذا ضُربت.. مررت على شريف فى بيته.. وكانت المفاجأة كبيرة لصديقى، واستقبلنى بحرارة قائلاً:

- إيه المفاجأة دى؟ إحنا كلنا قلنا إنك مش راجع تانى!!

- اسكّت.. خربتّها ورجعت.

- احكى لى.. أنا عارفك.. أكيد ولعتّها.

- بضرب الأول، أنا هاتجنن وأضرب.

- أليس وينزل.. معاك كاش؟!

- معايا 100 دولار.

- يا سيدى.. يا سيدى.

- أه صحيح.. هو حسام فين؟

- عايش فى شقته فى المعادى مع دعاء، وخاربين الدنيا سوا.

- لا يا راجل.. من إمتى؟

- من فترة طويلة.. والموضوع مُقلق جدًا.
- طبعًا حسام فتح دُولاب هناك.
- ومِش أَى دُولاب.. ولِعَلْمَك هَيْتَمْسِك قُرَيْب.
- هو إحنا هَانضْرَب من عند مين؟
- من عند مخيمر أخو أم سيد.
- هو لَسْه شَغَال؟ إزاي مَتَمْسِكْش كل ده؟
- ميظَبْط.. دا البريمو دلوقت.
- طَيِّب نروح عند مخيمر، ونِرْجِع على حسام.
- أنا مِش بَحْب أُرُوح عنده يا صلاح.
- لا يا راجل.. للذَّرْجَة دى؟
- هَاترُوح وَتَشُوف بِنَفْسِك.

اشترينا تذكرتين، وكل واحد ضرب واحد.. وقلت لصاحبي:

- ياه!! "واللآ زمان يا دينارى" .. على رأى عادل أدهم.
- انطلقنا إلى بيت حسام، وكانت معه دعاء ونانسى، وثلاثة آخرون من مصر الجديدة.. ضربت معهم أكثر من مرة.. وبعد السَّلَامات والقَبَلات.. تجولت فى البيت، منظم لكنه رخيص، ويبدو أن دعاء حاولت تنظيفه، لكن ماذا تفعل فى هذا الوضع البائس؟

حكيت لهم على تجربة السفر، وما فعلته خلال الرحلة.. وكان تعليق

حسام:

- يا ابن الإيه؟ تتاجر فى أمريكا؟ "كراكس" بصحيح.
- لاحظت أن الثلاثى حسام ودعاء ونانسى فقدوا وزنهم، واختفت الدماء من وجوههم، وشكلهم "ضايح" ومُذْمَنين من غير "فِصَال" .. فهمت بوضوح أن الشقَّة عبارة عن دُولاب مفتوح.

والحديث الذى يدور بينهم: تعرّف فلان؟ بيضُرَب مع فلان وفلان..  
وفلان بيضُرَب مع أخته.. بعضهم لا أعرفه، وبعضهم سمعت أسماءهم ولم ألتق  
بهم.. وبعضهم "حشّشت" معاهم منذ سنوات.

قضيت بعض الوقت مع الشباب، وسمعت منهم آخر أخبار الإدمان،  
والمشكلات التى سببها، ومنها القبض على فلان، ووفاة فلان، ودخول فلان  
المستشفى، ولكنى لم أسمع أن أحدهم توفّق عن التعاطى، وشفى من هذا الداء..  
وبعد عودتى من هذه الرحلة، تحدثت الإشاعات عنى، وقيل إننى سافرت مع  
أسرتى إلى أمريكا للعلاج هناك من الإدمان.

عدت إلى بيتنا.. ولم يتم اكتشاف أمرى فى هذا اليوم.

وفى صباح اليوم التالى اتصلت بصديقى شريف للذهاب إلى دولاب من

الدواليب، فردت والدته:

- إزيك يا طنط، أنا صلاح.

وقبل ان تزد السلام والتحية.. قالت بانزعاج:

- الحفنى يا صلاح.

- فيه إيه يا طنط؟ خير!!

- شريف وصل من ساعة، وطبعا واخذ زفت على دماغه.. دخل بيطوح ومش

فاهمة منه أى حاجة، نام على السرير وبطل يرد على خالص.

- كلمى دكتور يا طنط.

- كلمت المستشفى، وقالولى ماتخافيش، وهيجو ياخدوه، بس أنا خايفة يجراه

حاجة.

- أنا جىّ حالا يا طنط.

شريف كان يذهب إلى الجامعة فى الإسكندرية، وعندما أسرف فى

التعاطى و"خرب الدنيا" رجع من هناك.. كانت قصة إدمانه معلنة فى كل مكان..

بذل أهله أقصى ما فى وسعهم لمساعدته، وكانوا يفشلون فى كل مرة، ولكن أحد

الحلول التى توصلوا إليها ونفذوها فعلاً، كانت إرسال شريف إلى المستشفى..  
أو حضور المستشفى لأخذه، وعندما كنت أسأل حسام عنه:

- شريف فين.. اختفى!؟

- فى المستشفى.. إنتحن من أسبوع.

وكل مرة ذهب فيها شريف للمستشفى، كانت له قصة مختلفة.

ما بين منزلى ومنزل شريف، دقائق معدودة، نزلت فى ثانية، ووصلت

إلى منزله، فتحت لى والدته:

- هو فين يا طنط؟

- جوه نايم على سرير، مش عارفة أعمل له إيه!؟

- أنا سمعت لما حد يحصل له كده يشربوه ميه بملح.

- ادخل شوفه، وأنا أعمله ميه بملح.

دخلت إلى شريف فى غرفته لأجد منظرًا غريبًا، شريف نصفه نائم  
على السرير وقدماه على الأرض، ويرتدى رجلا واحدة من البنطلون والأخرى  
مخلوعة، ويرتدى أيضا "فردة" حذاء واحدة.. نائم، ولا يتحرك وعلى صدره  
عنقود من العنب، ويده مفتوحة، وقد وقعت منها سيجارة على السرير غير  
مشتعلة، ويده الثانية مفتوحة بلا سبب واضح.. أول ما خطر فى بالى أن أطمئن  
عليه.. وجدته فاقد الوعي، ناديت عليه بأعلى صوتى لكنه لم يرد، فضربتة على  
وجهه فاستجاب، فاطمان قلبى، فهو يمر فقط بحالة غيبوبة مؤقتة، وسوف تمر  
مع الوقت، ومن واقع الخبرة هذا يحدث كثيرًا.

وبدا حديث ومونولوج داخلى:

- يا ابن الإيه يا شريف، دا أنت ضارب ضرب مبرح!! يا ترى معاه تانى!؟

وفى ثانية وضعت يدى داخل جيوبه، ولم أجد إلا علبة السجائر..  
وهو دائما يضع المخدرات فى علبة السجائر.. فمددت يدى وأخذتها وفتحتها  
لأجد ورقة كبيرة جدا، وبها كمية لا تقل عن 2 جرام، وفى هذه اللحظة، سمعت

صوت وقع أقدام.. إنها والدة شريف قادمة، فتركت العلبة مكانها وتحدثت معها بهدوء:

- أطمئني يا طنط.. هو كويس.. بيتحرك إنما محتاج ينام شوية.

وبدأت والدة شريف في سرد الشكاوى:

- حرام عليه اللي بيعمله، أنا مش قادرة.. خلاص هاموت.. دَمَرنى ودمر البيت كله.. باباه سافر من كام يوم، وأنا مش عارفه أعمل إيه.

جلست استمع إليها، لكن سيطر على تفكيرى رغبة عارمة فى الحصول على الورقة التى بها 2 جرام الموجودة فى علبة السجائر، وأثناء حديثها سمعنا جرس ودقات على الباب، فأسرعت والدة شريف لفتح الباب، وفى اللحظة نفسها مددت يدي لأخذ البودرة من علبة السجائر، ووضعتها فى الشراب.. الحمل الوديع تحول إلى ذئب.. وشعرت بالسعادة البالغة، فقد تم حل مشكلة أسبوع على الأقل.

كان الطارق هو الدكتور وليد، ومعه فريد، وحسنين، وصادق من الممرضين فى المستشفى، لم أعرفهم لأننى لم أرهم من قبل، وقدمتى لهم والدة شريف قائلة:

- صلاح.. من أصحاب شريف الكويسيين.

شد الدكتور على يدي، بينما بدأ الثلاثي فريد وحسنين وصادق يتحركون بخبرة، وحاولوا إفاقة شريف، وأيضاً مراجعة جيوبه وفتحوا علبة السجائر.. وتأكد فريد من خلوها من المخدرات، ثم أعادها إلى جيب شريف.. وقلت فى نفسى:

- فرقت معاك 3 دقائق.

وبدا حسنين فى مساعدة شريف على الوقوف، ورفع فريد رجله ليضعها له داخل البنطلون.



استمر الطبيب فى حديثه مع والدة شريف، وقال لها:

- المرة دى لازم يقعد شوية كويسين.
- أنا مش عايزة أشوفه تانى، خلوه عندكم سنة.. هى دى المرة الكام يا دكتور وليد؟

- مش عارف.. بس مش أقل من العشرة.

- وبعدين.. وأخرتها؟! يموت ويريحنى، فى ستين داهية.

بدأ شريف فى الإفاقة، وأمسك الدكتور وليد بيده لقياس النبض وسأله:

- إزيك يا شريف؟

- أخذ شريف يحاول فتح وغلق عينيه، ليتأكد من شخصيات الموجودين أمامه، ويتعرف إلى صاحب الصوت الذى يكلمه.. بينما ذهبت والدة شريف لتحضر شنطة المستشفى المعتادة، ومرت لحظات فى حوار فكاهى عجيب:
- أنا كويس.

وطبعاً شريف قال "أنا كويس" بمعجزة، فسأله الدكتور:

- كويس إزاي يعنى!! إنت مش حاسس بنفسك؟!!
- من فضلك يا دكتور كلمنى كويس، أنا بنى آدم.
- هو أنا قلت لك حاجة غلط؟!!
- إنت بتعاملنى معاملة غريبة، وبعدين أنت ايه اللى جابك هنا؟!!
- وحشيتى.
- أنت بقى ماوحشيتيش.

تلقت شريف.. وبدأ ينظر حوله فوجد فريد وحسنين وصادق..

وفى دهشة بالغة قال:

- ايه ده!! هو أنا فى المستشفى واللا ايه يا دوك؟!!
- لأ.. إنت فى البيت.
- أمال المستشفى كلها هنا ليه؟

- علشان إحنا بنقدرك.
- بقولك إيه يا وليد.. مش عايزين النهارده.
- وفجأة تحركت من مكانى، فانتبه شريف إلى وجودى.
- إيه ده.. صاصو.. هو إحنا كنا مع بعض يا صاصو؟!!
- لأ، أنا كلمتك.. ومامتك قالت لى إنك تعبان شوية، فجيت أشوفك.
- ده صاصو.. لسه راجع من أمريكا.. حبيبي.. مستر كراكس.
- وإنت كمان حبيبي يا شريو.
- صاصو.. مشى الناس دى من هنا.
- دخلت والدة شريف تحمل شنطة فى يدها.
- ياللا يا شريف.
- على فين يا ماما؟
- يعنى حيكون على فين؟
- إيه ده.. سويسرا تانى؟ لا.. لا.. إنت كده بتظلمينى.. والله حرام عليك.. مش تتأكدى الأول.
- أتأكد من إيه؟!!
- برد شريف عليها بمنتهى الصعوبة:
- تتأكدى إن أنا واخد.. دا هى صليبة واحدة.. كان عندى صداع فأخذت برشامة.. إيه المشكلة؟
- تدخل الدكتور وليد لإنهاء هذه المهزلة قائلاً:
- ياللا يا شريف على المستشفى، وبلاش تتعبينا.
- وبعدين معاك يا حماده.. مش قلنا إن أنا بنى آدم؟
- وإنت شايفينى باقولك يا حصان؟
- يووووه.. إنت هتهزر واللا إيه؟! يا صاصو، مشى الراجل دا من هنا.. قول له يفوت علينا كمان أسبوع.

- عيب يا شريف، مَتَكَلَّمْش مع الدكتور كده.
- إنت مش شايفه بيعاملنى إزاي.
- وانتبه شريف فجأة:
- فين علبه السجاير؟
- كان فريد وانقأ أن العلبه ليس بها أى مخدرات، فقد أعادها إلى جيبه،
- بعد أن فتشها جيداً فقال له:
- فى جيبك.
- أنا قلت انقلبت ولا حاجة... حركاتك يا حسنين.
- يا ماما، هو أنا حاقعد فى سويسرا أد إيه؟
- منك لباباك، أنا مليش دعوة.
- وجه دكتور وليد حديثه إلى والده شريف وسألها:
- حضرتك جاية معنا؟
- لأ.. بكره إن شاء الله، النهارده أعصابى مش مستحمله.
- استمر شريف لمدة 5 دقائق يسلم، ويقبلنى، ويرجونى أن أزوره
- فى المستشفى، فوعده بالذهاب مع والدته لزيارته فى اليوم التالى.
- أنا هاجى مع حضرتك بكره للمستشفى.
- ياريت يا صلاح.. عدنى على الصبح ونروح سوا.
- انطلق دكتور وليد ورجاله إلى خارج الغرفة ومعهم شريف، وكان
- يتحدث دون انقطاع:
- إنتم كده بتظلمونى.. ماشى يا ماما.. ماشى يا وليد.
- معلى، إحنا وحشين.
- إيه يا عم الدكتور.. أنت بتكلم واحد فى حضانه واللا إيه؟
- أنا غلطان يا شريف.. حقاك على.
- قول أنا آسف.

- ممكن تقعد ساكت شوية.

وذهب شريف إلى المستشفى، بينما ذهبت إلى الصيدلية وبدأت الاستمتاع بـ 2 جرام.. كنت واثقا من جودة نوعية البودرة، فتعاملت معها بمنتهى الحرص.. وإحساسى بأن معى 2 جرام كان يعطينى الثقة فى التعامل مع الجرعة بهدوء.

نمت ساعات قليلة، استعدادا للذهاب إلى المستشفى، كما وعدت فى اليوم التالى.. أخذت سوسته "ستمورنج"، بالقدر الذى يساعدنى على الاستمتاع، وفى الوقت نفسه التعامل مع البشر، فأنا أعلم أن والدة شريف لديها خبرة شديدة فى مثل هذه الأمور، ولا أريدها أن تكشفنى.. اتصلت بها ثم ذهبت إليها كما اتفقنا.

تحركت فى سيارتى الجميلة، فهى تفهم جيدا أنه من المستحيل أن يكون هناك مدمن، ويمتلك سيارة بهذا الجمال.. مررت عليها وأخذتها من المنزل، وبدأت فى سرد قصة حياة شريف مع المخدرات:

- هى الجامعة اللى فى اسكندرية اللى بوظته وضيعته.

ومن جانبى كنت أرد عليها ردودا بريئة ودبلوماسية:

- معلىش يا طنط، إن شاء الله هيبقى كويس.

وتستمر فى سرد المضائب:

- صرف كمية فلوس!! ده سرق نص الذهب بتاعى وعربيتته اللى باعها.

إنها حقا مأساة.. كنت أستمع إليها لدقائق معدودة، وأسرح وأغيب عنها وعن حديثها لدقائق، إلى أن وصلنا إلى مستشفى تبعد قليلا عن القاهرة، وتلقت التحية من الكثيرين، فمن الواضح أنها معروفة ومحبوبة فى هذا المكان.. وكنت أتوقع أن أرى مستشفى مثل بقية المستشفيات، إنما فوجئت بحدائق واسعة وأشجار وكافتيريا هادئة.. حقا المكان جميل..

تجولت فى المكان، ورأيت لافتات كُتِبَ عليها: السجيم، حمام السباحة،

وتشير أخرى لفتت انتباهى إلى: "قسم الإدمان"، وقلت لوالدة شريف:

- المستشفى حلوة أوى، ولا النادى.

- هى كويسة فعلا، بس هى آخر مكان بأحب أجيته.

وصل الدكتور وليد وسلم علينا، وأخذنا إلى غرفة الاستقبال.. جلسنا

فيها، وتحدث طويلا عن حالة شريف، وأثناء ملء أوراق دخوله إلى المستشفى،

كانت الأم فى حالة يرثى لها.. وكنت أتوقع أن أرى شريف، وكنت عامل له

مفاجأة، فهو أصلا صاحب الـ 2 جرام اللى معايا، فجهزت له سوسته وتركتهما

فى السيارة، وعندما سألت الدكتور:

- هو شريف فين يا دكتور، مش هانقأبله؟

- لأ طبعا، ده فى "الدبتوكس".

- دبتوكس؟!؟!!

- يعنى العزل، علشان يعدى أعراض الانسحاب.

- طيب ممكن أشوفه إمتى؟

- كمان ثلاث أو أربع ايام، مش قبل كده.

ومر فى خاطرى سؤال مهم.. سألت نفسى:

- هو أنا إيه اللى جأبى هنا، مادام مش هاشوف شريف؟!!

تركتهما وخرجت من المستشفى لأخذ سوسته من السوستتين الجاهزين،

كمية بسيطة تريح الدماغ، ثم عدت إليهما ولم يكتشف أحد أنى أخذت جرعة

مخدرات.. وعندما جلست معهما أثناء إنهاء الإجراءات، سمعت اسم أحد

الأصدقاء الضريبة المشهورين، فعرفت أن هذا المكان ما هو إلا ملتقى الأحياء.

دفعت والدة شريف مبلغا كبيرا من المال، وعادت معى فى السيارة،

وبدأت فى سرد فصل جديد من الشكوى، وكل نبذة تؤكد حزنها وآلامها

وشعورها بالاكنتاب بسبب صديقى العزيز شريف.

تركت والدة شريف عند منزلها.. أخذت حقنة أخرى ثم عدت إلى البيت، وكان واضحاً أنني تعاطيت البوثرة.. أمي كانت في انتظاري مع أختي رولا، وهما في حالة ترقب، وعلى لسانهما سؤال واضح: يا ترى كيف يعود إلى البيت.. مع من؟ وفي أية حال؟ وبمجرد أن فتحت الباب، نادتنى أمي قائلة:  
- تعال وريني دراعك.. ومن غير ما أشوف.. وشك كفاية.. كل شيء واضح.  
وأنهارت أختي باكية وقالت:

- تانى يا صلاح؟ ليه بس كده؟! حرام عليك!!

- إنتم مش فاهمين.. أنا كنت محتاج أضرب المرة دي بس.. أوعدكم أنى مش ها آخذ تانى.. أنا راجع من سفر وتعب، وعمري ما كنت ها اعرف أهذا من غير ما آخذ المرة دي يا رولا.

- أد ايه نفسى أصدقك، بس ميش قادرة.

تدخلت أمي في الحديث قائلة بحدة:

- اسمع كويس.. أنا مش مستعدة أتخيل إننا نببىدى الموضوع ده من الأول وجديد.. مش هينفع أبدا.. منك لبابك وأتصرفوا مع بعض.  
فقلت متوسلاً:

- من فضلك إهدى بس يا أمي.. هي المرة دي وإخلاق.

- لماً نشوف.. وأفلح إن صدق.

فتحت الشنط.. ووقفت مذهولاً.. يا إلهي!! ما كل هذه المشتريات..

ملابس وهدايا تكفي العائلة والأقارب، والأصحاب وجيران الجيران؟! فيها الصيفي، والشتوي، والخريفي، وتفضلى يا أمي.. وبابا.. تفضل.. ورولا حبيبتى.. وكريم بك.

وطبعاً.. كانت هناك هدايا مريم ومصطفى وحسام ودعاء، وميدو،

وبونو، وريكو، وزونى، وعلاء.. وفتحي.. تذكرت الجميع، وكل واحد كانت له هديته المحترمة.. طبعاً.. صلاح أبو الكرم.

ورجعت أشرب ويسكى بشراهرة، و"ألف" سجائر، ولاحظت ظاهرة انتشار البانجو، وبخاصة في العتبة، وأن نسبة كبيرة من الشباب تدخن البانجو الذى سيطر على السوق، فهو يشبه الماريجوننا مع الفارق أن الماريجوننا تُلُوخ، تَسْطِلُ.. ورأيت أن البانجو مخدر يجعل الإنسان غيبًا إلى أقصى درجة، ضيق الأفق، بطيء التفكير.. وبعد سيجارتين بانجو، كنت أشعر بالتوتر، وأنتى عصبى جدًا؛ فقد أحسست أن مخى توقف، وأنتى لا أفهم ماذا أقول.. وبعد كل جويونت أردد:

- أنا مش عارف قصدى إيه!! أنا مش عارف أنا بقول إيه!! أنا مش عارف أفكر!!

وكثيرًا ما ضحكنا على تلك الجملة، وعلى جمل أخرى تشبهها.. وبعد أسبوع، قابلت حسام مصادفةً، ودار بيننا الحديث العادى:

- على فين العزم؟

- أم سيد رجعت تشتغل تانى.. الباب الأسود يا باشا.

تكررت المأساة مرة أخرى.. وبدأت أضرب من جديد، وبغنى، رغم أنتى لم أكن أريد الدخول فى الدائرة السوداء المظلمة من جديد.. حقا لا أريد، ولكن لقد انزلت قدمى فى المحذور.. فما الحل؟ "تريكسان" أحد الحلول، وهو دواء بدأ يُعرف فى ساحة الإدمان، والمعروف طبيًا أن المدمن إذا أخذ حبة "تريكسان"، وتعاطى البودرة بعد هذا، فإن احتمال الوفاة وارد جدا، وقد حدث هذا مع أكثر من مدمن.. ولو لم يفقد حياته وعمره، فهو لن يستمتع بالبودرة، بمعنى أن "التريكسان" عدو البودرة، والعدو الأول للمدمن، ومفعول الحبة الواحدة من "التريكسان" يمتد لمدة ثلاثة أيام.

كنت أعرف كل هذه المعلومات، ولكنى لم أذكرها لأحد فى أسرتى؛

حتى لا يُستخدم ذلك ضدى فى أى يوم من الأيام.

وفي تلك الليلة رجعت البيت، وبنظرة واحدة كَشَفْتَنِي أُمِّي..  
وقد شعرت بالاكْتِنَاب، وارتجفت عندما رأيتها جالسةً في انتظارى، ودُموعها في  
عينها..

قلت لها بكل الصدق:

- أنا فعلاً مِشْ عايز أضرب، ومش عارف أعمل إيه.. والنَّبِي رَكَزِي معايًا..  
أنا عارف إنك عارفة كويس إنى خَلاص رَجِعت آخِذ تَانِي من أول وجديد،  
والدنيا هِتَدْمَر وَهَاضِيع تَانِي، وَدَه مَايَنْفَعُش.. أنا يا أُمِّي في مُصِيبَة سودا.

ولم تتحرك.. فمثل هذا الكلام سمعته كثيرًا.. فقلت:

- يا أُمِّي اسْمَعِينِي.

- نَعَمْ.

- فيه دَوَا اسمُه تريكسان، وأنا لازم آخِذُه.

وكَلَمْتَهَا عن هذا الدواء، وبدأت تتفاعل مع كلامي.. وفِيهِمْتَنِي بِسْرَعَة،

وسألتنى باهتمام:

- مينين الدَوَا ده؟

- موجود، وممكن أجيبه بلوقت.. المشكلة ماينفعش آخِذ الدَوَا ده، غير لَمَّا  
جسمي يكون نضيف من البُوذرة 100 % علشان لو فيه بُوذرة في جسمي، تبقى  
مشكلة.. ولازم أبعد عن القاهرة على الأقل ثلاث أيام، وأرجع آخِذ تريكسان..  
مستحيل تتجَح الخطه، وأنا هنا في البيت.

تكلّمت من قلبي وبكل صدق.. وكنت في هذه اللحظات ضارب، وكلام

الضاربين دائماً كلام مقنع ومن القلب.. في اليوم التالي سافرت إلى الإسكندرية  
مع أُمِّي، ونزلنا في فندق جميل على البحر.. أما الوالد فقد فهم أنها رحلة  
استجمام سريعة، وعندما عرضنا عليه فكرة السفر معنا، اعتذر، فأعماله الكثيرة  
تمنعه من القيام بمثل هذه الإجازات الترفيهية والاستثنائية.. وكانت مشكلتي أن  
جسمي تعود البُوذرة من جديد، وليس من السهل التوقف عن التُعاطي.. ومُرت



الأيام الثلاثة الأولى بصعوبة بالغة: آلام ومغص في البطن، إسهال مستمر، الأنف أشبه بصنبور مياه مفتوح.. أربعة أيام كأنتى فى الجحيم.

ومرت الأيام الأربعة، وقبل الرجوع إلى القاهرة أخذت حبة "التريكسان".. ويقدر التعب الرهيب الذى عاشته أمى خلال تلك الأيام، بقدر شعورها بالسعادة لبدء العلاج بدواء "التريكسان".. شعرت أن هناك علاجاً، وأن هناك حلاً.. والمفروض أن أخذ حبة واحدة كل ثلاثة أيام، ولكنها أعطتني حبة كل يوم.

ارتفعت معنويات أمى، وأيضاً أختى رولا، وكانت تقضى معى أوقاتاً طويلة، تحدثنى فى مواضيع لطيفة مختلفة.. هى سعيدة وتشعر بارتياح، وأنا أيضاً.

وعادت الحياة الطبيعية فى بيتنا بفضل تناول هذا العلاج.. وعادت أمى إلى الطلبة والمحاضرات وتصحيح الامتحانات، وانتظمت رولا فى عملها، وقررت رؤية أصحابى أحمد، وحسين، ورامى، وبهاء؛ إذ إننى لم أرهم منذ عودتى من أمريكا.

وجدت ميدو وعلاء فى البيت، وصارحنى علاء بأنه قرر الهجرة إلى كندا، وكان من الواضح أنه استنزف معظم أمواله من الميراث؛ فمنذ عشر سنوات وهو ينفق ببذخ جنونى ودون حساب للأيام القادمة.. أما ميدو فقد تسلم العمل فى إحدى الشركات الكبرى، وصارحنى هو الآخر بأن طبيعة العمل لا تعجبه، ولكنه أفضل من الإحساس بالملل، والبقاء فى البيت بلا هدف.

عندما سألت عن الشباب.. كان من الواضح أن ميدو يفضل عدم الحديث فى سيرة الأصدقاء، ولكن علاء صمم، وكأنه أنتظر منى هذا السؤال، الذى يريد الإجابة عنه بكل إصرار، قال علاء:

- حسين خطب نيفين وهيتجوزوا قريب.

- لا ياراجل.. أخيراً.. بس بصراحة، نيفين دى أستاذة.

- بهاء يا سيدى خلص ميراثه كله أو معظمه، وداخل خارج من المستشفى، خلاص بهاء أذمن.. والمصيبة إن أخوه الصغير بثر، بيضرب هو كمان.. الاتنين خاربينها على الآخر.. أما حبيبك رامى جاله فيرس "سى"، وخرج من المستشفى من أسبوع وجالنا من يومين.. وبصراحة زعلت عليه جدا لما شفته.. دا مش رامى اللى نعرفه.. ده واحد تانى، إتبهدل، وهو مش وش بهذلة، وأبوه اللواء طول اليوم ماشى وزاه.. خايف عليه.. أبوه يصعب على الكافر.

لم يشارك أحمد فى الحديث، ولم يعلق، وأراد أن يغير الموضوع أكثر من مرة، لأنه حزين من تكرار سماع هذه الأخبار السوداء، ثم قال أخيراً:

- إنت ناوى تعمل إيه يا صلاح بعد ما رجعت من أمريكا؟!

فقال علاء نيابة عنى:

- ناوى يضرب طبعاً.

رد أحمد بغضب:

- بس يا علاء، بلاش سخافة.

- صلاح عمره ما هيبطل.. زيه، زى بهاء، ورامى، ولعلمك الاتنين دول، كمان، آخرتهم قربت وها أفكرك.

كان لابد من التدخل فى الحديث فقلت:

- خليك فى نفسك يا علاء، يعنى إنت يا واد عملت مشاريع كسرت الدنيا، ومصر كلها يتحكى عنها.

- بس على الأقل أنا مش مدمن.

- أه.. صح.. 15 سنة بتشرب حشيش وبيرة كل يوم، ومش مدمن.. يعنى

"أم توتو" هى اللى مدمنة؟!

كلمة "مدمن"، عندما أسمعها، كأن ماساً وتياراً كهربائياً صعقتنى،

ويضايقنى سماعها، حتى عندما تقال لأحد غيرى.. قلت لميدو:

- بأقول لك يا ميدو.. تعال نخرج شوية.. أنا مش عايز أقعد فى البيت.. أشوفك

بُكره يا علاء.

- على فين العزم يا صلاح؟ مُستشفى إيه المرة دي؟
- لا.. مفيش مستشفيات المرة دي، أنا ها أخذ ميدو أفرجة على العربية الجديدة.
- يا سيدى.. يا سيدى.. إشتريت إيه؟
- اطلع البلكونة، وانقرج.

وكانت هذه لحظة الانتصار على حديث علاء الهجومى.. وبعد رؤيته السيارة، خرجت مع أحمد، وعملنا جولة فى المهندسين، وفى الزمالك، وفى الدقى، وطلبت من أحمد أن أرى بهاء ورامى.. فعلا تمنيت رؤيتهما، لكنه رفض قائلاً:

- أكيد بهاء فى المستشفى.. أمه كل أسبوع تشحنه على هناك، ودلوقت بيقعد فى المستشفيات، أكثر من البيت.. بهاء صرف كل فلوسه.. أنت مش متخيل خربها إزاي!!

- وريكو يا ميدو؟!  
- رامى يصعب عليك.. لو شفته مش هتصدق.. مبهذل فى نفسه.. خس جداً.. فور العربية، ودخل المستشفى مرتين أو ثلاثة السنة اللى فاتت ومفيش فايدة.. مش بيكمل أسبوع، ويرجع يضرب تانى.. وآخر مرة باباه زارنى وتكلمنا سوا.. الراجل يانس ومش عارف يعمل إيه.. من أسبوع كان عندى وقال لى إن رامى جاله فيروس "سى" والدكتور قال لو فضيل يضرب، الكبد مش هيستحمل، ورامى هيموت.

- يا نهار أسود!! إيه اللى بيحصل ده؟!!
- دا إنت مش عارف حاجة.. فيه عشرة ماتوا السنة دي.. فلان وفلان وفلان.
- إيه دا يا ميدو؟ كل ده حصل فى سنة وكام شهر؟
- الحمد لله إنك إنت كويس.

- مش ها اضحك عليك.. أنا بأخذ تريكسان.. هو ده اللي حاميني.. أنا خربتھا أول مارجعت، وبعدين قُلت ما بيدهاش، وبأخذ تريكسان كل يوم.. بس يا ميدو بقيت باشرب ويسكى واحشش كل يوم بكميات رهيبه.. والبانجو ده كمان لاجسلى دماغى.

- البانجو كارثة.. إنت عارف يا صاصو إنهم بيدوه للجمال فى السودان علشان ما تهيجش.

- لا يا راجل!! بجد؟!

- أه والله.. وكمان بيدمر خلايا المخ، ويخليك أغبى من الحمار.

عدت إلى بيتى، وبعدت عن الضريبة، ورجعت حياتى شبه طبيعية، وإذا قابلنى واحد من الضريبة وسألنى:

- إيه النظام؟

أجيب على الفور:

- تريكسان.

وبقدر اشتياقى للضرب.. بقدر شعورى بالارتياح، وحرصت على لقاء مصطفى، وعدت للسهرات الأنيقة، والسهرات الجميلة، وقضاء الأوقات الممتعة بعيدا عن هذه الدائرة السوداء.. كان الخمر هو سيد الموقف.. كنت أخرج كل ليلة مع مصطفى وسندس، ومريم، وكنا نحن الأصدقاء الأربعة نستمتع بالخروج معا.

وبدأ والدى يدق على نغمة البحث عن عمل، قائلا:

- ماينفعش اللي بتعمله ده!! حياتك عبارة عن خروج وسهر وبنات وخلص.

- حاضر يا بابا.. والله بادور على شغل، وقريب جدا حتلاقينى اشتغلت.

وبالمصادفة، حكّت لى مريم عن صديقتها التى تعمل فى شركة سياحة، والشركة تبحث عن مدير تسويق.. وهى شركة كبيرة، وصغيرة فى الوقت نفسه لأنها مكونة من أربعة أشخاص: صاحب الشركة سيف، وشريكه وصديقه

بوسى، والسكرتيرة حنان.. وعامل الشركة "الدينامو" يسرى.. وفى أول لقاء مع سيف، أعجبنى من الوهلة الأولى، وقلت لنفسى:  
- هو ده اللى أعرف اشتغل معاه.. ويفهمنى وأفهمه.

كان سيف شاباً فى متوسط العمر، حوالى 45 سنة، شعره طويل ويجمعه خلف ظهره على هيئة ذيل حصان، وتكلمنا معاً فى موضوع السياحة.. ومن خطته التوسع وشراء مكتب جديد، ينتقل إليه بعد شهرين، بعد الانتهاء من أعمال الديكور.

وخلال فترة زمنية قصيرة، أصبحنا أصدقاء، وأسعده أننى فهمت التعامل مع هذا العمل الجديد بسرعة، وبدأت أخاطب الشركات العالمية التى ترسل لنا السائحين، ومعظم هذه الشركات إنجليزية وسويدية وأمريكية، وكنت أجيد التفاهم معهم.. ومن خلال لقاءاتى مع أصحابى أعضاء النادي، والحديث معهم عن رحلات إلى شرم الشيخ، وبدأت أجتذب عملاء جددًا.. وكما مرت الأيام.. أعجبنى هذا العمل أكثر، وأكثر.. سافرت مع سيف إلى شرم الشيخ للتعرف إلى أصحاب الفنادق التى نرغب فى التعاقد معهم لاستقبال الأفواج القادمة.

وكانت مريم أسعد إنسانة فى الدنيا، فهى وراء قبولى فى هذه الوظيفة.. نعم هذا التعارف بصاحب الشركة جاء من خلال صديقتها، وهى التى فكرت وخطت لهذا التعارف، ووضعت النهاية الناجحة بإتمام الموضوع.. وذات يوم جاءتنى مريم، وأبلغتنى أنها تريد أن تعمل خارج مصر، لتدخر مبلغاً من المال استعداداً للزواج.. وكانت العلاقة بيننا تنمو وتسير فى هذا الخط، وأصبح هذا الموضوع بالنسبة لى حيويًا، وأخذته بجدية وطريقة عملية.

والحق يقال أن مريم تحبنى الحب الحقيقى، بل "الجنونى" وتحملت معى كثيرًا.. لقد وقفت بجانبى فى موضوع الضرب وقفة مخلصه.. وقفة رجال، وأهم من هذا وذاك أننى ربيتها بنفسى، ولا شىء عنها يخفى على ولا أعرفه..

أنا الرجل الأول والوحيد في حياتها، وبالنسبة لى، فإن هذا الأمر بالغ الأهمية.. وكنت أتمسك بتقاليد وطباع الرجل الشرقى، وكان هذا يسعدها.. وبعد محاورات ومناقشات، وافقت على شرط ألا تزيد التجربة عن سنة واحدة فقط لاغير، تدخر خلالها ما تدخره، وينتهى الأمر.

سافرت مريم وبدأت العمل بعقد لمدة عام، ولم تعترض أُمى، فهي بكل صراحة تحبها وتتق فيها، وتقدر موقفها البطولى معى فى كارثة الضرب أو الإدمان.. ولم يكن والدى طرفاً فى هذه الموضوعات نهائياً.. لقد رأى عشرات البنات معى.. أشكالاً وألواناً.. بنات مصريات، وبنات أجنبيات، ولم يركز أبداً فى صداقاتى وعلاقاتى.. فقط يعرف أسماء بعضهن من خلال الاتصالات التليفونية، وعندما يرى إحداهن، يناديها باسم آخر؛ مما يسبب لى مشكلات كثيرة، وكثيراً ما قلت له:

- مش لازم يعنى يدقق فى موضوع الأسماء.. مريم تقول لها يا هالة، ونانسى تناديها باسم راندا.. يا سيدى كفاية تقول: إزبك وخلص.

ومنذ عودتى من أمريكا، لم أر أخى كريم أكثر من مرتين أو ثلاث.. وهو عند رايه أننى شاب مدلل، وأن أهلى هم السبب المباشر فيما أنا فيه.. والحديث بيننا لا يتجاوز السلامة والأخبار العامة.. وهو كعادته لا يتابع تفاصيل الأحوال الأسرية.. كل شىء من بعيد.. لبعيد.. وساهم فى هذا سفرياته المتكررة إلى إنجلترا للعمل، والدراسة.

بعد العمل لمدة شهرين أو أكثر قليلا فى مجال السياحة.. بدأت الاهتمام بمتابعة التوكيلات، التى وقّعنا عليها مع الشركات العالمية، وأعجبنى هذا العمل، أتقنته وأحببته.. حقا إنه عمل جميل.. وتذكرت عندما كنت فى أمريكا، أنه قد ظهرت موضة "كاسكيتات" اللعبة الشهيرة "بيس بول"، وسيطرت هذه الموضة على كل الأسواق باكتساح، واقترحت على سيف فكرة استيراد كمية من هذه "الكاسكيتات" وبيعها للشركات السياحية فى الغردقة وفى شرم الشيخ، والاستفادة

بها فى الإعلان والدعاية عن شركتنا، وغيرها من المشروعات فى المجالات المختلفة.. نالت الفكرة إعجاب سيف، وبأخلاقه الرفيعة قرر أن أنفذها لحسابى الخاص؛ لأن الفكرة فكرتى، ولكننا بدأنا معا نناقش الكمية التى نستوردها كبداية، ولمن نبيعها.

وبعد أن أطمأنت أُمى على استقرار حالتى الصحية، واهتمامى بالعمل، توقفت عن إعطائى دواء التريكسان، وعادت إلى التركيز فى محاضراتها، والطلبة، والامتحانات والتصحيح، والكونترول، وانتظمت رولا أيضًا فى عملها، كما سافرت مريم وبدأت العمل.. ولكن لم يفتها الاتصال بى ومعرفة أخبارى ومحادثتى عن أخبارها، وفى يوم من الأيام.. قالت فى أحد اتصالاتها:

- الحاجة الوحيدة اللى مصبرانى على السفر، هى الفلوس اللى بدأت أحوشها؛ علشان اشترى أجمل "فيرنيتشر" لبيتنا.. أنا نفسى ببقى أحلى بيت فى الدنيا.
- والله وحشيتىنى يا مريم.. بجد وحشيتىنى.

لقد بدأت أشعر فى عدم وجود مريم معى، بأن هناك شيئًا ما ينقصنى.. عواطفى ومشاعرى كلها تتحرك فى اتجاه مستقبلنا معًا.. وفى تلك الفترة، تقدمنا فى عملنا، وكنت أسافر كل أسبوعين إلى شرم الشيخ أو الغردقة.. والتجهيزات لاستلام المقر الجديد تسير من حسن إلى أحسن، وتلقينا أول مجموعة من "الكاسكيتات".. وفكرت أن أحكى لوالدى عن الفكرة وأناقشها معه، وفى يوم قلت له:

- يا بابا.. أنا استوردت "بيس بول هاتس".
- يا ابنى.. إبعِد عَنى.. "بيس بول هاتس" إيه بس؟ مين ده اللى يشتريها منك؟!
- ناس كثير جدًا.. تخيل يا بابا.. أنا طلبت و عملت اتفاق على كام واحدة؟!
- ما أعرفش.
- تخيل كده؟!

\* أثاث.

- 100 أو 200.

- 1400، وكلهم إتباعوا.. وكمان اتباعوا قبل ما يتشحنوا.

- بقول لك إيه يا صلاح.. إنت خلاص اتجننت.. عندي مشروع لازم أخلّصه، وأقدمه خلال يومين.. إطلع برّه، وأقفل الباب وراك.

تمنيت أن يمنحني دقائق ليناقشني أو يُشجّعني.. ولم يحدث.. لم يصدق والدي الرقم، ولكنه صدّق عندما وصلت الكاسكيتات، وتسلمت مكسبي من بيعها، وأنفقت المبلغ كله، كما أنفقت غيره من قبل.

استمرت الحياة هادئة وبلا مشكلات لأسابيع معدودة.. شغل، سهر، خروج، شرب ويسكى، بيرة، حشيش، بانجو.. وذات يوم ذهبت إلى المكتب، وعندما وقفت بسيارتي، فوجئت بمن يفتح بابها.. يا إلهي!! من؟! - رامي.. ريكو!!

- كِذه يا صاصو؟! إنت طلعت ندل.. سمعت إنك رجعت من أمريكا.. ولا تقول، ولا تسأل؟  
- عندك حق يا ريكو.. والله مش عارف أقولك إيه؟  
- إنت جاي هنا ليه؟

- اشتغلت في العمارة دي.. اشتغلت في شركة سياحة، يومين هنا، ويومين في شرم، ويومين في الغردقة.. إنت أخبارك إيه يا ريكو؟  
- أنا لسه خارج من المستشفى.

- شكلك كويس.. وشك رادد، ووزنك زاد، وزى الفل.  
- وإنت كمان يا خويا.. وإيه العريبات الحلوة دي؟! بأقولك إيه ها امشي العيال اللي معايا دول وراجع لك حالاً.



لقد افتقدت رامي.. ياااه.. "واحشنى جدا".. إنه أكثر صديق أحبه..

ورجع رامي، وحكى لى عن نفسه:

- لَطُشْتُ مَعَايَا الْفِتْرَةِ الَّتِي فَاتَتْ.. جَالِي فَيْرُوس "سى"، دَا غَيْرِ إِنْسِي إِتْمَسَكْتُ  
مَرَّتَيْنِ.. مَرَّةً وَأَنَا خَارِجٌ مِنْ عِنْدِ فِتْوَح، وَالثَّانِيَةَ عِنْدَ حَسُونَةَ، وَاحِدَةً عَرَفْنَا  
نِلاَقِي لَهَا حَلَّ، وَالثَّانِيَةَ أَتَعْمَلُ لِي فِيهَا قَضِيَّةً تَعَاظِي، وَالْحَكْمُ فِيهَا الشُّهُرُ الْجَائِي..  
رَبَّنَا يَسْتَر.. أَنَا قَلْقَانٌ جَدَا، وَأَبُويَا بِيَعْمَلُ مَحَاوَلَاتٍ مَسْتَمِيَّةً مَعَ الْمُحَامِيْنَ.. وَإِنْتَ  
يَا صِلَاحُ عَمِلْتَ إِيهَ فِي أَمْرِيكَ؟ وَإِيهِ الَّتِي رَجَعْتَ؟  
- أَنَا بَرِضَةٌ شَفَّتْ أَيَّامَ بِنْتِ "....." بِسِ الْحَمْدِ لِلَّهِ رَبَّنَا سَتَرَهَا.

عيون قارئ



## فى بيتنا "...."

تحدثنا ونحن فى السيارة لأكثر من ساعة، ومر الوقت لطيفاً وهادئاً،  
نتكلم ونحكى ذكرياتنا ونضحك.. وفجأة قال رامى:  
- أنا ها اموت وأضرب.. أنا مش عاوز أبقى شيطان.. بس بصراحة القرد بينط  
جُوّه دماغى، ومش عارف أعمل إيه!!؟  
قلت فى ثانية ودون تردد:

- نَشْتَرِي مِن مِين؟  
- أنا سمعتُ أن أم شادية شغالة.  
- مين دى؟ أصل أنا برة الملعب من فترة طويلة.  
- دى يا سيدى صديقة الطلبة، بُوذرة ولُعة، ورُخيسة كمان.. إنت شكاك مِظَبُّط  
اليومين دُول، ومُعاك قَرَشِين حَلْوِين.  
- ما إنت فاهم.. لما بقعد شوية من غير ما اضرب الدنيا بِنَتَطَبُّط.. ياللا نطلع  
على أم شادية.. هى فين؟  
- قَرِيْبَة.. فى الكيت كات.

انطلقنا إلى "الكيت كات"، واشترينا "لُوكُشَه"، لكل واحد فينا.. ولأننى  
لم أضرب منذ فترة.. فأى شىء يكون له مفعوله القوى.. وبالنسبة لصدىقى  
رامى، جسمه نظيف بعد خروجه من المستشفى.

كانت "دماغ" حلوة.. خصوصاً عندما تكون خالية من المشكلات..  
وقضينا اليوم كله معاً، من الساعة الواحدة إلى الساعة الحادية عشر مساءً،

واتفقنا على اللقاء فى اليوم التالى فى مكتبى.. وعندما رجعت بيتى، من حسن حظى.. وجدتهم جميعا نائمين وبالتالى لم أواجه أى مشكلة.. ودخلت غرفتى باطمئنان، وهم أيضا مطمئنون لانتظامى فى العمل والسفر.. ناموا جميعا، وكل شىء تمام.. وفى اليوم التالى جاءنى رامى، وسألته:

- "إتهرشت" يا ريكو؟

- لأ.. وإنت؟

- لأ.. كانوا نائمين.

ولم نستطع البقاء فى المكتب أكثر من دقائق معدودة، وقلت للسكرتيرة:

- أنا رايح مشوار يا حنان، وراجع كمان شوية، ولما سيف يسأل عنى، قولى له فى شغل بره.

فقال حنان مداعبة:

- شغل برضة.. ماشى يا باشا.

إنها فتاة ذكية وجميلة، تعمل بكل إخلاص، ولكثرة مراسلاتى واتصالاتى، كنت الوحيد الذى يضغط كثيرا لإنجاز العمل.. والمسكينة تشعر بالإرهاق.

ولم أمر بأزمات مالية؛ فالأموال التى كونتها فى رحلة أمريكا، اشترت بمبلغ منها السيارة، ووضعت البقية فى البنك، وكلما احتجت إلى مبلغ من المال، أسحبه من البنك، وأذهب مع رامى تشتري ونضرب.. وبعد يومين انكشف رامى، ولم أقترب من بيته.. كنت أخشى أن يرانى والده، ويكتشف أمرى أنا الآخر. فقدت وزنى خلال أول أسبوعين، وأصبح الأمر واضحا، ولم يكن خافيا على أمى أننى عاودت الضرب، ورولا أيضا كشفتنى.. فقالت لى أمى:

- وزينى دراعك.

- لأ.. مش ها اوزيكى.

\* انكشفت.

- بلاش.. بس إنت لازم تاخد تريكسان تانى.
- وايه المشكلة؟! أخد تريكسان تانى.
- يعنى أجيب الدواء دلوقت؟
- لا.. دلوقت مش هينفع.
- أمال إمتى ينفع؟
- كمان 3 أيام.
- وهتبتل إزاي التلات أيام دول؟
- أنا مسافر شرم الشيخ.. عندى شغل هناك، واحتمال أقعد أكثر من 3 أيام..
- أبطل وارجع أخد تريكسان على طول.
- هتسافر إمتى؟
- بكره الصبح.

وبدا فيضان الكذب.. لم يكن فى خطتى السفر، إنما قررت أن أخترع هذه الفكرة؛ لأخرج من هذا المأزق، ثم فكرت فى هذه الورطة الجديدة، وقلت لنفسى: ولم لا أسافر لمدة ما؟ فعلا سافرت إلى شرم الشيخ، وأخذت معى كمية بُوذرة رهيبه.. كمية تكفى لمدة شهر، ولكننى انتهيت منها خلال أسبوع، وكنت أضرب صباحا، وظهرا وليلا.. وبدأت عملية البحث عن البُوذرة بإصرار، إلى أن وجدتها مع البدو.. بُوذرة نظيفة ورخيصة وبعد أن فقدت كل أموالى وأنفقتها لأخر مليم.. لم يكن هناك حل إلا العودة إلى القاهرة لمدة يوم.. أسحب مبلغا من أموالى فى البنك، وأقابل سيف فى المكتب، وأقنعه بأننى أعمل بهمة، وأعد لزيارة يقوم بها هناك، ويرى كل شىء بنفسه على الطبيعة.. وصدقنى على الفور.. وهذه أخلاقياته؛ فهو لا يتصور أننى أكذب، وهو يلمس نشاطاتى، ويعترف بقدراتى ومهارتى فى التسويق، ولم يناقشنى، لكنه سألنى:

- إنت مالك يا صلاح.. خاسس كدا ليه؟
- مش بأكُل كويس، وطول اليوم أستغل، وأسهر بالليل.

- ماشى يا سيدى.. بس ما تطولش.. علشان أنا عايز أطلع شرم أول ما انت ترجع.

كلمت أمى من شرم الشيخ لاطمئنتها أننى بخير، وأننى قررت تأجيل العودة لدراسة بناء فندق صغير، وسوف يشاركنى سيف فى المشروع، وأحتاج بعض الوقت لدراسته.. وكنت دائماً أتصل بها بعد استيقاظى مباشرة، وقبل الضرب لأنها تعرف تماماً صوتى بعد الضرب، وكيف يختلف عن صوتى الطبيعى.. ومثل هذه الاتصالات كانت تمر على خير.. وعرضت الفكرة نفسها على سيف، وأعجبته وشجعتنى على دراستها.. طلبت منه أن يتركنى لفترة أخرى فى شرم للانتهاء من دراسة المشروع.. وبالفعل تحولت للبحث عن الأماكن المناسبة لبناء فندق صغير، ودراسة أسعار الأراضى وتكاليف البناء، و عملت دراسة جدوى ممتازة..

سافرت ومعى 12 ألف جنيه، أنفقتها فى أقل من عشرة أيام.. طبعاً.. حضرة الباشا عاش فى أفخر الفنادق.. وكل يوم يضرب صباحاً، وظهراً، وليلاً.. وكل ما تبقى معى ألف جنيه فقط لاغير، وفى الوقت نفسه، تمكنت البؤثرة من جسمى، وأصبحت الجرعة أعلى.. أعلى.. أعلى.

رجعت إلى المكتب مباشرة.. وعندما رأتى سيف أصابه الفزع، فقال:

- إيه ذا يا صلاح؟! مالك عامل كدا ليه؟

استمر فيضان الكذب من شخص يضرب لمدة أسبوعين، ثلاث مرات

وأحياناً أربع مرات فى اليوم.. وقلت له:

- أنا عيَّان يا سيف، ومش عارف ها أجي الشغل إمتى؛ علشان لازم أروح أشوف الدكتور، وأعمل تحاليل.. وفى الأغلب عندى مشكلة فى الكبد.

- ألف سلامة، وطمئنى عليك.. أستريح تماماً، وما تقومش غير لما تبقى كويس.. مفيش حد هياخد مكانك فى الشغل لغاية ما تخف.

حقاً.. إن سيف إنسان شهم وغاية فى الرقى.. ولكن عيبه الوحيد إنه كان شديد الثراء.. ولأسباب مختلفة ضاعت ثروته كلها.. وأصبح يعتمد على ثروة صديقه بوسى، ينفق منها، ويتصرف وكأنه لورد، وبالتالي الشركة ليس بها الأموال التى نحتاجها للتمويل فى دفع مقدمات للفنادق وحجز الغرف، أو دفع ثمن الأجهزة التى تعاقدنا على شرائها.

خرجت من المكتب للذهاب إلى البيت.. لكننى أعرف جيداً أننى سأجد أمى، ورولاً.. وب نظرة واحدة سوف ينكشف أمرى، وما زال معى بُوثرة، وفضلت عدم العودة إلى البيت، وتجولت من شارع إلى آخر، أضرب فى السيارة، ثم أدخل أحد الفنادق واضرب.. حقيقة الأمر.. كنت أخاف العودة إلى بيتى، ولا أريد مواجهة أمى، ولا أستطيع ذلك.

رجعت البيت.. أنا خائف.. ذمى خائف.. كلى خائف.. وجدت أمى فى المطبخ، وأبى نائم، ورولاً فى غرفتها، وعندما رأتنى صرخت:

- يا دى المصيبة!!!

سمعتها أمى، وجاءت تجرى:

- فيه إيه يا رولا؟

إنها لم تشعر بخطواتى وعودتى إلى البيت، نظرت إلى وقال:

- دا اللى أنا كنت عاملة حسابيه.

- هنعمل إيه يا ماما؟

- إيه؟ فيه إيه بس؟ مالكم؟ أنا أخذت مرتين ثلاثة بس.

- إحنا لازم ندخلك مستشفى.

- مستشفى إيه بس يا ماما؟ أنا مش ها أروح مستشفى.. وبغدين المستشفيات

دى ما بتعملش حاجة، كل اللى أعرفهم ودخلوا المستشفيات ضربوا أول

ما خرجوا من المستشفى، وفيه ناس أصلاً بتضرب جوه المستشفيات.. مستشفى

لا.. لا.. لا.

- فِين سَنَطَبْتِكَ؟

- فِي الْعَرَبِيَّةِ.

- هَاتِ الْمِفْتَاحَ وَأَخْتِكَ تَنْزِلُ تَجِييبُهَا.

- مَا تَخَافُوشِ.. مَفِيشِ مَعَايَا بُودْرَةَ.. خَلَصْتَ.

أثناء حوارنا وصل الوالد.. سَلَمَ، وَبَصَ لِي، وَشَعَرَ بِمَوْجَاتِ الْكَهْرِبَاءِ فِي جَوْ الْبَيْتِ؛ خَاصَّةً وَقَدْ سَكَّتْنَا تَمَامًا بَعْدَ دُخُولِهِ.. وَجَّهَ إِلَيَّ الْكَلَامَ:

- حَمْدُ اللَّهِ عَلَى السَّلَامَةِ.

- اللَّهُ يَسَلِّمُكَ.

بَصَ لِي مَرَّةً أُخْرَى.. النَّظْرَةَ فَاحِصَةً وَلَهَا أَلْفَ مَعْنَى.. وَدَخَلَ غُرْفَتَهُ، وَاسْتَكْمَلْنَا حَدِيثَنَا:

- هَنِعْمِلْ إِيهْ يَا مَامَا؟

- مِشْ عَارِفَةٌ.. بَجْدُ مِشْ عَارِفَةٌ.

وَكَسَا وَجْهَيْهِمَا الذُّهُولَ، عِنْدَمَا دَخَلَ بَابَا عَلَيْنَا مَرَّةً أُخْرَى، وَفِي يَدِهِ كِتَابٌ.. إِنَّهُ كِتَابٌ "فِي بَيْنْتِنَا مَدْمَنٌ".. وَعَلَى غِلَافِ الْكِتَابِ صُورَةُ لِمَدْمَنٍ، وَاضِحٌ وَصَرِيحٌ.. وَقَالَ لِي:

- مِشْ إِنْتَ دَهْ؟

الموقف مؤلم وحزين، الوجوم واضح على الثلاثة.. قُلْتُ بِصَوْتٍ وَاهِنٍ وَضَعِيفٍ:

- لَأ.. مِشْ أَنَا.

- لَأ.. دَا إِنْتَ.

قالها، وخرج من الغرفة متجهاً إلى غرفته.

تمتمت لنفسى قائلاً:

- أَخِيرًا يَا بَابَا فِهْمْتِ؟ يَا سَاتِرْ!! كَانَ الْمَفْرُوضُ أَعْمَلُ إِيهْ عَلْشَانِ تَفْهَمْ؟! أَنَا مِنْ أَكْثَرِ مِنْ 15 سَنَةٍ بَاخُدُ مَخْدَرَاتِ.. وَمِنْ أَكْثَرِ مِنْ 10 سَنِينَ بَاخُدُ بُودْرَةَ.

نزلت من بيتى لإحضار الشنطة من العربية.. لكن أول ما نزلت قررت ألا أعود الى بيتى، وأخذت ورقة وقلماً من عربيتى، وكتبت: "أنا مش راجع البيت غير لما أبطل".. ثم وضعت الرسالة فى ظرف من أظرف الشركة، وأعطيت الظرف للبواب، وانطلقت بسيارتى، بينما وقفت أمى وبجانبها رولا فى الشرفة لمراقبة ماذا أفعل.

أعتقد أنهما لم يخطر فى تصورهما أننى لن أعود إلى البيت.. بل تصوروا أننى ذهبت لشراء المخدرات وسأعود مرة أخرى.. لم أعد، رغم أننى لم أكن أعرف إلى أين أذهب.. ذهبت إلى حسام ودعاء، وبعد قليل وصلت نانسى، ولم يتوقف الدق على الباب: واحد يدخل، وآخر يخرج، انزعجت جداً، وقلت:

- مش معقول يا دعاء.. بالطريقة دى البوليس جاى.. جاى!!

- قال الله، ولا فالك.

- كله بالعقل.. الدولاب وسبع جداً يا حسام.

- بأقولك إيه.. خايف.. إنزل.

- هو إيه يا حسام.. مش موضوع خايف.. وأنا فعلاً ها أنزل.. تعالى يا نانسى.

لم تصدق نانسى أذنيها، وكنت عندما أطلب من نانسى شيئاً تنفذه

فوراً.. وبلا تردد، نزلت ومعى نانسى، وعندما وصلنا إلى السيارة، سألتها:

- عندك لبس فوق؟

- لبس؟ هو إحنا رايحين فين؟

- رايحين شرم الشيخ.

- بجد؟ بجد.. مش مصدقة!!! أنا عندى شوية لبس فوق.

- طيب إطلعى هاتى لبسك، وما تقولىش لحد إننا مسافرين.. فاهمة واللاً؟

- حاضر.. دقيقة وأنزل.



عادت نانسى سريعاً، وقالت لى:

- على فكرة، أنا معايا تذكّرتين كُنت مِخبّياهم من دعاء.
- وأنا كمان معايا ثلاث تذاكر.. ها ابيع العربية، وناخد الفلوس.. ونطلع على شرم الشيخ.. ونشترى من هناك، البونزة هناك بالهبل..
- لأ.. العربية خسارة.. أنا بحبها أوى.
- إنتِ ها تُصايقيني، وتُقرّفينى من أولها واللا إيه؟! مالكيش دَعْوَة.
- خلاص.. اللّى إنتِ عايزه.

منذ شهور قليلة.. اشتريت السيارة بمبلغ 120 ألفاً، وانخفض ثمنها إلى 80 ألفاً، بعد إصابتها بخبطتين أو ثلاث.. من المستحيلات أن تستمر سيارة ضرب سليمه دون حوادث.

استمرت المفاوضات مع صاحب معرض السيارات، وأخيراً اتفقنا أخذ سيارة فيات 128 ومبلغ 60 ألف جنيه، وطلعنا فى السيارة الصغيرة على شرم الشيخ، وبعد يومين على دهب، ثم رجعنا إلى شرم الشيخ، ثم قضينا يومين فى طابا.. أى لفّ ودوران والسلام، وحضور حفلات فى الصحراء.. نسمع موسيقى، ونضرب بونزة.. وتصورت أن من الممكن أن تستمر الحياة بهذا الأسلوب، وذات صباح قررت أن أكلم أمى وأبى، وتركت لهما رسالة على "الأنسرنج ماشين":

- أنا فى الغردقة، ومِش ها ارجع دلوقت.. أنا مش ها ارجع غير لما أبقى كويس وسليم، أنا لازم أبعد عن جو الأصحاب نول، وأنا هنا فى أمان.. وما تخافيش يا رولا.. كله هيبقى كويس.. إطمئنى، فترة وأزمة وتعدى، وقولى لبابا مايزعلش منى، صلاح هيبقى كويس.

كنت أرى أن كريم ليس طرفاً فى هذه المواضع، وأنه لا يهتم، ولا فارق عنده أن يتابع أخبارنا أو يعرفها أصلاً.. وهذا غير صحيح.. الحقيقة أنه فقط لا يظهر اهتمامه.. هو إنسان هادىء، ويمكنه إخفاء مشاعره، ولم تكن

واضحة في يوم من الأيام، وليس من السهل معرفة ما يدور في عقله، ويجرى في أعماقه.

تجولت مع نانسي في سيناء، ومعنا 60 ألف جنيه، وفي خلال شهر واحد انخفض المبلغ إلى عشرين ألف جنيه، وأصبحت جرعة الضرب عالية.. والجديد في الأمر أنني أضرب وأكل، وكنت من قبل أضرب، وأتقيأ كل ما أكله، والعكس صحيح الآن، إذا لم أضرب أتقيأ طوال الوقت.

بعد أقل من شهر.. تبقى من المبلغ كله ألفا جنيه، وقررت العودة إلى القاهرة.. وتركت نانسي عند حسام ودعاء، وذهبت إلى بيتي، ولكنني ضربت بجرات عالية في الطريق، وكأني أحاول الانتحار، وأخيراً وقفت أمام باب بيتي.. طرقت الباب فقد ضاع مفتاحي.. كل شيء ضاع، وفتحت لي رولا، ووقعت بين ذراعيها، وقلت بصوت خافت يكاد يكون غير مسموع:

- أنا مش قادر يا رولا.. دخّليني أوضتي.

دون كلام.. الدموع وحدها تتكلم.. ساعدتني حتى أدخلتني غرفتي، وقالت:

- بابا وماما خرجوا.. معزومين على العشا..

ظلت بجانبى تبكي، وتكلمني وتسالني، وتشيل السجارة لما تقع من أيدي.. قلت:

- أنا لازم أبطل يا رولا.. من بكره أنا مش ها أنزل من البيت.. لا.. دا أنا مش ها اخرج من الأوضة.. اسمعي يا رولا، أنا اشتريت كام قزازه كودافين؛ علشان لما أتعب أشرب قزازه يمسكني.

يا حرام.. إنها لم تفهم كلمة واحدة مما أقوله، وإن كانت تحاول الفهم، وسألتنى:

- يعنى مش هتاخذ تانى؟

- لا.. مش ها آخذ، بس إنت ما ينفعش تسيبيني وحدي أبدا.

- مريم بتدور عليك.

- كلميها وخليها تيجي بكره الصبح.

بعد رجوع الوالد والوالدة، خرجت رولا من غرفتي.. ودخلت أمي

وقالت:

- إطمئن.. أنا أخذت أجازة.. وأنا وأختك ومريم.. مش هنتحرك من البيت.

ولم تكن هناك مشكلة في اليوم الأول.. يوم كئيب بالنسبة لى ولكنه

مرًا بسلام، وفي اليوم الثاني أصبح الموضوع أكثر صعوبة، والكودافين طعمه

لا يحتمل.. ولكنه يساعدى فى أن أتماسك بعض الشىء.. وكان معى شريطان

"أبو صليبية" حتى أستطيع النوم.. المشكلة أنه مصيبة لو أخذته فى الصباح، ولو

أخذته ليلا أنام ساعتين ثلاثة فقط.. وفى اليوم الثانى، ولأول مرة يكلمنى بابا فى

الموضوع، وأول جملة قالها لى:

- ما تخافش يا صلاح.. أنا ها اعمل كل حاجة فى الدنيا علشان تخف..

وعمري ما ها تخلى عنك.

شعرت أنه تفهم الوضع والمشكلة، وأنا "صعبان" عليه، وعندما

صارحتهم بأننى بعث السيارة، كان ردُّ الفعل هادئًا من الوالد:

- تيجى ألف عربية غيرها.. المهم.. إنت ترجع تانى.

ولم يتوقف كريم عن السؤال عنى، وأمى قالت له إننى مريض، ومن

المحتمل أن نضطر لعلاجه فى الخارج.. ومرت الأيام الثلاثة الأولى بصعوبة

بالغة.. عشت فى كابوس أسود فى اليوم الرابع.. الخامس.. أسبوع، وبعد عشرة

أيام بدأت أستعيد قواى، ورجعت مرة أخرى للدواء، وأخذت "تريكسان".. إنه

بمثابة طلقة رصاص تقتل القرد الذى يقفز فى دماغى قائلا: اضرب.. اضرب.

وبعد أسبوعين عدت إلى عملى، وبدأت أساعد سيف فى المكتب

الجديد.. إنه مكتب جميل وأنيق.. واستقرت الأحوال لمدة أسبوعين.. إلى أن بدأ

القرد ينط في دماغى، ويقنعنى بإخفاء "التريكسان" تحت لسانى، وبعد ثلاثة أيام، أرجع وأضرب مرة أخرى.

وذات صباح لم أذهب إلى العمل، ولكنى ذهبت إلى حسام، وقلت له:

- عايز أضرب يا حسام.

- معاك كام؟

- عايز كام؟

- 60 جنيه.

- ليه؟ إنت بتستهيل؟

- خلاص.. ما تزعلش.. هات 50 جنيه.

- خد.. ياللا خلصنى.

ضربت، وفي ثانية أصبحت في دنيا ثانية.. في عالم آخر.. وبدأت يدى

تمتد إلى أموال الشركة.. ولم تكن هذه هي المرة الأولى، ولكنها تتكرر الآن من

يوم إلى يوم، وأخذ من الخزينة.. ولا أحد يذرى، ولا أحد يعرف.. وأصلاً..

لم يكن سيف يدقق فى حساباته، ولا يعرفها جيداً، وكان هذا فى صالح خطتى

الشيطانية.

فى تلك الفترة أقتعتنى أمى بالذهاب إلى طبيب نفسى، وإرضاء لها، لم أمانع..

وفى أول جلسة سألتنى:

- عندك كام سنة؟

- بتضرب من أد ايه؟

- عايز تبطل ليه؟

- أكثر فترة بطلتها أد ايه؟

- بتأخذ مخدرات ليه؟

- آخر مرة أخذت مخدرات إمتى؟

- النهارده.

- إنتَ عارفَ مُشْكَلَتِكَ إِيهَ؟

- إِيهَ هِي مُشْكَلَتِي يَا دُكْتُورَ؟

وقف الدكتور، وخبطنى على صدري، وقال لى:

- إنتَ لازمَ تحبَ نَفْسَكَ.. غيرَ كذا عَمْرَكَ مَا هَتَبُطَل.

انصرفت من عند الطبيب، ولم أفهم شيئاً، وقررت ألا أزوره مرة

أخرى.. أنا ذهبت إليه لإرضاء أمي أولاً وأخيراً.

# عيون قارئ



## نداء رباني

وفى ذات يوم، كنت عند ماجد أحد أصدقاء حسام.. وهو من سكان مصر الجديدة، ويعمل فى جوازات المطار.. أحب شهامته، وهو يبادلنى المشاعر نفسها، ولأنه ضابط كنت أشعر بالأمان وأنا معه، وفى يوم كنا نجلس فى بيته.. وقال لى:

- إنت عارف إن أنا مسافر يوم الاثنين للحج؟

- مسافر فين؟!

- أحج.

- ما قُلتش ليه؟ أنا كمان عايز أحج.. كدا يا ماجد؟

- وأنا أعرف إزاي؟ عمرى ما خطر فى بالى إن فى دماغك تحج!!

- ينفع أسافر معاك؟

- تسافر معايا إزاي؟ النهارده التلات، وأنا مسافر الاثنين، وبعدين تأشيرات الحج إتقفلت خلاص.

- باقولك ايه.. أنا ها أتصرف.. أنا عايز تليفون.

- إتفضل.. أدي التليفون.

وعلى التليفون، دار الحوار التالى بينى وبين زوجة أخى كريم:

- إزيك يا رشا؟ وإزاي رنا ودنيا؟

- الحمد لله.. أخبارك ايه؟ من زمان ماشفناكش.

- أنا على طول مسافر، بس ها اعدى عليكم قريب إن شاء الله.. كريم موجود؟

- موجود.. ثانية واحدة.

- ألو.. إزيك يا صلاح؟

- تمام.. أخبارك إنت إيه؟
- ماشى الحال.. شغل كثير.
- ربنا معاك.. بأقولك إيه يا كريم.. عايز منك خدمة.
- خير.. عايز إيه؟
- عايز أسافر الحج.
- حج!! حج إيه!! العيد الأسبوع الجاي.. وباب التأشيرات إتقفل.
- يعنى ماينفعش تعمل أى محاولة مع صاحبك ".....".
- محاولة إيه؟ معيش خليها السنة الجاية، بس ترتبها قبلها بشوية.
- يعنى إنت مش عايز تساعدنى؟ ولا حتى تحاول!! هو أنا عمري ما أطلب منك حاجة وتعملها لى أبدا.. يا أخى ذا حج.. ولو جيت لى الفيزا هتأخذ عليها ثواب.
- بأقولك إيه يا صلاح.. إنت أخذت بالك النهارده بس إن فيه حج، وبتكلمنى كأنى أنا اللي بأعمل الفيزات، وبتعدين هتسافر إزاي؟ ومع مين؟ وحجز فنادق وطيران.. إنت فعلا اتجنت.
- لا يا سيدى، مالكش دعوة بكل ده.. أنا ها أسافر مع أصحابى.. طباط فى الداخلية، وعاملين ترتيبات لكل حاجة، أنا بس أجيب الفيزا.
- مش عارف أقول لك إيه، وأقنعك إزاي؟! مش هينفع السنة دى.. السنة الجاية وعليك خير.
- ماشى يا كريم.. مَشْكُرْ أوى.. سلام.
- وضعت السماعة، ورفعتها مره ثانية، وكلمت أمى:
- أيوا يا ماما.. أنا لسه قافل السنكّه مع كريم دلوقتِ حالا.. قلت له أنا عايز تأشيرة علشان أسافر أحج مع أصحابى.
- مين أصحابك؟

- طَبَّاطٌ فِي الدَّاخِلِيَّةِ.. ماجد، ظابطٌ فِي الجَوَازَاتِ، وَالوَفْدُ مَسَافِرُ يَوْمِ الاَتْنِيْنِ  
الجَايِ، وَأَنَا عَايِزُ أَسَافِرُ مَعَهُم.

- وَكَرِيْمٌ يَعْرِفُ يَحْلُ الْمَشْكَلَةَ دِي إِزَايِ؟

- عَن طَرِيقِ صَاحِبِهِ وَجَارِهِ "....." دِبْلُومَاسِي وَفِي القَنْصَلِيَّةِ.. لُو طَلَّبَهَا مِنْهُ  
هَيَعْمَلُهَا.. أَنَا مَتَأَكَّدُ إِنَّهُ يَقْدِرُ، وَطَبْعًا كَرِيْمٌ قَعْدُ يَتْرَبِيًّا وَقَالَ لِي مَا يَنْفَعُشْ،  
وَهُوَ إِنَّتَ مَا كُنْتَشْ عَارَفَ إِن فِيهِ حِجَّ إِلَّا النَّهَارِدِه.  
- أَنَا مِشْ فَاهِمَةٌ حَاجَةٌ مِنْكَ.

- بُصِّي يَا مَامَا.. الْحِجَّ بِالنَّسْبَةِ لِي فَرْصَةٌ.. أَنَا عَايِزُ أَبْطَلُ.. وَدَا أَكْيَدُ الْحَلِّ..  
بَسْ، كَرِيْمٌ، طَبْعًا قَفَّلَهَا فِي وِشْيِ.. هُوَ مِشْ عَايِزُ يَسَاعِدُنِي.. أَعْمَلُ إِيْهِ أَنَا  
دَلُوقَتِ؟

- طَيِّبُ إِنَّتِ كَلَّمْتِ أَخُوكَ فِي الشَّرْكَةِ؟

- لَّا.. كَلَّمْتَهُ فِي الْبَيْتِ.

- طَيِّبٌ.. عَشْرُ دَقَائِقَ وَكَلَّمْتِي.

أُمِّي الْوَحِيْدَةُ الَّتِي لَدِيهَا الْقُدْرَةُ عَلَى التَّأْتِيْرِ عَلَى كَرِيْمٍ، وَبَعْدَ عَشْرِ دَقَائِقَ

كَلَّمْتَهَا:

- مَامَا.. عَمَلْتِ إِيْهِ؟

- الْبَاسْتُورُ فِينِ؟

- فِي الْبَيْتِ.

- طَيِّبٌ تَعَالِ خُذِ الْبَاسْتُورَ وَصُورَتَيْنِ، وَوَصَلْتَهُمْ لِأَخُوكَ.. وَهُوَ وَعَدَنِي يَعْْمَلُ  
مُحَاوَلَةً.

أَسْرَعْتُ إِلَى بَيْتِ أَخِي، وَمَعِيَ جَوَازُ السَّفَرِ وَصُورَتَيْنِ، وَأَتَّصَلْتُ

بِزَوْجَةِ أَخِي رِشَا عَلَى الْإِنْتَرْنِيتِ:

- هَايِ يَا رِشَا.. إِنَّتِ صَاحِيَّةٌ؟!

- هَايِ يَا صِلَاحُ.. طَبْعًا صَاحِيَّةٌ.. السَّاعَةُ تِسْعَةٌ.. اطَّلَعِ.



كانت فرُصتي لرؤية رنا ودنيا.. لكنهما تعودتا النوم الساعة السابعة تماماً.. أعطيتها جواز السفر.. وبالطبع لم أجلس معها طويلاً.

فى اليوم التالى.. قابل كريم صديقه، الذى قَدَّمه إلى القنصل السعودى، والذى منحه التأشيرة، وقد كتب عليها "منحت بناءً على التعليمات" وأخذت تأشيرة السفر من كريم وقال لى:

- إنت الوحيد فى مصر اللى أخذت تأشيرة قبل الحج بأربع ايام.. ربنا يتقبل.. نفسى يتطل، وتتبدى حياة جديدة.

- يارب يا كريم.. أنا تعبت أوى، ونفسى أخلص من المصيبة اللى أنا فيها دى. على الفور اتصلت بصديقى ماجد، وقلت له، ودَّهْل فعلاً، وقال لى:

- وأنا مهمتى أحجز لك تذكرة الطائرة يا باشا.

سارت الإجراءات فى سلاسة مذهشة، وتم الحجز لى على الخطوط السعودية بالدرجة الاولى باعتبارى مع وفد الداخلية.. وصباح يوم السفر "ضربت" على أساس أنها المرة الأخيرة فى حياتى، وأخذت معى أكثر من زجاجة "كودافين" وشريط "أبو صليبة"؛ حتى أستطيع النوم ليلاً لمعرفتى الأكيدة بأننى سوف أعانى كثيراً فى أول يومين.

تأثر سيف عندما عرف نبأ سفرى فى التوقيت نفسه الذى يفتح فيه مكتب الشركة الجديد، خاصة وقد تحمل غيابى عن العمل مرات كثيرة.. ولأنه إنسان نبيل وطيب، كان دائماً يسامح ويتجاوز، لكن الحج بالذات كانت مفاجأة أسعدته من قلبه..

ولبينا الدعوة الإلهية، وذهبنا إلى الحج، وكانت رحلة مباركة عظيمة وكل خطوة سهلة، وكأننا نتحرك فى دائرة مضيئة بنور إلهى.

فى بداية الرحلة، شعرت بالتعب وكنت لا أنام إلا بصعوبة وساعد تناول الكودافين وحبات "أبو صليبة" على النوم، وكنت لا أراهما ولا أحتسبهما

مخدّرات، ولكنها أشياء مساعدة لإيقاف التعاطي، والحد من الألام التوقف  
وأعراض الانسحاب.

وكان إصرارنا جميعاً على الاستيقاظ فجرًا للصلاة، والحرص على  
أداء كل الصلوات في مواعيدها بدقة، غمرنا إحساس أكثر من رائع.. ما أروعها  
رحلة.. وكنا معروفين بفوج الضباط، وكنا نستقبل بالترحاب، ولنا معاملة خاصة  
ومتميزة في كل مكان.

المدينة المنورة جميلة ومنورة فعلاً، وبصراحة أحببتها جداً، وأحسست  
براحة نفسية عالية بين ربوعها.. صليت ودعوت كثيراً عند قبر الرسول صلى  
الله عليه وسلم، وشرح الله صدرى، ومثل اتساع السماء اتسعت آمالى فى النجاح  
والخروج من هذا النفق المظلم.  
وأتجهنا الى مكة..

ولبيك اللهم لبيك.. لبيك اللهم لبيك.  
ودخلنا فى أجواء الحج المباركة.. وغمرنى شعور جميل، هادىء  
ومريح، ورغم التعب الذى أشعر به، إلا أننى كنت أشعر أيضاً أن الله معى،  
وبجانبي ويسهلها لى.. ومررت بثلاثة مواقف فى أيام الحج، لن أنساها.. أبدا..  
أبدا.

### الموقف الأول:

كنت أطوف حول الكعبة، وشعرت بالعطش الشديد.. دقائق وفوجئت  
بسيدة مسنة تشبه جدتى، مسحت بيدها على كتفى برقة، وأعطتني كوب ماء  
زمزم، وبهدوء قالت لى:  
- اشرب، وادعنى.

أخذت الكوب منها وشربت ماء زمزم، ودعوت من قلبى:

"عايز أبطل".."عايز أبطل".."عايز أبطل"..

والثقت لكى أشكرها.. ولم أجدها.. بحثت عنها، لكنها اختلفت تماماً.. إنها جدتي.. أنا متأكد أنها جدتي لأمي، رحمة الله عليها.. إنها تشبهها جداً.. جداً.. وظللت أردد: الشبه غريب.. فعلاً تشبه جدتي، وإن كانت جدتي بالفعل.

### الموقف الثاني:

صحبتنا في الرحلة شيخ جليل وطيب.. كان يصلى بنا، وفي عرفات وبجانب جبل الرحمة، جلست إلى جواره، وحكيت له قصتي كلها مع التعاطي، وعن فشل محاولاتي في التوقف عن الضرب آلاف المرات، وبكل هدوء وسماحة وجه وصوت مطمئن ومريح جداً، قال الشيخ:

- لا تَخَفُ.. رَبِّكَ هَيْشُفِيكَ، بَسْ كُلَّهُ بِإِذْنِهِ.

- أفندم؟ أنا مبش فاهم.

- لا تخف.. ربك شافيك، بس كله بإذنه.

أعاد على مسمعي الكلمات ذاتها، لكنني في هذه المرة فهمته.. ووضع الشيخ الجليل يده على رأسي، وقرأ القرآن الكريم، وأكثر من ذكر الأذعية بينما أنا أبكي بحرقه، وسال العرق من كل مسام جلدي، واستمر يقرأ القرآن الكريم، ويقول أذعيته لمدة نصف ساعة كاملة.. وبعدها قال لي مرة أخرى، بنغمة صادقة وواثقة:

- لا تَخَفُ.. رَبِّكَ شَافِيكَ، بَسْ كُلَّهُ بِإِذْنِهِ.. قول آمين.

- آمين.. آمين.. آمين.

كان من الممكن أن أظل طوال اليوم أردد: آمين.. آمين.. آمين.. وتركتني الشيخ الجليل، وذهب إلى حال سبيله، ونمت على الأرض، ولأول مرة منذ زمنٍ طويلٍ أنام، ويغمرنى إحساس بالراحة والهدوء، والسكينة، والسلام.

يا سلام.. يا رحمة الخالق العظيم بعبدِهِ.

قمت من النوم وكأني نمت 12 ساعة مُتصلة، وأحسنت بأن كل شيء  
حولى تَغَيَّرَ.. رائع.. جميل.. وأنتى فى دائرة مضيئة.

### الموقف الثالث:

الحجر الأسود، كثيرا ما سمعت عن مدى صعوبة الوصول الى الحجر  
الأسود خلال أيام الحج، وقلت لنفسى: جَرِّب، واعْمَل محاولة.. أردت من أعماق  
قلبى أن ألمس الحجر الأسود، وأدعو الله.. رُبَمَا يستجيب لدعواتى.  
وفى لحظة تلقيت إشارة ربّانية، وأفاجأ بأن أجد نفسى مباشرة واقفاً أمام  
الحجر الأسود، ويأقل مجهود.. لم أصدق نفسى.. وقفت أمام الحجر الأسود  
مباشرة.. لمسته.. أمسكت به.. ودَعَوْتُ المولى عز وجل أن يشفينى، وأتوقف  
عن تعاطى المخدرات.. وطوال رحلة الحج شربت كمية هائلة من ماء زمزم..  
إنها وصية أمى، وكانت دائما تقول لى: "ماء زمزم لما شرب له". إنها تغسل  
وتنظف وتشفى.

بعد الاستجابة للدعوة الإلهية، والنداء الربانى.. بعد أداء مراسم الحج  
على أكمل وجه، سرحت طويلا وقلت لنفسى: الحمد لله.. لو أننى أعددت لهذه  
الرحلة.. رحلة الحج منذ شهور، لما كانت أجمل ولا أحلى أبدا.. أشكرك يارب.  
وتوجهنا إلى جدة قبل موعد الطائرة بيوم، وفى أحد الشوارع لمحت  
أحد الشباب، عيناى لا تخطئان هذا المنظر، إنه مدمن بكل تأكيد، وكان بيننا  
مغناطيسا يجذبنى إليه.. اتجهت إليه بخطى سريعة، لأسأله من أين؟ وفورا  
سحبنى ماجد من ذراعى بقوة قائلا:

- تعال يا صلاح.. يا اللآ نمشى من هنا حالا.

سمعت الكلام، ومشيت ومنظر الشاب لا يفارق عيناى.. ومن جدة  
اتصلت بالقاهرة، وكلمت حسام فى بيته فى حدائق المعادى، ولم أحصل على  
الرد.. رنين التليفون بلا رد.. جربت فى بيت العائلة، ربما تنجح المحاولة..

جاءنى صوت والدته:

- الو.. مين؟
- مساء الخير يا طنط.. أنا صلاح.. إزاي حضرتك؟
- إزيك يا صلاح.. إنت بتتكلم منين؟
- من السعودية يا طنط.. أنا كنت باحج.. حضرتك مش عارفة واللاً إيه؟!؟
- ألف مبروك.. ألف ألف مبروك.. إيه المفاجأة الحلوة دى؟
- الله يخليك يا طنط.
- دعيت لحسام؟
- طبعًا يا طنط.. وهى دى عايزة كلام.
- ربنا يهديكم.. ثانية واحدة.. حسام جنبى.
- مبروك الحج.
- الله يبارك فيك.. إنت بتعمل إيه عندك؟
- حاسبنى يا ماما.. مش عارف أتكلم.. بأقول لك إيه.. دعاء كلبوش.
- إزاي؟
- أم شادية سلمتها.. إبحار مش تعاطى.
- يا نهار إسود!! وبعدين؟!
- إنسى.. براءتها 15 سنة.
- إزاي الكلام ده حصل؟! دى مصيبة سودا!!
- لما ترجع أحكى لك.
- يا أقول لك إيه يا حسام.. إطلع لى على المطار.. وظنننى.. أظبطك.
- أسكت يا صاصو.. ذا فيه دُولاب فتح جديد.. إنما إيه.. حكاية بنت ".....".
- لا يا راجل.. فين؟
- الجعافرة.. قريب من كوم السمن.. أنت هتوصل إمتى؟

- إحنأ هَنُوصَل الساعأ 7:00 الصُبُح، المَطَار القَدِيم، لو مَفِيش معاك فلوس  
اطلع على يُسرى فى المَكْتَب، وَاخُذْ مِنْهُ 100 جَنِيه.. واطمئن أنا مَعَايا فلوس..  
كُنَّا مَعزومين فى كل مكان ندخلُه.
- ماشى يا معلم.
- سلام.. بأقولك إيه.. مَا تَتَأخُرْش.

# عيون قارئ



## دمار

عدت من الحج.. وعدت للتفكير في الضرب بأى شكل.. نسيت الحج،  
ونسيت الدعوات، ونسيت الصلاة. ونسيت الجدة العجوز.. ونسيت ماء زمزم..  
ونسيت عرفات.. ونسيت المدينة.. ونسيت الشيخ الجليل وكلامه.

- كيف نسيت كل هذا؟ كيف؟ لست أدري!!

وصلنا إلى المطار، ووجدت حسام في انتظاري بعد أن نفذ المطلوب  
بالحرف الواحد.. أخذ النقود من يسرى، واشترى، وجاءني المطار..  
وفي الطريق سألته:

- صحیح یا حسام، قل لی ایہ الیٰی حصل مع دعاء؟

- أسكت.. فيلم ابن "....." .. يوم وقفة عرفات راحت عند أم شادية.. فقالت لها  
بكره رايحة تزور أمها وتعيد عليها عشان العيد.. وطلبت من دعاء تُقعد مع  
عيالها في البيت، وقالت لها خدى 30 ورقة بيعيها، ولما أرجع خدى لك  
5 ورقات.. نصحتها.. بلاش تعمل كده عشان 5 ورقات، وقلت لها إنت هبلة  
وعبيطة، عشان 250 جنيه تزوحى فى الخديد.. قالت لى: 5 ورقات يرفعوا  
اللى ما يترفعش.. وصممت.. أنا مكنتش مستريح لليلم ده.. راحت، وغابت..  
قلت يمكن أم شادية اتأخرت عند أمها.. الكلام ده حصل الساعة 11:00 الصبح،  
والساعة 6:00 طلعت على هناك، وخبطت على الباب، فتحت لى شادية  
الصغيرة، وقالت لى الحكومة أخذت أبلة دعاء من هنا.

- وبعدين؟ دعاء ضاعت كده؟

- أنا ونانى رُحنا لها القسم.. متبهيلة.

- هتعمل لها إيه يا حسام؟

- ولا حاجة.. يعنى أعمل لها إيه؟ هى اللي حُمارة.

- على الأقل نجيب لها مُحامى.

- نانسى جابت لها محامى.. بس هو مش مُتفائل خالص، وقال هى مِتْسَلْمَة من

أم شادية.. واضنحة زى الشمس.

- فهمت.. دا شغل العيد يا معلم..

وكانت هذه هى نهاية دعاء.

وصلت إلى بيتى، وسلمت على بابا.. وقلت له إنى مرهق من رحلة

الحج، وعندى برد، ومن الأحسن أنام وأصحو وقتما أشاء.. صدقنى والدى..

لكن الحقيقة أن البوئرة كانت شديدة.. وفِعْلاً نمت، وبعدها صحوت، وشربت

سيجارة من سيجارة.. كنت نائمًا عندما جاءت أمى إلى غرفتى، ومن ورائها

رولا.. وسمعت نداءهما: "حمد لله على السلامة".." ومبروك".." قُمتُ مفزوعًا

وفى حالة هلع.. وقلت:

- إيه ده؟ أنا فين؟

كنت فى حلم جميل فى الحرم المكى.. بالقرب من الكعبة المشرفة،

وكاننى لازلت فى أيام الحج.. وبصوت ضعيف قلت لهما:

- ياه!! إيه ده؟ أنا فى البيت؟ يووووه.. دا أنا فاكر نفسى لِسْته فى الحرم وقُدَام

الكعبة.. أنا إيه اللى رجعتى؟

وضعت رولا يدها على جبينى وصرخت:

- ياه!!! إنت سُخْن.. إنت مَوْلَع.

- أنا حاسس إنى سُخْن.. أنا عيان يا ماما.

- طبيعى، معظم الناس بترجع من الحج عَيَّانة.

- احكى لنا عملت إيه؟

- مش قادر اتكلم يا رولا.. سيبنى أنام شوية، ولما أصحى أحكى لَكُمْ كُلَّ

حاجة.



- جبت ماء زَمْزَم.

- طبعا يا ماما.. يعنى هتطلبى حاجة وما اجبهاش!!

قالت رولا... ضاحكة:

- يا سلام.. يا سلام.. فاكِرْ نَفْسِكْ تَقْدِرْ تَأْكُلْ بِعَقْلِهَا حَلَاوَةٌ.. غيرك أشْطَر.

- سيونى أنام.

أحسست بارتفاع الحرارة، ودور أنفلونزا خطير، ومكثت فى البيت أربعة أيام.. وبعد التحسن البسيط وانخفاض الحرارة، صممت أمى أن تعطينى تريكسان مرة أخرى.

- يووووه! تريكسان تانى؟ ما خلاص يا ماما.

- والنبي يا صلاح.. علشان يخميك من نفسك.. إحننا ماصدقنا أن جسمك نضيف، وإنك اتحسنت شوية.

أخذت حبة التريكسان، وصممت أمى أن تعطيه لى فى الغسل، حتى لا أضحك عليها وأضعها تحت لسانى أو أرميها، أو أى حل جهنمى آخر.. أخذت الدواء ونزلت إلى الشركة، ومن بعيد رأيت "حسام" .. أنا حفظته، بمجرد أن أراه، أعرف هل هو ضارب أم لا؟ إنها عشرة سنين، أعرفه كما تعرفنى أمى من لون وجهى.. من صوتى.. من طريقيتى فى المشى.. من الهالات السوداء تحت عيني.. من أسلوبى فى الكلام.. اقترب حسام، جاءنى بخطى سريعة، لكنها متعثرة، وسألنى:

- إيه النظام؟

- تريكسان.

- إيه الأرف ده؟

- أمى اصطادتنى وأنا عيان.

- معاك فلوس؟

- امسك 30 جنيه.

- تسلم.. دى كانت متقلّة.

رجعت إلى الشركة وأنا أشعر بأنى أحسن حالا، وبعد رحلة الحج ولمدة عشرة أيام، ازداد خلالها وزنى، والفرق واضح.. واستقبلنى الكل بحرارة، وكان سيف سعيدًا برجوعى؛ لأن حجم العمل أصبح أكبر بعد افتتاح مقر الشركة الجديد، وبدأ أيضا تنفيذ فكرة الفندق الصغير.. كنت صاحب الفكرة وأعجبته وسارع بتنفيذها.

عدت إلى العمل بحماسة حقيقية، إلى أن طلب منى سيف السفر إلى شرم الشيخ لاستقبال فوج مهم بنفسى، واستلام المستحقات المالية.. وساد القلق فى بيتنا.. أمى لا تخفى قلقها أبدا، ورولا أيضا، وهذه الرحلة بالنسبة لهما مدعاة لقلق عظيم.. لكننى استطعت السيطرة على الموقف، وإشاعة الاطمئنان وهزيمة قلقهما، عندما قلت:

- أنا خلاص من ساعة ما رجعت من الحج وكله تمام.. الفيلم ده، خلاص انتهى، وغير كده أنا ناوى أقعد يومين مش أكثر.  
اختلف الموقف بالنسبة للوالد.. كان أمره غريبا، هو يرى أننى بخير، وكان هذا الموضوع لم يكن له وجود، وكل شىء منضبط، وصلاح أدى فريضة الحج ورجع بالسلامة، وهو ولد ممتاز وبالتأكيد تَغَيَّر، ولن يتعاطى المخدّرات مرة أخرى.

سافرت إلى شرم الشيخ، وفى انتظار انتهاء مفعول "التريكسان" بفارغ الصبر.. أريد أن أضرب.. متى، متى تمر الأيام؟! ومر اليوم الثانى ثم فى اليوم الثالث صحوت من النوم، ونزلت مسرعا إلى شراء البُوذرة من البدو، وضربت فعلا، وبقيت هناك يومين، ولم ينكشف أمرى بعد العودة من شرم الشيخ، لكن أمى أصرت على إعطائى "التريكسان" وطبعا اعترضت بشدة؛ بحجة أنه يتعبنى ويستنفد قواى، وقلت لها:

- لا يا ماما.. مش ها أخذ تريكسان تانى.. خلاص.. التريكسان بيهدنى.

ولم يكن هذا الكلام صحيحًا، ولكن المعروف أن الإكثار منه يتعب الكبد، ولعبت على هذا الوتر الحساس.. وقد سبق أن صممت أمي على إجراء تحاليل والذهاب إلى استشاري كبير في أمراض الكبد، وعالجنى بسبب الإكثار من تعاطي المخدرات والخمور، ونصح بالإقلاع عنها فورًا.

أجريت اتصالاً بحسام، وطلبت منه الذهاب معاً إلى الجعافرة.. المشوار طويل ويحتاج إلى سيارة.. لم أذهب إلى الشركة، ولكننا انطلقنا إلى مصر الجديدة، ثم إلى طريق زراعي، وسرنا داخل البلدة الصغيرة، بجوار ترعة إلى أن وصلنا إلى بيت صغير، صاحبه اسمه غانم، وبدأنا كلامنا بالتحيات:

- صباح الفل.

- أهلاً بالبهوات.

- هو الدُولاب شغال من الساعة كام لكام يا معلم؟

- تعال في أي وقت يا باشا، يا أنا موجود، يا واحد من إخواني.

- من إمتى إنت شغال يا غانم؟

- قبل العيد بكام يوم.. اتفضلوا يا بهوات.. اضربوا جُوا.

دخلنا غرفة كبيرة.. ليس بها إلا الحصير، وفي ركن منها برّاد شاي

وبعض أكواب المياه لتقديم الشاي.. وسألنا غانم:

- شاي يا بهوات؟ سكركم أد إيه؟

- ماشي.. سُكَّر زيادة.

اختفى غانم بعد إعداد الشاي، ولمدة خمس دقائق.. وَضَرَبْتُ أنا وحسام

السوستين، بعد أن تأكدت أنه عمل السوستين متشابهتين تماماً، لأن النَّصْب

أصبح عاليًا، وعاديًا.. وبدأت أتحدث مع حسام:

- بُصْ يا صاصو.. إحنا ضربنا نصْ تذكرة بس.

- لا يا راجل.. وَرَيْبِي الورقة كده.

- مش باقول لك.. ضربنا نصْ الورقة بس.

- غريبة!! دى بُوذرة سم.. بيور.. الموضوع ده فيه حاجة غلط يا حسام..  
الورقة دى على الأقل رُبْع جرام وتمنها 30 جنيه!! يعنى من 150 جنيه،  
لـ 30 جنيه؟! الفرق كبير جدًا.. وكمان مش مَطْحونة بأى حاجة، ولا عليها  
"أبو صليبة"، ولا نوفاسى، ولا بلا أزرُق.

- يا عم إنت زعلان ليه؟

- زعلان ليه!! أصتبر بس.. غانم جه.

عاد غانم ومعه تذكرة، أعطاها لى فى يدي قائلاً:

- دى واجب منى.

- يعنى أنا جيت لك 10 مرات قَبْل كِدا، وِعْمَرَك ما وَجَبْت معايا، إشمعنى  
وجبت مع صلاح؟

- الباشا أول مرة يَشْرَفْنِي، وقلنا نوجِب معاه.

- بَسَلِّم يا غانم.. مَرْتُوذْ لك يا مُعلم.. ياللا يا حسام.. نتكل إْحْنَا على الله،  
ونشوفك قريب.. سلام يا غانم.

- سلام يا بهوات.

انطلقت بنا السيارة وسرّخت طوال الطريق فى موضوع البُوذرة،  
وَأَسأل نفسى: ما هذه الكمية الغريبة؟ ولماذا يبيع بهذا الثمن الرخيص؟ ولماذا  
يبيع بُوذرة بيور؟ لم أذهب إلى الشركة.. وعدت إلى البيت.. ومنظرى وشكلى  
واضح ومكشوف مائة فى المائة.. ولم تتحمل أمى ومن غير كلام.. دخلت  
إلى غرفتها وقلت بابها.. وَعَزُّ على كثيرًا أن أراها بهذا الشكل.. إنها تتألم بكل  
تأكيد، وأنا أيضا.. دخلت إلى غرفتى، وقلت بابها.. ولم أر والدى، فهو  
لا يزال نائمًا.. أما أختى.. فقد تزوجت من مهندس بترول يعمل فى البحر  
الأحمر، تعيش معنا عندما يسافر، وفى أيام أجازته تستمر فى الاتصالات  
التليفونية كل ساعتين، وتأتى للاطمئنان علينا مرة فى اليوم على الأقل.

وبعد أن استجمعت أُمى قواها، جاءتني قائلة:

- مفيش شُرْب سجاير فى السرير.. مش ناقصة كمان تولع البيت.  
- حاضر.

- صدقتك.. برضة ضحكت على.. مش عارفة أعمل إيه؟

- أنا كنت محتاج المرأة دى.. صدقيني القرد اللي جوا دماغى مش بيسكت  
ولا بيهدأ.. جننى خلاص.

- القرد لازم يموت.. منك لأبوك.. أنا خلاص تعبت.

فى اليوم التالى ذهبت إلى المكتب ومعى البودرة، رغم أننى أضرب  
فى البيت قبل خروجى، وأنزل بسرعة.. وجمعتنى جلسة ودية مع سيف،  
تجاوزنا حول الارتباطات الجديدة، وخط سير العمل، وأيضًا تحدثنا فى أمور  
الحياة، وضحكنا طويلا.. إنه لا يعرف، ولم يتخيل أبدًا إننى أتعاطى المخدرات،  
وهو معجب بأفكارى المبتكرة، وقال لى:

- أنا قدمت على قرض من البنك، وأخذت موافقة عليه.. عايزك يا صلاح  
تروح البنك، وتركز معاهم لغاية ما نصرف القرض، إحنا محتاجين سيولة نقدية  
علشان الفندق.

أخذت منه كل التفاصيل، ولمدة أسبوع أذهب يوميًا إلى البنك، وأجلس  
أمام الجميع نصف نائم ونصف صاحى، ولم يلفت أحدهم نظرى، بأنه لا يجوز  
أن أبدو بهذا الشكل فى مكان عملهم بالبنك؛ فهم يضعون فى الاعتبار أننى أقوم  
بإجراءات لإنهاء القرض لشخصيات مهمة، وأيضًا يبدو من عنايتى باختيار  
ملابسى أننى أيضًا ابن عائلة محترمة.. ولكننى انكشفت تمامًا أمام العاملين فى  
البنك، وفى يوم قال لى مدير البنك بكل صراحة:

- إحنا خلاص خلصنا القرض، والتحصيل بكرة.. بس ياريت حَضْرَتِكَ تمام  
فى البيت علشان ماتجيش وتنام لنا فى البنك.. المنظر صعب شوية.

أبلغت سيف النبأ السعيد.. إنه إنجاز كبير.. وذهبت إلى الشركة:

- مبروك القرض يا سيف.

- ياااه.. أخيراً!!! إنت دلوقتِ تحوّل الفلوس، وأنا أسافر كام يوم شرم، نفسى أغطس وأريح نفسى من الدوشه اللى حصلت.. إنت لما اختفيت، أنا شيلت كل الشغل لوحدى.

- خلاص يا سيدى.. غوّضتْها لك، خلّصت القرض، وكمان ها اشيل الشغل كله فى المكتب.. ولا يهملك.

سافر سيف لمدة عشرة أيام، وتحول المكتب الجديد إلى مكان ضرب.. ظهر رامى مرة ثانية وأيضاً بهاء، وكان حسام يقضى معى كل الوقت، ونذهب إلى الجعافرة فى رحلات مكوكية.

ولم تعد أمى تتكلم معى فى الموضوع نهائياً.. كل ليلة أرجع لأجدها فى انتظار وصولى، وبعد أن تطمئن على عودتى، تدخل إلى غرفتها لتنام.. ومن وقت لآخر يُحاوِرُنّى والدى على أمل أن يأتى بنتيجة.

- يا صلاح، كده مش هينفع.. إنت لازم تتعالج، أنت كده هتدمر نفسك وتدمرنا معاك.. أنا خلاص مش عارف اشتغل، ولا عارف أركز فى أى حاجة.. أدخل مُستشفى.. نسفرك برّة.. نعمل أى حاجة.. بس الاستمرار بالطريقة دى.. مُستحيل.. دا اسمه إنتحار.

- فعلا عندك حق.. أنا كدا بانتحرج.. وبانتحر ببطء.. أنا خلاص باجهز خطة علشان أبطل، وادبني فرصة كام يوم، وأنا ها آجى أقول لك أنا ناوى على ايه.. بس ماتخفش.. الوضع ده مش ممكن يستمر.

كلامى يبدو مطمئناً، ولكننى فى أعماقى.. أعرف الحقيقة.. أعرف

حجم الكارثة..

قلت لنفسى:

- خلاص يا صلاح.. خلاص إنت خِلصت.. كل محاولات التبطيل والإقلاع عن التعاطى فشلت.. وحتى رحلة الحج لم تُثمر.. فشلت.. الحج كان المرفأ الأخير.. وضعت عليه كل آمالى.. وضيعتها.. وضيعت.

وبدأت أخذ الأموال من الشركة من غير حساب.. وبدأت أضرب على مدار اليوم.. ثلاث تذاكر.. وسيارتى "الأكسدام" مكسور وفانوس واحد مضىء، والأخر مكسور، والخبطات فى الصّاج فى كل مكان.. فى الباب، والرّفرف.. إنها عربية مدمن.. وتعرضت لحوادث كثيرة بالسيارة.. ولا عجب أن تصبح سيارتى بهذا الشكل، أضرب دون وعى أو تركيز.. والسيارة 128 أصبحت علامة واضحة وصريحة لسيارة صلاح المدمن.. ومع هذا لم أكن أريد الاعتراف أبداً بأننى مدمن.

فقدت وزنى.. وأصبحت مكشوفاً أمام يسرى العامل فى الشركة.. أيضاً حنان السكرتيرة فهمت الوضع المؤسف بسبب الأشكال الغريبة التى تتردد على المكتب، وكانت تصرفاتى كلها مريبة.. يا صلاح انكشف أمرك.. لدرجة حتى الحمار يفهم، والحل الأمل أن تغادر المكتب والشركة، ولا تحاول أن تواجه سيف.. أخرج من عنده ولا تُعد.

بعد أن تركت العمل مع سيف.. مرّت أمى بظروف صعبة.. فقدت عمها الذى كان بمثابة والدها، وكنت أصحبها الى المستشفى لزيارته قبيل رحيله ووداع الحياة.. وكثيراً ما سألت نفسى:

- أيهما أسوأ: المرض أو الوفاة.. أو حياتى بهذا الشكل؟

وكنت أتردد معها إلى بيت العائلة، وهناك يجتمع الأقارب لمناقشة التفاصيل بعد الوفاة، وكيفية رعاية أولاده، وذات ليلة ذهبت مع رولا

لاصطحاب أمى فى رحلة العودة إلى البيت، وكان معى بُوْثرة وسوسته وضعتها فى الشراب، وكنت أصلاً "ضارب"، لكننى تعودت أن أضرب أكثر من مرة فى اليوم.. وفى ثانية، دخلت الحمام، وضربت وخرجت منه فى حالة يُرثى لها، وأمام الأقارب جميعاً.. أصابهم الذهول، وسألوا:

- ماله صلاح؟

- فيه إيه؟

- عامل كدا ليه؟

- كان لسه واقف كويس!!

أجابت أمى باختصار شديد:

- دى مُصيبة ثانية، ووقعنا فيها.

ولم يعلق أحد بكلمة.. هل فهموا جميعاً؟ هل كانت الحقيقة معروفة، والمصيبة مكشوفة؟! لست أدري.. هل سكتوا ولم يعلقوا لأنه لا شىء يقال فى هذه الحالات؟ لا أعرف.. وأعرف أننى لم أحترم جلال الموقف، أو حرمة الموت.. أو.... أو.... أو....

وأعرف، وأشعر أننى لا أضرب لأضيف لى نفسى شيئاً ما، ولكننى أشعر بأننى أضرب وكاننى أنتقم من نفسى.. وفكرت كثيراً فى هذه الفترة فى الانتحار.. ثم إننى أجبن من أن أنتحر.. فوصل بى الحال والشعور بالأسى العميق، إلى أن أضرب وأنا أبكى.. أضرب والدموع تنهمر وتغسل وجهى، ولم أكن قادراً على إيقافها.

دخلت فى مرحلة جديدة، وبدأت أبيع كل ما عندى.. بعث الاستريو، بعث أكثر من ساعة، إلا الساعة التى أهداها لى الأمير فى السعودية.. تأملتُها



ألف مرة، ولكن لم تمتد إليها يدي لكي أبيعها.. إنها رمز للمبادئ والقيم  
الرفيعة.. ولكن أين المبادئ؟ وأين القيم؟

وبدأت اشترى بؤثرة من غانم في الجعافرة.. وأبيع لأصحابي بضعف  
الثن 60 جنيها بدلا من 30، حتى أحصل على المبلغ الذي يساعدني لشراء  
ما يكفي للضرب ثلاث وأحيانا أربع مرات في اليوم.. والمشكلة أن كل كمية  
لم تعد تكفي، وفي خلال أسبوع واحد فشل الدولار؛ لأنني أصبحت أضرب  
كل ما عندي.

لم أعد أرى رولا إلا باكية.. أمي واجمة، ولم تعد نفس الإنسانة، وكل  
شيء في حياتها تعرض لهزة زلزال مدمر.. كريم لم يعد يأتي لزيارتنا..  
بابا مهموم، واقترح أكثر من مرة أن يأخذني إلى المستشفى، فكنيت أقول:

- المستشفى، لا يمكن.. شريف لسه خارج من المستشفى من أسبوع واحد  
ورجع يضرب تاني.

وأضفت من تخيلي:

- أنا سمعت إن العلاج فيها بالكهرباء، وأعرف واحد دخل المستشفى للعلاج  
جَنُوه.. أنا هاسافر سقاجا ومش هارجع إلا لما جسمي يبقى نضيف، وارجع أخذ  
تريكسان.. هو ده الحل الوحيد.

كل يوم أسطوانة جديدة، وكل يوم الحالة أسوأ من اليوم السابق.. مريم  
فقدت والدها، وبعد وفاته بدلا من الوقوف بجانبها، كَلَّمَتْهَا بحدّة قائلاً:

- بِأَقُولُكَ إِيه.. مَالِيَشِ دَعْوَةٌ.. انزلي دلوقتِ حالا، وهاتي لي معاك 200 جنيه..  
اتصرفي يا مريم.. أنا تعبَانِ جدًّا، ولازم اشترى دواء.

وتترك مريم جلسة العزاء، وأراها هزيلة متشحة بالسواد، وأعطتني  
200 جنيه وانطلقنا بسيارتها الى الجعافرة، وأقنعتها أنني لا أخذ بؤدرة، ولكنه

دواء، وهو أيضًا من الممنوعات، لكنى مضطّر أن أخذه لأتوقف عن تعاطي  
البودرة.

أدخل عند غانم، واضرب، وأرجع إليها شخصية أخرى.. مُنتهى  
الحنان والحب، وأقبل يدها وأحدثها عن الزواج والبيت المشترك، والحياة معا  
بقية العمر.. وأى كلام.. وهى لا ترد، ولكنها لا تتوقف عن البكاء، وأقول لها:

- الله يرحم باباك.. كان راجل طيب.. تماسكى يا مريم.. العياط ما ينفعش..  
البقية فى حياتك.

لم تكن تبكى وفاة والدها، ولكنها تبكى على ما وصلت إليه، وقد كان  
أملها كبيرًا فى رحلة الحج، وأنها سوف تغيرنى.. تصورت أنه سيكتب لى  
الشفاء، وأرجع إلى مكانى الطبيعى.. ولكن هذا لم يحدث.. وفى بعض الأحيان  
كانت تزورنى فى البيت، وأطلب منها، وأتوسل إليها ألا تتركنى، وأتماسك  
بعض الوقت، وفجأة أقول لها:

- أنا داخل أخذ دُش علشان أرتاح شوية.

وأدخل الحمام، وأخرج منه إلى الشارع.. وأعود بعد ساعة أو ساعتين،  
فأجدها لازالت تجلس فى مكانها.. وتبكى.. وتسالنى باكية:

- وبعدين؟ أعمل إيه يا صلاح؟ قل لى أعمل إيه؟ مش عارفة خلاص.. أنا مش  
عارفة.

وأبذل جهدا فى محاولة مستمينة لتهدئتها، ولا تتوقف عن البكاء..

وأيام تمر من السيئ إلى الأسوأ.

## صفعة على الوجه

بدأت أمى تكره كل ما حولها.. كرهت مريم بلا ذنب.. وبدأت تلوم نفسها.. وتلوم والدى.. تلوم كريم.. تلوم رولا.. تلوم أصحابى، تلوم مريم.. إنها لم تعد قادرة على الاحتمال.. لم تعد هادئة كعادتها، وأصبحت سريعة الغضب والانفعال.. وقلت لنفسى: لا خلاص.. "ماما أعصابها فلتت".. لقد عانت، وتحملت فوق طاقتها، واليوم فقط فهمت معنى عبارة "انفلات الأعصاب".

وفى ليلة من الليالى، زارنى أحد الأصحاب، هو ضَرَّيب، وهى تفهم هذا جيداً.. تفهمه من أسلوب الكلام، من نظرات العينين.. من الهالات السوداء، ومع هذا، وبكل الصبر جلست تناقشه وتفكر معه فى الحلول، وهى تعرف أنها مناقشة بيزنطية، ولكنها تجرب وكلها أمل.. وخلال حديثهما اختفيت لدقائق معدودة أجهز السوست، وكنت على وشك الضرب، وأفاجأ بأمى تفتح باب الحمام، وأنا أمسك الحقنة فى يدي، وحاولت أن تأخذها منى.. فدفعتها بقوة لأخرج من الحمام، فضربتنى.. صفعتنى على وجهى، واستمرت فى محاولاتها لتأخذ الحقنة.. ولم تتجح.. فهذا هو المستحيل بالنسبة لى.. أمسكت يدها بقوة، فجاءتنى الصفعة الثانية، فدفعتها بعيداً عنى، فوقعت على المقعد، ورفعت صوتى، صرخت:

- مالكيش دعوة.. أنا عايز أضرب.. ابعدى عنى..

فتحت الباب، والحقنة في يدي، وأريد أن أضرب.. أريد هذا بشدة، ولا أدري ماذا فعلت، ولا أعرف إلى أين أتجه؟! إن مفتاح سيارتي في غرفتي.. سيارتي ذات المنظر العجيب.. الخططات في كل أجزائها، ولم يعد فيها شبر واحد سليم.. ظللت أجرى في الشارع، بعد أن أخفيت الحقنة في ملابسي.. جريت طويلاً حتى وجدت نفسي أمام إحدى دور العبادة.. دخلت الحمام، ضربت.. وخرجت.. تَلَقَّني الشارع وأكاد لا أعرف أين أنا بدقة، ولا أعرف مصيري، مشيت هائماً حتى وجدت نفسي على كورنيش النهر الخالد.. جلست أتأمل انسياب الماء في هدوء، وأتذكر جلساتي مع حسام أو غيره من الأصحاب "الضُرَّيبية"، كنا نضرب ونجلس بعدها في هدوء، لا نتكلم كثيراً، وإذا تكلمنا نندب حالنا ونتساءل عن مصيرنا، والمستقبل المجهول الذي ينتظرنا؛ لأننا نفتقد قوة الإرادة، ولا نستطيع التوقف عن التعاطي.

عدت إلى بيتي، ووجدت أمي جالسة أرضاً على وسادتها الخاصة في غرفة المعيشة، وفي لمح البصر، انحنيت على قدميها قائلاً:  
- أبوس رجلك يا ماما.. مش عايز أخد تاني.. أبوس رجلك.. أنا مش عارف أعمل إيه!

جلست على الأرض بجانبها.. أحاول تقبيل قدميها.. بكت وأخذتني بين ذراعيها.. ارتميت في أحضانها الغارقة في دموعها، وبصوت ضعيف وهامس قالت:

- أنا عارفة.. والله أنا فاهمة وغارقة.

دخلت غرفتي وكتبت لها رسالة.. مثل عشرات الرسائل السابقة..

مجرد وعود ولا تنفذ.

مر اليوم.. مثل غيره من الأيام، وأصبح الحصول على النقود أكثر صعوبة، وكل يوم أصعب من اليوم الذي يسبقه، وساد البيت حالة من الحزن والكآبة، كأننا فى ماتم.. كل منا فى غرفته، والشبابيك لا تفتح، والبيت مظلم وكئيب.. قاتم وحزين.. فى بيتنا شاب مدمن، يمكن أن يموت بين ثانية وأخرى. ارتفعت جرعتى وزادت بدرجة غير طبيعية، وبدلاً من ثلاث ورقات، أصبحت 5 ورقات.. ويزداد البيع عند غانم بكميات مذهلة، عدد الزبائن يزداد يوماً بعد يوم، وكأننا أمام مطعم فى أهم شوارع المهندسين.. السيارات تروح وتجىء غيرها، بصورة يصعب حصرها، وذات يوم سألته:

- زبائنيك كترُوا أوى يا غانم!! إزاي كده؟
- كل زيون بيحيب زيون يا صلاح.
- بس يا غانم البوثرة كده هاتخلص.
- لا.. ماتخافش.. الكمية اللي عندي كبيرة جداً.. دي عاوزه بلد تخلصها.
- للذرة دي؟!
- بس ربنا بيعد عنا الحكومة، أصل أنا شامم ريحة غُدر.
- هو أنت مش ميظبط وعامل حسابك واللا إيه؟
- طبعاً ميظبط ونص.. وعامل حسابي كمان.. ما تخفش.
- بس الريحة فاحت يا غانم.. إنت عارف ليه؟
- ليه؟
- علشان الكمية بتاعتك مش عادية.. بوثرة نضيفة ومش مضروبة، ورخيصة رخص التراب.. حاجة تقلق يا حسام؟

- ايه يا صلاح.. أنت عايز غانم يقلل الكمية واللا ايه؟
- لا يا حسام.. ولا تقلق.. الكمية هتفضل زي ما هي.. بس غانم لازم ياخذ باله، ويأمن نفسه شوية لأنها وسعت منه أوى.
- مشيت أنا وحسام بعد أن اشترينا.. فقلت لحسام:
- إنت عارف يا حسام، ايه الحكاية؟
- ايه الحكاية يا معلم؟
- البويزة دي بويزة صهاينة.. البويزة دي من إسرائيل.
- إسرائيل ايه يا عم إنت؟
- اسمع بس اللي بأقولك عليه.. البويزة دي نزلت البلد بالكميات دي، وبالرخص ده علشان الشباب يضرب بيها.. إنت شايف الزحمة عند غانم النهارده كانت عاملة إزاي؟ اللي ماضربش يضرب، واللى ضرب يضرب أكثر.. دي أرخص من الحشيش يا حسام.
- يا ابن "....."، جه في بالك الكلام ده إزاي؟
- مستحيل ينسوا حرب 73.. ضربناهم والنهارده بيرودها لنا.. بيدمرونا وبيدمروا البلد.. دي حرب يا معلم.
- تصدق.. معاك حق يا صلاح.. فعلا بويزة كتيرة أوى، ونضيفه كمان.. كمية كبيرة ورخيصة.. رخيصة جداً.. ده كمين.. كمين ابن ".....".
- أعمل سوستتين لأن الفيلم ده قوأنى.. وخلي بالك.. غانم مش فاضل عليه كثير.. هيقع قريب، وها أفكرك.
- رجعت إلى بيتي.. والحال كما هو عليه.. ظلام، كآبة عجيبة، أو متوقعة؛ فالمسكينة أمى أصبحت حياتها مضطربة، وهى سجينه غرفتها معظم

الوقت، وإذا خرجت ثقفل بابها بالمفتاح.. كل فرد في الأسرة يحرص على ممتلكاته الخاصة، والذى يخفى مَحْفَظَتَه في أماكن مختلفة، ورؤلا في بيتها.. وهكذا لم يعد هناك أى شيء تطوله يدي.

تحولت البوصلة واتجهت نحو مريم.. سحبت منها نقودًا كثيرة ادَّخَرَتها من عملها.. استوليت على مجهودها وعرقها في العمل.. في دقائق أو ثوانٍ معدودة أضيَّعته، وزاد الطين بلة استغلالها، الذى وصل إلى أبعد مدى، بدأت أخذ الذهب منها وأبيعه، وهى مستسلمة تمامًا.. فقط تبكى بكاء مرًا.

وفى يوم من الأيام، جاعنى صديقى شريف ومعه صاحبه فؤاد لأذهب معهما إلى غانم.. فأنا أعرف الطريق إليه، وهو حبيبى.. طَبَعًا غانم لم يكن حبيبى.. بالعكس كنت أكرهه، كراهية بلا حدود؛ لتقتى أنه عميل إسرائيلى.. وذهبت معهما، ودخلنا البلد كالمعتاد، ولكنى شعرت أن الجو مكهرب، شيء ما لا أدريه جعل الجو مختلفًا.. وخرج علينا عشرات من أطفال القرية، يصرخون ويجرون فى كل اتجاه، وكانت الصيحة المميزة: حكومة.. حكومة..

لم ندخل البلد فى اتجاه بيت غانم، ووقفنا بالسيارة بعيدًا، وفى اللحظة نفسها طلع لنا فجأة من وراء شجرة، واحد من الأولاد، الذين يبيعون البؤثرة فى بيت غانم، وقال لنا:

- أهلا يا بيه.. الدنيا مولعة من الصُّبح.. الحكومة مسكتُ غانم وإخواته.. عشر

عربيات أمن كانوا هنا.

- يعنى مقيش شغل؟

- عاوزين أد إيه؟

- 12 ورقة.

- دقيقة وراجع لك.

فى لمح البصر اختفى، ورجع بعد ثوان معدودة، ومعه 12 ورقة وأخذ الفلوس.. خطفها وطار، واختفى بين الشجر.. ومن بعيد استطعنا رؤية سيارة الشرطة، ولم نهتم.. فتحت ورقتين وجهزت السؤسته، وأعرض فؤاد قائلاً:  
- يا ابنى غلط كده.. إضرب ورقة.. ورقة.  
- مالكش دعوة.

ضربت، وكلاهما ضرب، وعندما أدار شريف السيارة لنعود من حيث أتينا.. انطلقت فجأة النيران علينا.. انهال الرصاص تجاهنا.. رصاص كثير بدرجة لم نكن نتوقعها، وأسرع شريف وجرى بسرعة خطيرة، ألقيت رأسى على الكنبة تفادياً للرصاص، ولم أستطع رفعها مرة أخرى، وفقدت الوعي بسبب الجرعة الكبيرة، حالة "أوفر دوز"، واستمر شريف يجرى بالسيارة بسرعة رهيبه، حتى نجح فى الهروب.. وفيما بعد عرفت أنه تم القبض على المئات فى ذلك اليوم، والكثير منهم أعرفه، وبعضهم من أصحابى.

ظللت فاقدًا الوعي حتى وصلنا إلى بيتى، ولم تكن عند شريف فرصة ليتوقف بسيارته فى محاولة لإفاقتى وإنقاذى.. وفى ظل هذه الظروف، المعروف والطبيعى بين الضريبة، أنه إذا مر أحدهم بمثل هذه الحالة، يفتح باب السيارة، ويلقى به خارجها وانتهى الأمر؛ لأنها مسئولية خطيرة، والموقف الذى مررت به مع ميدو ذات يوم، نادر الحدوث، ولا يتكرر.. وكان من الطبيعى جداً أن يفتح شريف باب سيارته، ويرمىنى فى أى مكان على الطريق، وينفض يديه من المسئولية.. لكن شريف رجل وعشرة عمر، ولم يفعل هذا، رغم أن صاحبه فؤاد الذى كان فى صحبتنا قال له، بدلاً من المرة، ثلاث مرات:

- نرّميه فى أى مكان.. نحذفه فى الطريق ونخلص.. لو قام يبقى كويس وله عُمر، لو مات يبقى إحنا برّه الليلة دى يا معلم.. المشرحة مش ناقصة قُتلة.

اختار شريف الموقف الرجولى، وصمم أن يأخذنى معه إلى بيته، وكان مصادفة أن أهله وقتها سافروا إلى مرسى مطروح، وفى البداية رسم خطة



للذهاب بي إلى المستشفى، ولم ينفذها لأنني أفقت بعد أن غمر رأسي بالمياه، وضربني على وجهي إلى أن أخذت أنفاسي، وأفقت قليلاً من الإغماء.. وهكذا أنقذته من هذه الورطة الخطيرة، فقال لي أمام باب عمارته:

- أنا أهلى سافروا النهارده مرسى مطروح.. أطلع عندي لغاية ما تقوء.

لم يكن لدى القدرة على الاعتراض أو الموافقة.. واعتبر سكوتي معناه الموافقة، وفعلاً خرجنا من السيارة، وطلعنا بيت شريف.. استندت على ذراعه، ومشى بجانبه صاحبه فؤاد.. وطبعاً منظرنا عجيب، بل مرعب.. وفي العمارة نفسها يسكن أقارب أبي، وابنهم الصغير عادل، وهو أصغر مني، وكان يعتبرني مثله الأعلى، إذ كان من أشد المعجبين بأسلوبي في اختيار ملابسى، وفي حبى للسفر، والسيارات، وعلاقتى العاطفية وصدقاتى مع البنات، ودائماً يفتخر بى أمام أصحابه، ويحكى لهم عنى، وعن مغامراتى، وفيما يبدو أن أحد أبناء العمارة رآنى فى تلك اللحظات البائسة، فأسرع بنشر النبا، وعرف عادل، وجاءنى مسرعاً عند شريف.

واستقبله شريف مرحباً:

- أهلاً يا عادل.. أخبارك إيه؟

- أنا كويس.. هو صلاح عندك؟

- أيوه موجود.. عندي فى الأوضة.. بس تعبنا شوية.

- ممكن أدخل أشوفة؟

- أه طبعاً.. تفضل.

- إزيك يا صلاح.. إنت كويس؟! أنا عادل.

وجدنى عادل فى السرير، شبه نائم، ولا أستطيع أن أفتح عيني،

وبصعوبة فتحتهما، وأعتقد أنى كنت أتكلم بصعوبة بالغة، وقلت له:

- إزيك يا عادل.. إنت عرفت إزاي إني هنا؟

- أصحابي قالوا لى.. مالك يا صلاح؟ فيك إيه؟

- لا.. لا مَفِيش حاجة.. ما أنا كويس أهو.

- شَكَّاك تَعْبَان أوى.

- وَلَا تَعْبَان وَلَا حَاجَة يا عادوول.

- طيب مِش عايز حاجة؟

- لا شكرا.. وَسَلَّم لى عَلَى أَهْلِكَ.. واحد.. واحد.

مشى عادل، أو هكذا تصورت، ولكنه خرج من الغرفة وجلس مع

شريف، وظل يبكى.. ويبكى، وأخيرا سأله:

- صلاح مِش طبيعى.. أَجِيب لُه دكتور؟ أعمل لُه إيه يا شريف؟

- ولا حاجة.. ما تبقاش خوَّاف كده.. هو بَسْ تَقَلَّها حَبَّتِين.

ظل عادل يبكى، وهو حائر بين أن يذهب إلى أهله وأن يشرح لهم

حالى، وبين السكوت وكتمان الخبر.. وأخيرا تماسك وقال:

- شريف، أنا فى بيتنا، ولو فيه أى حاجة مُمكن أَعْمَلُها.. أرجوك بقولنى بسرعة.

عدت إلى بيتنا فى اليوم القالى، ونشرت نبأ القبض على غانم وأخواته،

وبقدر أسفى على نهاية دولاب الجعافرة، بقدر سعادتى البالغة للقبض على

غانم.. هذا العميل الإسرائيلى.

ومن جديد بدأت مع حسام فى البحث عن مكان وطريق آخر، وذهبنا

إلى حى الأزهر، وعرفنا أحد الأصحاب على تاجر أقمشة فى الحسين، يبيع

البؤذرة.. لكن المشكلة أننا تعودنا جرعات عالية، وعلى بؤذرة نظيفة،

ورخيصة، ولم يعد هذا مُمكنًا.

### أول نوفمبر

لم تعد سيارتى صالحة للركوب.. أنهت عليها رحلات الجعافرة

والحوادث الكثيرة، وأصبحت التنقلات بالأتوبيس والتاكسى.. ولم أعد أجد حلاً

للحصول على النقود، ورأيت الدنيا سوداء بلا شعاع ضوء واحد.. الليالى

طويلة، وفي الصباح لا أدري ماذا أفعل.. لقد سلكت كل الطرق وفكرت أكسر باب غرفة أمي.. يا إلهي، هل وصل بي الحال إلى هذه الدرجة؟! أيام زمان كنت أفكر قبل الإقدام على أي عمل خطير، واسأل نفسي:

- أسرق إزاي؟ معقول؟ طيب إمتي؟ وأسرق إيه ومين؟ إزاي ما حدش يكتشف؟  
مرة طبق فضة.. مرة فيديو.. مرة ساعة.. مرة سجادة من المخزن.. ومرة أنبوبة بوتاجاز.. أي شيء يمكن بيعه.

وفي يوم أخذت بدلتين من بدل بابا الشنوي، وقررت نروح أنا وحسام نبيعهم في الحسين، وفي الشارع قابلنا والدة حسام، وسألتنا:

- رايحين على فين بالبذل دي؟

- رايحين نوذيها التتضيف.

اختلف الوضع الآن، ولم أعد أفكر: متى أسرق.. وماذا أسرق.. ولو عرفوا.. لو اكتشفوا.. لا بهم..

ولم يكن أحد في البيت.. فقررت أن أكسر باب غرفة أمي، وبعد أن كسرت الباب، كسرت الدولاب، واكتشفت أنها غيرت أماكن المجوهرات ووضعتها في شنطة صغيرة ولها مفتاح أيضا، ووقفت أمام الدولاب المكسور، والشنطة المليئة بالمجوهرات.. وفتت أفكر: أمامي عدة اختيارات: سبائك ذهب، أساور ذهب، ساعات، كاميرا في الدولاب.. وبينما أنا في حيرة.. أفكر فيما أخذه، وجدت بابا يقف أمام باب الغرفة، وسألني:

- بتعمل إيه؟

- بصلح الدولاب.. أصله مكسور.

طبعاً.. كلام فارغ لا يدخل العقل ولا يصدق، فقال:

- دولاب إيه اللي أنت بتصلحه؟! إنت خلاص وصلت للمرحلة دي؟

- مرحلة إيه بس؟

- اسمع.. أنا هنا اسيب لك البيت، وأروح أقعد عند أهلى.. خلاص، إعمل اللي إنت عايزه.. بيع كل حاجة.. دمر البيت علشان تستريح.. أنا نازل.

فعلا.. فتح بابا الباب، خرج وتركنى وحدى.. نعم وحدى تمامًا، ولا أعرف ماذا أفعل بنفسى؟ طبعا أنا فقدت عقلى.. لقد جننت.. وجلست على أقرب كرسي.. أبكى، وأبكى، وأتجوّل بعينى فى كل ركن فى البيت، وأتخيل أننى فعلا سأبيع كل شىء.. هل أنا فعلا وصلت إلى هذه المرحلة؟

هل يصبح بيتنا مثل البيوت التى دخلتها ولم أجد فيها إلا السرير، وفى بعضها لم أجد السرير.. لقد فعلنا هذا فى بيت حسام فى حدائق المعادى.. بعنا كل شىء، حتى أبواب الغرف بعناها.. لم يعد هناك أى شىء فى ذلك البيت. اقتحمت غرفة أمى مرة ثانية، وأخذت غوايش ذهب، ونزلت بسرعة، وقابلت حسام، وقلت له:

- ياللا بينا على الحسين، نفور دُول ونضرب.

- جبتهم إزاي دُول؟

- ولا حاجة.. كسرت دُولاب أمى.

وهناك فى محلات الحسين، بعنا الذهب، واشترينا البوذرة وقعدنا نضرب.. والمشكلة أن البوذرة مهما كانت كثيرة لم تعد كافية، والمشكلة الأخرى أننا نضرب على مدار اليوم، ابتداء من الصباح، إلى آخر الليل دون توقّف.. وثمان بيع الغوايش انتهى عن آخره بعد أيام قليلة.. لم تعد معنا سيارات، وكنا نضرب فى التاكسى، ونضطر أن ندفع إلى السائق، ليسمح لنا بالضرب ونحن على الطريق.

أمى أصلحت باب غرفتها، وعملت له قفل كبير، ولم تعد تخرج من البيت.. وكل يوم تزورها رولا مرتين، وأحيانا ثلاث وأربع مرات، والدى أيضا لم يعد يخرج من البيت.. ظل حبيسا فى غرفة المكتب، يخرج منها إلى المطبخ، أو إلى الحمام.. ومن الحمام إلى غرفة النوم.

وتوقفت الخلافات أو المشاحنات أو المناقشات الحادة بين الوالد والوالدة.. وأعتقد أن كل واحد منهما كان يشعر بالذنب، ويشعر أنه السبب فيما حدث لي.. وفضلت والدي أن ينتقل إلى غرفة نوم مستقلة.. فقد كان يخشى أن يتحمل مسؤولية ما أفعله في غرفة نوم أمي، وبالذات بعد الموقف الذي رآه بنفسه، وأن كل مايقع تحت يدي أستولى عليه وأبيعه.

في واقع الأمر.. الوالد رجل طيب، وبعيد كل البعد عن أفلام التخريب والممنوعات والمخدرات.. كانت تفوق كل تصوراته.. وأخيرا اجتمعت العائلة كلها معاً، وحضر الاجتماع العائلي: بابا، ماما، رولا وكريم، وكانت هذه أول مرة يتكلم فيها أخي كريم معي في هذا الموضوع:

- وبعدين يا صلاح.. أخرتُها إيه؟

- أخرتُها خير إن شاء الله.

- خير إزاي مع اللي إنت بتعمله ده؟ إنت عارف يا صلاح.. إنت مالكش غير

حل واحد.. "زمالة المدمنين المجهولين"

- أفندم!!

عاد كريم وكرر الجملة نفسها مرة أخرى..

- اجتماعات "المدمنين المجهولين" و"برنامج الانتاشر" خطوة "

- أنا مبش فاهم إنت بتقول إيه؟! إنت عارف الحل عندي إيه؟! هما 500 جنيه،

وكل المشاكل تتحل..

انتهت الجلسة مثل غيرها من الجلسات، وأنا رفضت كل الرفض

الذهاب إلى المستشفى؛ بحجة أن "فلان" دخل المستشفى 7 مرات و"فلان" دخل

3 مرات، و"علان" خرج من أسبوع، وضرب مرة ثانية.

---

\* زمالة المدمنين المجهولين Narcotics Anonymous World Services, Inc. صاحبة حقوق نشر المادة العلمية الواقعية عن المدمنين المجهولين وولفت على السماح باستخدام المعلومات التي قد تم نشر بعضها في هذه الرواية فقط.

لم أعرف ماذا كان يدور في ذهن كل واحد من العائلة.. ولكن ما أحسسته أن هناك يأسًا واضحًا وأستسلامًا تامًا، في مواجهة ابن يموت أمامهم، وبيطء.

عيون قارئة

تم النشر في  
ماي ٢٠١٤

## الشارع

وفى يوم من الأيام.. ضربت كمية قليلة، تجعلنى متماسكاً ولكنها لا تكفينى.. واستيقظت صباح اليوم التالى، وقد جُنَّ جُنُونِي، وجدت أمي نائمة، ولم أجد والدى، فتحت دولا به، وسمعت نداء بائع الروبايكياء، قلت له:  
- اطلع.

طلع الرجل، وبدأت أحوّل له ملابس والدى: أربع بدل، ثلاثة أحذية، وأحدها جديد فى علبته، وأكثر من قميص، وأكثر من بلوثر وجاكيت.. وبدأت التفاوض على أثمان بيعها: البدلة ثمنها 2000 جنيه، بعته بمبلغ 50 جنيهاً، الحذاء ثمنه 300 جنيه.. بعته بمبلغ 20 جنيهاً، القميص ثمنه أكثر 200 جنيه، بعته بمبلغ 10 جنيهاً، وأصبح كل المبلغ 360 جنيهاً.. فقلت له:  
- يا راجل حرام عليك، دى البدلة من دول جديدة بألفين جنيه، والجزمة وحدها ثمنها 300 جنيه.

- خلاص.. علشان خاطرك 380 جنيه فى البيعة كلها.

- ماشى.. يالا بسرعة خلصنى.

وبدا الرجل يعد النقود، وفى الدقيقة ذاتها، وجدت بابا واقفاً أمامى، شهد المنظر، وقال بانفعال:

- إيه ده؟ فيه إيه؟ إنت بتعمل إيه؟ بتعمل إيه؟

- ما عرفش.. ما عرفش.. ما عرفش..

استيقظت أمي، ووجدت الباب مفتوحاً، والرجل لا يزال واقفاً، قال

والدى للرجل:

- إنزل يا عم.. إنزل.. مفيش حاجة عندنا للبيع.. انزل.

قالت ماما:

- إيه اللي حصل؟ فيه إيه؟

- شوفي إبتك بيعمل إيه!! بيبيع هُدومي لبياع الرُوبايكيا!!

بدأ والدى يجمع ملابسه من أمام الباب، وأنا أقف جنب الباب، لا أدري

ماذا أفعل.. نظرت أمى إلى، وبِحسَمِ قالت:

- إطلع برّه.. أفتح الباب وأخرُج وماترُجَعش تانى.. إحنا اکتفينا بإخوانك

الأتين.. تَبَطَّل، مَاتَبَطَّلش.. إحنا مِش عايزينك.. أنا خلاص إيتى مات.. بُكره

ها أنشر صورتك فى الجورنال وأتقبل فيك العزاء.. إطلع برّه حالا.

- يعنى إيه أطلع برّه؟

- يعنى أخرُج من هنا، وروح مطرح ما تروح.. البيت ذا مِش بيتك.. با أقولك

إطلع برّه.

- طيب ها امشى.. بس أدخل أخذ الحاجات بقاعتى.

- إنت كمان مالكش حاجة هنا.. كفاية جدًا اللي إنت أخذته.

فتحت الباب وخرجت..

يا سائر.. أول مرة أجدنى فى الشارع.. وفعلًا ليس عندى مكان أذهب

إليه.

وقفت فى الشارع.. ضياع ومأساة كاملة.. وكل ما أعرفه أننى متعب

للغاية، وأريد أن أضرب، ولا أعرف ماذا أفعل، وذهبت إلى أقرب تليفون،

وكلمت مصطفى، وقلت له:

- أمى طردتني من البيت.. ومش عارف أعمل إيه؟!

- ليه؟ إيه اللي حصل؟

- قصة طويلة.. المهم من فضلك، تعال بسرعة، وهات معاك أى فلوس..

أنا مقيش معايا ولا مليم، ومِش عارف أروح فين.

- حاضر.. نص ساعة وأكون عندك.. أقابلك أول الشارع.



- ماشى .. مانتأخرش.

وجاعنى مصطفى، قبل أن تمر نصف ساعة، وبمجرد أن رآنى، سألتنى

فى ذهول:

- إنت عامل كده ليه يا صلاح؟

- عامل إزاي يعنى!؟

- شكلك اتغير .. وبغدين إنت خستت جامد أوى، إنت كدا هتختفى.

- لا يا مصطفى .. أنا كدا ها اموت .. البويزة دى هتموتنى .. وخلاص مش

عارف أبطل .. جيت لى فلوس أد ليه؟

- جيت لك 300 جنيه .. والله هُمَّه اللى معايا .. وممكن أجيب لك بالليل تانى.

- لا .. لا .. كفاية كده .. وصلنى الحسين .. وسيبني هناك.

- حاضر.

وقبل أن أنزل من سيارته، وبكل قلب طيب قال لى:

- خلى بالك من نفسك يا صلاح.

- ربنا يستر.

وجريت على التاجر لشراء البويزة، اشتريت بمبلغ 200 جنيه،

واشتريت شريط "صلبية"؛ لأننى أعرف أننى لن أضرب مرة أخرى بسهولة ..

وهذا الشريط أخذ منه ليلا حتى أنام ساعتين أو ثلاثا .. وظللت أمشى فى شوارع

الحسين .. أجلس على القهوة، وأقوم وأجلس على القهوة الثانية، وفى النهاية

كلمت مريم .. قلت لها:

- عايز أشوفك يا مريم.

التقىنا .. جاءت مريم فى سيارتها، وجلست جنبها، وأول جملة قلتها:

- أنا عايز فلوس.

أنفجرت قائلة:

- أنا مفيش معايا فلوس.. أنا خلاص فلست.. ولا معايا ذهب.. ولا معايا  
أى حاجة خالص، وما بقش أقدر أتصرف لك أكثر من كده.

إنها أول مرة تكلمنى مريم بهذا الأسلوب.. كانت صدمة قائلة.. أكملت

قائلة:

- إنت عمرك ما هتَبطل.

- لا.. أنا هابطل.. أنا لازم أبطل.

- دى المرة المليون اللى باسمع فيها الكلمة دى.

- لا.. أنا هابطل، وعابزك بساعدينى يا مريم.

- أساعذك!! أعمل إيه يعنى؟ دا أنا عملت كل حاجة فى الدنيا.. كل حاجة بتعمل  
وما تتعملش.

- لا.. المرة دى مختلفة.. أنا لازم أبطل.

- بطل لوحدك.

- إنت عارفة إن ماما طردتني من البيت النهارده الصبح؟

- والله؟ غلطانة.. دى كان مفروض تطردك من زمان.

- أنا مش عارف أروح فين؟

- رُوح مطرح ما تزوج.. رُوح لأصحابك الضريبة.. رُوح لحسام أو شريف،  
خليهم ينفعوك.

- إهدى على يا مريم.

- أهذا عليك؟ أهذا عليك إزاي؟ هو إنت كنت هديت على؟! دا إنت دمرتسى..

إنت دمرتسى ودمرت كل اللى حواليك.

بكي.. بكي.. بكي بحرقه.. ولكنها واصلت كلامها قائلة:

- إنت بتعيط على إيه؟ بتعيط علشان مش عارف هتزوج فين؟

- لا.. باعيط على اللى أنا فيه.

- إنتَ اللّی عَمَلتَ كده فی نَفْسَك .
- غصب عنی .. والله غصب عنی .
- اسْمَعُ آخِرَ حَاجَة عُنْدی .. إنتَ زى الحصان اللّی لازم یَنْضِرِبَ بِالنَّارِ وَیَمُوت .  
وفجأة أوقفت سيارتها فی جانب من الشارع، وقالت لی :
- إنزِل .. إنزِل .. خلاص .. مش عايزة أشوفك تانى .. إنزِل للشارع .. هى دى آخرتك .
- أرجوك یا مریم .. ما تسيبيش .
- أنزل .. أتفضل أنزل .

نزلت من السيارة باكياً .. وقفلت الباب .. وانطلقت مریم بعيداً .. ظللت أنظر فی الاتجاه، الذى سارت فيه بسيارتها .. ولا أكادُ أصدق ما حدث .. ذهبت الإنسانة التى لم تغضبنى أبداً فى أى يوم من أيام حياتى .. كنت أتوقع هذا من أى مخلوق فى الدنيا، إلا مریم .

ركبت الأتوبيس المتجه إلى الحسين، واشتريت بودة بمبلغ 80 جنيهاً، وبقى معى 14 جنيهاً، واشتريت سجاير "قرط" .. وظللت أتجول فى شوارع الحسين حتى الساعة الواحدة ليلاً، وليس عندى مكان أذهب إليه .. وأخيراً كلمت حسام، وسألنى :

- إنتَ فين ؟
- فى الحسين .. بأقولك إيه .. أنا عايز مفتاح شقة المعادى .. مش حَفْضَلُ أَلْفِ فى الشوارع كده .
- مَفِيشَ مشكلة .. بسْ خلى بالك الشقة فاضية .. مَفِيشَ فيها أى حاجة .
- ما أنا عارف يا خويا .. ما هى إنقورت على إيدى .. نص ساعة وأكون عندك .
- ذهبت إلى حسام، وأعطانى المفتاح، ومشيت .. مشيت، فقد توقف عمل الأتوبيسات، وليس معى النقود اللازمة لركوب التاكسى .. وأصبحت للجنيه قيمة

كبيرة، وعندما أركب الأتوبيس أحاول الهروب من الكمسارى.. هكذا أصبح  
حالى.. دخلت الشقة الساعة الثالثة فجراً.

لم أجد فى الشقة كرسيًا واحدًا.. والغرف دون أبواب.. فقط الأرض  
مغطاة بالموكيت.. وليس بها كهرباء، فاستخدمت الكبريت لأرى المكان،  
واستكشفه، ولم أجد شيئاً.. والغرفة التى كنت أعرفها، وكنا نضرب فيها، هى  
الأخرى ليس بها شيء واحد، كبيراً أو صغيراً.

جلست على الأرض، وظهرى للحائط.. وجعلت ذراعى وسادة،  
وقردت جسمى ونمت على الأرض، والشريط كله يدور أمامى.

من أين جئت؟ المشوار بعيد.. وشعرت بالبرد الشديد، وكان الحل  
الوحيد أن انكمش، و"أتكور" داخل نفسى، وأقترب بركبتى إلى صدرى.. محاولة  
بانسة وفاشلة لاكتساب الدفء.

إننى خائف جداً.. لكن ماذا يخيفنى؟!

فلان مات فى هذه الشقة "أوفر دوز".. والظلام دامس.. ثم هل هناك  
حشرات يمكن أن تزحف فوقى أثناء نومي؟  
فى النهاية، وأهم شيء أننى بين أربعة جدران، وفوق رأسى سقف  
شقة، وقد أستطيع النوم.. ولو قليلاً.. قليلاً جداً.

إنها ليلة من أبشع الليالى التى مررت بها فى حياتى كلها.. خسرت فيها  
الكثير.. خسرت أهلى.. خسرت مريم، وفى نهاية اليوم ملقى على الأرض..  
فوق موكيت، ورائحة التراب هى الشيء الوحيد الذى يملأ أنفى.

نمت من شدة التعب والإجهاد.. المشوار طويل، واليوم ثقيل،  
والإحساس بالضيق لم أشعر بنقله مثلما شعرت به فى تلك الليلة.. نمت الساعة  
الرابعة، وصحوت على شعاع النور داخل الغرفة، وكانت الساعة السابعة.

يا ساتر.. ما هذا الحال الذي أمرُ به؟  
كنت عبارة عن تراب.. كَلَى تراب.. وقفت بصعوبة، وبدأت أنفض  
التراب عن ملابسى.. وعن جسمى، ودخلت الحمام.. الرائحة كريهة، غَسَلْتُ  
وجهى بالماء.. وللأسف لا توجد مرآة لأرى شكلى.

خرجت من تلك الشقة المهجورة، وقعدت على المقهى، وطلبت "واحد  
شاي"، وجلس بجانبى رجل كبير، رجل عجوز جدًا نظر إلى، وقال:

- ياها!! شُكُّكَ شايِل هُموم الدنيا على دماغك.

- وأكثر من هموم الدنيا كمان.

- هتفرّج.. هانت.. والله هانت.

- يارب.. من بقك لِيَابِ السَّمَاءِ يا حاج.

- السلام عليكم.

- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

لم أكن أعرف إلى أين أذهب.. ومن يساعدى؟ من ينقذنى مما أنا فيه؟

ذهبت إلى حسام لأعطيه المفتاح، وَقُلْتُ لَهُ:

- ها أشوف مكان تانى النهارده.. الشقة دى مَا تَتَفَعَّش.. أنا خلاص ها أبطل..

من النهارده ها أبندى أبطل.. مش عارف أعمل إيه يا حسام.. بس أنا لازم

أبطل.

- طيب هتُرُوح فين؟

- ما اعرفش.. هاتصرف.. ما تَقْلَقْش.

كلمة لا أعرف.. كانت الكلمة الوحيدة للإجابة عن كل الأسئلة؛ لأننى فعلا..

لا أعرف أى شىء..

لا أعرف إلى أين..

لا أعرف كيف أعيش..

لا أعرف أين أنام..  
لا أعرف كيف أتوقف..  
لا أعرف ماذا يفعل أهلى الآن..  
لا أعرف.. لا أعرف.. لا أعرف..

### الثلاثاء/ نوفمبر

الساعة 11:00.. الساعة 12:00.. الساعة الواحدة.. الساعة الثانية..  
وأنا ماشى.. ماشى، لا أعرف إلى أين؟ وماذا أفعل؟ وإلى من أجا؟  
وما مصيرى؟ من يأخذ بيدي؟ هل أذهب إلى شريف؟! إنه عاد إلى المستشفى..  
ميدو؟! لا وألف لا.. لن أجعل علاء يرانى هكذا..

يا إلهى.. خذْ بيدي.. وفى الثانية نفسها، قابلت عادل، وكانت الساعة  
حوالى الرابعة، وكان وحده فى سيارته.. وعندما رانى، ضغط على الفرامل  
بقوة، وأوقف سيارته ونزل منها، وأسرعت إليه قائلاً:  
- إزيك يا عادل؟  
- كويس، الحمد لله.. إزيك إنت يا صلاح؟

كنت واثقاً أننى أبدو مرهقاً، مترباً، وذقنى طويلة، وفى غاية التعب..  
منظرى بالتأكيد فى حالة يرثى لها.. ركبت سيارته، وقلت له:  
- هات سيجارة.. أمى طردتني من البيت امبارح.. عايز شقتكم اللى فى  
العجوزة لمدة كام يوم.. الأيام الثلاثة أو الأربعة دول لازم أعديهم.. أنا عارف  
هُمَّأ أصعب حاجة فى الدنيا، إنما لازم.. وبِغدين أرجع تانى البيت عند أهلى  
وأنا ميطل.

- حاضر.. حاضر.. ها أروح أجيبك المفتاح، وآجى على طول.  
- بسْ اسمع يا عادل.. مش عايز حدْ يعرف.. ولا أى حد.  
- حاضر.. مَاتَخَافْش.. مش ها أقول لحد خالص.. حالا راجع لك.

وقفنا فى شارع جانبى، وبعد دقائق معدودة، رجع عادل ومعه المفتاح.

- ياللا بينا، ها اوصلك على هناك على طول.

- مش عارف أقول لك إيه يا عادل.. إنت أنقذتنى.

- ما تقولش كده.. إنت أخويا الكبير.. إنت نسيت واللا إيه؟

- أنا لا كبير.. ولا حاجة.. أنا بقيت الصغير.. والصغير أوى كمان.

- أنا عايزك ترجع تانى.. صلاح بتاع زمان.

- أنا كمان عايز أرجع تانى.. بس مش عارف إزاي؟!

- الإرادة والعزيمة.

- ذول أكثر كلمتين كرهتهم فى حياتى.. ما عنديش أى إرادة، ولا أى عزيمة..

الموضوع طلع صعب أوى يا عادل.. أوى.. أوى.

وصلنا إلى المنزل، واكتشفت إن عادل معه شنطة صغيرة فيها بيجامه

وأدوات حلاقة، أعطاهما لى.. ثم قال:

- أدخل إنت.. خذ دش وأنا ها أنزل أشترى كام حاجة وأجى على طول.. عشر

دقايق أو ربع ساعة وأكون هنا.

دخلت الحمام.. وبصيت فى المرأة.. ياه!! إيه ده!! مين ده!! ده مش

صلاح.. ده واحد تانى ما أعرفوش.. هو شبهى.. بس أكيد مش أنا!! أكيد مش

أنا!! أخذت دش.. يا نهار أبيض!! تراب وسواد نزل من جسمى.. لم يحدث

لى من قبل، ولم أره فى حياتى.

عاد عادل ومعه شاي وسكر، وخبز، وجبنة رومى، وسجائر،

وعصير، قلت له:

- أنا أول مرة آجى البيت ده.. الشقة واسعة وحلوة، وكمان فيها كل حاجة.

- المفروض أتجوز، وأعيش هنا.. بس لسه شوية.. أنا شغلت التلاجة، وخطيت

لك فيها الجبنة والعيش وعصير وتفضل يا سيدى علبتين سجائر.

- شُكْرًا يَا عَادِل.. جَمِيلَكَ ذَهْ مَسْتَحِيلِ أَنْسَاهُ طُولَ الْعَمْرِ.. بَسْ أَنَا مِشْ عَارِفِ  
إِنْتِ مِسْتَأْمِنِي إِزَايَ عَلَى الْبَيْتِ ذَا كُلِّهْ!؟
- مَعَ كُلِّ اللَّيِّ حَصَلَ.. وَكُلِّ اللَّيِّ شَفْتَهْ، وَكُلِّ اللَّيِّ سَمِعْتَهْ.. أَنَا مَا أَقْدَرُشْ أَسِيْبِكَ  
فِي الشَّارِعِ.. وَحَتَّى لَوْ بَعْتِ كُلَّ حَاجَةٍ فِي الْبَيْتِ، مِشْ هَا أَنْدَمِ إِيَّيْ جِبْتِكَ هِنَا.
- مَا تُخَافُشْ يَا عَادِل.. أَنَا مِشْ هَا أَمِدُ إِيْدِي عَلَى أَيِّ حَاجَةٍ.. وَمَنْ فَضَّلَكَ خَلِي  
مِفْتَاحَ الشُّقَّةِ مَعَاكَ.. أَنَا مِشْ عَائِزُهُ.. لَوْ نَزَلْتُ مِنَ الْبَيْتِ دَهْ، مَعْنَاهُ إِيْنِي مِشْ  
هَا ارْجِعْ، وَأَنَا فِعْلًا مِشْ عَائِزٌ أَنْزِلَ مِنَ الْبَيْتِ.
- زِي مَا يَعْجِبُكَ.. أَنَا هَا أَمْشِي، وَآجِي لَكَ بُكْرَهْ.. لِلْأَسْفِ النَّلِيفُونَ مِشْ شَعَالِ..  
بَسْ فِيهِ تَلِيفِزْيُونِ وَفِيدْيُو وَأَفْلَامِ كَمَانِ، أَهِي أَيِّ حَاجَةٍ تَضِيْعُ وَقْتُ وَخِلَاصِ.
- مَا تَقَاخُرُشْ عَلَيَّ يَا عَادِل.. أَنَا مِحْتَاجُ لَكَ جَنْبِي الْيَوْمِيْنَ دُولِ.
- مَعَ السَّلَامَةِ يَا عَادِلِ.

خَرَجَ عَادِلٌ.. وَتَرَكَنِي فِي الْبَيْتِ وَخَذِي.. وَخَذِي تَمَامًا.. اللَّيْلَةَ الْأُولَى  
كَانَتْ عَادِيَّةً، لِأَزَالَتِ الْبُودْرَةَ فِي جَسْمِي، فَلَمْ تَكُنْ عِنْدِي مَشْكَلَةً، وَأَخَذْتُ حَبَّةَ  
صَلْبِيَّةٍ، وَنِمْتُ.

# عيون قارى

الأربعاء/ نوفمبر

اسْتَيْقَظْتُ السَّاعَةَ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ صَبَاحًا..  
بَدَأْتُ يَوْمِي بِدَايَةِ صَعْبَةٍ.. أَفْتَحُ النَّلِيفِزْيُونِ، جَرَبْتُ تَشْغِيلَ الْفِيدْيُو  
لِدَقَائِقِ.. عَمَلْتُ كَوَبًا مِنَ الشَّايِ.. لَمْ أَسْتَطِعْ تَنَاوُلَ الْإِفْطَارِ، أَيْضًا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ  
أَشْرَبَ السُّجَائِرِ.. السَّيْجَارَةَ بَتَّعِيْنِي جَدًّا، ثَقِيلَةٌ وَلَيْسَ لَهَا طَعْمُ.  
عَقَارِبُ السَّاعَةِ تَتَحَرَّكُ بَبْطَاءٍ غَيْرِ عَادِي.. أُرِيدُ لِلْيَوْمِ أَنْ يَنْتَهِيَ، وَيَمُرَّ  
بِشْكَلٍ أَوْ آخَرَ..



جاعنى عادل الساعة الثانية.. كنت لازلت أستطيع الوقوف على قدمي،

وجلسنا معاً، وسألني:

- عامل إيه؟ تَعْبَان؟ تحب اشترى نوا مُعَيَّن؟ طيب عايز سجائر أو أكل أو أى حاجة؟

- لا يا عادل.. مش عايز أى حاجة.. دا أنا شربت أربع سجائر بس من إمبارح.. مش قادر أشرب سجائر.

كان عادل يريد أن يساعدي.. ولكن المشكلة أنه ليست هناك طريقة

للمساعدة.. لا أحد يملك مثل هذه العصا السحرية، فقلت له:

- إنزل إنت يا عادل وشوف وزاك إيه.

- يعنى ورايا إيه يعنى.. قل لى إنت بس أعملك إيه؟

- ولا حاجة.. إنزل وأنا أدخل السرير.. يمكن أنام.. وأنت تعال لى بكرة.

- تحب أجي لك بالليل؟

- مقيش داعي تيجي.. هتيجي تعمل إيه؟ تعال بكرة.

خرج عادل.. تركني وحدي تماماً، والحقيقة أنني أردت أن أنفرد

بنفسي.. لا أستطيع الكلام.. وعندى اكتئاب لا يمكن تصوره، وبدأ الصداع..

وعندما جاء المساء، شعرت بآلام المغص والإسهال ومسلسل العرق ورشح

الأنف لا يتوقف، وتكسير العظام.. أخذت حبة صليبية، ونمت فوراً حوالى

الساعة الثانية عشرة، وفي الفجر، حوالى الساعة الرابعة، استيقظت وأخذت حبة

صليبية أخرى، ونمت حتى الساعة الثامنة صباحاً..

### الخميس/ نوفمبر

استمر تأثير "البرشامة"، فأسرعت لأخذ الدش، وازداد الشعور

بالتعب.. نعم إنني مُتعب جداً، وبدأت أتجول في الشقة.. أدخل غرفة.. أخرج

منها إلى غرفة أخرى.. أفتح التليفزيون.. أقفل التليفزيون.. مقاومتي تنهار..

أريد البودرة.. أريد أن "أضرب" بأي شكل وبأى ثمن.. فى البيت كل شىء  
يُمكننى من الضرب فى ثانية.. التلفزيون.. الفيديو.. الفضيات.. السجاجيد..  
الأنبوبة.. لكننى لم أستطع أن أمدّ يدي إلى أى شىء.

ولأول مرة فى تاريخ إيمانى.. أجد الفرصة كاملة أمامى  
ولا أستغلها.. لا.. لا أستطيع أن أفعل هذا نحو عادل.. إننى مثل أخيه الكبير  
الذى ربّيته وأحبّته.. هذا الصغير عادل، كبير، وعندما كبر استضافنى فى بيته،  
وهو يعرف جيدًا، بل هو واثق من أننى، فى مثل هذا الوضع، من الممكن أن  
أبيع البيت بكل ما فيه.. ومع هذا "أوانى" فى بيته.

استولى على التعب.. فقدت السيطرة على نفسى، وحوالى الساعة  
الثانية "فرهضت"، ولم أعد أستطيع المقاومة، فقررت مغادرة بيت عادل،  
وأن أذهب إلى بيتى، وأقول لهم أننى توقفت عن الضرب منذ يومين، وأدخل  
أسرق ما أجده أمامى وأجرى.

لبست ملابسى، وفتحت الباب وخرجت.. وأنا أعلم جيدًا أننى لن  
أستطيع العودة إلى هذا البيت مرة أخرى.. ولم أأخذ منه شيئاً.. سوف يعود  
عادل.. ولن يجدنى.. لكن الحمد لله، لن يجد كذلك شيئاً مسروقاً.

خرجت إلى الشارع من جديد.. ركبت الأتوبيس وفى جيبى آخر  
50 قرشاً.. ونزلت فى أقرب محطة للبيت، ومشيت بصعوبة.. رجلاى لا تقويان  
على المشى.. أكياس رمل فى كل رجل، والبنطلون يكاد يقع من الضعف  
والهزال، وشكلى بالتأكيد صعب جداً.

## الأب!!

- وصلت إلى بيتي في حدود الساعة الثالثة والنصف.. طرقت الباب..  
 وفتح لي والدي.. نظر إلي.. تأملني، وقال لي:  
 - صلاح!!! أدخل.  
 - ربع ساعة أغير لئسى وأخذ شنطتي، وأمشى على طول.  
 أفنقت والدي كثيراً.. لقد كان صديقي في يوم من الأيام.. دخلت  
 ولم أنطق بكلمة واحدة.. دخلت مباشرة إلى غرفتي.. واتجه بابا إلى الباب، وقفله  
 بالمفتاح.. وفوراً أمسك سماعة التليفون، وأجرى ثلاثة اتصالات سريعة.. ماما..  
 كريم ورولا.  
 خرجت من غرفتي، وأنا أفكر ما الذي أخذه لأبيعه.. وأنزل بسرعة.  
 جمعت كل ما عندي من سيديها.. حوالي 100 سي دي.. وفكرت أبيعهم..  
 ولم أجد حلاً آخر.. ووصلت عند الباب وقلت لوالدي:  
 - أنا عايز أخرج.. عايز أنزل.  
 - المفتاح في جيبى، ولو عايز تخرج وتنزل، يبقى لازم تضربنى وتأخذ  
 المفتاح.  
 وضع والدي يده على جيبه وبه المفتاح.  
 - يا بابا هات المفتاح.. يا بابا سيبنى أنزل.  
 - مش هاقدر يا صلاح.. مامتك واخواتك جاينين دلوقت.  
 أخذت ألف وأدور حول نفسى فى المنزل بجنون، وأخيراً جاءت  
 رولا.. فقال لها أبى:  
 - أدخلى يا رولا بسرعة.

دخلت رولا وقد ارتسم الرعب على وجهها.. وقفل والدى الباب بالمفتاح، وعدت إلى غرفتي، وجلست على سريري.. وبعد خمس دقائق جاء كريم، ومن بعده وصلت أمي.. التي انهارت على أقرب كرسي، وجلست رولا بجانبها تبكي بصوت عالٍ، وأسند كريم رأسه بين كفيه، وظل والدى يروح، ويحيء، ولا يستقر في مكان.. ولا أحد يدري ما الخطوة التالية.. وبدأ كريم الحديث:

- بس يا رولا.. بطلّي عياط.

- حاضر يا كريم.

- أنا تعبّان أوي.. عايز أضرب.. مش قادر.. بموت.

رد الوالد:

- إحنا لازم نروح على المستشفى يا صلاح.. اسمعني.. أنا عندي رحلة لمدة

أسبوعين خارج مصر.. أنا مسافر إسبانيا.. وكنت ناوي أعتمر، بس لو أنت

دخلت المستشفى.. ها اسافر، وأوعدك إنّي أخرجك من المستشفى أول ما أرجع

على طول.. هو أنا عمري وعدتك بحاجة ومأنفدّيش وعدي!؟

- المستشفى لأ.. لأ.

- من فضلك يا صلاح.. إحنا كلنا بنموت.

- المستشفى لأ.. أي حل تاني.

وفي اللحظة نفسها، انحنى والدى على الأرض، وقال لي:

- أبوس رجلك.. نوّدك المُستشفى.. أبوس رجلك.

قال كريم:

- قوم يا بابا.. قوم يا بابا.. مش كذا.

ونزلت أنا أيضًا على الأرض، وأصبحنا أنا وأبى وَجْهًا لوجه.. وكلانا  
يبكى.. وقلت باكيًا:

- حاضر يا بابا.. أروح المستشفى، بس أضرب الأول.. نروح الحسين، وهناك  
أضرب، وبعدين نروح المستشفى.

- مَايَنْفَعُشْ يا صلاح.. مَايَنْفَعُشْ يا حبيبي.

- وَأَنَا مِشْ ممكن أروح مِنْ غير ما اضرب.

مد كريم يده ليساعد الوالد على النهوض:

- قُوم يا بابا من على الأرض.

وقفنا معًا، وتمت على سريرى.. ظهرى على السرير.. ورجلانى على

الأرض، وظللت أردد:

- أنا تعبَان أوى.. صداع.. دماغى.. مِتْكَسَّر.

خرج بابا من غرفتى.. ثم عاد ومعه زجاجة ويسكى، وقال لى:

- طَيِّب.. إمْسِك.. اشْرَب.

- مَا أَقْدَرُش.. مَا أَقْدَرُش يا بابا.. مَا أَقْدَرُشْ اشْرَب.. أنا بَامُوت يا بابا..

أنتَ مِشْ فاهم.

- لا.. والله أنا فاهم.

- أنا تَعْبَان.. بموت.. أنا تَعْبَانِiiiiiiiiiiiii.. خَلاص.. إَعْمَلُوا فى أى حاجة..

بس خَلِّصُونى من اللى أنا فيه.. خَلِّصُونى مِنْهُ.

- نرُوح المِستَشفى.

- مِشْ هُنْسِيْبُونى هِنَاك كَثِير.. صَح؟! أسبوعين ثلاثة.. بالكثير أوْعِدْنى يا بابا..

أوْعِدْنى.

- أوْعِدْكَ.. أوْعِدْكَ.. يا كريم ساعد أخوك.

أخرجت شريط أبو صليبة من جيبى وأخذت برشامة.. وكريم ورولا

ينظران إلى .. ولم ينطقا بكلمة واحدة.

ارتدى والدى ملبسه بسرعة، وأعدت أُمِّي حقيبتى.. وغسلت رولا  
وجُھها.. واستندتُ إلى ذراع كريم من ناحية، وذراع والدى من الناحية الثانية..

وسأل الوالد:

- هنروح إزاي؟ بعربية مين؟

فأجاب كريم:

- معايا يا بابا.

- وإنت يا رولا.. ارجعى بيتك، وأول ما نرجع نكلّمك ونطمّنك.

- حاضر يا بابا.

نزلنا نحن الخمسة.. واستندت إلى بابا، وكريم دخل سيارته، وجلس  
على مقعد القيادة، وأُمِّي بجانبه، وجلست بجوار والدى فى الخلف.. قَبَلتتى رولا  
ورَكبت سيارتها.. وأخذنى والدى فى أحضانه.. وبدأ الطريق إلى المستشفى.

# عيون قارئ



## إلى سويسرا

قررت العائلة بكل إصرار ذهابي إلى المستشفى، وخرجت معهم من بيتنا أجرة قدمي، مستندا إلى ذراع والدي اليسرى، وإلى ذراع أخى الكبير اليمنى، ومن ورائنا تسير أمي.. وذهبت أختي رولا إلى بيتها حزينة والدموع تملأ عينيها.

ركبنا سيارة كريم، هو القائد.. جلست أمي إلى جانبه وكأنها تمثال فرعونى، منقوش على ملامحه حزن عميق، وكانت تبكى فى صمت رهيب.. وجلست بجوار والدي فى المقعد الخلفى وديعا فى أحضانه، واستندت برأسى إلى المسند الخلفى للسيارة.

ساد السكون طوال الطريق الطويل.. لا أحد ينطق بكلمة.. نمت خمس دقائق وكأنها خمس ساعات، بتأثير حبوب "أبو صليبة"، التى ابتلعتها قبل نزولنا.. وأخيرا وصلنا إلى المستشفى.. والتى تبعد قليلا عن القاهرة.

هذه المستشفى أعرفها جيدا.. أنا شخصيا أخذت صديقى شريف مع والدته إليها منذ بضعة أشهر.. فى ذلك اليوم تجولت بين ربوعها، وممرات حديقته التى يغطيها الزرع الأخضر، وعلى الجانبين الأشجار العملاقة، ورأيت لافتة كتب عليها: إلى "حمام السباحة"، وأخرى كتب عليها: إلى "الملاعب"، وثالثة كتب عليها: إلى "الجيمانيزيم" ولافته كبيرة كتب عليها: إلى "قسم الإدمان"، ولافته صغيرة: إلى "الكافيتريا".. أحسست يوما أننا دخلنا النادى وليس المستشفى.. وكنت أعرف أن صديقى شريف مازال فى المستشفى، وسمعت أن صديقى تامر، من أصدقاء رامى، فى المستشفى أيضا.

دخلنا إلى قسم الاستقبال، وكانت الساعة السادسة، وساعدتني الدقائق الخمس التى نمتها فى السيارة على التماسك، ورويدا، رويدا.. بدأت أشعر

بأعراض الانسحاب، ولكنه فى بداياته.. وجاءنا طبيب نوبتسى، وبعد إلقاء التحية قال:

- اتفضل.. تعال أقعد هنا.

وعندما وجه نظراته وحديثه إى، قلت له:

- ومين قال لك إن أنا؟ المشكلة فى أخويا.. تعال يا كريم.

ابتسم الطبيب بتحفظ، وبدأ وابل من الأسئلة المتتالية:

- الاسم، العنوان، تاريخ الميلاد، التليفون، العمل..

وسجل الطبيب إجاباتى فى الملف، ثم انتقل إلى الأسئلة الأخطر،

وعندئذ خرج والدى من الغرفة، فهو لم يكن يريد حضور هذا اللقاء.

- بتأخذ مخدرات إيه يا صلاح؟

- كل حاجة.

- يعنى إيه كل حاجة.. فسّر لى شوية؟

- مفيش فيك كيف يا مصر، ولا حتى فى أمريكا ماجربتوش.

- طيب إيه المخدر الرئيسى؟

- بوثرة.

- من أد إيه وإنت بتتعاطى؟

- جامدة أوى بتتعاطى دى.

فقلت ماما:

- صلاح.. إحنا مش بنهزّر.

فقال لها الطبيب:

- حضرتك ولا يهملك.. سيبه يهزّر براحتة.

فقلت:

- دا تهديد دا واللا إيه يا دكتور؟ يعنى براحتى دلوقت، وبعدين نشوف.

- ماجاوبتتش.. من أد إيه بتضرب يا صلاح؟! كويس كده!؟



- أيوا كده.. من 11 سنة، ومتواصل آخر 5 سنين.
- ومن أد إيه بتتعاطى يومياً؟
- من شهر 5.. مايو اللي فات، وأنا باخد كل يوم.
- يعنى آخر 6 شهور يومياً، وطبعاً كذا مرة فى اليوم، الدوز بتاعك إيه؟
- زى ما أنت عايز.
- يعنى نقول جرام؟
- جرام، جرام ونص، على حسب الظروف.. بس باقولك إيه يا دكتور..
- أنا من يومين مَخْدَتِش، والنهارده تالت يوم، بس باضرب كام صليبة كده علشان
- أنام.. الصليبة برضه بيمسبك شوية.
- معاك أى مخدرات؟
- أيوا.. معايا أبو صليبة.
- أخرجت من جيبى شريط "أبو صليبة" به أكثر من قرص، وأخرجت
- شرائط "توقاسى"، ووضعتها على المكتب، فقفز الطبيب من مكانه، وكان النار
- أمسكت بملابسه، ومد يده وأخذها بسرعة، وأخفاها فى جيبه، فقلت:
- مالك يا دكتور؟! دا أنا طلعت الشرايط بمزاجى وإديتها لك.
- لا مفيش حاجة.. بس المخدرات لازم تتصادر على طول.
- بينى وبينك يا دكتور، أبو صليبة ده عمرى ما حببته.. أنا باستعمله كمنوم
- بس مش أكثر، علشان كده أخده بالليل بس.. لو أخذته الصبح مصيبة.
- معاك أى مخدرات تانى؟
- ياريت.
- أنت هاتنتفش كده، كده.. ومفيش داعى نكذب على بعض من أولها.
- مفيش معايا حاجة يا دكتور.
- نكمل.. دخلت مستشفيات قبل كده؟
- لا.. دى أول وآخر مرة.

- إن شاء الله.. يعنى ما أخذتش علاج قبل كده؟
- مرة رُحْتُ لدكتور نفسانى، مافهميش منه أى حاجة، ومَارُحِيشُ لَهُ مرة ثانية، وساعات كنت آخذ تَرِكْسَان.. يعنى كل كام شهر.
- طريقة التعاطى إيه؟
- سُوَسْت.
- من أد إيه بتأخذ حقن يا صلاح؟
- من ست أو سبع سنين.
- بتشتكى من أى حاجة؟ من أى أمراض؟
- لا.. الحمد لله.. بس الكبد تعبان شوية.. أنا مش حاسين إني تعبان.. بس الدكتور قال لى إن نتيجة التحاليل وحشة.
- طيب.. إتفضل أفف على الميزان.
- ياااه!! 53 كيلو.. دا أنا حاسين قوى.
- والطول 174 سم.. وشنطتك فين؟
- هى دى.
- سيبتها هنا، وأنا هأبعثها لك كمان شوية.
- هو أنا رايح فين يا دكتور؟
- هتدخل "الديتوكس" كام يوم، تعدى بس أعراض الانسحاب، وبعدين تنزل قسم الإدمان.
- أنا خايف أوى من إني أتعب النهارده.. هتدوني منوم؟!!
- آه طبعا.. ماتخافش.. أنا نوبتشى وسهران النهارده وهاعدى عليك.
- والنبي يا دكتور مِتْسَانِي.. بَا أَقُولُكَ إيه يا دكتور هو شريف هنا؟
- الحقيقة أنا ما اعرفش.. أنا مش دكتور القسم.. أنا دكتور نوبتشى.. ومش حافظ أسماء الناس الموجودة هنا.. اليومين دول، القسم ملين على آخره.. يَاللَا

يا صلاح، سَلِّمْ واطَّلَعْ مع العامل فريد على "الديتوكس" .. وها ابغيت حاجاتك  
كمان شوية.

- مع السلامة يا ماما.. ادعى لى.. سلام يا كريم.. سلموا لى على رُولا.  
خرجت من الغرفة فوجدت والدى جالساً على كرسي وواضعاً يده على  
خده.. سلمت عليه، فقبلنى وقال:  
- ربنا معاك يا صلاح.

- مع السلامة يا بابا.. أول ما ترجع من السفر تيجى تخرجنى زى ما وعدتتى.  
مشيت مع فريد إلى "الديتوكس"، وظل الوالد والوالدة وكريم مع  
الطبيب، بالتأكيد.. كانت لديه عشرات الأسئلة الأخرى، التى أراد أن يعرف  
إجاباتها منهم.

كانت الساعة السابعة.. مشينا مسافة طويلة إلى حد ما، وصعدنا السلم  
إلى "الديتوكس" .. ودخلنا شقة صغيرة خالية ليس بها أحد.. الصلاة  
أو "الرسيشن" الصغير به تليفزيون يتوسط المكتبة، وخرجت إلى شرفة صغيرة،  
وأمام سور "الشرفة" شجرة كبيرة تتحنى على الحديقة، ولا تمكنى من رؤية  
أبعاد الحديقة.

دخلت إلى الشرفة الصغيرة المطلة على الحديقة، ثم تجولت فى الشقة..  
على اليسار غرفة بها دولاب وفيها سريران، وتليها غرفة أصغر وبها سرير  
واحد، وعلى يمينه دولاب، وبها حمام على اليمين.. يا ساتر.. المكان  
كئيب.. أو فيما أعتقد كنت أرى كل شىء كئيباً!! إذا هذا هو "الديتوكس".

مرت الدقائق ببطء رهيب، وبدأت أشعر بتعب شديد.. رشح من أنفى،  
مغص، وبطنى يؤلمنى، صداع عجيب، عرق مستمر، وإحساس قوى بالبرد..  
ومرت ساعتان.. حوالى الساعة التاسعة بدأت الأعراض والآلام تزداد، وازداد  
التعب أكثر وأكثر، فطلبت من فريد أن يأتينى بالطبيب ليعطينى الدواء نظراً  
للحالة التى أمر بها.

بالطبع.. كان هؤلاء الممرضون قد تعودوا مثل هذا الطلب؛ لذلك تجدهم يقابلونه ببرود واضح، ويتصرفون بهدوء شديد، وفيما يبدو أن التعليمات لديهم كانت أن يتبعوا هذا الأسلوب، مع التصرف بأدب وهدوء تام، وبكل بساطة قال فريد:

- الدكتور زمانه جاي، أصله دلوقتِ عنده مرور في المستشفى، وما أعرفش أكلمه فين.

أصبحت الساعة العاشرة، وبدأت أدور حول نفسي.. التعب يزداد بقوة، والطبيب لم يحضر.. قلت لفريد:

- طيب، أنا عايز شنطتي.. كل دا بيعملوا بيها إيه؟! أنا بردان وعايز آخذ منها بلوفر ألبسه.

- حاضر، 5 دقائق، ونلاقي حد جاي بالشنطة.

وأخيرا.. بعد نصف ساعة، سمعت طرقات على باب الشقة الصغيرة، وجاء شخص ومعه الشنطة.. دخل إلى الحجرة وأعطاهما لي قائلاً:  
- اتفضل.. والدكتور جاي ورايا على طول.

كأنه سمعني ويعرف أنني طلبت رؤية الطبيب من زميله فريد.. أخذت الشنطة، ووضعت ملابسى فى الدولاب، ولبست "بلوفر" لأحتمى به من البرد.. وبعد نصف ساعة.. فى تمام الساعة الحادية عشرة كدتُ أنهار من الألم والتعب والبرد.. نمت فى السرير، واختفيت تحت الغطاء.. وطبعاً لم يكن الجو بارداً إلى هذه الدرجة، ولكننى كنت فعلاً أرتعد من البرد، والألام أيضاً غير طبيعية.

استمرت المعاناة نصف ساعة أخرى.. وبعدها جاء الطبيب، ومعه الممرض، وأعطانى حبتين، لم أكن أعرف ما هذه الحبوب، ولكننى كنت على أتم الاستعداد لتناول أى دواء يسكن آلامى.

أخذت الدواء، ولم أكن قادراً على النطق بكلمة واحدة، وكان كل أملى أن أشعر بتحسن.. ولم يحدث.. بعد نصف ساعة فقط.. حوالى الساعة الثانية

عشرة.. شعرت بالآلام، كان من الصعب وصفها بالكلمات.. آلام فى كل جسمى..  
آه.. آه.. كأن الحبوب التى تناولتها هى السبب، وأنها ساهمت فى سحب البويزة  
من كل جسدى دفعة واحدة.. لا.. لا.. الألم غير طبيعى.. وبعد نصف ساعة  
أخرى، الساعة الثانية عشرة والنصف، بدأت أصرخ.. أصرخ بصوت عال:  
- آه.. آه.. آه.. مش قادر.. إدونى أى حاجة.. مش قادر.

ظللت نائما فى السرير، لا أستطيع الحركة، ومرت دقائق كأنها  
سنوات، وجاء شخص آخر، ومعه حبتان وحقنة، واقترب منى فريد قائلا:  
- اهدا.. خلاص.. الحقنة دى هتريحك.  
- مش قادر.. أنا تعبان.

أخذت الحقنة، والغريب جدًا أننى لم أشعر بأى تحسن، كما هو متوقع،  
ولم أتحمل الألم، ولم أكن أدري ماذا أفعل.. وصرخت صراخًا متواصلًا:  
- آه.. آه.. هاتولى الدكتور بسرعة.

فعلًا جاء الطبيب بسرعة، وقال لى:  
- باين عليك تعبان أوى؟!  
- مش قادر يا دكتور.. عايز أى حاجة تانى.. أنا تعبان.. جسمى كله ميكسر.  
- أنت واخذ أربع حبوب، وكمان حقنة من نص ساعة، ما أقدرش أدبك أى  
حاجة دلوقت.. لازم أستنى شوية.  
- طيب أنا مش قادر.. أعمل إيه؟ والله مش قادر.  
- حاضر.. هابعت لك دوا تانى.  
- آه.. والنبي يا دكتور.. بسرعة يا دكتور.

أخذت حبتين مرة أخرى، ولا أدري ماذا أعطانى الطبيب، ولكن  
ما أعرفه أننى كنت أتألم بلا حدود.. وحوالى الساعة الثانية ارتفع صوتى  
بصراخ عال:  
- مش قادر.. أنا بأموت.

واستمر الرشح من الأنف، وأحسست أن درجة الحرارة فى الغرفة تحت الصفر.. البرد لا يحتمل.. والآلام لا تحتمل، ومن شدة الصراخ، جاءنى الطبيب فى الساعة الثالثة للمرة الرابعة، وأعطانى حقنة أخرى، وأمر بإعطائى حقنتين.. وبعد نصف ساعة، هدأت قليلا.. الأعراض كلها موجودة.. رشح الأنف، الإسهال، المغص، ولكن آلام الجسم كله أصبحت أقل، وبالنسبة لى.. كان هذا هو المهم، لأن الآلام كانت غير طبيعية، ولا يمكن احتمالها بأى حال من الأحوال.

أعتقد أننى نمت حوالى ساعتين أو ثلاث على الأكثر.. وصحوت متعبًا، وأريد الذهاب إلى الحمام، ولا أستطيع القيام من مكانى ومغادرة السرير.. وظللت أقول:

- نَعْبَانِ أَوْى.. عايز أدخل الحمام.. مش قادر.

كان صوتى ضعيفا للغاية، وأصبحت كأننى "مبْرُشْم".. ربما بسبب الحبوب التى أخذتها والحقنيتين.. وربما بسبب أعراض الانسحاب، ولم أكن أشعر بما يحدث حولى ولا أستطيع تمييز أى شىء.. وبعد عناء حقيقى، قمت من السرير متجهاً إلى الحمام.. ارتطم جسمى كله بالحائط، وفى اللحظة نفسها أسرع إلى من يسندنى، ويساعدنى على الحركة.. وجاء آخر، وأمسك بذراعى، ومشيت بصعوبة بالغة فى "كوريدور" ضيق للوصول إلى الحمام.. مشيت مستندًا إلى أحد الرجلين، وكان الآخر يمسكنى بقوة حتى لا أقع، وأخيرا وصلت إلى الحمام، وقلت لهما:

- شُكْرًا.

واستندت إلى الحوض وبدأت أتقيأ.. وعانيت كثيرا بسبب الإسهال، وأخيرا فتحت باب الحمام، ووجدتهما فى انتظار خروجى لمساعدتى للوصول إلى سريرى، وأمسك أحدهما بذراعى، واستندت باليد الأخرى على جدران

"الكوريديور" الضيق، وأعاد الرجل الثانى ترتيب سريري، وارتفعت على السرير.. محطماً.

طبعاً، لم أنم.. واستمرت الألام والتعب الشديد، وصراخ مستمر: آه..  
تعبان.. تعبان.. آه.

إنها الساعة الثامنة.. وارتفع صوتى قليلاً بالنداء:

- يا فريد.. يا فريد.

سمعت صوت شخص آخر يقول:

- أنا حسنين مكانه.. فريد مشى خلاص.

- يا حسنين.. أنا عايز الدكتور.. أنا تعبان أوى.. خليهم يدونى أى دوا بسرعة،  
لأن الوجع بدأ يرجع تانى.

- الدواء جه، بس الدكتور قال إنك لازم تاكل حاجة.. أى حاجة.. الفطار بتاعك  
بره.. أو أقول لك، استنى هالجيبه لك هنا.

- لا.. لا.. مش قادر أكل.. مش قادر خالص.

- طيب اشرب العصير.. ما أنا ما أقدرش أدبك الدواء من غير ماتشرب  
العصير.. دى تعليمات الدكتور، وأنا ما أقدرش أكسرها.

شربت قليلاً من العصير لأخذ الدواء.. لم أستطع أن أشرب علبة  
العصير كلها.. أخذت الدواء، ومع هذا ظلت الأوجاع مستمرة، والأعراض كما  
هى.. الرشح من الأنف، المغص، القيء، الإسهال، كما بدأت أشعر بأن هناك  
ألاماً جديدة بدأت تظهر.. شعرت بأوجاع فى كل المفاصل، وظهرى أيضاً،  
وأشعر بالبرد طوال الوقت.. الصداع رهيب، "وزغلة" فى العينين.. أضف إلى  
هذا كله، الأعراض الطبيعية التى أعرفها، وقد تعودتها مثل التقلب و"الفرك" فى  
السرير، عيناى تدمعان، والتثاؤب طوال الوقت، وأيضاً: لا أنام.

حاولت المشى فى الغرفة.. لم أستطع، وعدت إلى السرير محطماً، أجز

أقدامى.

يا!! يا ساٲر.. الساعة العاشرة صباحا.. نَحْنُ فى بداية اليوم، ولست أدرى كيف سيمر هذا اليوم.. جلست فى السرير لا أقوى على الحركة، وقلت لنفسى:

- دى أوْحش ليلة وصباح عذُّوا على من يوم ما أتولدت.

وتذكرت ليلة أخرى من الليالى البائسة.. تلك الليلة التى نمت فيها فى بيت حسام على الموكيت، وتوسدت ذراعى، وملاً التراب أنفى وصدرى.. وتذكرت كيف قضيت النهار أدور فى الشوارع.

استجمعت قواى إلى حد ما، وحوالى الساعة الثانية عشرة خرجت من الغرفة الصغيرة لأستكشف المكان، ولأتعرف على الأصوات التى تعلقو فى الخارج من حين إلى آخر، فوجدت حسنين يشاهد التليفزيون، وبادرنى قائلاً:

- حَمْدُ الله على السلامة.. قالوا إنك إمبارح كنت تعبان أوى..

- أنا لِسَّه تعبان لغاية دلوقت.. أنا عايز أأخذ حقنة أو أى دوا بِسُرعة، أحسن خلاص الوَجع رجع تانى.. مش قادر يا حسنين.

- فيه دوا لك الساعة 12:00، وبعدين الدكتور وليد جالك الصُّبح بذرى وكنت نايم.. بس مرَضاش يدخل يصحبك، لما عرف إنك تعبان أوى كدا، وهو قال إنه جاتلك تانى كمان شوية.

- مين الدكتور وليد؟

- دا مدير قسم الإدمان..

تذكرت الاسم.. أعتقد أنه هو الطبيب الذى قابلته فى منزل شريف يوم تقرر شحنه إلى المستشفى.

- طيب أطلبه وقوله يرجع، علشان أنا تعبان أوى.

- حاضر.. أوّل ما حد بيحى ها أقول لهم يُطلبوه على طول.



رجعت إلى غرفتي، وأنا في قمة التعب.. نمت على السرير، وبعد  
ثوانٍ وقف شاب على باب الغرفة، وقال لي:

- أنا رمزي.. والله إنت صعيبت على إمبراح بالليل.. أنا طول عمري أدخل  
المستشفى ومعايا بودرة، إلا المرة دي.. أول مرة أدخل فاضي.. والله لو كان  
معايا بودرة، كنت إديتك.

- بجد مفيش معاك؟ لو معاك اديني.. من فضلك يا رمزي.

- لا والله.. مفيش معايا.

قالها.. "وشعلني" وخرج.. وظللت نائمًا في السرير إلى أن سمعت  
الباب يفتح، ويقفل من جديد، وأصوات، وأحاديث لم أتبينها، فحاولت أن أستجمع  
قواي وأخرج من الغرفة، لأعرف ما يحدث خارجها، ورأيت الدكتور وليد ومعه  
الممرض، قادمين لإعطائي الدواء.. سلم عليّ الدكتور قائلاً:

- حمد لله على السلامة يا صلاح.. إزيك يا رمزي طوّلت المرة دي.

- ولا طوّلت ولا حاجة.. أنا كنت هنا من شهرين.

- أنا حاسس إنهم أكثر من كدا بكثير.. وإنت يا صلاح.. أخبارك إيه؟

- تعبنا جدا.

فقال رمزي:

- إمبراح، كان بيصرخ ويولول.. صعب على جدًا.

- غريبة.. مكتوب في التقرير إنه أخذ حقنتين وأدوية يهدوا جبل.. تعال  
يا صلاح نعد مع بعض شوية.

دخلت مع الدكتور إلى الشرفة.. وفاجأني قائلاً:

- أنا قابلتك في بيت شريف، صح؟

- ذاكرتك قوية يا دكتور.

- المهم.. أحكى لي.. أخبارك إيه؟

- تعبان.. الأدوية بتاعتكم مش عاملة حاجة.

- لا.. إنتِ الدُّوز بتاعك اللي باين عليه على شوية.
- قُل لي يا دُكتور، أنا ها أنزل من هنا إمتي؟ أنا خلاص زهقت.
- يومين بالكثير.. بس إنتِ لازم تَشُد حيلك شوية.. لازم تأكل شوية..
- باللأ.. أنا ها امشي وأشوفك بكرة إن شاء الله.
- الأدوية يا دكتور.. زودلي الأدوية شوية.
- حاضر.. ماتقلقش.. بالأ مع السلامة.
- سلام يا دكتور.
- سلام يا رمزي.. أشوفكم بكرة.

المشكلة أن عقارب الساعة لا تتحرك، كأن الساعة هنا تختلف عن الساعة في أى مكان آخر، ولازلت أشعر بالآلام والدوار، ولا أستطيع أن أتحمل الضجيج العالى فى دماغى.. معركة و"خناقة" رهيبه فى عقلى.

وجاء فريد وتسلم الفترة الجديدة من العمل بدلا من حستين.. مرّ النهار ببطء غير عادى، وجاء الليل بمتاعبه، ومرة أخرى.. شعرت بالتعب، لكن الحمد لله، تعب لا يقارن بالليلة الأولى.. الليلة الأولى كانت أصعب ليلة فى حياتى.. فقد اكتشفت فى هذه الليلة أن أوحش شيء فى الضرب هو التبطيل، ومرحلة أعراض الانسحاب.

من جانبى.. استمر "الزّن" ليُسْمَح لي بتناول أكبر كمية ممكنة من الأدوية، فقد كنت أشعر بالرعب من المرور بآلام الليلة الأولى، ولم أكن قادراً أو مستعداً لتحملها مرة أخرى.. وتناولت أدوية كثيرة فى تلك الليلة.. أعتقد أنها وصلت إلى ثمانى حبوب على مدار اليوم كله، لكن دون حَقْن.. وبالبحاح شديد طلبت حقنة، لكن بلا استجابة، وظللت أحاول وأحاول.. بلا فائدة.. لقد فشلت كل محاولاتي.. قال لي فريد:

- الدكتور قال النهارده مفيش حَقْن علشانك، ولازم تستحمل شوية.

- استحمل إيه بس؟ هو أهلى جابونى هنا علشان تعذبونى واللا إيه؟
- هانت كلها كام يوم.. يومين بالكثير.. وتبقى كويس.
- هو شريف هنا يا فريد؟
- شريف.. آه موجود.. منورنا.
- طيب والنبى لما نشوفه، قل له إن أنا هنا، ولو يقدر يعذنى على يبقى كويس.
- حاضر.. ها أقول له أول ما أشوفه.
- أنا سمعت إن تامر هنا كمان.. تعرفه؟
- طبعا أعرفه.. تامر هنا من شهرين تقريبا.. بس طالع أجازة كمان كام يوم.
- تامر من أصدقاء رامى، وعاطف - الله يرحمه- وأيضا يعرف حسام جيدا.. قضينا معا أياما وليالى.. وكنت أعتز بصداقته.

رجعت إلى غرفتى، ودخلت السرير.. وكلى تعب والالام يصعب وصفها.. وبصعوبة نمت ساعتين فقط، من الساعة الرابعة إلى السادسة. وظللت أنقلب فى السرير حتى الساعة الثامنة.. التعب يسيطر على كل كيانى، من رأسى إلى أصابع قدمى.. التكسير فى كل جسمى.. تحركت بصعوبة حتى وصلت إلى الحمام.. الإسهال مستمر، وأنقىا عصارة معدتى، صفراء، مرة.. علقم.. ولازلت لا أستطيع تناول الطعام.. ولا شىء فى معدتى أساسا، وغذائى هو العصير، وأكل موزة وبرنقالة.

وجاءتنى الأدوية الساعة التاسعة صباحا، تناولتها بلهفة على أمل أن تخفف آلامى، كنت أشعر أن الأدوية هى المنقذ الوحيد من الآلمى.. وعندما سألت عن الدكتور وليد، أجابنى فريد:

- هيجى طبعا، بس لسه قدامه شوية.

ظللت مُستلقيا على السرير، متعبا.. لا.. أكثر من هذا.. "خُلصان" فعلا.. وعند منتصف النهار، حوالى الساعة الواحدة ظهرا، دخل إلى غرفتى طبيب

أنيق، وحدثني مظهره بأنه رجل مهم في المستشفى، وبدأ الحديث معي بهدوء  
قائلاً:

- إزيك؟ أنا دكتور سمير.. عامل إيه النهارده؟
- والله يا دكتور لستُه تعبَان.
- على بكره هتبقى أحسن شوية.. يا ترى إنت محتاج أى حاجة؟
- كان أسلوبه الهادئ الراقى سبباً في أنني لم أطلب منه شيئاً.. فقلت:
- لا.. متشكر يا دكتور.. مش محتاج أى حاجة.
- طيب.. عايز تسألني أى سؤال؟
- أيوه.. عندي سؤال.
- إتفضل.
- أنا بعمل كدا ليه؟
- علشان أنت مدمن.
- ولأول مرة في حياتي، أسمع كلمة "مدمن" موجهة إليّ مباشرة، وقد  
تقبّلتها، بل كنت موافقاً عليها.. قلت:
- طيب هو فيه مدمن بيبتل؟
- أيوا.. فيه مُدمنين بيبتلوا.
- فين؟
- هتقابلهم.. بس لستُه مش دلوقت.. أصبر.. عن إذنك، وقريب هيكون لنا لقاء  
تاني.
- أوكيه يا دكتور.. مع السلامة.

وتساءلت: من هذا الرجل يا ترى؟ رغم كل التعب الذي أمر به..  
أعجبنى هذا الطبيب، احترمني خلال حديثه.. أسلوبه هادئ، وبسيط ومميز..  
ثم ما هذا الكلام الذي دار بيننا؟ ماذا يقصد بكلامه؟ أسئلة كثيرة دارت بخاطري،

أكبر كثيرا من مساحة الدقيقتين اللتين قضاهما معي.. وعلى الفور سألت  
حسنين:

- مين الراجل ده؟

- دا الدكتور سمير.. صاحب المستشفى.

- باين عليه راجل مُحترَم.

مرَّ اليوم أيضًا بصعوبة بالغة، ولم يأت الدكتور وليد، ولم يسأل..  
وتناولت مجموعة أدوية لتخفيف الآلام، ولمساعدتي على النوم الذي لم يكن أكثر  
من ثلاث أو أربع ساعات على مدار اليوم الكئيب، واستمرت الشهية للأكل  
مفقودة.. على الأكثر ملعقة أرز، وملعقة خضار، وقليل من السلطة، والموزتين،  
والبرتقالة.

ولم يكن للسيجارة طعمها الذي أعرفه، كأنني أشرب سيجارًا وليست  
سيجارة.. وسيجارًا ثقيلًا، ومن أردأ الأنواع.. بعد السيجارة يبدأ السعال، ويستمر  
طويلاً.. وبالتالي لم أكن أتجاوز أكثر من سيجارتين أو ثلاث طول اليوم بأكمله.

## ميلاد

أيام زمان، كان يوم "...." نوفمبر، هو يوم الاستعداد للاحتفال بعيد ميلادى فى اليوم التالى. "...." نوفمبر يوم من أيام العمر.. يجىء مرة واحدة فى السنة، أستقبله فى الصباح الباكر على قبلة من والدى، وظرف به مبلغ محترم.. وكانت ليلة عيد ميلادى، أقضيها فى عمل اللمسات الأخيرة للحفلة الكبيرة.. وتسبح فى خيالى عشرات الأفكار لأجعل منه يوماً مشهوداً من أيام عمري.. مع مَنْ أخرج فى الصباح؟ ومع مَنْ أتناول وجبة الغداء؟ ومع مَنْ أسهر فى المساء؟ ومع مَنْ أقضى بقية الليل حتى الفجر؟ ما أهم وأجمل الاختيارات المطروحة على الأجندة؟! ماذا أفعل، هذا أم ذاك؟! والمخدرات: أشكال وألوان، وزجاجات الخمرة والخطط كثيرة.. ورنين التليفون يعلو مع شعاع الضوء الأول.. وتصلنى الهدايا مع الساعات الأولى من الصباح.. ورود.. بطاقات.. مفاجآت لا أول لها ولا آخر.

نضيف إلى هذا كله استعدادات أهلى، الذين يبذلون جهداً حقيقياً للاحتفال بعيد ميلادى، ولكنهم لا يظفرون بأكثر من نصف ساعة، نلتف فيها حول كعكة تضيئها الشموع، وتردد أركان البيت أصوات أغانيهم بعيد ميلاد "أبو الفصاد"، ويمنحني كل منهم هديته وقبلة حانية يملؤها الحب.. أحضر إلى البيت مسرعاً، أجرى هنا وهنا، لأستكمل ارتداء ملابسى، بينما أسئلتهم لا تنتهى:

- مين بعت الورد دا كله؟

- وهدية مين دى؟

- وهتسهر فين بالليل؟

- وهتسهر مع مين؟

الليلة تمر بلا أى استعدادات، دون احتفال، وأكبر أمنيّاتي أن أخرج غذا من هذه الشقة.. أخرج من محبسى هذا، فى الصباح الباكر.. كم أشعر بالملل، ورغم أن رمزى معى فى الشقة ذاتها، لكننى لا أراه.. إنه نائم طول الوقت، ولا أعرف كيف يستطيع أن يواصل النوم ليلاً ونهاراً.. ونهاراً وليلاً بهذه الدرجة؟! وفى "توبة الصّحّيان"، لا يتكلم إلا قليلاً.. يقول جملة أو جملتين، ويختفى من جديد.

تناولت الدواء ليلاً، ولم أتم أكثر من ساعتين أو ثلاث، وأيضاً بصعوبة.. وصحوت الساعة الثامنة صباحاً، طبعاً لم أستقبل الورد، أو الرسائل، أو بطاقات التهنة، أو الهدايا.. لا شىء.. لا شىء على الإطلاق. وكالمعتاد لم أستطع تناول طعام الإفطار كاملاً.. لم أتناول إلا قطعة جبن رومى صغيرة، وشربت معها الشاي فقط.. كنت متعباً، ومرهقاً وكأنيّ صعدت سلالم عمارة من عشرة أدوار دون توقف.. وعندما تناولت الدواء قلت للممرض:

- أنا عايز دكتور وليد بسرعة.. النهارده عيد ميلادى ومش عايز أفضّيه فى شقة، ومحبوس بين أربع حيّطان.

الفارق كبير بين ما أنا فيه اليوم، وأيام عيد ميلادى فى كل أعوام عمرى التى مضت.. ليتنى لم أولد أصلاً.. لماذا جئت إلى هذه الحياة؟ فى لحظة صدق مع النفس كنت أقول نعم.. لست مسئولاً عن مجيئى للحياة!! ولكنى المسئول عما يحدث لى الآن.. لا.. لست مسئولاً.. لا أعرف من المسئول؟ لا أعرف!! ما هذا الذى يحدث لى؟! إننى لا أطالبهم بإحضار تورتة والاحتفال بى، لكن على الأقل أخرج من هنا، وأنزل قسم الإدمان وأقعد مع الناس، وأشوف شريف وتامر، وأكدد سوف أرى آخرين ممن أعرفهم، ومن الممكن أن يحتفلوا بهذه المناسبة، وإذا لم يحتفلوا.. لا يهم.. ولا فارق عندى، بل كل ما يهمنى فقط أن أخرج من هذه الشقة.

فى يوم ميلادى.. لم أكن سعيدا، ومرحاً، ومنتعشاً كعادتى.. فماذا أفعل فى مثل هذا اليوم؟ ماذا يفعل شخص مثلى فى يوم ميلاده؟ ماذا يفعل إذا كان شريداً مثلى؟ إذا كان سجيناً بين أربعة جدران؟! لقد سلّمتنى أهلى إلى سجن، وليس إلى مستشفى.. وأمشى فى هذه الزنزانة، أروح وأجىء بلا هدف.. هنا لم ولن يضيئوا لى شموعاً.. بينما كانت أمى تحرص على أن تشع أضواء الشموع فى كل أرجاء المنزل.

هل يكفى أن أبكى؟ سؤال مرّ بعقلى وقلبى؟ سؤال مرّ بضميرى.. ولم أعثّر له على إجابة.. كم بكيت فى هذا اليوم، وأتذكر أمى، وأبحث عن وجهها بين هذه الجدران، فتظهر صورتها غير واضحة ترسمها دموعى، وتزداد بعداً.. لكن بالتأكيد أمى سوف تحضر فى هذا اليوم بالذات، ومن المؤكد أنه سوف يأتى معها أبى.. وسأطلب منهما إخراجى من هذه الشقة، وإحضار أشياء كثيرة لى.

وأين أنت يا كريم؟؟ أخى الكبير.. أين أنت؟؟  
رولا.. توأمى.. أكيد ستفعل المستحيل لزيارتى.. أكيد.

وحشبتى رولا جداً، وفى الوقت نفسه كانت صبغانة على، خصوصاً فى السفين الأخيرة، كانت يتعذب، وعلى طول بتعيط، ومكثبة.. فى وقت من الأوقات كنت باتمنى أبطّل غلشان خاطرها من كتر ما كانت صبغانة على.. ولكن "مفيش حد بيبطل غلشان حد".. خواطر وأفكار لا تنتهى.

مرّ اليوم ولم يسأل أحد عنى.. لم يسأل عنى الطبيب.. ولم يزرنى شريف رغم سؤالى عنه كثيراً.. ولم يسأل عنى بابا، ولا ماما.. ليس لحزنى مثيل.. وفى أعماقى بركان من الغضب، وأروح وأجىء فى محبسى، مثل النمر الجريح فى القفص، وأكلم نفسى:

- معقول يعملوا فى كذا؟! وبتعدين يعملوا كدا يوم عيد ميلادى؟؟ لكن لا.. الحق يُقال، مَحْدَثْ عمل فى أى حاجة.. أنا اللّى عملت كدا فى نفسى.. وبيا ترى مريم



ممکن تیجی تَزُورنی النهارده؟ هی اکید ما کانتش تُقصد الکلام اللی قالته من کام یوم.. بس انفجرت وقالته بسبب العذاب اللی شافته.. هی فعلاً اتعذبت.. بس مفیش مشكلة.. لما أخرج من هنا أقول لها: النهارده أحسن من إمبارح، وبُكره أحسن من النهارده، مع كلمتين جلوبین، ويرجع تانى كل شىء زى الأول، وأحسن.

وأتذكر راندا..

طیب وِراندا، بتعمل إيه دلوقت؟ ماينفُش بتسى یوم زى ده.. احتفالاتنا فيه ماكانتش عادية.. كل سنة كان الاحتفال أقوى من السنة اللی قبلها.. آه.. إحنا سیئنا بعض، بس اکید هی لسه بتحببى.. أصل اللی بینا كان كبير أوى، لكن أنا فی الآخر كنت أعاملها معاملة بشعة.. هی السبب، وأنا کرهتها بعد الحركة اللی عملتها.

وهالة، أنا عارف إنها هتفتكرنى، وممكن کمان تکلمنى.. بس هالة قلبها میت، ومش هيفرق معاها أى حاجة أنا أقولها.. هی شايفة إن زمامى فالت، ومشغول بالبنات، وعمرى ما ها تغیر.

والیوم دا بالذات تمنيت أشوفها، واقعد اتكلم معاها.. وأشكى لها هُمومى.. أشكى لها من إيه، واللا إيه؟ أشكى لها منهم؟ ولا من نفسى؟! طبعاً لازم أطلع الكل غلطان، وأنا المسكين اللی مظلوم فى كل اللی بیحصل.

ظلمت شاردا بین خواطرى، وجواراتى مع نفسى، واستمرّ المونولوج طوال النهار، ومر الیوم.. یوم میلادى ولا أحد سأل عنى، ولم یكلمنى أحد، ولم یظهر الطیب، أو غیره من الناس، وأخيراً.. أخيراً جاعنى الممرض فى الساعة السابعة مساء، وقال لى:

- والدك، ووالدتك كانوا هنا، ولسه ماشیین، وسابولك المصحف ده.
- طیب مشیوا لیه؟ أنا كنت عايز أشوفهم!
- وهماً کمان كانوا عايزین يشوفوك، بس الدكتور سمیر ماوافقش.

- ليه؟! ما وافقش ليه؟!

- ما اعرفش والله.

- يا سلام!! يعنى دكتور سمير يمنع أهلى من إنهم يشوقونى يوم عيد ميلادى؟!!

ماشى.. هو دا النظام يعنى!!?

فتحت المصحف، ووجدت رسالتين: رسالة من أمى، وأخرى من

والدى.

كتبت أمى فى رسالتها:

- ابنى.. وحشتى.. سنة جديدة، وميلاد جديد.. بادعى لك فى كل لحظة، وكل

خطوة.. عايزاك تدعى الدعاء ده كثير:

"اللهم ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً

نصيراً.. إنك على كل شىء قدير" .. مليون قبلة لولدى حبيبى.

ملحوظة: حاولنا أن نلقاك، ولكننا لم نستطع.. سنراك قريباً بإذن الله.

كتب والدى فى رسالته:

- طوال الطريق وأنا أفكر فى لقائى بك.. ماذا أقول لك فى يوم ميلادك وأنت

بعيد عنا؟! أرجوك، عذ إلينا.. أرجوك.

قرأت الرسالتين أكثر من عشر مرات.. بين السطور عذاب، ليتنى

أستطيع التخلص منه.. قرأت آيات الله من المصحف لمدة خمس دقائق.. ياااه!!

إنها أول مرة منذ زمن أمسك فيها بالمصحف.. واحتفظت فى داخله بالرسالتين،

ونمت كى أعبر يوم عيد ميلادى الذى قضيته فى محبسى بين الجدران، فى شقة

من غرفتين، فى مستشفى لعلاج الإدمان.. نمت بعد العشاء: سندوتش جبنة

رومى وعسل وزبادى، وتناولت أدوية للنوم والصداع، والعلاج النفسى.. نمت

ثلاث أو أربع ساعات فقط وبصعوبة.

استيقظت صباحاً، ولازال بركان الغضب ثائراً، بسبب الطبيب الذى تركنى أقضى يوم عيد ميلادى بين أربعة جدران، ولأنه وعدنى بدخول قسم الإدمان بعد ثلاثة أيام من وجودى فى المستشفى، وقد مرّت على خمسة أيام وليس ثلاثة.. كما ألمنى جداً ألا أرى والدى بالأمس.. تمنيت رؤيتهما، لأتحدث معهما، وأسأل عن رولا.. كيف تصرف الطبيب معى بهذا الأسلوب؟ لماذا فعل هذا؟ لقد اهتزت نقتى به، وسوف يرى منى معاملة جافة.. هنا تمر الدقيقة كأنها ساعة، والساعة كأنها يوم كامل.. وفى حوالى الساعة الواحدة، جاعنى دكتور وليد، وعلى شفثيه ابتسامة، وقال:

- كل سنة وأنت طيب.. مَعَلِش.. ما عرفتِش أشوفك إمبارح، كان يوم مَضْغُوط شوية.

- بأقولك إيه.. لما تقول حاجة، تبقى تنفذها.. قلت لى 3 أيام فى "الديتوكس" السنجن ده، وأنا بقالى 5 أيام.. خليك أد كلمتك.

- أنا أد كلمتى، بس إنت اللى كنت محتاج تفعد هنا أكثر من 3 أيام.

- طيب ما قلّيش ليّه؟ كنت قلّ لى.

- أدبنى بأقولك أهه.

- لا.. إتأخرت أوى.

دخلت إلى غرفتى، بينما جلس دكتور وليد مع رمزى، وتركه بعد حديث قصير.. وبعد قليل، وحوالى الساعة الثالثة جاء الممرض ووضع المفتاح فى الباب ووقف يتحدث مع زميل آخر، وفجأة دفعته إلى خارج الباب، وأخذت المفتاح معى، ونادى حسنين راجياً بصوت هادىء:

- يا أستاذ صلاح.. افتح من فضلك.. يا أستاذ صلاح أنا كده ها أخذ جزا.. إنت مايرضيكش تأذيني.

- لا.. مش ها افتح.

قفلت الباب بالمفتاح، وتركت المفتاح في القفل حتى لا يستطيع أحد فتح الباب بمفتاح آخر.. رمزي يشاهد الموقف ويبتسم ولا يعلق.. كأنه يرى فيلمًا هابطًا ومضحكًا في الوقت نفسه، وجريت إلى "الشرفة".. إننا في الدور الأول، ومن المحتمل أن أنجح في القفز من على سورها.. ولكنني تساءلت مع نفسي:

- طَيِّب لو نَطَّيت، أروح فين؟! طيب أنط وبعدها ربنا يسهل.

وفي اللحظة نفسها، سمعت صوتًا أعرفه جيدًا.. إنه شريف:

- صلاح.. افتح يا صاصو.

- مين؟

- أنا شريف.. افتح.

- لأ.. مش فاتح.

- افتح وميش ها اخلي حد يَدْخُل مَعَايا.

- ماشي.

وفعلا دخل شريف بمفرده، ولم يدخل معه أحد.. فقلت له:

- إنتَ فين يا عم؟! سايبني 5 أيام في الشقة الزفت دي!!

- أنا سمعت إنك تعبت أوى أول كام يوم.

- أنا إتجهدت أول وتانى ليلة.

- إنتَ مَعَاك رمزي كمان.. إزيك يا رمزي؟

- إزيك يا شريف.

- تمام.

- أنتَ يا صاصو مَعَاك ملك المستشفى.

- يا عم مَعَايا إيه.. أنا مِشُ باشوفه.. دَا نايم طول اليوم.. إزاي؟! مَا أعرفش!!

- بَا أقولك إيه يا صلاح.. لِمَ الدُور عِلشان تنزل من هنا.. دكتور وليد قال لى

إنك شديت معاه النهارده.

- طبعًا، هو لِسَّه شَافُ حَاجَةٌ.. أنا ناوِي أَنْفِخَه.. قال لي بالكثير 3 أيام هنا،  
والنهارده بَقَالِي 5 أيام، وفي عيد ميلادي يسيبوني مَرْمِي هنا.
- معلى، دي عندي.. افتح الباب وخلي حسنين يدخل.. علشان خاطري  
يا صلاح.
- علشان خاطرِك بس.. باقولك ايه.. خلصنى من المصيبة دي.
- حاضر.. ياللا افتح ودخله.
- دخل حسنين، ومعه فريد.. وقال لي معاتبًا:
- كدا برُضه يا أستاذ صلاح.
- قال فريد بهدوء:
- ياللاً يا أستاذ رمزي علشان تنزل القسم.
- فقلت معترضًا:
- والله؟! بقى كدا؟! يعنى هو جِه هنا معايا وينزل قبلى؟ شايف يا شريف!!
- إهدا بس.. رمزي قديم هنا.. وبعدين أنت لِسَّه مَخْبَطُ مع دكتور وليد، لِمَ الدُّور  
وأنا أَخْرَجَكُ من هنا بكرة.
- أنا مِشُ عايز أتعامل مع الدكتور ده تانى.. يبعذ عني ويسيبني فى حالى..  
أنا مِشُ ناقصه.. اللى فيهِ مكفينى.
- باقولك ايه.. نخرجك من هنا وبعدين نتفاهم.. إسمع.. أنا ها امشى دلوقت،  
وبكره هُخْرَجُ من هنا.
- تعرف لو سيبنتى أكثر من كده.. هاوَلَعها.
- خلاص يا صاصو.. أنت بس إهدا، ولما بيجي لك دكتور وليد بكرة،  
ما تشدش معاه.. ولعلمك، وليد راجل جدع.. وجدع جدًا كمان.
- لما نشوف.. باين عليه هيشوف معايا أيام سودا.

مرّ اليوم الأول من أيام العمر الجديد.. والميلاد الجديد على رأى  
أمى.. مرّ وعندى شعور طاعٍ بالكراهية.. كاره للدكتور وليد.. وكاره  
للمستشفى.. وكاره لنفسى.. كاره كل شىء..

صحوت فى موعدى.. الساعة الثامنة، وأخذت الدش، وتناولت إفطاراً  
بسيطاً لأتناول الدواء بعد الأكل.. ولازال الوقت يمر ببطء، ولم يسأل عنى أحد  
حتى الساعة الحادية عشرة.. وشعرت بالغليان، لدرجة أننى فكرت فى كسر  
التليفزيون لو ظللت فى محبسى داخل الشقة.. لو حدث هذا سوف أنفذ قرارى  
بلا تردد.. ولكن حوالى الساعة الثانية عشرة والنصف وصل دكتور وليد،  
وبهدوء قال:

- إزيك النهارده؟ شكلك أحسن بكثير من أوّل يوم وأحسن من إمبارح كمان.
- ناوى تسيبنى هنا النهارده كمان؟! على العموم مش هتفرّق.
- لا.. كفاية كدا.. هتتزل القسم.. ياللا.. يا فريد.. على القسم.. وهما اشوفك  
هناك كمان شوية.
- نزلت إلى القسم مع فريد لأول مرة، وضرب الجرس وفتح لنا شخص،  
عرفت أن اسمه صادق، رئيس العاملين فى قسم الإدمان الذى قال:
- حمّد الله على السلامة.. عامل ذوئشة فى "الديتوكس" ليه.. إتفضّل.
- إنتوا لسه شوفتوا حاجة؟

دخلت، وب نظرة خاطفة، رأيت مجموعة كبيرة، حوالى خمسة عشر  
مريضاً، ولم أركز فى محاولة معرفة أحدهم، فقد كنت متعباً بسبب أعراض  
الانسحاب، ولازلت فى حالة الغليان بسبب الليالى الخمس التى قضيتها فى  
"الديتوكس".. جلست على أقرب كرسي دون أن أسأل عن شريف أو تامر،  
مددت يدي وأخذت إحدى الصحف، على أمل أن أهدأ ولو قليلاً، وأقرأ.. فقراءة  
الجرائد من هواياتى، وكانت مشكلتى وأنا ضارب قراءة الخبر أربع أو خمس  
مرات لأفهمه، وطبعاً كانت الصحيفة تقع من يدي، وأرفعها من على الأرض،

وأحاول معرفة أين توقفت.. وعند أي جملة.. في تلك اللحظات الأولى، جاء شريف إلى قائلًا:

- إزيك يا معلم؟ إيه الأخبار؟ مش قلت لك ها اخراجك النهارده.. أنت أوضنك فين؟

- ولا اعرف.. أنا دخلت هنا من خمس دقائق بس.

- يا صادق.. أوضة صلاح فين؟

- فى الدور اللى فوق.. الأوضة اللى على اليمين، شمال الحمام.. الأوضة اللى كان فيها تامر.

- باقولك إيه يا صادق.. شوفله حاجه تحت جتبنى.

- مفيش ولا سرير فاضى تحت.. لو حد مشى هنقله على طول.

- ماشى.

نظرت حولي ورأيت صديقًا:

- ياه.. دا جلال هنا.

- أهلا، أهلا.. المستشفى نوريت يا صاصو.. إنت جيت إمتى؟

- بقالى 6 أيام فى "الديتوكس".. سجن.. وإنت هنا من أمتى؟

- من شهرين، بس خلاص ها أخرج قريب.

- وفين تامر يا شريف؟

- خرج من يومين، وإنت فى "الديتوكس".. ما تقلقش.. هيرجع على طول..

تامر مش بيطول بره.

فقلت متعجبًا للمرة الثانية:

- إيه ده؟ أسامة هنا كمان؟ يا نهار أبيض.. والله زمان يا أسامة.

- واحشنى جدًا يا صلاح.. أخبارك إيه؟

- زى الزفت.. شوفت كام يوم بهدلة.

- أمال أنا أعمل إيه؟ دا أنا بقالى 8 شهور فى المستشفى.

- 8 شهر؟ طيب.. ما تخرج.

- إخوانى مش عاوزين يخرجوني.. أخبار رامي إيه؟ بتشوفه؟

- كان معايا من أسبوعين، ورُحنا ضربتنا سوا، باباه عيان أوى، ما إنت عارف

عنده القلب.. بس أمه وأخوه عاملين عليه كمأشه بنت ".....".

شخصيات كثيرة أعرفها جيداً.. مرات ومرات ضربتنا معاً، وكثيراً

ما التقينا فى أماكن وظروف مختلفة.. دولاب فى بولاق، إمبابه، كوم السمن،

الجعافرة.. ياه!! وعلى رأى المثل.. فعلاً.. الطيور على أشكالها تقع.. من

النادى، من المدرسة، من الزمالك، من المهندسين، من مصر الجديدة.. من كل

مكان!!

# عيون قارئ





## السفينة

ومن مكاني هذا بدأت أتجول بعيني في المكان.. بعد الممر الطويل،  
ساحة كبيرة تجلس بها مجموعات من الشباب.. خمسة هنا، وستة في ركن آخر،  
وأربعة هناك، واثنان يلعبان الشطرنج، والمطبخ على الشمال.. ورأيت على  
اليمين تليفوناً، وبجانبه غرفة، وقيل لي إنها غرفة الدكاترة.. يا لها من كارثة،  
يعنى هما جنبنا مباشرة.. وعلى اليمين أيضاً سلام تصل إلى قبالاً مغلقة، وعلى  
الشمال ترابيزة "بنج بونج".

وهناك في صدر الممر الطويل، رأيت لافتة كبيرة، كتب عليها:  
"اللهم امنحنى السكينة لأتقبل الأشياء التى لا أستطيع تغييرها.. والشجاعة لتغيير  
الأشياء التى أستطيع تغييرها.. والحكمة لمعرفة الفرق بينهما"..  
أما جملة!!

أولاً: أعاظتني.. ونرقتني.

ثانياً: قرأتها أكثر من 5 مرات، ولم أفهم منها أى شيء.

وقرأت جدول الأسبوع معلقاً على الباب، كان كالتالى:

التأمل: دكتورة نجلاء من الساعة..... إلى الساعة.....

المشاركة: دكتورة إكرام من الساعة.... إلى الساعة.....

وفى أثناء قراءتى للمواعيد، قال لي شريف:

- ياللا على الغدا.

- لسه مش قادر أكل.. بالعافية معلقتين تلاتة.

- تعال بس يا صاصو وإنك نفسك تفتح.

- شفت أنا زدت 4 كيلو!! بيزغطونى؟

أكلت ثلاث ملاعق أرز وبطاطس بصعوبة، الأكل جيد فعلا، ولكنى لا أستطيع الأكل.. وأكلت قطعة صغيرة من صدر "الفرخة"، وأعطيت الباقي لصديقى شريف، فكل شخص له رُبْع فرخة، لكنها لا تكفى شريف.. وقررت الذهاب إلى غرفتى، فسألت:

- هى شنطتى فين يا صادق؟  
- فوق على السرير بتأعك.. يمين السلم.. شمال الحمام.. ومعاك أمير فى الأوضة.

وجدت فى الغرفة سريرين: شنطتى فوق أحدهما، وفتحت الدولاب، ووجدت نصفه مليئا بالملابس، وسمعت من يقول لى:

- أهلا وسهلا.. أنا أمير.. إزيتك؟  
- الحمد لله.. وأنا صلاح.  
- إنت منين يا صلاح؟  
- من الزمالك.. جار شريف.  
- ذا أنا سمعت أن الشارع بتأعكم مزعج.  
- فعلا، شارعنا كله ضربية.. وأنت من فين؟  
- من المهندسين.  
- فين فى المهندسين؟  
- أحمد عرابى.. جنب عمر أفندى.. هو إنت تعرف ضربية فى المهندسين.  
- آه طبعا.. أنا أغلبية ضربى كانت فى المهندسين.  
- تعرف مين فى المهندسين؟!  
- بهاء، سامح، تامر، عادل، ابراهيم..  
- إيه ده؟ إيه ده؟ دُول إعتاولة.. تعرف الناس دى من فين؟  
- دى شلتى.. أصلاً بهاء كان معايا فى الفصل من حضانة.  
- يا راجل.. بس دُول خربوها.

- يعنى إنتَ مَا خَرَبْتَهَاش يا أمير!! مَا كُنَّا خَرَبْنَاها.
- على رأيك.. دا أنا خَرَبْتَهَا، وَقَعَدْت على نَلْها.
- بأقولك إيه.. ياللا نَنْزِل عِلشان أنا عايز آخُد الدوا.
- أدبني عشر دقايق وَأَحْصِلك.

اخترت البقاء مع الشباب بدلاً من البقاء في غرفة النوم.. أولاً: أكاد أن أختنق.. وثانياً: لازلت كارهاً لنفسى، وكارهاً للمستشفى.. وثالثاً: ربما تخفف الصحبة مع الناس من حدة هذه المشاعر.. وجدت "شريف" ومعه رمزى، يجلسان مع اثنين من الشباب، شكلهما ومنظرهما لافِت للنظر والاهتمام.. جذبت الكرسي إلى جوارهما، وجلست أتابع الحوار، الذى بدأه شخص اسمه طلعت:

- أخذت البودرة وسافرت إسكندرية.. مُتَخِيل مَعاك 20 جرام.. الدنيا تبقى عاملة إزاي، وخلصتهم فى أسبوعين.. موت، وَمَارْجِعَيْش على البيت.. رجعت من إسكندرية على سويسرا.. الديتوكس على طول.

رد جلال قائلاً:

- فاكر يا أسامة لما طَلَعْنَا الغردقة بعد ما لَقِيت شَنْطَة الفلوس.. أخذت شَنْطَة أبويا زى ما هي، وفيها 40 ألف جنيه.. طَلَعت أنا وأسامَة وأتَيْن أصحابنا على الغردقة.. اشترينا 32 جرام من دعيس.. كَانِتْ كل البودرة اللى معاه.. يا نهار أسود، تصوروا لو كُنَّا اتمسكنا؟! طَبْعاً إِتجار.. هو فيه خُدْ يَمْشَى وَمَعَاه 32 جرام؟!!

الحديث كله عن المخدرات وأيامها الحلوة من وجهة نظرهم.. ولم يتطرق أحد إلى البهذلة التى عشناها وشفناها.. ولا الناس اللى تمسكوا ولا أصحابنا اللى ماتوا.. لم أتمالك سماع هذا الحديث، فأخذت شريف جانباً وتحدثت معه:

- بأقولك إيه يا شريف.. أنا عايز أضرب.

- لِحَقْت؟

- شَعُونِي.. فِيهِ أَى سِكَّة؟
  - أَصْبُر، فِيهِ سَفِينَةٌ\* جَايَةٌ، وَدَاخِلَةٌ قَرِيبٌ.
  - لَا يَا رَاغِلٌ.. إِمْتَى!؟
  - الْيَوْمِيْنِ دُولٌ.. بَسِ الْجَوِّ مَغِيْمٌ شَوِيَّةٌ.
  - أَنَا مَعَاكَ.. إُوْعَى تَبِيْعَنِى.
  - عَيْبٌ يَا أُخَى.. مَا كُنْتُشْ قُلْتُ لَكَ.
- مر النهار فى الثَّرثرة حول البودرة والمخدرات.. وتجمعنا مرة أخرى حوالى الساعة التاسعة، وتأمّلت وجوه المشاركين فى الجلسة، وكان من بينهم حلمى "مدمن خمر"، وقد سخروا منه كثيرا، لإعلانه أن الخمر أفضل من المخدرات.. كيف يجروء.. وضايقه شريف بقوله:
- إْحَى لَنَا عَنْ أَكْثَرِ بَارٍ بِتْحِيْهِ يَا حَلْمَى.
  - مِشْ بِأَحَبِّ الْبَارَاتِ.
  - طَالَمَا مِشْ بِتْحَبِّ الْبَارَاتِ.. بِتَشْرِبْ لِيَهْ؟ إِنْتُمْ عَارْفِيْنِ إِنْ صَادَقَ مِخْبَى مِنْهُ قِرَاةٌ كُولُونِيَا، أَصْلُ كُلِّهَا سِبْرَتُو، وَطَبْعًا يَا حَلْمَى فِى الْأَزْمَاتِ بِتَشْرِبْ 5 خَمْسَاتِ.. صَحْ؟
  - إِنْتِ تَفْهَمِ إِيَهْ فِى الْخَمْرَةِ؟
  - يَنْدَخِلُ جَلَالٌ قَائِلًا:
  - بِأَقْوَلِكَ إِيَهْ.. أَنْتِ هَتَقِلْ أُنْبُكَ وَاللَّاءِ إِيَهْ؟ كَلِمَ عَمَّكَ كُوَيْسِ وَإِلَّا قَسَمًا عَظْمًا.
  - لَا يَرِدُ حَلْمَى.. فَيَسْأَلُهُ شَرِيفُ:
  - قَلْ لِي يَا حَلْمَى، تَدْفَعُ كَامَ لَوْ جِبْتِ لَكَ قِرَاةٌ بِيْرَةٌ دَلُوْقَتِ؟
  - مَا أَدْفَعُشْ حَاجَةٌ.
  - إِنْتِ قُلْتِ لِي إِمْبَارِحِ أَدْفَعُ أَلْفَ جَنِيَهْ فِى قِرَاةٌ بِيْرَةٌ.. غَيَّرْتِ رَأْيَكَ لِيَهْ؟

\* اسم حركى للبودرة.

لم يحتمل حلمي سخرية شريف، وتركنا واخنتي.. سألت شريف:

- هي ايه حكايته؟

- واد رخم اوى.. سكرى، "كيمكلز"، بركينول على كودافين، اى بلا ازرق.

- يا اخى عمري ما فهمت الناس دول.. ذا كيف ناس عيانه.

- بأقولك ايه يا كراكس.. عاوزين نخلص منه.

- سيهولي.. انا بكره أشوفله سيكة.. وبغدين عيب يسبيك ويمشى وانت بتكلمه.

- قلة أدب وقلة تربية.. تربية صيدليات بصحيح!!

أخذت الدواء وذهبت إلى غرفتي، فوجدت أمير نائمًا، ومستغرقًا في

الأحلام.. ومرّ اليوم ببطء شديد، ولكنه مرّ والسلام.

## الأسبوع الثاني

بدأت التعرف إلى شخصيات جديدة منهم: ياسر من ليبيا، أمضى في

المستشفى 10 شهور، وداوود رجل كبير، ودخل المستشفى منذ سنة تقريبًا،

أما "فلان" ابن "فلان"، فهو في المستشفى منذ 3 شهور، وبعد خروجه بيومين

فقط عاود الضرب، وصمم أهله على إعادته من جديد.

ومن خلال حواراتهم، فهمت أن كلاً منهم يعرف الآخر جيدًا، وأن

"فلان" لم يضرب أكثر من شهر واحد، وبمجرد أن اكتشف والده هذه الحقيقة،

"شحنه" فوراً على المستشفى، وفهمت أيضاً أن رواد المستشفى لهم مصطلحات

خاصة كثيرة، منها:

المستشفى: سويسرا.. فلان اتشحن: معناها أن فريقاً من المستشفى أحضره دون

رغبته.. أما 111: هو رقم غرفة منفردة أو الحبس الانفرادي، فكل من يعمل

"مُصيبة"، يذهب فوراً إلى غرفة 111، ويظل في محبسه في تلك الغرفة مدة

---

\* يطلق على مدمني الأدوية.

تتناسب مع المشكلة أو الخطأ الذي ارتكبه، فقد يمضى بها أسبوعاً أو شهراً،  
ومن الممكن أن تصل المدة إلى ثلاثة شهور..

ومن أهم التعبيرات المعروفة: "السفينة داخلة" بمعنى أن المخدرات فى طريقها  
إلى قسم الإدمان، وبطبيعة الحال هذه خطيئة كبرى، وتعد أخطر ما يحدث فى  
المستشفى.. وفى الوقت نفسه أهم شىء بالنسبة للمدمن أن تتجح محاولاته فى  
إدخال المخدرات، وتبين لى أننا كأصحاب، وتجمعنا كارثة الإدمان، من المهم أن  
نتكلم اللغة نفسها.. وكان أول سؤال، وجهته إلى شريف فى ذلك الصباح:

- أخبار السفينة إيه؟

- فيه مشكلة فى المينا، بس ما تقلقش.. إسمع.. حاسب من الكلام فى الموضوع  
ده مع أى حد، لأننا لو اتمسكنا واتعمل لنا تحليل، على 111 فوراً.. أه يا معلم،  
وما أدراك ما هى 111.. قضيت فيها أيام وليالى.

- هما ليه سموها 111؟

- وإنت جوّه مايتشوفش غير 3 عواميد حديد يا معلم.. تعال يا صاصو نحضر  
التأمل مع نجلاء.

- مين نجلاء يا شربو؟

- أخصائية اجتماعية دلوعة أوى، أه لو وقعت تحت إيدى.. أهى.. وصليت.

- صباح الخير يا شريف.

- صباحنا لبن بإذن الله.

- إنت صلاح.. صح؟

- صح.

وكان تعليق شريف:

- دا إنت متوصى عليك.. هنيالك يا عم.

جاء حلمى وقال:

- أنا عاوزك يا نجلاء بعد الاجتماع.. فيه موضوع مهم وعاوز أتكلم معاك.

ضحك شريف قائلاً:

- أصل إحنا ضغطنا وقرصنا عليه إمبراح.. اسمع يا حلمى.. يعبوك فى قرايز.
- عيب يا شريف.. حاضر يا حلمى، طبعاً أقعد معاك.. وإنت كمان يا صلاح، أنا عاوزة أقعد معاك بعد الاجتماع.. ممكن؟
- طبعاً.. ممكن.

جلسنا أمام باب القسم فى دائرة تضم حوالى 12 شخصاً فقط، ولم يحضر بقية النزلاء، بعضهم لا يرغب فى حضور الاجتماع، والبعض نائم، والبعض فى حالة كسل.. وعلى مسافة ليست بعيدة، جلس اثنان من الممرضين: أحدهما على اليمين، والآخر على اليسار.. عيونهما تراقبنا وكأنها عيون الصقر.. كل همسة، وكل حركة تحت "الميكروسكوب" تحسباً لمحاولات الهروب، والتي تتم فعلاً فى بعض الأحيان.. إنها ليست سهلة، ولكنها ممكنة الحدوث.

بدأ الاجتماع، وطلبت نجلاء أن يتكلم كل منا عن إحساسه بالمستشفى فى هذا اليوم، ولم أستطع التركيز، فلم أكن أفكر إلا فى السفينة والميناء.. فرفضت الكلام والمشاركة.. وفى نهاية الاجتماع تفرق الجمع، كل واحد فى طريق.. منهم من ذهب إلى غرفته، أو من يلعب شطرنج أو "بنج بونج"، أما أنا.. فلم أزل غاضباً، ولم يهدأ حتى الآن بركان الغضب بسبب حبسى فى "الديتوكس"، ولأن دكتور وليد لم يلتزم بكلمته، ولم ينفذ وعده.. ونويت ألا أكلمه، وعندما وصل نقاديت النظر إليه، وبدأ هو بتحية المجموعة، وسؤالهم عن مطالبهم.. من منهم يريد اتصالات تليفونية، ومن منهم يريد حضور الاجتماعات المسائية.. ولأول مرة أسمع عن هذه الاجتماعات، ولم أفهم المقصود بها، ولم أركز فى الموضوع لأفهمه، بقدر تركيزى فى أن البعض يمكنه الخروج من المستشفى الساعة السادسة مساءً، والرجوع إليه الساعة العاشرة.

- تصورت أنها رحلة أو نزهة ترفيهية، ويطلق عليها: اجتماعات..
- وعندما مد دكتور وليد يده للسلام، كنت في حالة سرحان، فقال:
- إزبك يا صلاح.. لسه برضه زعلان؟!
  - وإنت مالك زعلان واللامش زعلان؟!
  - خلى بالك يا صلاح، إحنا هنتعامل مع بعض فترة طويلة، وياريت تتكلم بأسلوب أحسن من كده.
  - أنا مش باتق فيك، فميش ها اعرف أتعامل معاك.
  - موضوع أنك قعدت كتير في "الديتوكس" مش قرارى لوخدى.
  - قلت لى ثلاث أيام.. وسببى ست أيام؟!
  - على العموم مائز عئش، وأوعدك لما اتفق معاك على أى حاجة مرة ثانية، أنفذها.

تدخل شريف فى الحديث قائلاً:

- عندى دى يا صاصو.. بص يا دوك، إحنا هنعديها لك المرة دى، بس المرة الجاية.
- لا يا راجل!! والله!! هاتعمل لى إيه إن شاء الله يا شريف بيه؟
- على 111 ولغاية لما بيان لك صاحب.

ربما كان شريف أشهر واحد فى المستشفى، دخلها 17 أو 18 مرة، وبالإضافة إلى أنه شخصية معروفة للجميع، فهو محبوب جداً، ويعرف كل تفاصيل المستشفى، وكل العاملين به، وكل غرفة بمحتوياتها.. هو خبرة واسعة، ومتعاون بكل طاقته، ودمه خفيف، ووجوده بالنسبة لى كان فعلاً مهماً.. أزال عنى الملل.

وكان موعدنا الساعة الواحدة مع دكتورة إكرام.. تعارفنا، ووجدتها سيدة طيبة، تتمتع بالخبرة والكفاءة العلمية.. تهتم بالجميع، وتحب عملها،



وهذا يبدو واضحًا من أول وهلة.. وحضرت معها أول اجتماع، ولم يحضر أكثر من 12 فردًا من نزلاء المستشفى، ومرّ الاجتماع هادئًا.. ولطيفًا.

وجاء موعد تناول طعام الغداء.. وكنت كالمعتاد لا أستطيع الأكل بشهية.. ولكن الحمد لله توقف القيء.. لقد تعودت عملية القيء أثناء الضرب، وهو يختلف كثيرًا عنه بعد التوقف عن الضرب، فهو معذب لأقصى درجة.. وشعرت ببعض الراحة بسبب عدم القيء.

اكتشفت من قائمة أسماء المجموعة التي ستخرج إلى الاجتماع، أن بعضهم قرر عدم الخروج، واعتذروا عن الذهاب إلى الاجتماع.. ولم أفهم هذه القصة العجيبة، وأسباب التراجع عن الخروج.. وتركني شريف مع المجموعة التي ستبقى في المستشفى، وذهب إلى الاجتماع، وانتظرته مع شاب مصري اسمه باسم، عاش في باكستان، وحكى لي عن الوضع هناك.. قائلاً:

- الضرب في باكستان مختلف.. مفيش الهيل اللي عندكم هنا.. هناك مش بالورقة ولا بالجرام، هناك بالفنجان، وبعدين إنت تجرّب الأول؛ عاجبك تاخد، مش عاجبك بلاش.. كأنك بتشتري بلّح رمضان، وكمان هناك في باكستان رخيص جدا.. ببلاش.

- طيّب أنا عايز أروح باكستان معاك يا باسم.. أنت هاتطلع من هنا إمتى؟

- ما اعرفش.. أنا بطلع على إسكندرية، ومنها أسافر باكستان.

- ياريت لو نظبط موضوع باكستان سوا.

وهكذا كنت أعيش في عالم آخر، ولا أدري كيف أفكر، وماذا أقول.

عاد شريف فذهبت إليه وقال لي:

- بأقولك إيه.. السفينة داخله المينا بكرة.

- لا يا راجل.. بجّد؟

- عيب يا معلم.. أنا ها أنزل الاجتماع بكرة، وارجع بالشغل.. أنا وإنّ

وجلّ.. بس.

- ماشى يا شريو .
- بس اسمع .. مفيش بنى آدم يعرف، كمان ما تضربش كتير، وإلا ننكشف، ونعلّى لما العيال يناموا.
- هي السفينة حمولتها أد إيه؟
- 3 طن بإذن الله.. كل واحد ورقة.. أظن واجب مايتبشيش دا يا صاصو؟
- ما أنا طول عمري جذع معاك يا شريو.. بس هنجيب السوست منين؟
- لا.. مفيش سوست.. إنسى.. دا أنا بعد ما ارجع من الاجتماع، بيقتشوني تفتيش ذاتي.
- أمال "هتكمر" الحاجة فين؟
- كله مغمول حسابيه.. بكره جلال مش هينزل، أنا بس.. حيعمل إنه عايز يخرج أجازة.. تمويه يعنى، خليك إنت بعيد بس، ومكش دعوة.
- قسطة.. أنا نفسي أضرب أوى.
- قفل على الموضوع يا صلاح، وتعال نشوف حلمي، يلاعبه شوية.
- بأقولك، أنا هانفذ خطة نخلص بيها من حلمي.. بكره يا معلم أنا ها أشحنهولك على 111.
- بجد.. هيعمل إيه؟
- أصبّر لبكره.
- ذهب شريف إلى حلمي وهو يغنى:
- هات القزازه واقعد لاعيني.. يا حلمي.. هات القزازه..
- إبعذ عني.
- مر اليوم.. ولكن على أمل دخول السفينة في اليوم التالي.

يوم جديد.. بعد الإفطار.. تصفحت الجرائد وكنت منتعشاً وسعيداً لأن السفينة تصل اليوم، وتدخل الميناء.. وعندما وصلت نجلاء، سلمت على المجموعة، وقالت لي:

- مَعْرِفَنَاش نَقْعِد مَعَ بَعْض إِمْبَارِح.. بس لازم نَقْعِد سِوَا النَهَارِدِه.  
- ياريت.

وكان عدد الحاضرين في المجموعة مثل الأمس.. بفارق بسيط هو أن أحد الحاضرين لم يتواجد معنا من قبل، وآخر حضر الاجتماع بالأمس، واعتذر اليوم.. وبعد نهاية الاجتماع، جلست مع نجلاء في الحديقة، وكان الجو مشمساً ولطيفاً.. وكان أول سؤال طرحته عليّ:

- احكى لي.. صاحبك إسمها إيه؟

- مين فيهم؟

- دُنْجِوَان؟ احكى لي عَنْهُمْ كُلَّهُم.

- آخر واحدة مريم.. نزلتني من عربيتها قبل ما ادخل المُسْتَشْفَى بِكَام يَوْم..  
أصلى جَنَّتْهَا، وَطَلَعْتُ عَيْنَهَا.

وحكيت عن راندا، وهالة، ومريم.. وكانت الجلسة مع نجلاء لا تخرج كثيراً عن قصص الحب، والحكايات العاطفية وعلاقتي بأهلي.. وبعد ساعة من الحديث المتصل، قالت لي:

- إِنْتَ لَازِم تَقُومِ عِلْشَان تَحْضِرِ اجْتِمَاعِ دَكْتُورَةِ إِكْرَام، وَنَقْعِدِ سِوَا بُكْرِه..  
عِلْشَان عَاوُزَهْ أَتَكَلِّمُ مَعَاكْ فِي تَفَاصِيلِ كَثِيرَةٍ.. وَعَلَى فِكْرَةٍ.. وَليد وصل..  
سَلِّمَ عَلَيْهِ قَبْلِ اجْتِمَاعِ.

وصل دكتور وليد، وسلمت عليه قائلاً:

- يَا دَكْتُور.. إِحْنَا هَانْفِتْحُ صَفْحَةَ جَدِيدَةٍ مَعَ بَعْضِ.

- ياريت يا صلاح.

كان من الواضح أن معنوياتي مرتفعة، وبمهارته وخبرته لاحظ هذه الحقيقة، وسألني:

- إيه أخبار "الجروبات" والاجتماعات؟ ويتأكل أحسن واللاً لسته؟ وإيه أخبار الصداق؟ والرشح والتكسير؟

- الحمد لله، أحسن .. كنا فين وبقينا فين .. يا أقولك إيه يادكتور، أنا عايزك في موضوع مهم.

- خير يا صلاح.

- أنا ميش مبتعود أفتن أو أنقل كلام .. بس فيه موضوع، أنا مش قادر أسكت عليه، وتاعيتني جداً .. أنا دخلت المستشفى علشان أبطل .. صح؟

- صح.

- من نص ساعة كنت في الأوضة اللي جنبى فوق، ولقيت طبق ومعلقة تحت سرير حلمى، بصيت فيهم، شكله كدا طاحن 'صلبية' و'توقاسى'، أو أى حاجة .. مش عارف، مش متأكد.

- إزاي الكلام ده؟

- بالرأحة يا دكتور .. مش عايز حد يعرف إني قلت لك وإلا هيقولوا إني فتان .. وأنت فاهم الباقي .. ولعلمك حلمى دا مش مظبوط من أول يوم ولسانه ثقيل .. جالى إمبراح وقال لى تدينى الأدوية بتاعتك .. حطها تحت لسانك وطلعها تانى وأديهالى .. ما إنت عارف يا دكتور، حلمى دا صيدلية.

- سيب لى الموضوع ده، أنا هاتصرف .. إنت مش عارف إنت كبرت فى نظرى أد إيه.

- بس من فضلك يا دكتور، أنا مَالِيش دَعْوَة بِالْمَوْضُوعِ دا خَالِص، مَش عَايزِ  
الناس هنا يَمْسُك في رَقَبَتِي.. أنا قُلْتُ لَكَ عِلْشان أنا قررت إني أثق فيك، بَعْد  
موضوع "الديتوكس".

- إِنْت لسه فَاكِر؟ ما بيقاش قلبك إسود كدا.. ياللا روح على جُروب دكتورَة  
إكرام، وأنا هَاتُصَرِّفُ.

في خلال خمس دقائق.. انقلبت الدنيا رأسًا على عقب.. نجحت الخطة  
بطلب بسيط.. طلبت ريفو من الصيدلية، بحجة الصداع، وطحنت أقل من رُبْع  
قرص الريفو في طبق بملعقة، بخلاف جير بسيط من الحائط.. ووضعتَه تحت  
سريز حلمي، وكان من الممنوعات المعروفة للجميع تناول الأطعمة في الغرف..  
وبالتالي ممنوع قطعًا وجود الطبق والملعقة في غرفة النوم.. وهكذا كان الطبق  
والملعقة والريفو والجير المطحون تمثيلية كاملة ومحكمة، ولو أن الممرض بلَّل  
لسانه وجرب تذوق هذا الشيء المطحون، فإنه سوف يجد الطعم مرًا.. وصَفَّرَ  
الحكم.

جلست في اجتماع دكتورَة إكرام، وبدأ الحديث بشكل عام، وجلس  
شريف في مواجهتي، وبالقرب منه جلس حلمي، وبعد دقائق معدودة جاء صادق  
رئيس العاملين، واستأذن من دكتورَة إكرام في طلب حلمي، وبسرعة وقف  
وخرج من دائرة الاجتماع ليستطلع الأمر، وبعد 10 دقائق رأيناه منفعلًا، وهو  
يمشي بجانب صادق من ناحية، وفريد من ناحية أخرى في اتجاه غرفة 111..  
تأملنا الموقف وتساءلنا جميعًا: ماذا حدث؟ ماذا جرى؟ وسأله جلال:

- على فين يا حلمي؟ البلد دي أحسن من غيرها!!

وتوالى التعليقات:

- هوَ فيه إيه؟

- هوَ رايح فين؟

- بالسلامة.. والقلب داعيلك.

- لك وَحْشَةٌ يا حلمى.

- سلم لى على 111.

اختفى حلمى، ونظر إلى شريف، فغمزت له، وعلى الفور فهم أن الخطة تمت بنجاح، وبعد انتهاء الاجتماع، استمر التساؤل: ماذا حدث؟ ماذا فعل حلمى؟! وبشكل أو بآخر.. فهم البعض أننى وراء ما حدث، فارتفعت أسهمى داخل القسم.

- كراكس بيمسى يا رجالة!!

رجعت إلى القسم، وجلست مع الشباب، ولكننى كنت قلقًا، وغير مستقر؛ طبعًا لأن السفينة ستصل اليوم.. وبعد تناول طعام الغداء، تابعت مباراة كرة قدم، ثم وصلت قائمة بأسماء المجموعة التى ستخرج إلى الاجتماع خارج المستشفى، وكان شريف من بينهم، وظللت مع جلال فى المستشفى، نناقش فى الموضوع ونحلم، ولم أستطع إخفاء مخاوفى.. فقلت لجلال:

- أنا خايف السفينة تَغْرُق.

- ما تَقْلُقْش.. شريف قُبْطان قديم.

جلست لمدة ثلاث ساعات فى انتظار شريف.. وأخيرا عادت المجموعة

من الاجتماع الخارجى، ودخل علينا شريف بابتسامة المنتصر فقال له جلال:

- حَمْدُ الله على السلامة يا كابتن.

- باقولك إنت وهو.. من بعيد.. لبعيد وإلا نُنْكَشِف.

- تمام.. عندك حق.

- طَمَنى بس يا شريف!!

- يَحْت يا باشا 3 أدوار.

اختفى شريف لدقائق ثم رجع، وظلت عيني تتابع كل خطواته.. ركزت

معا، واستطعت اصطياده بعد عشر دقائق، ومن ورائى جلال، وقال له:

- بأقولك ايه.. فىن؟ خلصنى بسرعة.

- بتاعتى أنا "كمرتها" خلاص، والتانية فى علبة السجاير، وبتاعتك يا صلاح جوّه مخدتك.

طلعت إلى غرفتى فى ثانية وبدأت أبحث عن شىء لأشم به، وقطعت علبة السجاير، وعملت منها شفاطة ودخلت الحمام، وفتحت الورقة ووضعت القليل منها على علبة "سى ديه" وشديت خطين، وثبتت الورقة، ونزلت إلى المجموعة فوراً؛ لأنه ليس من المطلوب أبداً اختفائى لفترة طويلة فى ظل هذه الظروف، وعلى حد قول شريف:

- نص دلوقت، والنص التانى آخر الليل.. لو اتمسكنا، هتبقى ليلة سودا.  
ولم يحدث التأثير العالى المطلوب.. لكن للسيجارة طعمًا مختلفًا، كما أن المزاج أيضًا كان فى حالة هدوء، وقابلت شريف ومعه رمزى، وشعرت أنهما يتحدثان فى موضوع مهم، وسمعت شريف يقول:

- ناخذُه معنا يا رمزى؟

سألت باندهاش:

- هو ايه ده؟ مش فاهم!! فين يا شريف!؟

- الهروب الكبير.

- لا يا راجل.. معقول!؟

- إحنا بنرسم الخطة دلوقت.

- مين اللى هيهزب؟

- وطى صوتك.

- إحنا الأربعة.. أنا وأنت ورمزى وجلال.. جلال قرر يبيع "الكوليه" اللى لابسه فى رقبته.. تمنه ألفين جنيه على الأقل، ورمزى يقدر يدبر ألفين هو كمان، وأنا أنزل بيتنا وأتصرف، وإنت شوف ممكن تجيب كام.  
- مش مشكلة، ممكن أتصرف.

\* أخفيتها.

وأخيرا تكلم رمزي:

- بسّ على شرط، احنا نطلع من هنا على إسكندرية، ونرجع من إسكندرية على  
سويسرا.. ماشى يا صلاح!؟

- ماشى.. اتفقنا.. بس نهرب إزاي يا شريف؟

- أنا أرتبها.. متقلّش.

قام رمزي وهو يقول:

- باقولك ايه، أنا ها امشى من هنا، قعدتنا كثير مع بعض والهمس والوشوشة  
تلفت نظرهم، ويركزوا معانا.

جلست أنا وشريف نتحدث سويا.. فقال:

- معاك حق.. البونزة حلوة.. بسّ لو فيه سوست.

- احكى لى القصة دي مشيت إزاي؟

- أنا اتفقت مع بدر بمبو من يومين، جهز الفلوس، أصل أنا عملتها معاه قبل  
كده كذا مرة، وهو فى المستشفى، وقابلته النهارده فى الاجتماع.

- بدر بمبو.. غريبة!! دا ندل!! طيب السفينة دخلت إزاي؟ أنا سمعت إنك  
بتتقلّش تفتيش ذاتى يا شريو.

- يا عم دول كفتة.. لزقت التلات ورقات بالسوليتيب فى الحزام، وساعة  
التفتيش قلعت الحزام لوحده، والبنطلون لوحده.. طبعاً فتشونى وماخدوش بالهم  
من الحزام، وقعدت أغلوش وعملت نفسى بردان، وقلت لهم بسرعة فتشوا  
هدومى وخلصونى.. الدنيا برد.

- معلم.

- جلال اتأخر.. أنا عارفه.. هيضرب الورقة كلها مرة واحدة، ويتكشف.

- أهو وصل.. ايه يا عم جلال.. إنت فين؟

- كنت مع رمزي، وقال لى على الهروب الكبير.. أنا جاهز يا رجالة.



لم أهتم بالهروب الكبير في تلك اللحظة بقدر اهتمامي بما أريده الآن،

فقلت:

- بِأَقُولُكُمْ إِيه.. البوئرة دى حلوة أوى، بسْ عاوزين العيال دول يناموا علشان نعلَى شوية.

أجابنى جلال:

- أصْبِرْ يا صاصو.

واقترح شريف قائلاً:

- إسمع.. ادخل الفيلا يا جلال، وانزل الدور اللى تحْت، وأفصلْ فيشة الكهرياء هيفتُكروا إن الكهرياء انقطعت.. والعيال تُدخلُ تَمام.

نزل جلال.. ونجحت الخطة.. انقطع تيار الكهرياء.. وبعد نصف ساعة تقريباً، ناموا جميعاً، وصعدنا إلى غرفنا، وكل واحد معه بقية الورقة.. أنجزنا، وبعدها التقينا.. سهرنا، وضحكنا، ولأن الظلام دامس، فلم تظهر علينا أية علامات مريبة.. فى تلك الليلة لم أخذ الدواء، وضعته تحت لسانى، وعندما أدار الممرض ظهره، رميته فوراً.. وامتدت السهرة حتى الساعة الخامسة صباحاً، وكنت على ثقة أن هذه السهرة سيكتب عنها تقرير، ولن يكون فى صالحنا، بكل تأكيد.

نمت فى الساعة الخامسة، وصحوت الساعة العاشرة بعد موعدى المعتاد، وكنت قلقاً من تحليل مفاجيء، فينكشف أمرى.. وبسرعة غسلت وجهى، ولبست ملابسى، ونزلت لحضور الاجتماع مع نجلاء، وسمعتها تسأل عنى:

- صلاح فين؟ الساعة 10:00، والجروب موجود والاجتماع لازم بيتدى.

- أدونى عشر دقائق بسْ.

- مَينفَعشْ أكثر من عشر دقائق.. ممنوع حدْ ينضم للجروب بعد كده.

جريت إلى المطبخ، وطلبت من فوزية مشرفة المطبخ، أن تجهز لى

أى ساندوتش أكله بعد الاجتماع.. وطلبت من سعدية شاى بحليب.

لقد تعرفت إلى العاملين في المستشفى جميعًا، فهم على قدر كبير من السماحة والخلق الطيب، وكنت أداعبهم بكلمات لطيفة.. وقبل أن تمر الدقائق العشر، دخلت إلى اجتماع نجلاء، وجلست في مكاني، وبدأت أتأمل وجوه الموجودين، وبشكل ما كنت أشعر بالارتياح بعض الشيء، فقد "ضربت" بالأمس، وفي ذهني خطة هرب مع ثلاثة من العباقرة.. ثلاث كوارث متحركة، وبعد انتهاء الاجتماع جلست مع شريف وجلال نفكر في كيفية تنفيذ الخطة، وفجأة دخل بدر، وهو من الذين تم علاجهم في المستشفى، وهؤلاء من حقهم الزيارة، ودخول القسم بشرط عدم التعاطي، وهم يخضعون للتفتيش الدقيق دون مقدمات أو جدال.. وفجأة تحدث بدر معلناً نبأ خطيراً:

- سامح مات.

فقال جلال مندهشاً:

- لا يا راجل!!

وقلت متسائلاً:

- إمتي؟ وإزاي؟

- إمبراح.. لقوه واقع في الحمام.

لقد عرفت سامح عن طريق رامى.. كان معظم الموجودين يعرفون سامح جيداً، فقد كان في المستشفى نفسه منذ ثلاثة شهور.. وشعر الجميع بالحزن العميق، وكنا نشعر جميعاً بالحزن عند رحيل أحدنا، وكأننا في حرب، ومات واحد من زملائنا في المعركة.. بعد الصدمة ساد الوجوم لدقائق، ثم عادت الأمور إلى ما كانت عليه، وخلعنا ثوب الحزن بكلام شريف إلى بدر:

- إحنا بنفكر نهرب، بس مش عارفين إمتي.. جلال قرر يبيع "الكؤليه" اللّي في رقبته.. عليك العربية يا بدر.

- وإيه اللّي يخليكم تهربوا؟

- عاوزين نضرب.

- طَيِّب وَايَه الْمَشْكَلَة؟ أَخُدْ "الْكَوْلِيَه" وَأَجِيب لَكُم الْبُونْتَرَة، وَأَقَابَلْكَ فِي الْاجْتِمَاعِ  
وَحَلِّصِ الْمَوْضُوعَ، بِلَاشِ هَرُوبِ وَمَشَاكِلِ يَا جَلَالِ.

- تَصَدِّقْ!! فِكْرَة جَامِدَة يَا بَمْبُو.. هَتَعْرِفْ تَبِيعَهُ؟!

- يَا سَلَام!! دَا أَنَا بَعْتِ نَصَّ دَهَبِ أُمِّي.

- دَا "كَوْلِيَه" بَقِيلِ وَيَجِيبُ لَهُ مَبْلَغُ مُحْتَرَمِ.. يَجِيبُ كَامِ يَا بَدْر؟

- زَي مَا يَجِيبُ.. وَنَقَسَمُ الْحَاجَة عَلَيْنَا إِحْنَا الْخَمْسَة، وَبِذَلِكَ مَا تَهْرَبُوا وَيَتَمَسَّكُوا

وَتُرْوَحُوا!!! وَتَبْتَهَدِلُوا.. وَلَا إِيَه رَأْيِك يَا صَاصُو؟!

- لَكِ حَقٌّ.. نَقْعِدُ هِنَا، وَنَضْرَبُ فِي هَدْوَاءِ.

اتضححت معالم الخطة.. وبدأت التعليمات من شريف:

- بِأَقُولُ لَكُمْ إِيَه.. تَعَالُوا نَحْضُرْ اجْتِمَاعَ دَكْتُورَة إِكْرَامِ.. إِحْنَا لَازِمُ نَلْتَزِمُ الْيَوْمِيْنَ

دَوْلِ.. وَأَنْتَ يَا بَدْرُ خُدْ "الْكَوْلِيَه" مِنْ جَلَالِ، وَامْسِيْ عَلَي طُولِ عِلْشَانِ تَلْحَقْ

تَبِيعَهُ، وَهَاتِ الشَّغْلَ فِي اجْتِمَاعِ بِاللَّيْلِ.

وأخذ بدر "الكوليه" من جلال، وترك المستشفى على وعد بقاء شريف

ورمزي في اجتماع المساء.. وتوجهنا لحضور اجتماع دكتورة إكرام..

وبعد الانتهاء من الاجتماع قابلت دكتور وليد، وسألني:

- إِنْتَ فِينِ يَا سَيِّدِي؟ جَدُولُكَ مَزْحُومٌ جَدًّا بَايْنَ عَلَيْهِ!!

- لَا وَاللَّهِ.. أَنَا كُنْتُ مَعَ دَكْتُورَة إِكْرَامِ، بَسْ أَنَا عَايِزُ مِنْكَ خِدْمَة.. فِي الْحَقِيقَة

خِدْمَتِيْنَ.

- خَيْرِ.. عَايِزُ إِيَه يَا تَرِي؟

- أَوَّلُ حَاجَة عَايِزُ أَكَلَمُ أُمِّي.

- مُوَافَقٌ.. وَتَانِي حَاجَة؟

- أَنْزِلِ الْاجْتِمَاعَاتِ.

- أَنَا كُنْتُ مُسْتَتِي إِنْكَ تَطْلُبُ الطَّلِبَ ذَه.

- أَصْلِي مَشْ فَاهِمُ إِيَه الْاجْتِمَاعَاتِ دِي، وَعَايِزُ ابْتَدِي أَفْهَمِ.

وفي الحقيقة، لم يكن يهمنى فى كثير أو قليل أن أفهم ماذا يجرى فى تلك الاجتماعات، ولكن ما يهمنى ويشغلى الخروج مع شريف، وأن أحاول مساعدته فى دخول السفينة.. الموضوع كبير.. إنها سفينة عملاقة.

- مَاعْنَدِيْش مانع، بس مش النهارده.. أنا لازم آخُد رأى باقى الدكاترة.. ده مش قرارى لوأخدى.

- من حقك.. بس أرجوك خُص لى الموضوع ده بسرعة.

- رَبَّنَا يَسْهَلْ.. صادق.. عايز تصريح مُكاملة لصلاح.

وفى ذلك اليوم، فوجئنا بالإفراج عن حلمى، بعد نتائج التحاليل الخاصة به، واتضحت براءته.. أما صديقى شريف فقد استعد للذهاب إلى الاجتماع، وأخذ رمزى معه ليعاونه فى تنفيذ خطة دخول السفينة.. بالإضافة إلى ذلك، كان رمزى يحظى باحترام فى المستشفى، وعادة يتم تفتيشه بسرعة، ودون تدقيق كبير.. وبعد خروجهما للاجتماع جاعنى صادق بالتصريح، للاتصال بالأهل تليفونياً.. حدث هذا ولأول مرة منذ دخولى المستشفى.. ودار حوار تليفونى له ألف معنى، بينى وبين أمى:

- إزيك يا صلاح؟

- الحمد لله يا ماما.. ولا مُكاملة واحدة تسألنى فيها على؟

- أنا رُحْتُ لَكِ المستشفى مع باباك يوم عيد ميلادك، وللأسف ما عرِفْنَاش نشوفك.. وصنك المصحف؟

- آه.. وصلنى.. طيب مش بتكلمينى ليه؟

- كَلَّمْتِكِ إمبارح الضهر، وقالولى إنك مع "الجروب" فى اجتماع، وكنت لِسْمَه حالا ها اكلمك.. طمئنى عليك.. أخبارك إيه؟

- مَفِيْش أخبار.. خلاص زَهَقْت، وكنت متخانىق مع الدكتور عَشَان سَابْنَى فى "الديتوكس" 6 أيام.. هاتيجى إمتى؟

- يوم الجمعة إن شاء الله.. ها آجى أنا وأخوك وأختك.. محتاج أى حاجة أجيبها لك معايا؟
- لا.. شكراً، ومش محتاج غير إنى أمشى من هنا بأسرع وقت.. المستشفى طلعت ضايعة، ولما تيجى أحكى لك.. رولا عاملة إيه؟
- كويسة الحمد لله.. بتسلم عليك.. هذيت شوية بعد إنت ما دخلت المستشفى.. كلنا هدينا.
- طبعا، إنتم تهذوا وأنا أتحرق.. مش مهم.. ياللا يا ماما.. أشوفك يوم الجمعة. احترقت أعصابى بعد هذه المكالمة.. تخيلت وأحسست إنهم يعيشون حياتهم فى هدوء، ونسيوا صلاح.. وهم أكثر راحة من ذى قبل.
- جلست مع جلال، وكلانا يشعر بالقلق انتظارا لعودة شريف ورمزى من الاجتماع، والوقت يمر ببطء شديد.. وأخيراً، سمعنا أصوات المجموعة عائدة من الاجتماع، ودخل شريف فى المقدمة وبجانبه رمزى، والوجوم واضح على وجهيهما، واقترب شريف من جلال قائلاً:
- ماجاش.
- إزاي يعنى؟
- اللى حصل.. ماجاش.
- يعنى تفتكر ما لحقش؟
- ملحقش إزاي يعنى؟ دا بيستعبط.
- تدخلت فى الحديث قائلاً:
- نصباية واللا إيه يا شريو؟
- وارد.. ووارد جداً كمان.. "هارد لك" يا جلال.
- والله!! دا أنا أموتة.

إذا فشلت الخطة، ومفیش "ضرب"، بالإضافة إلى أنني أشعر بغيظ بعد المكالمة التلفونية مع أمي، وكذلك الشعور بالملل الشديد من الحياة في هذا المستشفى.. الوقت لا يمر، ونبأ عدم وصول السفينة قاتل.

لم يكن حولنا في تلك الساعة من الليل أحد، وبانفعال شديد توجهت إلى اللوحة التي كتبت عليها مواعيد نجلاء، ومواعيد اجتماعات دكتورة إكرام، والقواعد المطلوب الالتزام بها، وقطعت الورق من على اللوحة ورميته على الأرض، وقلت لشريف:

- أنا لازم أمشي من هنا.. وبسرعة كمان.

- إهدا بس.. بكره بدر يظهر، وكله يبقى زي الفل.

وأكد جلال:

- أكيد.. بكره هيظهر يا صلاح.

- لمأ نشوف.. إن غذا لناظره قريب.

فقال شريف:

- كويس إن مفیش حد شافك وأنت بتقطع الجداول دي.. كان زمانك بكره مسحون على 111.

فقلت نائراً:

- بقولك إيه.. دي البداية.. أنا نويت أولعها.

ظهر صادق فقال له شريف:

- يا صادق.. تعال يا صادق.

- خير يا أستاذ شريف.

- شفت!! حلمي قطع جداول القسم.

- لا يا راجل.. حلمي برضه؟

- أنا بطالب بتحقيق في الموضوع ده.

- منك للدكتور وليد.

تركتهم جميعاً، وصعدت إلى غرفتي لأنام.. كان يوماً سخيلاً، وبدأت  
جدياً أفكر فى الهروب من المستشفى.. ولكن كيف أقتل الوقت حتى الصباح؟!  
وبصعوبة بالغة أغمضت عيني لمدة ثلاث ساعات.

استيقظت من النوم، ونزلت بسرعة لأجد حالة من الصخب والغضب  
والهرج والمرج، والقسم بلا جداول لمواعيد الاجتماعات، أو قواعده اليوم،  
وقد أعلن شريف اتهامه:

- حلمى هو السبب.. وأطالب بمحاكمته فوراً.. عليك اللعنة يا حلمى.

تدخل صادق مدافعاً:

- بس يا شريف.. بلاش هزار سخيلاً.

- إحنا لازم نشكل هيئة محكمة يا جلال.

- رمزى رئيس المحكمة، وصلاح عضو يمين، وأنا عضو شمال، وشريف  
ممثل الإدعاء.. واحد منكم يتطوع ويتراجع عن البنى آدم ده.. مين المحامى؟  
أسامة هو المحامى.

قال شريف متقمصاً دور ممثل الإدعاء:

- السادة المستشارين.. لا أريد أن أطيل عليكم.. المتهم حلمى "ستلا" اعترف  
بجريمته الحمقاء، وأطلب من عدالتكم أن نرجمه بقزائير البيرة ليكون عبرة لمن  
لا يعتبر.

فسأله رمزى بهدوء:

- ليه عملت كده يا ابنى؟

بدأ شريف يغنى:

- لأ.. يا حلمى لأ.. لا مالكش حق.

تصفيق من الجميع.. تدخل المحامى أسامة مدافعاً عن حلمى:

- المتهم لم يعترف.. المتهم أنكرو.. وبعدين فين الشهود يا شريف بيه؟

- القسم كله شاهد، وأطالب بتوقيع أقصى العقوبة على حلمى "ستلا".

سألت حلمي:

- عاوزين نعرف ما هي الدوافع وراء ارتكابك مثل هذا العمل المشين؟ إنه لتصرف أحمق يا حلمي.

دخل دكتور وليد، ولم يعطه شريف الفرصة للحديث، وقال له:

- تعال يا دكتور.. اتفضل.. إنت برضه مش غريب، والموقف تحت السيطرة، وحصانا على اعتراف حلمي، والحكم بعد المداولة.

- حلمي مش هو اللي عمل كده.

فقال أسامة:

- شاهد نفي.. براءة يا حلمي.. أطلع أوضتك.

بينما قال جلال:

- تقيد القضية ضد مجهول.. رفعت الجلسة.

فقال دكتور وليد غاضباً:

- دا اسمه تهريج.. وما تفكروش الموضوع هيعدى بالساهل.

فأضاف شريف:

- أنا مش ها أقبل إنه يعدى.. دا تهريج يا دوك.

- شريف!! وبعدين معاك.

- أنا لو منك يا دكتور تقدم إستقالتك.

وأخيراً وجدت فرصة أغيب الدكتور فقلت:

- لا.. نسحب منه الثقة.

- والله.. اقعدي هرجوا، بس أنا فعلاً مش ها أعديها.

قال شريف ضاحكاً:

- الموضوع دا محتاج وقفة مع النفس.. صح يا صاصو!؟

- طبعا صح.. ومع الضمير كمان.



وعاد شريف يغنى:

- لا يا حلمى لأ.. لأ.. مالكش حق.

وتدخّل نجلاء، ويستمر شريف فى مشاعباته:

- شفتِ يا نجلاء، جدّوك المزة إنتقطع.. حلمى قليل الأدب قطعُه إمبارح بالليل؟!

- فيه نسخة تانية من الجدول، وهيتعلّق فى خلال 5 دقائق يا دكتور.

- لما أشوف مين هيقطعها!!

شريف بسخرية:

- شهّر فى 111 يا كلاب.

وبدأ اليوم، وبدأت المجموعات فى حضور الاجتماعات، وكنت أواظب

على حضور كل الاجتماعات، فهى تساعد على مرور الوقت، بالإضافة إلى أنها

فرصة لتعلم خبرات جديدة.. قال دكتور وليد:

- يا صلاح، أنا أخذت لك موافقة لحضور الاجتماعات.. بس عايز أنصحك

بحاجة مهمة، المشى ورا شريف مش هينفعك.

رد شريف:

- ومين قال لك إنه ماشى ورايا؟! دا أنا اللى ماشى وراه.

- العفو يا باشا.. العين ماتعلاش على الحاجب.. إنت الكابتن.

- اقعّدوا إنتم الاتنين منلّوا على بعض.. ولنا قعدة يا شريف مع بعض كمان

شوية.

- إنت تأمر.. بس الساعة كام علشان أظبط جدول أعمالى؟!

- ماشى يا حضرة المهم.. الساعة واحدة بعد جروب نجلاء، وقبل جروب

دكتورة إكرام.

- اتفقنا.

- صلاح.. موضوع الطبق مش هيعدى..

- وأنا مالى يا دوك.

قال شريف ضاحكاً:

- طبق طبقنا.. ضرب في طبق طبقكم.. يقدر.....
- حضرت اجتماع نجلاء.. وبصراحة، شغلنى طوال الوقت التفكير فى الخروج لحضور اجتماعات المساء، وأشوف بدر، ونجيب منه البودرة.
- جلست مع صديقى شريف وسألته عن اجتماعات "المدمنين المجهولين" وعن الخطوات الاثنى عشرة.. وكان شريف ملما بجميع المعلومات، لأنه تردد على تلك الاجتماعات كثيراً، وببساطة قال لى:
- المسألة يا عم صلاح مش كيمياء، ولا لو غاربتما.. الاجتماعات دى بيحضرها ضريرة زى وزيك.. مدمنين بيحاولوا يبطلوا بعد ما خربوا الدنيا زينا بالطب.. يجتمعوا مع بعض على طول.. يشاركوا بتجاربهم وخبراتهم بكل صراحة، علشان يفضلوا مبطلين.
- مبطلين إيه بالطب؟
- كلهُ يا معلم، حشيش، بودرة، برشام، بانجو، أو أى كيف أو حاجة تعمل دماغ، وطبعاً بما فيها الخمر.
- إنت بدمتك يا شريف مصدق الكلام ده؟ تلاقىهم بيعملوا اجتماعات يضربوا فيها.
- لا.. لا يا صلاح.. لما تعرفهم وتشوف تصرفاتهم وأسلوبهم، هتعرف أن الموضوع مش كده خالص.
- يا سلام يا شيريو لو فيه اجتماعات تنظم لنا موضوع الضرب.. نروح الاجتماع، ونعرف الشغل السم فىن، والدوايب اللى شغالة.
- ونشرة أسبوعية بالدوايب الجديدة، والدولاب اللى يتقل يشطبه من النشرة.. وخريطة للصيديات المفتوحة جنب كل دولاب.
- وأقرب بياع لمون من فضلك يا شريو.

- يا سلام.. تعجبنى يا صاصو.. وأهم حاجة يعرفونا دواليب فى الأمان.. بعيدة عن القلق والحكومة.
- إحنا باين علينا اتجننا.
- الظاهر كده.. ما إحنا فى مستشفى أمراض نفسية وعقلية.. وخدوا الحكمة من أفواه المدمنين.
- إنت عارف يا صلاح إنى أتمسكت حوالى 5 مرات السنيتين اللى فاتو، لولا أبويا عرف يخرجنى منها، وكل مرة بوجع القلب، كان زمانى باغنى الجندول فى العمبوكة.
- جامدة أوى الجندول فى العمبوكة!!
- يعنى بَعْنَى ظلموه.
- ما أنا فاهم.. طيب مين اللى ماسك موضوع الاجتماعات دا يا شريو؟ الحكومة ولا المُستشفى؟
- المستشفى ملهاش دَعْوَة، ومش داخل فيها الحكومة.. إحنا اللى بنديرها.. وطبعا مألناش فى السِّيَاسَة، وكل واحد حر فى دينه.
- ومين بيصرف على الليلة دى؟
- إحنا بنصرف على نفسنا.. وماشيه زى الفل.
- ضريبة معاهم فلوس؟
- يا ابنى دى ناس مبطلَة، وبتشتغل.. إنت لازم تحضر علشان تفهم.
- طيب والإتناشر خطوة؟
- دى قصّة طويلة، ابتدت فى أمريكا من زمان أوى.. برنامج بسيط.. عبارة عن مجموعة من المبادئ الروحانية.. سهلة جدا، السهل المُمتنع، والمفروض إنك تمشى عليها كل يوم.. والغريب إنك لو سمعت الكلام.. بتفضل ميطل.
- إنت عرفت الكلام دا إزاي يا شريف؟

- يا ابني أنا بطلت حوالي 7 شهور، لما أنت كنت في أمريكا.. كنت باحضر الاجتماعات كل يوم.. وبعدين أول ما حسيت إني كويس، بعدت.. أنتكست ورجعت أضرب تاني.. الكلام دا هتسمعه كتير في الاجتماعات.. جرب.. أنا شخصيًا جربت، بس المشكلة إني عايش بدماعى اللى ممكن توذيني في داهية.

- الموضوع دا غريب أوى.

- ولا غريب ولا حاجة.. عاوز صبر، والاجتماعات عاوزة استمرارية.. لعلمك البرنامج دا منتشر في العالم كله، ومهواش سر.

- تصدق يا شريف، اللى عمل البرنامج ضريب عبقرى.

- أصلا اللى عملوه مُدمنين الخمره.. قعدوا مع بعض سنة 1939.. بعد ما بطلوا فترة، وكتبوا خبراتهم، علشان اللى عندهم نفس المشكلة يستفيدوا.. وبعد كده البرنامج والإنتاشرُ خطوة اتطبقوا على كل حاجة بتدمن: المخدرات، الجنس، القمار، حتى الأكل.. فهمت؟!

- لعلمك أخويا كريم في يوم من الأيام قال لى: إنت عارف يا صلاح.. إنت مالكش غير حل واحد.. اجتماعات "المدمنين المجهولين" وبرنامج الإنتاشرُ خطوة.. ومفهمتش هو بيقول إيه.

- روح وشوف يا صلاح.. كأنك داخل السينما.. بس من غير تذكرة.. ومفيش حد هيقول لك إنت جاي ليه؟ لو عجبك الفيلم اقعد وشارك، ولو مش عاجبك خذ بَعْضَك واطرح، وبرضه مفيش حد هيقول لك إنت ماشى ليه.

- ماشى.. أدينا هنروح.. وبالمره نُظبط السفينة.

- لعلمك يا صاصو.. الجو مكهرب أوى، بس إنت مش حاسس.. الفترة اللى فانت كذا مركب عدت.. وهما أمنية حياتهم يعرفوا مين والسكة منين.

## الاجتماع الأول

وجاء موعد الخروج إلى الاجتماع.. أخيراً سوف أخرج من المستشفى.. ولأول مرة أرى "أسفلت" الشارع منذ عشرة أيام.. خرجنا وكنا 6 أشخاص، وركبنا سيارة "ميكروباص" .. ياه!! أول مرّة أرى فيها الشارع منذ زمن بعيد.. وإلى أين؟ إلى مصر الجديدة مع شريف ورمزي.. وفى الطريق سألت شريف:

- تفكر بدر هيجي؟

- ده لو مجاش، يبقى صحيح ابن ".....".

وكان عندى شعور أنه لن يأتى.

وصلنا إلى مصر الجديدة!! أين نحن؟ دخلنا مدرسة.

وصلنا حوالى الساعة السابعة إلا ربع، ومشيت مع الشباب ودخلنا إلى غرفة رسم، ووجدنا أربعة شبان فى مثل عمري.. ربما أكبر منى بسنتين أو ثلاث على الأكثر.. وفى الغرفة مائدة كبيرة، وحولها الكراسى، وأحد الشباب يوزع الكتب، ويضعها على المائدة، وآخر يفتح "ملفاً" أمامه، ويقلب صفحاته وبعض الأوراق الأخرى. خرج بعض الشباب من الغرفة، ولا أدري إلى أين، وعادوا ومعهم أكواب بلاستيك بها "تسكافيه"، وسأل أحدهم عن يريد "تسكافيه"؟ فقال أحدهم:

- أه ياريت.

فسأله الشاب:

- سكرك إيه؟

- معلقتين.

وتجمع كل ثلاثة من الشباب معاً، وتكلموا سوياً، وكنت الغريب الذى لا يفهم شيئاً مما يدور فى المكان، وجاءنى شريف الذى يعرف كل هؤلاء الشباب، وتحدث معهم أحاديث مختلفة سريعة، وأخيراً قال لى:

- تصور.. بدر مجاش يا صاصو!!

- هو ذا المكان يا شريف؟

- أه.. المفروض نقابله هنا.. احتمال يجى، بس بعد شوية.

وفى الساعة السابعة تماماً، فوجئت بأحدهم، واسمه خالد يتكلم:

- أهلاً بكم فى الاجتماع المغلق "للمدمنين المجهولين" بمدرسة "....."، يوم "....." الموافق "....." أنا خالد.. مدمن.. باطلب منكم دقيقة سكون، نفكر كنا فىن، وبقينا فىن، والمدمنين اللى لسه بيعانوا بره.

ساد الصمت والسكون فى القاعة.. فقال خالد:

- فيه شوية تنويهات، أحب أقولها قبل ما نبدأ الاجتماع.. اجتماعاتنا لا تدور فى صورة مناقشة.. محدش بيعلق على كلام حد.. يركز على التشابهات اللى بينا، ولا نركز على الاختلافات.. وياريت اللى معاه مخدرات يسببها برة الأوضة، محافظة على جو التعافى.. وأى حد واخذ مخدرات أهلاً بيه، بس بنطلب منه إنه ما يشاركش فى الاجتماع.. وبنقترح عليه إنه يحضر الاجتماعات وهو مش تحت تأثير أى مخدر.. واللى بنشوفه هنا وبنسمعه هنا، بنسيبه هنا..

بالنسبة لى كان كلامه غريباً.. لم أفهم منه شيئاً، وكان كل تركيزى فى بدر الذى لم يحضر، وهل سيأتى أم لا.. وعندما انتهى خالد من كلامه، طلب من الجميع القراءة من الكتب التى وضعها أمامنا على المائدة:

- من فضلك يا سليم، تقرأ لنا "من هو المدمن"؟

قرأ سليم من الكتاب:

"من هو المدمن":

معظمنا لا يحتاج للتفكير مرتين في هذا السؤال. نحن نعلم! فقد تركزت حياتنا وتفكيرنا بالكامل في المخدرات بشكل أو بآخر - الحصول عليها وتعاطيها وإيجاد الطرق والوسائل للحصول على المزيد. لقد عشنا لتتعاطى وتعطينا لكي نعيش. بمنتهى البساطة، المدمن هو "رجل أو امرأة" تسيطر المخدرات على حياته. نحن أناس في قبضة مرض مستمر ومتفاقم نهاياته دائما هي نفسها: السجون، المصحات، الموت...

ولم أفهم شيئا من هذه الفقرة.. ثم طلب خالد من توفيق أن يبدأ قراءة فقرة أخرى، ومن بعده شادى، وفى النهاية طلب من أمجد القراءة.. وبعد قليل دخل اثنان من الشباب، وكانت الابتسامة الكبيرة هى التحية للشباب الذى يجلس على رأس المائدة، وفيما يبدو أنه المعلم والرئيس الفعلى لهذا "الفيلم"، وهذه الاجتماعات.. وبعد انتهاء الأربعة من القراءة، طلب من شريف قراءة الخطوات الـ 12\*.. ثم قرأ خالد الـ 12\* تقليدا..

تكلم خالد مرة أخرى وقال:

- فيه أى أخبار تخص المجموعة؟

- الاجتماعات زادت يوم كمان.. وقدرنا نقنع إدارة المدرسة إننا نأجر القاعة يوم كمان، يعنى الاجتماعات؛ السبت والحد، والاثنتين والأربع والخميس.. وأى

---

\* كتيب رقم 1، زمالة المدمنين المجهولين. من، ماذا، كيف ولماذا. فان نيوز، كاليفورنيا:

زمالة المدمنين المجهولين، 2004.

\* ملحق رقم 1.

\* ملحق رقم 2.

واحد بيحضر 90 اجتماع في 90 يوم ممكن يحضر التلات والجمعة في وسط البلد في مجموعة "مدمنى الخمر مجهولين الهوية".

- شكراً يا شادى.. التقرير المالى؟

- فيه معانا 140 جنيه، ومحتاجين نشد حيلنا شوية فى التقليد السابع:

"يجب على كل مجموعة من زمالة المدمنين المجهولين أن تعتمد على نفسها بالكامل وأن ترفض المساهمات الخارجية".

- فيه أى حد بيحضر الاجتماع لأول مرة؟

واتجهت كل الأنظار نحوى.. رفعت يدى وقلت بصوت ضعيف:

- أنا.

فسألنى خالد:

- ممكن تعرفنا بنفسك؟

- صلاح.

- أهلاً بيك.. "العضو الجديد، هو أهم شخص فى أى اجتماع لأننا نستطيع الحفاظ بما لدينا فقط بتقديمه للآخرين". نقترح عليك إنك تحضر 90 اجتماعاً فى 90 يوماً.. وتأخذ مشرف يساعدك فى الخطوات.. الكتاب والكتيبات موجودة مع السكرتير، ولو عندك أى سؤال ممكن تسأل مدير الاجتماع أو السكرتير بعد الاجتماع.

واستمر فى حديثه، الذى لم أفهم منه شيئاً، قائلاً:

- فيه حد بيحتفل بتاريخ تبطيل؟

ولم يرد أحد.. فاستمر فى حديثه قائلاً:

- أنا خالد.. مدمن.. والنهارده باحتفل بالتبطل لمدة 6 شهور.

\* كتيب رقم 1، زمالة المدمنين المجهولين. من، ماذا، كيف ولماذا. فان نيوز، كاليفورنيا:

زمالة المدمنين المجهولين، 2004.



صَفَّقَ لَهُ الْجَمِيعُ تَصْفِيقًا حَارًّا، وَصَفَافِيرًا، وَتَحِيَّاتٍ كَثِيرَةً بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ،  
وَبَدَأَ يَتَكَلَّمُ مِنْ جَدِيدٍ، فَقَاطَعْتَهُ قَائِلًا:

- هُوَ فِيهِ حَدٌّ بِيَبْطُلُ 6 شَهْرًا؟

نَظَرَ إِلَيَّ كُلُّ الْمَوْجُودِينَ فِي دَهْشَةٍ، وَوَضَعَ أَمْجِدَ الَّذِي يَجْلِسُ أَمَامِي  
إِصْبَعَهُ عَلَى شَفْتَيْهِ، بِمَا يَعْنِي أَنْ أَسْكُتَ وَلَا أَتَكَلَّمَ، وَلَمْ يَعلُقْ خَالِدٌ نَهَائِيًّا، وَكَأَنِّي  
لَمْ أَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ.

- أَنَا خَالِدٌ.. مَدْمَنٌ.. أَنَا مِشْ مُصَنِّقٌ إِنْ أَنَا فَعَلًا بَقَالِي 6 شَهْرًا مِيبْطُلُ..  
وَلَا كُنْتُ أَحْلَمُ بِهِمْ.. كُنْتُ فِيهِ وَالنَّهَارِ دَهْ أَنَا فِيهِ.....

وَضَلَّ خَالِدٌ يَحْكِي عَنِ أَيَّامِ الضَّرْبِ، وَأَيَّامِ التَّعَافِي.. وَلَمْ أَفْهَمُ لِمَاذَا  
يَحْكِي لَنَا كُلَّ هَذَا الْكَلَامِ!! وَفِي النِّهَايَةِ شَكَرَ خَالِدٌ كَلًّا مِنْ شَادِي، وَمَشْرَفَهُ تَوْفِيقَ،  
وَسَلِيمَ، وَأَمْجِدَ.. شَكَرَ كُلَّ النَّاسِ الَّذِينَ فِي الْقَاعَةِ، وَكَانَ شَدِيدَ التَّأَثُّرِ أَثْنَاءَ حَدِيثِهِ،  
وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَى مِنْ كَلِمَتِهِ، صَفَّقَ لَهُ الْحَاضِرُونَ تَصْفِيقًا مَدْوِيًّا.. فَقَالَ:

- شُكْرًا يَا جَمَاعَةَ لِأَنَّكُمْ أَدَيْتُونِي فُرْصَةَ أَشَارِكُ..

كَانَتْ الْاجْتِمَاعَاتُ لَهَا جَدُولٌ، وَتَدَوَّرَ حَوْلَ مِشْرَاكَةِ الْخَطَوَاتِ،  
أَوْ مِشْرَاكَةِ التَّقَالِيدِ، أَوْ الْاسْتِمَاعِ إِلَى مُتَحَدِّثٍ، أَوْ اخْتِيَارِ مَوْضُوعٍ..

- النَّهَارُ دَهْ الْارْبَعِ وَحَسَبِ الْجَدُولِ، اجْتِمَاعُ النَّهَارِ دَهْ: اخْتِيَارِ مَوْضُوعٍ.. فِي أَيِّ  
حَدِّ عِنْدَهُ اقْتِرَاحٌ؟ تَقْتَرِحُ عَلَيْهِ يَا سَلِيمَ؟

- الْأَمَانَةُ، التَّفْتِاحُ الذَّهْنِي، وَالنِّيَّةُ.

- حَدِّ عِنْدَهُ اقْتِرَاحُ تَانِي؟

أَدَهْشَنِي هَذَا الْاسْلُوبُ فِي الْحَدِيثِ، وَكَأَنِّي اسْتَمَعْتُ إِلَى لُغَةٍ غَيْرِ  
مَفْهُومَةٍ..

وَلَمْ يَقْتَرِحْ أَحَدٌ مَوْضُوعًا آخَرَ.. فَقَالَ خَالِدٌ:

- بِمَا أَنَّ الْمَوْضُوعَ اخْتِيَارِكُ يَا سَلِيمَ.. مُمَكِّنْ تَشَارِكُنَا!؟

- أنا سليم.. مدمن.. الحمد لله أنا هنا، ومبطل النهارده.. وألف مبروك يا خالد..  
فعلًا تستحق الـ 6 شهور دُول.. عقبال عُمرك كله... التلات كلمات: الأمانة،  
التفتح الذهني، والنية بالنسبة لي هُمَّا مُلخَص البرنامج.. الأمانة دي كانت أبعد  
حاجة عنى.. كنت حريف كذب..

وحكى سليم عن نفسه، وأنه لم يكن أمينًا فى كل تصرفاته، وتكلم  
كثيرًا، ولم أفهم نصف كلامه، وبعد أن أنهى كلمته قال:  
- شكرًا لأنكم سيمعتونى.

فقال خالد:

- توفيق.. تحب تشاركنا؟

- أنا توفيق.. مُدمن.. الأول أحب أبارك لخالد على 6 شهور تَبطيل... مَبْرُوك،  
ألف مبروك وعقبال السنة إن شاء الله.. وعقبال عمرك كله.

أدهشنى كثيرًا أن كلاً منهم يقول: إنه مدمن.. لماذا؟  
وبالإضافة إلى ذلك، ليس بينهم أحد يبدو عليه الإدمان نهائيًا.. كل منهم  
شكله أنيق، وهادىء، وصحى.. هل هذا فيلم؟ هل هذه تمثيلية؟ هل هؤلاء الناس  
يمثلون أدوارًا محددة؟ وخلال حديث توفيق، دخل شخص إلى الغرفة، وجلس  
ولم يتكلم، وبعد أن انتهى توفيق من حديثه، قال خالد:

- أمجد.. مُمكن تشاركنا؟

- أنا مُدمن، واسمى أمجد.. وأنا فعلًا من أسعد الناس النهارده بخالد.. كان حلم  
ودلوقت حقيقة.. أنا فاكِر خالد أول مادخل القاعة هنا كان عامل إزاي..

وظل يتحدث عن خالد، ثم وجّه إليه كلامه قائلاً:

- وبالمناسبة دي، أنا أحب أهديه الميدالية اللّى أنا أخذتها، وأنا ميَطّل لمدة  
6 شهور.

وقام أمجد، وسلّم على خالد، وأعطى له الميدالية.. أخذها خالد،  
وتأملها، ثم أعطّاها لمن يجلس بجانبه، وبدأت تنتقل من واحد إلى الآخر، وعادت

مرة أخرى إلى خالد، الذى أعطانى ورقة مكتوبا عليها: "لليوم فقط" ووجهه إلى الكلام قائلا:

- العضو الجديد.. مُمكن نقرأ لنا: "لليوم فقط".\*

وكانت هذه أول مرة أقول فيها: صلاح.. مُدمن.. قلتها بتردد وبصعوبة بالغة.

- صلاح.. مُدمن.

فردّ الجميع:

- أهلا صلاح.

- لليوم فقط.

قل لنفسك:

لليوم فقط ستركز تفكيرى على التعافى، وأن أعيش وأستمتع بالحياة دون تعاطى المخدرات.

لليوم فقط ستكون لدى ثقة بعضو فى زمالة المدمنين المجهولين، عضو يؤمن بى ويود مساعدتى فى التعافى.

لليوم فقط سيكون لدى برنامج وسأحاول الالتزام به قدر استطاعتى.

لليوم فقط ومن خلال برنامج زمالة المدمنين المجهولين، سأحاول أن أجد لنفسى رؤية أفضل لحياتى.

لليوم فقط لن أخاف وستتركز أفكارى على زملائى الجدد أولئك الذين لا يتعاطون المخدرات ووجدوا أسلوبًا جديدًا للحياة. وطالما أتبع هذا السبيل..

رد الجميع فى لحظة:

فليس لدى ما أخشاه.

---

\* كتيب رقم 8، زمالة المدمنين المجهولين، لليوم فقط. فان نيوز، كاليفورنيا:

زمالة المدمنين المجهولين، 2006.

لم أفهم كلمة مما أقرأه؛ فالخوف والرهبة من الموقف سيطرا على  
كيانى كله.. وانتهى الاجتماع، وقف الجميع ووضع كل منا يده فى يد زميله  
الذى جلس بجانبه.. أمسكها بقوة وقالوا معاً:

- "اللهم امنحنى السكينة لأتقبل الأشياء التى لا أستطيع تغييرها.. والشجاعة  
لتغيير الأشياء التى أستطيع تغييرها.. والحكمة لمعرفة الفرق بينهما".  
إنه الدعاء الذى رأيته وقرأته عشرات المرات، ولم أفهمه.

خرجت من القاعة، ومشيت مع شريف إلى "الميكروباص"، وكلانا  
يندب حظه بسبب بدر، الذى استولى على "كوليه" جلال وهرب به.. رجعنا إلى  
المستشفى، ولم أكن مقتنعاً بموضوع الاجتماعات، ولم أفهم منها شيئاً، وجلست  
مع جلال ورمزى نفكر فى المشكلة، وبدر الذى اختفى تماماً، ونحاول أن نجد  
حلاً.

فى ذلك اليوم، فقدت أعصابى، ودون أن يرانى أحد قطعت سلك  
التليفون عن القسم كله، وصعدت إلى الغرفة بعد أن تناولت الدواء، ودخلت إلى  
السريـر.. كنت فى قمة الغضب من بدر، وكان الله فى عونك يا جلال.

استيقظت فى موعدى حوالى الساعة الثامنة، وبعد أن تناولت الإفطار  
أخذت الدواء، وجلست أقرأ الصحف، وحضرت الاجتماع مع نجلاء، ولم يكن  
يختلف عن اليوم السابق، وبعدها اجتماع دكتورة إكرام، ثم جلست مع نجلاء،  
نتحدث حول العلاقات العاطفية، ومريم، ورائدا، وهالة.. وجاءنى دكتور وليد  
وسألنى عن الاجتماع المسائى:

- إيه رأيك فى اجتماع إمبراح؟

- مش عارف.. مش فاهم منه أى حاجة.. هو موضوع غريب شوية.

- هتخضّر مرة ثانية؟!!

- أه.. ليه لأ.. جايز أفهم.

لم يكن هناك أى شىء يعكر الجو، إلا عندما عرفت أن شريف سيذهب  
غدا إلى منزله مع مبروك الممرض، لإحضار النقود المطلوبة لدفع حساب  
المستشفى.. فقلت له:

- باقوك إيه.. هتعرّف تجيب بوذرة معاك؟

- طبعا.. ما تقلقش.. ها اخلص من مبروك، وارجع بالليل لوحدى.

كان جلال فى شدة الغضب فقال:

- باقوك إيه يا شريف، شوف بدر فين؟ ولو لقيته فهمه إن أنا ها اسجنه أول  
ما أخرج من هنا.

- عمري ما هلاقيه.. ذا باع "الكوليه" واشترى وطار.. كان ليك حق يا صلاح.

- دا حرامى ونذل قديم.

- على العموم، عندي أمل ييجى اجتماع النهارده.

حضرت الاجتماع فى المساء، وقابلت الشخصيات نفسها، بالإضافة إلى  
شاب جديد، وبدأ الاجتماع وكان يديره أمجد.. وفهمت أن هناك شخصا مختلفا  
يدير الاجتماع كل يوم، فهو ليس مقصورا على شخصية محددة..

بدأ أمجد الاجتماع بنفس الأسلوب: دقيقة سكون، التتويهاات، أخبار  
المجموعة، المقدمة والقراءات.. وفجأة دخل بدر، وجلس فى جانب من الغرفة،  
ولم أرفع عيني من عليه، وهكذا ظل شريف يراقبه.. كان من الواضح إنه  
ضارب، والجرعة أيضا كبيرة؛ لأنه لم يستطع أن يفتح عينيه إلا قليلا طوال  
الاجتماع، وأذهلنى منظره.. وبدأ أمجد فى المشاركة قائلاً:

- أنا لما أشوف حد ضارب فى الأوضة معانا باستفيد جداً.. وبحمد ربنا على  
النعمة اللى أنا فيها.

لم أستوعب ما قاله أمجد.. كان حديثه غريباً بالنسبة لى.

وذهبت بتفكيرى بعيدا.. تصورت أن بدر جاء ليعطينا البودرة، وانتظرت انتهاء الاجتماع بفارغ الصبر لنأخذها منه.. وبعد انتهاء الاجتماع سأله شريف، بينما وقفت أنا بعيدا أراقب الموقف، وبعد دقائق عاد شريف وقال:

- نَصَاب.. قال إيه.. "الكوليه" ضاع منه!!

- يعنى إيه ضاع منه؟

رجعنا من الاجتماع، وكنا فى حالة انهيار؛ لأن بعد ظهوره المفاجئ شعرنا بالأمل الكبير فى الحصول على البودرة، وعندما عرف جلال بما حدث، أقسم أنه سينتقم منه فى أول فرصة.

استيقظت فى الصباح مستبشراً خيراً؛ فالיום هو يوم الزيارات.. وسوف تأتى ماما، ومعها كريم ورولا، وبدأت أخطط لهذا اللقاء، وأفكر فيما أطلبه منهم.. وبعد تناول الإفطار، قرأت الصحف، وجلست مع شريف نتحدث معاً عن خطته فى الخروج والذهاب إلى أسرته.. كنت أحسده لأنه سيخرج، وأثق أنه "سيضرب".. خرج شريف مع مبروك صباحاً على أن يعود مساءً.

تلقيت اتصالاً هاتفياً يبلغنى بوصول ماما ورولا، وهما فى انتظارى فى غرفة الاستقبال.. وعرفت أن أمير زميلى فى الغرفة استقبل أهله، الذين جاءوا لزيارته.. وتعرفت إلى والديه وأخته أميرة.. أحببت هذه العائلة.

يوم الجمعة، تبدو المستشفى مثل النادى.. زيارات كثيرة وهدايا وتحركات فى كل مكان.

استقبلتنى أمى وأيضاً رولا بابتسامة عريضة، فقد كان واضحاً أننى فى حالة صحية أفضل، وزاد وزنى حوالى 4 كيلو.. وهذه الزيادة ساهمت فى إظهار الفارق بين ما كنت عليه، وشكلى العام فى ذلك اليوم، وأخذتنى أمى بين ذراعيها قائلة:

- وَحَسْبُنَا أُوَى.. احكى لنا أخبارك إيه؟

- مفيش.. مستشفى ضايعة.. ولا فيه اهتمام، ولا نظام، والمخدرات جوّه فى القسم، والدكاتره فاشلين.. وأيام وتغدى..

وبكل حنان قالت رولا:

- بس الحمد لله.. شكلك كويس، وصحتك اتحسنت.. إنت ماشفّيش شكلك يوم ما دخلت المستشفى كان عامل إزاي؟!

- ما أنا قاعد مش بأعمل أى حاجة غير إني بأكل وخلص.. بأقولك إيه يا ماما، أنا عايز عربية جديدة، وعايز أول ما أخرج شوية فلوس؛ علشان اشتري لبس جديد.

- عربية إيه.. ولبس إيه؟ إنت مفيش فائدة فيك؟

- مفيش فائدة في؟ خلاص، بلاش، مش عايز حاجة.. بأقولكم إيه، أنا ها ادخل القسم دلوقت، وإبقوا سلّمولى على كريم بيه.. طبعا مش فاضى بييجى يزور أخوه فى المستشفى.. باى باى يا رولا.

قامت توأمى رولا بتهدئة الموقف كعادتها دائماً، وقالت:

- اقعد بس يا صلاح.. إحنا ملحقناش نقعد معاك.

- ما أنت شايفة يا رولا.. أنا مش عاجب ماما، وكل حاجة لأ.. زهقت من الذل ده.

كنت فى قمة الغضب.. فسألت:

- يعنى بعد كل ده، برضه مش عاجبكم؟! يعنى المفروض أعمل إيه، أموت نفسى علشان ترتاحوا؟

ردت أمى بهدوء:

- صلاح.. إحمد ربنا.. رامى صاخبك اتمسك من أسبوع.. وتهمته إتجار مش تعاطى.. والده اتوفى بعد ما عرف بـ 48 ساعة.

لم أرد.. أصبت بحالة من الذهول.. تركتهم من غير سلام ولا كلام.

رامى انتهى..

عدت إلى قسم الإدمان وأنا في قمة الحزن.. أين أنت الآن يا رامي!!؟  
وماذا تفعل!!؟ والدك، سيادة اللواء توفى -الله يرحمه-.. لقد أحببت هذا الأب  
من كل قلبي.

إنه خبر مؤلم وصدمة رهيبة!!

أما مفاجأة اليوم، إن تامر جاء إلى المستشفى.. جاء للمتابعة مع  
الدكاترة والاختصاصيين.. المهم كان تامر يعرف تفاصيل القبض على رامي..  
جلسنا معاً، وحكى لى ما حدث فى هذا اليوم المشؤوم؛ فقد تم القبض على رامي  
ومعه 12 جراماً.. قلب والد رامي -سيادة اللواء- لم يستطع تحمل هذه  
الصدمة.. مع أن هذا الرجل خاض حروب 56، 67، 73، وعاد بطلاً.. لكن  
هذه الحرب كانت أكثر شراسة، ولم يستطع أن ينجو منها..  
استعدنا ذكرياتنا التي مررنا بها، ونضحك على بعض الأحداث، ونكاد

نبكى على بعضها الآخر، ووجهت إليه سؤالاً صريحاً:

- باقولك ايه يا تامر.. بتضرب؟ ماتقولش إنك ما بتضربش!!؟

- باضرب.. بس على خفيف.

- أنا عايز بودرة.

- ياريت يا صاصو.

- طيب اسمع، أنا رايح اجتماع بكرة.. هات لى تذكرة هناك.

- هبتكشيف يا معلم.

- يا عم ما تقلقش.. عشان خاطرى يا تامر.

- ماشى.. بس اسمع لو اتمسكت وقلت إن أنا.. عمرى ما هاعرفك تانى.

- عيب يا أخى.. هو أنا عيل صغير.

- خلاص.. بكرة أجيب لك تذكرة.. بس مقيش بنى آدم يعرف.

- باموت فيك.. طول عمرك راجل.. تعرف لو مجتش.. هايجيبلى سكتة قلبية.

- ليه؟ هو إنت فاكرنى بدر!! نصّب عليكم وخلّع بالكوليه."



- شُفْتُ؟! دا مفيش أندل من كِدا فى الدنيا.

تركنى تامر وأنا أجلس على قمة عرش السعادة؛ لأنى أثق فى وعده،  
وأنه رجل، وسينفذ وعده، وسوف يأتينى فى الغد بالبودرة... ومراً اليوم..  
أحزنتى كثيراً خبر القبض على رامى، وآلمنى نبأ وفاة والده، ولم يغضبني غير  
أمى، التى لا يعجبها أى شىء.

استيقظت فى الصباح، وجدت الدنيا مقلوبة رأساً على عقب.. ماذا  
حدث؟ ونزلت مسرعا من غرفتى.. قابلنى جلال.. سألته:

- فيه إيه؟ حصل إيه؟

- شريف خربها إمبراح.

- إيه اللى حصل؟

- كان مبروك معاه فى الزمالك، وهما راجعين على هنا حاول شريف يخلع..  
مبروك الأهبل صرّخ وقال للناس إنه هربان من مستشفى نفسية.

- لا يا راجل.. وبغدين؟

- طبعا شريف قال للناس إن مبروك خرامى.. وفى ثانية حبايب شريف اتلموا..  
ومبروك أخذ علقه موت.. من ثوانى كان هنا، ووشه متشلفط.. الدكاتره قالوا له:  
روح بيتكم وخذُ أجازة أسبوع.

- ما هو اللى غبى، فيه حد يقف قدام القطر!! وبغدين؟

- شريف رجع بالليل بعد ما ضرب، ودكتور سمير شحنه على 111.

- لا يا راجل.. هو مين اللى كان معاه الفلوس؟

- الفلوس كانت مع مبروك العبيط، والمفروض لما شريف حاول يفلىت منه،  
يسيبه ويمشى، بس هو عمل سبّع البرمبه، وانتفخ.. وانت فاهم شريف، خلا  
الزمالك كلها تضربه.. وفى الآخر خد منه الفلوس كمان.. وراح ضرب ورجع  
الساعة 3:00 الصبح خربان.

- وإيه اللى هيحصل دلوقت؟

- ولا حاجة.. إنسى شريف.. مش أقل من شهرين فى 111.

- يا نهار أبيض؟ بجد؟

- طبعاً.. أصلاً لو شفت ميروك، تعرف أنها كانت فعلاً علقه موت.

- وشريف؟!

- إنساه.. إنساه.

كنت فى منتهى الحزن على شريف.. كل الخطط دُمّرت.

بعد هذا الحوار.. لم أفكر إلا فى اللقاء مع تامر خلال اجتماع المساء.. وهناك وجدته.. وعندما رآنى، غمز لى بعينه، وفهمت إنه أحضر لى المطلوب، وكان المهم كيف أخذ الورقة دون أن يلحظ أحد.. وكان المعروف لدى الجميع، أن إعطاء المخدرات لأحد فى القاعة، هو الشيء الوحيد الذى يتسبب فى منعه من حضور الاجتماعات نهائياً.. لماذا؟

أولاً: للحفاظ على أجواء التعافى.. ثانياً: وصول هذا النبأ لإدارة المدرسة، بشكل أو بآخر، يعنى إلغاء الاجتماعات فوراً، والطرده من المدرسة.. وبالتالي يصبح وضع هذه المجموعة فى خطر.. وفهمت أن هذه الاجتماعات بالنسبة لهم مسألة حياة أو موت.

اتجهنا معاً إلى الحمام، وفى لمح البصر أخذت منه الورقة، وعدت سريعاً إلى القاعة.. وقلت لِنفسى:

- تمام يا صاصو.. مية مية.

وبعد حضوري ثلاثة اجتماعات، ازداد التقارب بينى وبين المجموعة كلها.. وأكثرهم من الشباب المرح، البشوش، والودود. والحقيقة بعد سماعى لكلماتهم الصادقة والنابعة من القلب، بدأت أعجب بهم وبصراحتهم، وشردت قليلاً، وفاجأنى أمجد بقوله:

- صلاح.. ممكن تشاركنا؟

ولا أخفى أنني ذعرت، ولكنني تماسكت وقلت:

- صلاح.. مُذْمَن.. أنا في المستشفى من حوالى أسبوعين. زهقت ومليت..  
ومش عارف أنا قاعد هناك باعمل إيه؟! ولا أنا عارف أنا قاعد هنا باعمل إيه..  
أنا عايز أبطل بس متهيألى إني مش هاغرف أبطل من كتر ما حاولت وفشلت..  
ومش قادر اتخيل إني ممكن أبطل.. البودرة دمّرت حياتي.. ولا عارف أعيش  
بيها، ولا عارف أعيش من غيرها، وبعدين أنا باجب المخدرات أوى.. أول  
ما دخلت الأوضة هنا، ماكنتش فاهم حاجة، ولا مصدق أى حاجة، والإحساس  
اللى جوايا دلوقت إن أنا لازم أسمع وأبطل أتكلم.. أنا طول عمري بأتكلم..  
وطول عمري فاهم إني فاهم، وصايع.. بس الحقيقة أنا طلعت ضايع.

كنت أميناً في كل كلمة قلتها، وأحسست من ابتسامات من في القاعة  
أنهم يصدقونني، ويفهمون جيداً ما قلته.. وبعد أن انتهيت من مشاركتي، بدأت  
أستمع إلى مشاركات الآخرين.. قال سليم:

- ياه! كلام صلاح فكّرني بنفسى أول ما دخلت الأوضة، وأنا باسمعه حاسس إن  
ده الكلام اللى أنا قلته أول ما حضرت الاجتماعات.. يا نهار أبيض على كمية  
اللُخْبطة اللى كانت جوايا.. ياه على قلة الثقة في كل الناس، وفي كل حاجة  
حواليًا.. أنا برضه كنت فاكّر نفسى أكثر واجد صايع في الدنيا.. أصنّع من كل  
الناس، والحقيقة إن أنا طلعت أخيب واحد في الدنيا.. كان لازم أشيل القطن من  
ودّنى، وأسكت.. كان لازم أدّى لنفسى الفرصة وسمع، وبعدين ليّه حرية  
الاختيار.. لو ما عجبنيش التبطيل.. المخدرات موجودة.. وممكن أرجع أضرب  
في أى وقت.

صدقّت كل كلمة قالها سليم.. وفهمت كل كلمة قالها.. كلامه كله كان  
سهلاً.. واضحاً ومريحاً.. وفي نهاية الاجتماع جاءنى سليم، أمجد، شادى،  
توفيق.. الأربعة سلّموا علىّ، وكل منهم قال لى كلمتين:  
سليم : شكراً على مشاركتك.. وعلى أمانتك.

شادى : واظب على حضور الاجتماعات.

أمجد : إحنا محتاجين ناس تَبْطَلُ معانا.

توفيق : أنت عارف إنهم بيقولوا إن أنا وأنت شَبَه بَعْض.

الكلام كان بسيطاً وجميلاً، وشعرت أنه ملىء بالمشاعر الطيبة والمحبة، كما أحسست أيضاً باهتمام كبير من هؤلاء الشباب، وتمنيت أكون أكثر صراحة، وأقول لهم بكل صدق، ما همست به لنفسى:

- مش عارف إنتم مَبْسُوطِين منى على إيه؟! دا أنا فى جيبى بوذرة وراجع بيها على المستشفى علشان أضرب.

طبعاً لم أستطع أن أقول أى شيء.. لم أكن شجاعاً بالقدر الكافى الذى يجعلنى صريخاً وصادقاً لأقول ما أهمس به لنفسى.. كما أننى كنت أريد ضرب البودرة التى فى جيبى، وركبت "الميكروباص"، وطوال الطريق إلى المستشفى ظللت أفكر فى هؤلاء الشباب، وفى كلامهم، وأقوالهم الصريحة والجميلة، وفى ضحكاتهم القلبية، وأدهشنى حقاً أنهم سعداء.. وفى حالة انسجام مع بعضهم البعض، ومع أنفسهم أيضاً.. كيف يحدث هذا دون مخدرات؟ كيف يضحكون؟ وصلت إلى المستشفى، وكنت قد ألصقت الورقة خلف الساعة.. لصقتها دون أن يلحظ أحد، ودخلت المستشفى وطبعاً تم التفتيش بدقة، ولكن كان من المستحيل أن يخطر ببال أحد أن فى ظهر الساعة ورقة بوذرة.

صعدت إلى الحمام، وفتحت الورقة، وضربت نصقتها.. ولم أستمتع، أو بمعنى أدق لم أشعر "بالكيف"، فنزلت لأجلس مع المجموعة، ووجدتهم يتكلمون فى الضرب، وقصة شريف، ومن يريد الاتصال بأهله، ومن يريد الخروج فى أجازة، بينما أنا فى عالم آخر.

بعد ساعة واحدة، صعدت إلى غرفتى وضربت بقية الورقة، وهذه المرة لم أنزل إلى المجموعة.. هذه المرة جلست وحدى فى الغرفة على السرير،

ولا أفكر إلا في الكلمات التي قالها لي: سليم، وأمجد، وتوفيق، وشادي.. ودار  
في أعماقي حديث طويل، وأسئلة كثيرة.. سألت نفسي:  
- يا ترى يا صلاح إنت فعلا عايز تبطل؟  
- حتى لو عايز أبطل.. ما أنا مش عارف أبطل!! وإزاي أبطل؟  
- طيب الناس دول قالوا لي كذا ليه؟  
- وهل هم فعلا ميطلين؟  
- دول أكيد ما عملوش اللّي أنا عملته.. ضربوا شوية أيام أو شهر كذا  
وخلص!!

- لا.. ده كلام خالد مرعب.. وأمجد كمان واضح.. هُمّا كمان خربوها.

دخل أمير إلى الغرفة، وكنت في صراع نفسي صعب.. "ضارب"  
وغير مستمتع بالمرّة.. أجلس على السرير وضربات القلب سريعة، والنهجان  
غير عادي، كأنني جريت لمدة ساعة.. أنا في غاية التعب، ولا أعرف لهذا  
التعب سببًا.. وسألني أمير:

- إنت فين يا عم؟! الكل بيسأل عنك.

- موجود.. بس زهقان شوية.

- ليه؟ فيه إيه؟

- مفيش.. مش عايز أضرب تاني يا أمير.

- ومين سمعك.. وأنا كمان مش عايز أضرب.

- اجتماع النهارده كان حلّو أوي.

- كل الاجتماعات حلوة.. بس مين اللّي يركّز؟!

- أنا كنت مركز أوي يا أمير.

- حسيت بكده.. كلامك كان طالع من جوه.. من قلبك.

- أنا ناوي أبطل يا أمير.

- ياريت.. وأنا كمان ناوي أبطل.. بس مش ها أقدر أبطل الحشيش.

- مِينْفَعَشْ .. قالوا كل أنواع المخدرات.
- إلا الحشيش .. ده مش مُخَدَّر .. ده شيكُولَاتِه .. إكسِير الحياة.
- أنت حر .. مَعَلِش يا أمير سيبني أنام، وإنزل إنت أَعُد معاهم.
- تركني أمير، لكني لم أنم .. لم أستطع، وظللت مستيقظًا في السرير ..
- أنا ضاربٌ ورقة كاملة لكني متعب، ولم أشعر أنني "مِتْكَيْف"، وكانني مُخَدَّر،
- لكن في حالة وَعَى .. وجاء أمير بعد ساعة ليجدني، كما كنت، جالسًا في
- السرير، وطبعًا هذا الوضع جعله يسألني:
- إيه يا عم؟ فيه إيه؟ أنت مش طبيعي يا صاصو.
- مَفِيش يا أمير .. مَخْنُوق شوية .. هو فيه حَدْ تَحْتَ؟
- لا .. مَفِيش .. الكل دخل ينام.
- طَيِّب أنا ها أنزل أَعُد تحت شوية .. نام إنت .. نُص ساعة واطَّلِع.
- نزلت، ولم أجد أحدًا، الكل دخل لينام، وأنا لم أنم .. أشعر أنني مخنوق،
- وأحتاج إلى أن أشم هواء يُنْعِشني.
- جلست وحدي، شربت سيجارتين أو ثلاثًا، وسألت نفسي:
- تَفْتَكِر يا صلاح ممكن يكون النهارده آخر يوم تُضْرِب فيه في حياتك كلها؟
- تفكر؟؟
- يا ترى إنت عايز تبتطل؟ النية موجودة؟
- طيب ينفع ندى لنفسك الفرصة وتسمع؟
- بس فين الأمانة؟
- ودارت بداخلي آلاف الأسئلة التي لم أجد لها أي إجابة.
- استيقظت مبكرًا رغم أنني نمت الساعة الرابعة، وقابلت نجلاء،
- وسألتنى:
- إزيك يا صلاح؟ أخبارك إيه؟
- مش عارف يا نجلاء .. مش عارف!!

- مالك؟ فيه ايه؟
- مفيش حاجة.. زَهقان شوية.
- طَيِّب نعال عشان "الجروب" .. الاجتماع هيبُتدى.
- جلست مع المجموعة، ولم أشارك بأى حديث أو أى كلمة، وقلت:
- أسف.. إعتقونى أنا النهارده، مش عايز أتكلم.
- بعد انتهاء الاجتماع نادانى دكتور وليد، وسألنى:
- نجلاء قالت لى إنك زَهقان.. فيه حاجة؟
- لا.. مفيش.. بس أنا تعبت من قصة الضرب دى.
- أخبار الاجتماعات ايه؟
- كويسه.
- هترُوح النهارده؟!
- آه طبعا عايز أروح.
- وايه أخبار "الجروبات" مع نجلاء والدكتورة إكرام؟
- كويسة.. بس زَهقت منها.
- بالمناسبة.. بكرة دكتورة عالية هترجع تانى.
- مين دكتورة عالية؟ وهرجع من فين؟
- إنتَ مَا بَعْرِفْهاش.. عالية دكتورة كانت بتشتغل هنا.. بس سافرت أمريكا
- تعمل ماجستير ولِسَّه راجعة من كام يوم.. أنا عارف إنك هاتستريح لها.
- حلوة؟
- آه حلوة.. هو إنتَ مفيش فائدة فيك؟ أنا ها أمشى، وأشوقك بكرة.. عايز
- حاجة؟
- شكراً يا دكتور.

وبعد أن تناولت وجبه الغداء، جلست في الهواء، وفي هدوء.. ولكنى لا أعرف ماذا يحيرنى بهذا الشكل؟ ماذا حدث لى؟ جاء جلال، وجلس بجوارى، ثم قال:

- إنت متغيّر شوية، ومن ساعة صاخبك ما راح 111، وإنت مش فى المود.

- القسم مألوش طعم من غيرُه.. مفيش أخبار عنه.

- اتساء.

جاء موعد التحرك للذهاب إلى الاجتماع.

وكنت أول من استعد، وظللت واقفاً فى انتظار "الميكروباص" .. وصلنا

إلى قاعة الاجتماعات، هم نفس الناس، شباب يضحكون.. ينظمون ويعيدون

ترتيب الغرفة، ويتحدثون معاً، فى ود وهدوء.. سلمت عليهم، وبدأ الاجتماع..

وكانت جميع الاجتماعات ذات أسلوب واحد فى البداية والنهاية إلى أن تبدأ

المشاركات، وبدأها خالد قائلاً:

- من ساعة ما قلت خالد مدمن، ونص المشكلة إتحتت.. أخيراً اعترفت إن أنا

مدمن.. يعنى لو مش أنا المدمن.. يبقى مين المدمن؟! أنا كان لازم أعترف إن

أنا عاجز قدام المخدرات، يا إما أبقي مجنون!! هو أنا اللى عملته كان شوية!!

الموضوع فى البداية كان لطيف، بنلف سيجارتين، وبنشرب كاسين.. نخرج

ونسافر.. كله ماشى زى الفل.. لغاية ما نزل على الوحش.. هاجمنى وبدأ يكسر

فى.. الأول كنت باكابر.. إيه المشكلة؟ ما أنا لو عايز أبطل.. هابطل.. بس

الحقيقة لما جيت أبطل.. ما عرفتش أبطل.. عملت كل حاجة ممكن تتعمل

عشان أبطل.. اتحبست فى البيت.. سافرت.. دخلت المستشفى.. وبرضه مفيش

فايدة.. كام مرة قلت هى دى آخر مرة أخذ فيها مخدرات.. كام مرة؟! وكام

مرة مسكت محقظة أبويا وسرقت اللى جواها.. وكام مرة سرقت من شنطة

ودولاب أمى؟ وكام مرة نصبت على أصحابى؟ أنا مافهمش يعنى إيه عاجز



قُدَّامِ المَخْدَرَاتِ غَيْرِ لَمَّا جِيتَ هِنَا، وَلَقِيتَ نَاسَ بِيحْكِي نَفْسَ الكَلَامِ، بِيحْكِي كُلَّ اللِّي أَنَا عَمَلْتُهُ بِالظَّبِيطِ.. وَمَشَ مَكْسُوفِينَ.

ظَلَّ خَالِدٌ يَتَكَلَّمُ، وَأَنَا أَسْمَعُ.. كَأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِّي.. كَأَنَّهُ يَقُولُ كُلَّ مَا حَدَّثَ لِي.. وَالسُّؤَالُ: كَيْفَ عَرَفَ هَذَا الكَلَامَ؟ بِالتَّأَكِيدِ مَرَّةً بِهِ وَعَاشَهُ.. هَذَا الرَّجُلُ لَا يُمَثَّلُ.. هَذَا الرَّجُلُ يَعْرِفُ وَيَفْهَمُ جَيِّدًا مَا مَعْنَى المَخْدَرَاتِ.. إِنَّهُ بِالتَّأَكِيدِ صَرِيحًا مُخْتَرَفٌ.. أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَأَشَارَكَ، لَكِنِّي خُفْتُ.. شَعَرْتُ أَنَّي أَخْطَأُ خَطَأً كَبِيرًا بِالْأَمْسِ.. أَنَا كَسَرْتُ مَبَادِي، وَتَقَالِيدَ هَذِهِ المَجْمُوعَةِ.. هَذِهِ الاجْتِمَاعَاتُ الغَرَضُ مِنْهَا التَّوَقُّفُ عَنِ التَّعَاطِي، وَالنَّاسُ لَا تَجْتَمِعُ فِي هَذَا المَكَانِ لِتُخَضَّرَ مَعَهَا المَخْدَرَاتُ، وَلِتَتَبَادَلَ المَخْدَرَاتُ.. وَفَجْأَةً سَأَلَنِي شَادِي:

- صَلَاحُ.. تَحِبُّ تَشَارِكُنَا؟

- صَلَاحُ.. مَدْمَنٌ.. هُوَ خَالِدٌ كَانَ بِيَتَكَلَّمُ عَنِ نَفْسِهِ، وَاللَّأُ بِيَتَكَلَّمُ عَنِّي.. لَوْ أَنَا عَايِزٌ أَحْكِي اللِّي حَصَلَ لِي، يَبْقَى هُوَ دَا اللِّي أَنَا هَاقُولُهُ.. أَنَا عَايِزٌ أَتَكَلَّمُ بِصَرَاحَةٍ، بَسْ أَنَا خَايِفٌ.. مَشَ قَادِرٌ أَتَكَلَّمَ.. شُكْرًا.

وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الاجْتِمَاعِ، جَاءُوا لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ، وَكُلُّ مَنْهُمْ يَقُولُ لِي كَلِمَتَيْنِ.. رُبَّمَا لِلتَّشْجِيعِ، لَكِنِّهَا كَلِمَاتٌ صَادِقَةٌ.. هَكَذَا أَحْسَسْتُ.. قَالَ أَمْجَدُ:

- أَنَا كَمَا كُنْتُ خَايِفٌ أَوَّلَ مَا دَخَلْتُ الأَوْضَةَ.. دَا طَبِيعِي.

بَيْنَمَا قَالَ تَوَفِيقُ:

- أَنَا مَبْسُوطٌ أَوْيُّ مِنْ مُشَارِكَتِكَ، وَكُلُّ مُشَارِكَاتِكَ.. فَعَلًا بِأَحِبِّ أَسْمَعُكَ.

أَمَا خَالِدٌ فَقَالَ:

- يَعْْنِي أَنَا هَا أَحِبِّبْ مِنْ بَرِّهِ؟ كَلَّنَا بِنَجْرِي فِي مَلْعَبِ وَاحِدٍ يَا مُعَلِّمُ.

وَأخِيرًا قَالَ شَادِي:

- إوُعِي مَا تَخِيشُ بُكْرَهُ يَا صَلَاحُ.

- لِيهِ؟ فِيهِ إِيهِ بُكْرَهُ؟

- لَمَا تَبْجِي هَا تَعْرِفُ.

ظل كلام كل منهم يدوى فى أذنى، ويسيطر على تفكيرى.. أمجد  
يطمئننى.. توفيق سعيد بمشاركتى.. يا سلام!! هل أنا أجيد الحديث فعلاً؟ أما  
خالد فهو جرىء أو بدقة أكثر "صايغ".. ونسخة أخرى من بهاء.. أين أنت  
يا بهاء؟؟ أين أنت يا رامى؟؟ ويا ترى ماذا يحدث غداً يا شادى؟ ما هذا التشويق  
لحضور اجتماع الغد؟

عدت إلى المستشفى، يغمرنى إحساس بالهدوء النفسى أو فلنقل الراحة،  
أو ربما السكينة.. مع هذا، كأن فوق صدرى حجراً.. فموضوع المخدرات التى  
أخذتها من تامر فى غرفة الاجتماعات كان يسيطر على تفكيرى ويتعبنى..  
رجعت من الاجتماع، وجاء موعد تناول الدواء بعد العشاء، فأعلنت بوضوح:  
- مش عايز أدوية يا صادق.

- يعنى إيه؟

- يعنى مش عايز.. خلّينى صاحى النهارده يا صادق.

- بس إحنا لازم نبليغ الدكتور.

- بليغ.. وبكره أنا هاقول له مش عايز أدوية تانى.

حقيقة الأمر.. أن هذه الأدوية تضايقنى، نعم هى تساعدنى على النوم،  
ولكنها أحياناً تجعلنى أكثر توتراً وتجعل أعصابى مشدودة.. فكرة تناول الكثير  
من المهدئات تشعرنى بأننى مجنون رسمى.



## رسالة الفجر

لم أنم طوال الليل.. لم تغفل عيني ثانية واحدة.. مرت الساعة الثانية، ثم الثالثة.. والآن هي الرابعة، ولا أنام.. بل وقفت أمام الشباك، أراجع كل ما حدث في حياتي.. مرّ في عقلي شريط الضرب كله منذ بدايته.. وتذكرت الاجتماعات المسائية، ومشاركات الشباب، وما قاله أمجد، وسليم، وشادي، وخالد، وتوفيق، ومرة واحدة وجدنتي أكلم نفسي وأقول:

- يارب.. يارب.. يارب ساعدني.

أول مرة أقولها.. لأول مرة أقولها من قلبي.. أول مرة أعنيها بصدق.. أول مرة أحاول جاداً أن أضع كل ثقتي في ربنا.. تخيلت طوال عمري أن الله يعاقبني.. فقط يعاقبني.. ومرة ثانية قلت:

- يارب.. ساعدني يارب.

ومرة ثالثة قلت:

- يارب.. ساعدني يارب.

وإذا بي أسمع الأذان:

- الله أكبر.. الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمداً رسول الله.

إنه: أذان الفجر..

ياه!! أول مرة أسمع أذان الفجر بهذا الجمال.. أول مرة أركّز في كل

كلمة يقال.. خيل إلي أنه ليس بأذان الفجر.. وتخيلت أن الله " سبحانه وتعالى" يردّ عليّ: أنا موجود.

الأذان يؤذن.. ودموعي تنزل من عيني أنهاراً.. شلالات دموع.. بكاءً

هستيريّاً.

انتهى الأذان، وسمعت إقامة الصلاة.

ومن غير شعور، دخلت الحمام، توضأت، وصليت ركعتين.. ودخلت السرير، بشخصيتين.. أولاهما: شخص هادئ.. وثانيتها.. أنه في الوقت نفسه بداخلي شخص آخر في أعماقه بركان يكاد أن ينفجر.  
ما هذا الذي يحدث بداخلي؟ لست أدري، ولم أفهم شيئاً مما يحدث لي في تلك اللحظات.. نمت الساعة 6:00، وصحوت الساعة 6:50، عيناى لم تغمضا أكثر من 50 دقيقة فقط.

### الأسبوع الثالث

نزلت من الغرفة، ووقفت أقرأ الجدول، وكأنتى أقرأ هذا الجدول لأول

مرة:

دكتورة عالية الساعة 10:00 إلى الساعة 11:30.

دكتورة إكرام الساعة 12:30 إلى الساعة 2:00.

جلست أمام اللافتة المكتوب عليها: "اللهم امنحنى السكنينة لأتقبل الأشياء

التي لا أستطيع تغييرها.. والشجاعة لتغيير الأشياء التي أستطيع تغييرها..

والحكمة لمعرفة الفرق بينهما".. ولم أشعر بالضيق أو "النرفزة" منها، كما كنت

أشعر من قبل، بالعكس.. قرأت الدعاء حوالى 10 مرات في محاولة للفهم.. إنه

الدعاء الذى يقولونه في نهاية الاجتماعات المسائية.. أنا أريد أن أفهم سره..

لا.. بل أنا أريد أن أفهم أشياء كثيرة.. أريد أن أفهم أى شىء وكل شىء..

بعد أن تناولت الإفطار، شربت الشاي، وقرأت الصحف.. الساعة

تقترب من العاشرة.. اجتماع دكتورة عالية، فهي تنتظر في الحديقة.. خرجت

إلى الحديقة مع المجموعة التى تتوى حضور الاجتماع، وتجولنا فى المكان،

ولم أعرف سر إحساسى بأن كل شىء هنا أراه لأول مرة.. جلست دكتورة عالية

في الحديقة، وقد اختفى وجهها بين صفحات الكتاب الذي تقرأه.. جلسنا جميعاً، ورفعت وجهها، وبدأت تتأمل ماذا يفعل كل منا.

ياه!! يا الله.. إنها جميلة جداً.. وجهها ملائكي.. وأيضاً من الواضح أنها راقية.. أنيقة، وكأنها خارجة من "الكتالوج".. إنها عائدة لتوها من أمريكا، وبالتأكيد عملت "شوبنج"، لا أول له ولا آخر، "وكسرت" الدنيا.. حقاً.. وجاء مكاني في نصف الدائرة، في مواجهتها مباشرة.. ثم بدأت في الحديث:

- صباح الخير.. أنا عالية.

- صباح النور.

- النهارده أول يوم لي هنا.. بعد غياب سنة كاملة.. المكان واجشني.. وإنتم كمان وحشتوني أوي.. أنا راجعة وجوايا حاجات كثيرة أوي نفسي أنفذها معاكم.. فمن فضلكم عاوزاكم تساعدوني.

وطلبت عالية من كل منا أن يقول ما يفكر فيه، ويخطر في باله، وبدأ

أمير:

- بقالي هنا أكثر من شهرين، وزهقت خلاص.. عايز أمشي من هنا.

- أنا أسامه.. ونفسي أضرب يا عالية.

- شكراً يا أسامه على صراحتك.

وجاء الدور علي.. وكنت قد ركزت معها، وشعرت أنني أعرفها، فهي

شديدة الشبه بزميلة الطفولة أيام المدرسة، وكانت معي في الفصل نفسه، فسألتها:

- عندك أخت؟

ردت بثقة:

- إنت عندك أخ.

- إنت أخت ليلي؟

- إنت أخو كريم.

- ممكن تعرفني بنفسك؟

- أنا صلاح.. ميطلّ النهارده، ويقالى فى المستشفى أسبوعين.

- ممكن أتكلّم معاك بعد الاجتماع؟

- طبعا ممكن.

إذا، أنا أعرف أختها، ليس هذا فقط، بل هى أيضا عرفت أختى.. ودار

فى ذهنى تساؤل سريع:

- مش عارف أنبسط واللا أزعل؟! دلوقتى هى هتروح نقول لأختها إنها قابلت

صلاح اللى كان معاها فى الفصل، وبيتعالج فى المستشفى.

الوقت مرّ سريعا، والحقيقة، كان الاجتماع هذه المرة مختلفا.. لقد

تكلّمنا فى أشياء مختلفة وموضوعات مشوقة، وبأسلوب هادىء مريح وراق،

والفارق كبير بينه وبين الاجتماعات الأخرى.. والآن فقط، فهمت لماذا قال لى

دكتور وليد إننى سوف أشعر بالراحة خلال اجتماعاتها.. انتهى الاجتماع، وكنت

فى منتهى السعادة لأننى سأتكلّم معها.. لا أدري بدقة لماذا كنت أشعر بهذه

السعادة.

وبعد انصراف المجموعة مشينا فى الحديقة، وجلسنا فى جانب منها..

يا إلهى.. ما هذا الهدوء الذى يميز وجهها؟! وقالت:

- أوّل حاجة.. أنا أحب أطمّنك إن مفيش حد هيعرف إنى قابلتك هنا.. مش إنتم

بنقولوا فى الاجتماعات: اللى نشوفه هنا، وينقال هنا، يفضّل هنا؟

أعجبنى كلامها.. شعرت بالأمان لهذا المدخل.. فقلت:

- فعلا.. بنقول كده فى الاجتماعات.

- أختك ليلية.. كانت معايا فى الفصل، 6 أو 7 سنين.. لسه جميلة زى ما هى؟

كانت أجمل بنات المدرسة.

- ليلية لسه حلوة.. اتجوزت، وعندها بنت كمان.

- إنت شبيهها.. نسخة تانية.. وتعرفى كريم منين؟

- كريم ونادر أخويا بيشتغلوا مع بعض.

- ياه! الدنيا صغيرة.
- إنتَ كمان تشبه أخوك.. بس إنتَ شكك أشقى.
- أنا؟ من أولها كدا هتظلميني؟!
- النهارده.. أول يوم لى فى المستشفى بعد غياب سنة كاملة.. وفيه حاجات كثيرة لازم أعملها، بس بكره فضى نفسك، عايزين نقعد مع بعض وقت أطول.
- ها اشوف الجدول بتاعى أخباره إيه.. وماتقلقيش.. هاتصرف.
- طيب كويس.. هاشوفك بكره بعد الاجتماع.
- كان نفسى أقول لك سلميلى على ليلى.. بس للأسف مش هينفع.
- إنتَ هاتشوفها وتسلم عليها بنفسك إن شاء الله.. عاوزاك تحضر كل الاجتماعات.. وتشارك.. اتفقنا؟!
- اتفقنا.

ياااه، كأنتى أعرفها منذ 10 سنين.

لقد كسرت حواجز الدنيا كلها.. كم استرحت لها، وشعرت أننى فعلاً أريد التحدث معها، واستمع لها، وأتناقش معها، وأسألها، وأحكي إليها.. وثقتُ فيها ثقة عمياء منذ الدقائق الأولى.

## اعتراف

عدت إلى القسم، وإلى حد ما أعصابي أكثر هدوءًا.. ثم حضرت اجتماع دكتورة إكرام في موعده بدقة، وبعد تناول طعام الغداء، بدأت ألف وأدور حول نفسي.. إن عقارب الساعة تتحرك ببطء شديد جدًا، أيتها الساعة تحركي.. إنني في شوق لحضور اجتماع مساء اليوم.

في ذلك اليوم واجهت موقفًا غريبًا، لا أحد يريد من المستشفى حضور الاجتماع، أنا الوحيد الذي تحمس لحضوره.. وذهبت إلى هناك وحدي، وفي المرات السابقة كانت المجموعة لا تقل عن ثلاثة أو أربعة، وتصل أحيانًا إلى خمسة.

دخلت إلى مقر الاجتماع ولاحظت أن عدد الناس في القاعة أكثر من المرات السابقة، وأنني أرى بعضهم لأول مرة.. وقد أدار خالد هذا الاجتماع.. وقد كان هناك جو من السعادة ولم أعرف له سبب.. وبدأ الاجتماع بالمقدمة والتتويهاة والقراءة، إلى أن طلب مني خالد قراءة: "لماذا نحن هنا":  
وبدأت القراءة:

قبل المجئ إلى زمالة المدمنين المجهولين لم يكن باستطاعتنا أن ندير حياتنا. ولم يكن باستطاعتنا أن نستمتع بالحياة مثلما يفعل الآخرون. كنا بحاجة إلى شيء مختلف واعتقدنا بأننا قد وجدناه في المخدرات. وضعنا تعاطيها فوق مصلحة عائلاتنا، وزوجاتنا، وأزواجنا وأطفالنا. كنا مضطرين للحصول على المخدرات بأي

\* كتيب رقم 1، زمالة المدمنين المجهولين، من، ماذا، كيف ولماذا. فان نيوز، كاليفورنيا: زمالة المدمنين المجهولين، 2004.



ثمن. تسببنا فى أذى عظيم لكثير من الناس، ولكن آذينا أنفسنا أكثر من أى شخص آخر. ومن خلال عدم قدرتنا على تقبل مسؤولياتنا الشخصية، كنا فى الواقع نخلق المشكلات لأنفسنا. وبدأ أننا غير قادرين على مواجهة الحياة بشروطها.

أدرك معظمنا أننا بإيماننا كنا ننتحر ببطء، ولكن الإدمان عدو ماكر للحياة لدرجة أننا فقدنا القوة على فعل أى شىء حياله. انتهى الأمر بالكثير منا إلى السجن، أو طلب المساعدة من خلال الطب، والدين والعلاج النفسى. ولكن أى من هذه الطرق لم تكن كافية لمساعدتنا. كان مرضنا دائماً يطفو على السطح مرة أخرى، أو يستمر فى التفاقم حتى اليأس، فطلبنا المساعدة من بعضنا البعض فى زمالة المدمنين المجهولين.

بعد المجئ إلى زمالة المدمنين المجهولين، أدركنا بأننا أناس مرضى. إننا نعانى من مرض ليس له علاج معروف، ولكن مع ذلك يمكن محاصرته عند نقطة ما، وعندئذ يكون التعافى ممكناً.

الجديد أننى بدأت أركز فى الاجتماع.. وفى كل ما يقال.. إلى أن جاء موعد الاحتفالات بمناسبة التَّبطيل، فقال خالد:

- إحنا النهارده بنحتفل بشادى.. "سنة تبطيل" يا شادى.. مُمكن تشاركنا.. ارتفع تصفيق كل الموجودين.. تحيات وتهليلات من الجميع.. وفى تلك اللحظة فقط، عرفت لماذا كان شادى حريصاً على حضورى هذا الاجتماع، لاحتفل معه بسنة "تبطيل".

- أنا شادى.. مُدمن.. ياه.. سنة عدت!! الحمد لله.. مش ممكن كنت أتخيل إن دا يحصل أبداً.. أنا كنت راجل متواضع، نفسى أبطل شوية، مش سنة..

أنا مش عارف أتكلم.. حاسس أنى متلخبط.. من الصبح بثرى كلمنى خالد، توفيق، حاتم و.. و.. و.. مقيش حد ما كلمنيش، مقيش حد نسي.. مقيش حد كسل.. شكرا على مكالماتكم.. اللى حصل معايا، زى اللى حصل مع كل الناس، جيت الاجتماعات تعبان أوى.. ونفسى أبطل، وفى رأى ان 50% من المشكلة اتحلّت، لما اعترفت إن أنا عندى مشكلة، واديت لنفسى الفرصة، واديت للناس الفرصة إنها تساعدنى.. فى البداية، طلبوا منى حاجات بسيطة، وعمرى ما كنت أتخيل إن الحاجات البسيطة دى، كانت تخلىنى أبطل.. قالوا لى: دا برنامج بسيط لناس معقدة.. وخذ لك مشرف، اقرأ فى الكتاب كل يوم، وأول ما تصحى من النوم، كلم فى التليفون واحد أو اتنين على الأقل، ويكونوا ميطلين بقالهم أكثر من 6 شهور.. تحضر 90 اجتماع فى 90 يوم.. أنا حضرت أكثر من 330 اجتماع فى السنة دى.. كلمات: الامانة، التفتح الذهنى، النية.. الكلام كان بيخضنى أول ما دخلت الأوضة، والسبب.. إنى أنا راجل عمزى ما كنت أمين، وكنت معرّفش غير الكذب، وما اعرفش يعنى إيه تفتح ذهنى من أساسه.. والنية موجودة، بس يا ترى أنا صادق فيها واللا لا؟ اللى يشوفنى النهارده ويسمعنى وأنا باتكلم، يقول إنى دخلت الأوضة دى راكب حصان أبيض، بس الحقيقة أنا دخلت خلصان، ومُنْتَهَى.. والناس ساعدتنى، ووقفت جنبى.. أنا مش عايز أطول عليكم، بس أنا فعلا النهارده، ممكن أكون أسعد إنسان فى الدنيا.. أشكركم تانى، واعبّر لو كنت طوّلت عليكم.

كان التصفيق مدويًا، وكان كل فرد فى الغرفة سعيدًا فعلاً.. لم أكن أريد أن ينتهى شادى من حديثه.. كان كلامه جميلًا.. بسيطًا، ومؤثرًا.. واستكمل خالد إدارة الاجتماع، وقال:

- شكرا يا شادى على مشاركتك.. أنا فاكّر لما دخلت الأوضة هنا، كان شادى ميطل من 6 شهور، وكان نفسى أبقى زيّه، والنهارده هو ميطل بقاله سنة، وأنا برضه نفسى أبقى زيّه.. مبروك يا شادى..

ممكن تشاركنا يا أمجد؟

- مش مبروك لشادي بس، مبروك علينا كلنا.. شادي من أكثر الناس اللي إتعلّمت منها، ومش فارقة أبدا مين يبطل قبل مين.. كلنا بنساعد بعض، وفي الأول والآخر هدفنا واحد.. إننا نفضل كلنا مبطلين.

عاد الحديث إلى خالد:

- من فضلك يا توفيق سلم شادي الميدالية بتاعته.

الكل يصفق.. الكل سعيد..الكل مبتسم.. الكل يحتفل.

وأنا أشعر أنني صغير جداً وسط هؤلاء الشباب.. وفجأة قال خالد:

- صلاح.. ممكن تشاركنا.

وبصعوبة بدأت الحديث:

- مبروك يا شادي.. ألف مبروك.. أنا مش قادر أتخيل إنى أكون زيّك.. من إمبراح وأنا مش عارف أتكلّم، فيه حجر واقف على قلبي.. أنا في الاجتماعات سمعت إن اللي بيتقال هنا.. بيفضل هنا.. وأنا شايل هم كبير وتعبت.. ومش خايف ولازم أتكلّم.. أنا من يومين جيت الأوضة هنا، وأخذت من واحد مخدرات، ولما رجعت المستشفى ضربت هناك.. أنا أسف.. أنا غلطان.. أنا مش عايز أضرب تاني.. مش عايز أضرب تاني.. هتسامحوني إن أنا عملت كده؟ هتسامحوني؟ من فضلكم ساعدوني.. أنا خلاص تعبت.. تعبت.

وبدأت أبكي، أبكي.. وأضرب بيدي على المائدة، قائلاً:

- أنا عايز أبقى زيكم.. عايز أضحك.. عايز أخط راسي على المخدة أنا.. عايز أرفع راسي وأنا ماشي.. مش عايز أي حاجة تانية.. عايز أبطل.. عايز أبطل.

ولم استكمل كلامي من شدة البكاء.

وجاءني أمجد، وأعطاني ميدالية، كتب عليها 90 x 90، وصفق لي

كل الناس بالحرارة نفسها التي صفقوا بها لصاحب الاحتفالية شادي..

ووجه لى خالد الكلام:

- شُكْرًا على مُشاركتك يا صلاح.. باشكرك على أمانتك.. واطمأنك إن اللى بيتقال هنا بيفضل هنا.. ونُنهي الاجتماع بدُعاء السكينة.

وبعد انتهاء الاجتماع.. سلم الكل على شادى، وعلى أيضا.. وكأنه عيد ميلادنا معًا، بينما اهتم خالد، وسليم وتوفيق بإحضار التورتة لإطفاء شمعة شادى.. وفى تلك اللحظة جاعنى شاب أنيق، ولأول مرة أراه، وقال لى:

- أنا حاتم.. إزيك يا صلاح؟

- الحمد لله.

- ممكن أكون المشرف بتاعك وأساعدك؟

- بجد؟! ياريت.

- أول سؤال عندى: دماغك ودتك ووصلتك فين؟

- يعنى إيه؟!؟

- يعنى إنت فين دلوقت؟

- فى المستشفى.

- مَحْظوظ.. كان ممكن تُبقى فى مكان أوْحش من كده بكثير.. ممكن تريح

دماغك شوية.. أنا بقترح عليك إنك تسمع الكلام، وشوف هتروح فين المرة

دى.. امسك كتاب "المدمنين المجهولين"، واقرا المقدمة.. المقدمة مهمة.. وكتبت

لك نمرة تليفونى على أول ورقة.. تكلمنى كل يوم الساعة 5:00 من المستشفى..

أنا ها اكلم دكتور وليد الصبح، وأبلغه إن أنا المشرف بتاعك.. ياللا.. ها اشوفك

بكره.. وما تتساش، أول ما تصحى من النوم، تنزل من على السرير، وتنزل

على ركبنا، وتدعى ربنا:

"يارب ساعدنى أفضل ميطل مخدرات النهارده"..

دعاء بسيط وسهل.. ونفع معانا.

بعد هذا الحوار مع حاتم، جاعنى كل الناس.. سلموا على بحرارة،  
وأحضان وقبيلات، وكأنتى وسط أصدقاء أعرفهم من سنين.. يا سلام!!  
لماذا يتعاطف معى كل هؤلاء؟ وكل منهم قال لى كلمتين ودودتين:  
أمجد : لعلمك، أنا كنت زيك كده.. كنت محتاج آخر ضرباية علشان أفوء..  
وَفَرَقْتِ مَعَايَا.. يَظْهَرُ إِنَّتَ كَمَا نَ كُنْتَ مِحْتَا جُهَا.  
سليم : إِفْضَلْ مَعَانَا.. زَى مَا إِنَّتَ مِحْتَا جُنَا.. إِحْنَا كَمَا نَ مِحْتَا جِينِكَ.  
توفيق : مِشْ بِأَقُولُكَ أَنَا بِأَحِبُّ مُشَارَكَاتِكَ.  
شادى : عِيدِ مِيلَادُنَا سَوَا أَنَا وَأَنْتَ.. إِحْنَا الْإِثْنَيْنِ مِبْطَلَيْنِ النَّهَارِ دَه.  
خالد : بِأَقُولُكَ إِيه.. عُمُرَكَ شَفْتِ لَعْيِبَةَ بِتَجْرِى وَرَا الْكُورَةَ بَعْدَ مَا الْحَكْمُ  
صَفْرٌ؟! الْمَاتَشْ خَلَصَ يَا بَاشَا.

ولم أكن أتصور أبداً، أن يكون هذا هو رد فعل هؤلاء الناس.. لقد تخيلت  
غضبة هائلة من الجميع.. توقعت أن يهاجمنى أحدهم.. تصورت أنهم لن  
يكلمونى.. وتصورت أنهم قد يطردوننى من الغرفة، لكن ما حدث هو العكس  
تماماً.. أعتقد هذا هو التفتح الذهنى.  
عاد لى حاتم مرة أخرى وقال:

- فيه خصوصية فى كل حاجة بنتكلم فيها، بس فيه أوقات ممكن أحدى  
لمشرفى.. علشان يساعدى فى توجيهك.. إذا إنت وافقت.  
- مفيش مشكلة خالص يا حاتم.  
بهرنى هذا الموقف.. وعدت إلى المستشفى أسعد إنسان فى الدنيا..  
ربما أسعد من شادى شخصياً..

أمسكت الكتاب فى يدى، وكأنتى أمسك كنزاً.. دخلت إلى الغرفة  
مسرعا.. فتحت الكتاب وبدأت القراءة كما قال حاتم.. قرأت المقدمة.. وبعد  
المقدمة.. ورفضت للمرة الثانية أن أتناول الدواء فى تلك الليلة.. طبعاً لم يكن

هذا سهلاً، بل متعباً، لأننى لا أنام.. على الأكثر ساعة واحدة طوال اليوم.. أنام الساعة 6:00.. وأصحو الساعة 7:00.

طلبت تصريحاً بمكالمة تليفونية.. أردت أن أكلم حاتم كما اتفقنا.. وأردت أن أكلم أمى.. وليتنى أستطيع الاتصال بأختى رولا.. لكننى فى المستشفى، وقد عاد زوجها من مقر الشركة فى البحر الأحمر، وقد يرد على عامل التليفون "السويتش"، ولا يجوز أن يعرف فجأة أننى فى مستشفى، وبهذا الأسلوب.

بعد أن تناولت الإفطار، جلست مع المجموعة، ولأول مرة أتكلم عن التَّبْطِيل، وعندما تكلم أحدهم عن الضرب، تركت الجلسة قائلاً:

- مين يلعب بينج بونج معايا.. أمير؟!!

- ياللا يا باشا.. أنا معاك.

كنت فى حالة معنوية مدهشة، مشيت فى المستشفى أضحك.. وتمنيت أن يمر الوقت سريعاً.. لأحضر اجتماع دكتورة عالية، ورأيها قادمة، وأسرعت إليها قائلاً:

- صباح الخير يا عالية.

- صباح الخير يا صلاح.. شكلك مبسوط النهارده.

- مبسوط أوى.. حاسس إنى إتولدت من جديد.

بدأ الاجتماع فى موعده بدقة.. وكنت إيجابياً.. وبعد الاجتماع جلست مع الدكتورة عالية فى ركن من أركان الحديقة.. جلسة فيها إحساس كبير بالحرية، وبدأت الحوار قائلة:

- ياللا.. تحب نيتدى من فين.. أو من إمتى؟

- نيتدى من إمبرح يا عالية.

- موافقة.. نيتدى من إمبرح.

- أنا أخذت مشرف إمبرح.. هو نفسه اللى إختارنى.

- بجد؟ هايل.. مين؟

- حاتم.. بأقولك إيه يا عالية.. فيه حاجة مش ها اسٲريخ غير لو قُلْتهالك.. بس

خلى بالك، أنا مش ناوي أقولها لأى حد فى المُستشفى غيرك.

- دى ثقة كبيرة.

- أنا يوم السبت اللى فات دَخَلت مخدرات فى المُستشفى.

- وبُعدين؟

- أخذت، ومفيش حد عرف.. وحكيت الحكاية دى فى اجتماع إِمبارح.

- هايل.. دى أحسن حاجة إنت عمَلْتها يا صلاح.

- كل الناس تقَبَلت الموضوع عكس ما كنت متخيل.

- لأنهم بصُّوا على الموضوع بطريقة إيجابية.

- كنت قلقان إن الخبر يتسرَّب فى المُستشفى، بس الحمد لله ما حصلش..

أنا مش قلقان منك، وكأنك مش من ذكائرة المُستشفى.

- أنا من ذكائرة المُستشفى، بس ما تَقَلِّش منى.. كده أنت مبطل من كام يوم؟

- دا تانى يوم.. أنا مبطل من أول يوم إنت رجعت فيه المُستشفى.

تحدثنا معاً.. ساعة وربما أكثر، وكان أجمل حديث صريح فى الدنيا..

ياه.. غمرنى إحساس بالارتياح لا مثيل له.. وتقتى فيها بلا حدود.. والغريب فى

الأمر أننى لم أشعر بالخجل أثناء حديثى معها بما فعلت فى الماضى.. كأننى

أتكلم مع نفسى.. والأجمل والأروع أننى مهما حكيت لها من مصائب قمت بها،

لم تقل لى أبداً:

- إنت إزاي عملت كده؟! أو كدا غلط.. أو حتى: كدا عيب.

لم أكن أخشى على صورتى أمامها.. طوال عمرى كنت أهتم كثيراً

بالشكل، وبالمظهر، ودائماً أسأل نفسى:

- يا ترى هو أو هى أو هم، ماذا قالوا عنى؟! أما مع عالية، فهذه القضية

المظهرية لم تكن واردة على الإطلاق.. تقَبَلت منى كل شىء.. وتقبلتني كما

أنا.. إنها تقدر الفكاهة، وتفهم النكتة بسرعة.. تضحك وتداعب، واحترمتُ الخط الأحمر الذي بينى وبينها.. لم أفكر، ولم أحاول أن أتخطاه أبداً..

كانت تقضى معى ساعتين، وتمر كأنها دقائق، وكان يضايقنى كثيراً أنها ستغادر المستشفى، أو ستجلس مع مدمن آخر.. كنت أناثياً فى هذا الموضوع، وكان عالية هى دكتوراة صلاح فقط.. تكلمت معها فى كل شىء بكل صدق وصراحة.. تحدثنا فى كل التفاصيل.. شرحنا كل المواقف، كانت تفهم جيداً ما أقوله.. صارحتها واستطاعت استيعاب إلى أى مدى أحببت المخدرات.. لم تقل أبداً ما المفروض أن أفعله، ولكنها كانت تصل بى إلى هذا الشىء، الذى يجب أن أفعله.. تجعلنى أصل إليه بنفسى ودون ضغط، أو تأنيب، أو كهرباء.. الهدوء هو سمة الحديث.. ومهما توترت أو ثارت أعصابى، كانت تعرف وتستطيع تهدئتى، لأعود وأسير من جديد على نفس نغمة الحديث الهادىء، الذى يصل بى إلى الحل، وبذكائها الرائع تقول:

- مش عاوزين نعيش فى المشكلة.. باللا نفكر فى الحل.  
كنت كل يوم أتعلم منها أشياء جديدة.. كل يوم نرسم خطة لنسير عليها.. والحقيقة أننى كنت أساعدها فى تنفيذها؛ فقد كنت واثقاً بها، ومؤمناً بكل ما تطلبه منى، مؤمناً بأنها تفهم مصلحتى جيداً، وتعرف كيف تأخذ بيدى.

بعد جلسة المصارحة والاستشفاء، تناولت طعام الغداء.. وجلست مع المجموعة بعض الوقت.. وقبل الذهاب إلى الاجتماع المسائى، طلبت مكالمتين تليفونيتين.. طلبت حاتم الساعة الخامسة كما اتفقنا، ولكن حاتم لا يرد.. ورد التسجيل التليفونى "الأنسرنج ماشين"، وطلبت أمى، والحمد لله.. وجدتها:

- إزيك يا ماما؟ وحشتينى.

- الحمد لله.. إنت كمان وحشتنى أوى.

- إزأى كريم ورؤولا؟



- كويسين، وبسَلَمُوا عَلَيْكَ.. أخوك كان معايا حالاً على التليفون، وقال لى إنه عايز يبجى يشوفك يوم الجمعة.

- أهلاً وسهلاً.. تشرّفونى.. أمى ماتر عيش منى.. أنا عارف يوم الجمعة اللى فاتت كنت بايخ ومُتعب.. معيش استخميلينى يا أمى.  
- ولا يهيمك.

- أنا ولا عايز عربية جديدة، ولا عايز لبس جديد.. كل حاجة لازم تيجى فى وقتها، ودلوقت مش وقتها.

- كلامك جديد ولغتك عربية شوية النهارده.. هو فيه ايه؟

- لما تيجى أحكى لك.. بس يا ماما أنا عايز منك حاجة.. ممكن؟

- عايز ايه؟ خير؟

- أول حاجة الساعة السودا.. فأكراها؟

- آه.. طبعاً فأكراها.. حاضر.

- وعايز "تريبنج سوت" وكام "تى شيرت".. ممكن؟

- حاضر.. وايه كمان؟

- لا.. خلاص.. ولا حاجة تانى.. هو بابا راجع إمتى من السفر؟ كلمك؟

- راجع يوم الاثنين الجاى.

- كويس.. إنت مش بتكلمينى ليه يا أمى؟

- بأخاف نتخانق مع بعض، كفاية أتفرج على صورك وادعى لك.

- بس مش كفاية بالنسبة لى.. كلمينى يا أمى، وقولى لرولا تكلمنى هى كمان..

أنا نفسى أسمع صوتها.

- حاضر.

إنها أول مكالمة هادئة بينى وبين أمى منذ سنوات.. شعرت أن

معنوياتها مرتفعة، أو ربما معنوياتى أنا شخصياً مرتفعة، فشعرت أنها هى

الأخرى فى حالة معنوية ممتازة.

وكان النبا الجديد بالنسبة لى، حول اجتماع باللغة الإنجليزية لمدمنى  
الخمير مجهولى الهوية" يعقد فى مركز تعليمى فى وسط البلد، مساء اليوم..  
وقررت حضور الاجتماع، وكانت المرة الأولى التى أدخل فيها هذا المكان،  
وكان معظم الحاضرين من الأجانب، وكان عددهم لا يقل عن عشرة، وقد حضر  
معهم توفيق، وأمجد.

يا "سلام".. شعرت بالاطمئنان عندما رأيتهما، وعندما دخلت استقبلتني  
ابتسامة مريحة من توفيق.. وتحية وسلام باليد من أمجد.. لكننى مع هذا،  
لم أجرؤ على الكلام والمشاركة، رغم أنهم يتكلمون بالحماس نفسه والمشاعر  
الجميلة نفسها، ورحبوا بوجودى لأننى أحضر معهم فى هذه القاعة الرائعة لأول  
مرة.

وخرجت من هذا الاجتماع سعيداً، والمفاجأة الأكبر بالنسبة لى أن تلقيت رسالة؛  
إذ قال لى أمجد:

- يا صلاح، لك عندي رسالة.
- رسالة لى أنا؟ من مين؟
- حاتم، يقولك اقرأ المقدمة 3 مرات، وتكلمه بكره الساعة 5:00، وهيشوفك  
فى اجتماع بكره بالليل.
- أنا كلمته النهارده، بس ما كانش موجود، سيبت له رسالة على "الأنسرنج  
ماشين".
- هو قال لى.. كان عارف إنى جاى الاجتماع وهأ أقابلك.. وبعدين إنت عارف  
إن أنا جدك؟
- جدى إزاي يعنى؟
- ما أنا المشرف بتاع حاتم.
- فهيمت يا جدى.. وتمام يا افنديم.
- ها اشوفك بكره؟

- إن شاء الله.. سلام يا جدو.

كَمْ كنت سعيدًا.. حاتم مهتم بي.. وأيضًا أمجد مهتم.. إذا الطبيعى أن  
أهتم أنا أيضًا.. لذا كنت لا أتحرك إلا وفي يدي الكتاب، وأنا في طريقى إلى  
الاجتماع، وفي يدي عند العودة في طريقى إلى المستشفى.  
رجعت إلى المستشفى، وتقبلت التفيتيش بكل ارتياح.. وكنت أساعدهم  
للانتهاء من هذه المهمة بسرعة. وكما شكرت الله سبحانه وتعالى في الصباح،  
شكرته أيضًا في آخر الليل.. وكنت أيضًا عند موقفى بالنسبة للأدوية..  
لا.. للأدوية.. لا.. للمنومات.. كنت لا أنام أكثر من ساعة.. الآن أستطيع أن  
أنام لمدة ساعتين، من الساعة 5:00 إلى الساعة 7:00، وكانت هذه المدة بالنسبة  
لى كافية للوقوف على قدمى بثبات كل اليوم.

# عيون قارئ

## أوفر دوز

استيقظت من النوم مبكرًا كالعادة.. الساعة السابعة، وجلست في انتظار طعام الإفطار، بعد أن تحولت إلى وحش كاسر يأكل بشهية.. ومن عادتي بعد الإفطار والشاي، أن أبدأ في قراءة الصحف، مع التركيز على صفحة الحوادث، وكان الخبر الصادم:

"وفاة مدمن بجرعة هيروين" ..

بعد قراءة الخبر، أحسست إحساسًا غامضًا، لا أدري سببه، أن هذا الشخص، ربما أو غالبًا، أعرفه عن قرب.

بدأت دور شطرنج مع صادق.. إنه "حَرِيف" وفي غاية الذكاء والمهارة، وأنا أيضًا لاعب شطرنج ممتاز.. أكسب دورًا، ويكسب هو دورًا، والمنافسة بيننا دائمًا ساخنة، وكنا على وشك حسم الدور لصالح أحدنا، عندما وصل دكتور وليد متجهما، وقال:

- صباح الخير يا صلاح.. تعال.. أنا عايز أقول لك حاجة.

- صباح النور يا دوك.. خير.. فيه إيه؟

- بدر.. تعيش إنت.

- إيه.. بدر!!! إزاي؟! إمتى!؟

- أنا عرفت إمبراح.. والنهارده الخبر منشور في الجُرْنال.

- لا إله إلا الله.. والله كان قلبي حاسس وأنا بقرا الخبر إن اللي مات ده أنا أعرفه.

- إنت عارف ليه أنا باقولك أول واحد؟

- ليه؟

- أوّل ما عرفت، إنت جيت على بالى.. حَسَيْت إن دى رسالة من ربنا لك إنت بالذات.. أنا حاسس إنك بديت تَسْتَوَعِب اللّى بيحصل حوَالِيك.. مش أنا بس.. كلنا فى القسم.. كل الذكّاترة حاسين بكده.. الرّسالة واضحة وصريحة.. واضحة يا صلاح؟  
- واضحة يا دكتور.

تسارعت ضربات قلبى.. وظل ينبض بقوة.. وبقدر كراهيتى لما فعله بدر فينا، بقدر ما كان حزنى عليه.. وليس لحزنى حُدود.. استمعت إلى كلام الدكتور وليد باهتمام، ولكننى كنت فى حالة ذهول، واستمر الدكتور فى حديثه:  
- وبعدين، فيه واحد صاحبك شرف إمبراح.

- مين؟!

- تامر.

- بجد؟! دا مطولش برّه.. وياه أخبار شريف يا نوك؟  
- مشكلة.. الدكتور سمير أصدر تعليمات إن مفيش حد يتكلم فى موضوع شريف دا خالص، وإنه مش هيُخرج من 111 إلا بتعليمات مباشرة منه.. مَبْرُوك كان هيَموت فيها.. دا جالهُ ارتجاج فى المخ، وأديك شايف إنه أخذ أجازة من يومها.. شريف زوَدَها، ويتحمل النتائج.. ياللا.. أنا عندى اجتماع، وأشوفك كمان شوية.

تركنى دكتور وليد وذهب إلى اجتماعه، وعدت إلى قراءة الخبر مرة أخرى، وأنا أعلم هذه المرة، عمن يكتبون ويتحدثون.. ياه!! مستحيل.. ما هذا الذى يحدث؟ هل هذه هى نهاية بدر؟ مجرد خبر فى صفحة الحوادث!! يا نهار أبيض!! نشرت الخبر بين المجموعة وأصابهم الذهول، وكان تعليق أسامة:  
- دا تانى واحد فى أقل من أسبوعين.

وصلت دكتورة عالية، ولاحظت سحابة الحزن التي كانت تخيم على الجميع، وبدأ الاجتماع في الحديقة، وكان الموضوع وفاة بدر، وكل منا يتكلم عن إحساسه ومشاعره تجاه هذا الموقف المؤلم، قال أسامة:

- لِعَلْمِكَ يَا دَكْتُورَةَ عَالِيَةَ.. كَدَا أَحْسَنَ لَهُ.. اسْتَرِيح.

- مَا كَانَ مُمَكَّنَ يَبْطُلُ.. وَيَسْتَرِيحُ أَكْثَرَ.

رد جلال:

- عُمْرُهُ مَا كَانَ هَيِّنَطُلُ يَا عَالِيَةَ.

- يَعْنِي عَاوُزٌ تَقُولُ لَوْ الْوَاحِدَ مَا بَطُلْتُ يَمُوتُ أَحْسَنَ.

- آه.. طَبَعًا.

- يَبْقَى إِحْنَا كَدَا مَتَّفِقِينَ إِنْنَا لَازِمَ نَبْطُلُ عَاشَانَ نَقْدَرُ نَعِيشَ.

- عَلَى فِكْرَةَ، دَا لَسَهُ نَاصِبٌ عَلَيَّ.. اسْأَلِي صِلَاحَ؟! نَظَرَ إِلَى الْجَمِيعِ، وَلَكِنِّي أَثَرْتُ الصَّمْتِ، فَلَمْ أَرُدْ.. فَسَأَلْتُ عَالِيَةَ جَلَالًا:

- طَيِّبَ إِنَّتَ مِسَامُحُهُ وَاللَّاءُ لَأُ؟!

- هَيِّنْفَرِقُ فِي إِيهِ؟

- جَائِزٌ لَمَّا إِنَّتَ تَسَامُحُهُ رَبَّنَا يَغْفِرُ لَهُ.

- لَوْ أَنَا سَامِحَتُهُ، غَيْرِي مَشْ هَيِّنَسَامُحُهُ.

- إِحْنَا نَذَعِي لَهُ إِنْ رَبَّنَا يَسَامُحُهُ وَيَغْفِرُ لَهُ.

- أَنَا شَخْصِيًّا مِسَامُحُهُ، وَكَفَايَةَ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ النَّاسِ اللَّيْ نَصَبَ عَلَيْهِمَ.

- مُمَكَّنَ أَطْلُبُ مِنْكُمْ دَقِيقَةَ سُكُونٍ تَرَحَّمًا عَلَيْهِ.

انتهى الاجتماع، وفي أعماقي زحام من المشاعر.. ما بين أشياء جميلة.. تشابكت مع أشياء مزعجة.. موضوع بدر يضغط على تفكيرى.. وفي الوقت نفسه، في تلك المرحلة يجب أن أفكر في نفسى، وفي أحوالى فقط.. فلجأت إلى الدكتورة عالية، وقلت لها:

- عَاوُزُ أَنْتَكُم مَعَاك شَوِيَّة.. يَا تَرَى عِنْدَكَ وَقْتُ؟

- آه طبعا.. تعال نخرج من هنا.. يا صادق.. صلاح معايا فى الجنينة، وأنا  
ها ارجع معاه كمان شوية.

- حاضر يا دكتورة.

- أنا زعلانة جدًا.

- علشان بدر؟

- بدر كان بييجى هنا فى المستشفى من زمان، وقعدت معاه كتير، وكلمنى آخر  
مرة من 3 أيام، وقال لى إنه عايز يرجع المستشفى تانى، بس خايف أحسن يقعد  
كتير.. قلت له تعال، وبعد كذا كل حاجة لها حل.. وقال لى ها آجى الأسبوع  
الجاى.. مالحقش.. ياااه.. ربنا يصبر أهلهم.. أسفة يا صلاح.. أنا عارفة إنى  
"غلسة" أوى النهارده.. بس غصب عنى.

وكانت هذه أول مرة تشاركنى فى إحساسها بموضوع ما.. فسألتها:

- عايزة تعرفى رأى؟

- آه.. طبعا.

- هو اللى اختار.

- قصدك إيه؟

- بُصنى يا عالية.. أى واحد عرف برنامج "المدمنين المجهولين" والانتاشر  
خطوة.. وراح الاجتماعات، يعنى عرف سكة التَّبْطِيل، ورجع ضَرَب تانى..  
يبقى دا اختياره.. فيه ناس ميظلة، والناس دى مش أحسن مننا.

- لك حق يا صلاح.

- أنا رُحِت إمبراح اجتماع رائع.. حضرت، وكان نفسى أشارك، بس ما كانش  
عندى الجرأة الكافية.. وعلى فكرة نسيت أقول لك إنى كلمت ماما إمبراح،  
وكانت أحلى مكالمة من 10 سنين فاتوا.

- بجد؟! إيه اللى حصل؟ احكى لى.

- استمعتُ إلى كل كلمة باهتمام حقيقي، وهي في غاية السعادة لهذا التطور، وفي تلك اللحظة ناداني عم مرسى عامل التليفون:
- يا أستاذ صلاح.. تليفون.. أخت حضرتك.
  - عن إندك يا عالية! أكلّم رولا.. وَحَسْبْتِي أوى.
  - وأنا كمان أروح بيتى.. عندي ألف حاجة لازم أعملها.. وأشوفك بُكره.
  - أكيد.. هو أنا ها أروح فين؟ عايز أقولك حاجة.. والّا أقولك، خَلِيهَا لُبُكره.
  - أوكيه.. يالّا.. باى باى.

وعلى التليفون، دار الحوار التالي:

- أهلاً يا رولا.. وَحَسْبْتِي أوى.
- وإنتَ كمان يا صلاح، وَحَسْبْتِي جدًّا.. طمّنى عليك.
- أنا تمام.. كله كويس.
- احكى لى شوية.. ماما بتقول إنك متغيّر.. فيه إيه؟
- منتهيالى.. إنى نفيت وراجع تانى يا رولا.
- مش فاهمة يا صلاح.. أنا عاوزة أفهم.
- مش هينفع أشرح لك فى التليفون.. لَمَّا أشوفك يا رولا.
- طيب.. ها أجيلك يوم السبت علشان السواق يكون موجود.. ينفع؟
- آه طبعًا ينفع.. بسْ أهم حاجة بعد الساعة 12:00.
- أوكيه.. بعد الساعة 12:00.

عدت إلى القسم، الوجوم على كل الوجوه.. كان من الطبيعى أن يترك رحيل بدر تأثيره على الجميع، ولا مهرب من الحديث فى الموضوع..  
وتعليقات مختلفة:

- هوَ فيه إيه؟ هوَ كل أسبوع حد يموت والّا إيه؟
- يا ترى الدور على مين؟



وجاء موعد تناول طعام الغداء.. وأصبحت أكل بشهية مفتوحة، وزاد وزني زيادة واضحة.. وعندما عدت إلى غرفتي، فتحت الكتاب لأقرأ المقدمة.. وقرأتها مرة، ومرتين، ثم قفزت من مكاني ممسكاً بالكتاب، ودارت في رأسي عشرات الأسئلة:

- أنا ها اتجنن وأعرف إيه فائدة المقدمة دي؟! ثم.. قرأتها مرة.. وقرأتها مرتين.. لكن حاتم قال 3 مرات.. طيب إيه؟ هو فيها إيه؟! لا.. أنا مش ناوي أفاصل.. إقرأ يا صلاح وإنت ساكت.

أخذت حماماً، ثم أعددت نفسي جيداً للذهاب إلى الاجتماع، قراءة، ومظهرًا.. وعندما وصلت وجدت نفس المجموعة.. وبالنسبة لي، كان أهم شيء أن أجد المشرف.. فعلاً وجدته.. حاتم شخصياً، سوف يدير الاجتماع، وبداه بقوله:

- أنا حاتم.. مدمن.. نبدأ الاجتماع بدقيقة صمت، نفكر كُنا فين، وبقينا فين.. والناس اللي لسه بتعاني برّه.

وأقترح أمجد ان يكون موضوع اجتماع اليوم: "الامتنان".  
سأل حاتم:

- فيه أي اقتراحات ثانية؟

لم يقترح أحد موضوعاً آخر، فقال حاتم:

- مفيش.. طيب بما أن دا اختيارك يا أمجد، يبقى إنت أول واحد هتشاركنا.

- أمجد.. مدمن.. النهارده كان يوم ثقيل على قلبي.. صحيت من النوم على خبر وفاة بدر.. يا ساتر، اليوم إتكهرب من أوله، لبست ونزلت على خالد لأنني مكنش قادر أقعد لوحدى.. لسه من كام يوم كان قاعد معانا على كرسي هنا، وسطينا، وضارب وعمال يفار.. يومها تخيلت نفسي مكانه، والحمد لله إن أنا ما كنتش مكانه.. أنا حاسس بامتنان ما يتوصفش لربنا.. امتنان إن أنا عايش

مش ميت.. الطبيعى ابنى اكون ميت انا كمان.. مش قادر اتكلم.. شُكراً أنكم سمعتونى.

بعدها.. بدأ سليم قائلاً:

- سليم.. مدمن.. الحمد لله أن أنا هنا، وميطل النهارده.. كل كلمة قالها أمجد كانت على لسانى.. جايز ماكنتش هاغرف أقولها، بس كنت حاسس بيها، وعارفها.. وفاهمها كويس.. أوى.. الخبر ثقيل مع إنه متوقع.

ثم شارك خالد:

- خالد.. مدمن.. لو أمجد ما كانش جالى، كنت أنا رُحْتُ له.. ما كانش فعلاً ينفع أقعد لوحدى النهارده، ولا دقيقة واحدة.. وبعدين فى البيت جَنُونى.. مالك؟ فيه إيه؟ إنت مش على بعضك ليه؟ كان نفسى أقول لهم اسكتوا وسيبوني فى حالى.. ولما جالى أمجد أنقذنى من دُوستهم، ونزلنا وإحنا مش عارفين حنروح فين.. كان يوم غريب، بس عُدَى وخلص، ودى أهم حاجة، وبكره لما بيجى، نشوف هنعمل فيه إيه.. أنا النهارده جيت قبل الاجتماع بساعة.. من كتر ما أنا مش عارف أعمل إيه وأروح فين.. هو موضوع اجتماع النهارده إيه؟!

وانطلقت الضحكات.. فعاد خالد إلى الحديث قائلاً:

- أيوه.. الامتتان.. أى شخص فى الدنيا مُمتن.. مش هيبقى ممتن أكثر منى.. دا أنا ناوى أغير اسمى، واسمى نفسى ممتن..

انطلقت الضحكات من القلب، وأعجب وأجمل شىء أنه وسط كل ما يحدث، رغم هذا الحزن العميق، الصادق، كانت هناك ضحكات، ومن القلب.. وأخيراً شاركت:

- صلاح.. مدمن.. أنا خايف أوى.. خايف أرجع أضرب تانى.. أنا مش عايز أرجع أضرب تانى.. خايف ومش عارف أعمل إيه فى خوفى ده.. موت بدر كان صدمة بالنسبة لى.. مع إنه على رأى سليم كان متوقع.. الموت قُرَيْب أوى.. أقرب مما كنت أتصور.. أنا خايف وعاوزكم تساعدونى.. شُكراً.

وجاء دور حاتم ليشارك:

- حاتم.. مدمن.. اجتماع النهارده عن الامتحان.. ودا نابع من حزننا بسبب موت بدر.. اللي حصل ده فى رأى هو العلاج والحل.. لو مفيش حد بيموت بسبب المخدرات ما كناش هنبطل.. أنا أول الناس اللي ماكانوش هينبطلوا.. أنا باحب المخدرات.. بس مش ها أقدر عليها..

سكت حاتم لمدة ثوانٍ ثم قال:

- وبعدين جامدة أوى يا خالد موضوع تسمى نفسك ممتن..

(ضحكات مرة أخرى).

انتهى الاجتماع، بعد أن شارك كل منا بما عنده، وما يريد قوله.. وطلعنا.. وقفنا عند سور المدرسة، وانتظرت حاتم لتتحدث معاً، وجاعنى مبتسماً وسألنى:

- أخبرك إيه يا صلاح؟

- تمام.. قريت المقدمة.. تقدر تقول حفظتها وممكن أسمعتها.. أسمعاالك؟

- مش لازم.. مهياش مهمة أوى.

- يا سلام!! أمال خلتنى أقرأها 3 أيام وزا بعض ليه!! لا.. وكل يوم أقرأها 3 مرات كمان.

- علشان تتعود تسمع الكلام من غير ما تناقش.. وإنت نجحت.. اللي بعده، تقرا: من هو المدمن؟ تقراه الصبح أول ما تقوم من النوم.. وبعدين تقرا الخطوة الأولى.. كل يوم تقرا الخطوة الأولى.. مهمة جداً.. الخطوة الأولى هي المفتاح اللي بيدور العربية.. ولازم تشارك لو جاتلك الفرصة فى أى اجتماع تحضره.. سيمعت أنك ما شاركيتش فى اجتماع إمبراح.. ليه؟ لازم تبقى إيجابى.

- ما عرفيتش.

- مفيش حاجة اسمها ما عرفيتش.. فيه فرصة، يبقى لازم تشارك يا صلاح.

- حاضر.

- اللّى بعده.. 3 كلمات.. والمُلخّص المفيد: الأمانة.. التفتح الذهني.. النية.. أنا عاوزك تلم معلومات كويسة عن التلات كلمات دول، وتفهم كويس أوى التلات كلمات دول معناهم إيه.. إنت عندك مذاكرة كثير اليومين الجايين.

- عايز أسألك حاجة يا حاتم.

- اسأل.

- أنا عايز أخرج من المستشفى الأسبوع الجاي.. إيه رأيك؟

- خليك فى النهارده.. حد عارف الأسبوع الجاي فيه إيه؟ ياللا علشان ترجع المستشفى، وأشوفك بُكره.. تتكلم الساعة 5:00، ولو مرزنتش احكى أخبارك على "الأنسرنج ماشين" .. اتفقنا؟

- اتفقنا.

رجعنا إلى المستشفى، وكنت سعيدًا إذ أصبح أخيرًا لدى الجديد الذى أعمله غير قراءة مقدمة الكتاب.

استيقظت من النوم الساعة 7:30، أخيرًا أستطيع أن أنام ثلاث ساعات فى اليوم.. هذا هو أقصى ما وصلت إليه.

بدأت بالإفطار، ثم قراءة الصحف، ولعبت دور شطرنج مع صادق.. كنت أحب هذا الوقت الذى أفضيه كل صباح مع صادق، وكان يكسب الدور منى أحيانًا.. ويشعر بسعادة هائلة، والمكسب والخسارة متبادلة، والمنافسة على أشدها.. وفى موعد الاجتماع مع دكتورة عالية، جلست فى مكانى كالمعتاد، وبدأت هى بحديثها الهادئ معنا.. وبعد الاجتماع مشينا وتجولنا فى الحديقة، وبدأت قائلاً:

- شكك أحسن من إمبراح بكثير يا عالية.

- إمبراح كان صعب.. بس الحمد لله عدى.. قبل ما امشى إمبراح، قلت لى إنك عايز تقول لى حاجة.. وبعدين قلت خليها ليُكره.. كنت عاوز تقول إيه يا صلاح؟

- يا.. لسه فاكرة؟
- طبعا لسه فاكرة.
- أنا عايز أخرج من المستشفى يا عالية.
- ايه؟ تخرج؟! تخرج تروح فين يا صلاح؟
- وكانت هذه أول مرة أواجه رد فعل بهذا القلق من الدكتورة عالية..
- ما قلته كان صدمة بالنسبة لها وسألتني:
- ليه بسرعة كدا يا صلاح؟
- ميش بسرعة ولا حاجة.. أنا ماقلتش إني عايز أخرج النهارده.. أنا بافكر أخرج الأسبوع الجاي.
- أنت عايز تخرج علشان تعمل ايه؟!!
- وأفضل قاعد هنا أعمل ايه؟!!
- مش كل ما أسألك سؤال ترد عليا بسؤال.
- ابتسمت وأكملت حديثها قائلة:
- إنت مش شايف إنك مستعجل، خصوصا إنك لسه واخد مخدرات من كام يوم؟
- أنا اخدت أه بس ما انبسطتش.. وبجد أنا فهمت ليه بيقولوا إن الواحد بعد ما بيروح الاجتماعات مش بيعرف ياخذ مخدرات ويتكيف.
- موضوع خروجك محتاج تفكير يا صلاح.. اتكلمت مع حاتم؟
- سألته.. وما أدنيش رد.. وفي الآخر قال لي: خد رأي الدكتورة.
- طيب ورأي الدكتور وليد ايه؟
- لا.. مش ناوي أخذ رأيه أصلاً.. ميش باعترف أقعد معاه غير وأنا ضارب.
- وطى صوتك.. هو دا كلام؟! خلىنا نتكلم فى الموضوع دا يوم السبت، وياخذ وقته فى التفكير والمناقشة.
- لا.. دلوقت.. أصل ماما جايزة بكره وعايز أمهد لها.

- صلاح.. أنا محتاجة أفكر في الموضوع دا شوية.. إنت فاجئتي.. هنتكلم في الموضوع دا يوم السبت.

عدت إلى القسم، ولعبت بنج بونج، وضحكت مع الموجودين كلهم، وأعلنت أنني نويت الخروج الأسبوع القادم.. بمعنى أنني سأخرج يوم الخميس.. وبدأت التعليقات والسخرية، بقول جلال:

- خميس إيه يا أبو خميس؟! فهمه يا أسامة.

- أنهى خميس فى أنهى أسبوع، فى أنهى شهر فى أنهى سنة؟

- طيب يا حلو منك له، بكره تشوفوا.

- دا أنا بقالى أكثر من شهرين، ويقولوا لى لسه شوية.. وإنت يا أسامة من إمتى؟

- أنا هنا من 8 شهور.. وماشى فى التاسع.

- ربنا يقومك بالسلامة.

وفجأة قال أمير:

- أمّا أنا، أخيراً ها أخرج يوم الاثنين.. أنا يوم السبت يبقى لى هنا 3 شهور.

عادت دكتورة عالية.. كانت عودتها سريعة ومفاجئة لنا جميعاً.. نادنتى

وسألتنى:

- إنت عايز تخرج ليه يا صلاح؟

- وما أخرجش ليه؟

هدوء وتفكير.. وجاء ردى دبلوماسياً وبنقة:

- الموضوع دا عايز وقت.. خلىنا نتكلم يوم السبت.. وعلشان أطمئنك، أنا مش

ناوى أخرج إلا إذا إنت دونا عن كل الناس، قلت لى إنك موافقة على الخروج..

تمام يا عالية؟

- إنت تعبت لى أعصابى.. نتكلم يوم السبت.

وبعد أن خرجت دكتورة عالية من المستشفى، جاعني دكتور وليد داخل

القسم، وسألني:

- إزيك يا صلاح؟

- تمام يا دوك.

- إيه موضوع خروجك ده؟ بدر مات من يومين، وإنت تقول عايز تخرج بعد

ثلاث أسابيع بس في المستشفى؟!!

- إهدا بس يا دوك.. روق أعصابك.. تشرب إيه؟ يا فوزية: واحد لمون من

فضلك لدكتور وليد.

- والله؟

- بلاش لمون.. نجيب لك الدواء بتاعى.

- هراج براحتك يا صلاح.. اسمع.. مش هتخرج من هنا ولا قبل شهر كمان.

- ليه إن شاء الله.. لأ.. هاخرج.. ذا مش بمزاجك.. ودي مش طريقة تفاهم..

ثم إنت تعرف حاجة عنى علشان تقول أخرج أو ما اخرجش.

- أنا أعرف عنك كل حاجة.. وأسلوبك مش عاجبني يا صلاح.. نتكلم الأسبوع

الجاي.

- أحسن.. برضه.

## حوارات حاسمة

أثار أعصابى أسلوب دكتور وليد.. لم يعجبني رد فعله عندما علم بأننى فكرت فى الخروج من المستشفى.. أسرعت إلى غرفتى، وعدت من جديد إلى قراءة الخطوة الأولى.. وشعرت بالهدوء والسكينة بعد الانتهاء من قراءتها، ثم بدأت أستعد للذهاب إلى الاجتماع المسائى مع أمير ومجموعة من الشباب، وعندما دخلت القاعة، تبين لى أن شادى سوف يدير الاجتماع، وسلمت على كل الموجودين، وتبادلت معهم كلمات سريعة، وكان حاتم من بين المجموعة الحاضرة، ولم يسعفنا الوقت للحديث معاً، فقد وجه شادى إلى الكلام قائلاً:

- صلاح.. ممكن تشاركنا؟

- صلاح.. مدمن.. أنا مخنوق جداً من المستشفى، ومن الدكتور وليد.. خلاص زهقت ومش عايز أقعد فى المستشفى أكثر من كده.. أنا دخلت من 20 يوم، وفيه ناس فى المستشفى من شهور، ولما كلمت المشرف بتاعى، قال لى خليك فى النهارده، إحنا فىن والأسبوع الجاي فىن!! أنا حاولت.. بس مش عارف أهدا.. أنا ماقلتش إنى عايز أخرج النهارده، بس أنا عايز أخرج بسرعة.. أنا حاسس إنى مبطل لأنى جوّه المستشفى.. عايز أرجع بيتى، وأجى الاجتماعات هنا، وأحضر زىي.. زيكم.. أنا فعلاً مش عايز أضرب تانى، وعايز أبقي زيكم بس أرجع وأقول: أنا خايف إن دماغى تكون بتلعب بى، أو القرد اللى جوايا بيلاعبنى.. إيه اللى بيحصل لى؟! أنا مش فاهم نفسى.. أنا مش فاهم حاجة.. أنا زهقان أوى.. وده كان يوم وحش جداً.. جداً..



وشارك بعدها حاتم:

- حاتم.. مدمن.. النهارده كان يوم جميل أوى.. صبحيت من النوم.. كلمت مديرى وطلبت أخذ اجازة، يوم من نفسى، طلع جدع ووافق.. كلمت المشرف بتاعى، ولحسن حظى كان فاضى واتفقنا نروح النادى ونتغدا سوا.. ماعملناش حاجة جديدة أو غريبة، بس كانت خروجة جميلة، وأنا استمتعت بها أوى.. كان فيه حاجات كتيرة محتاج أتكلم فيها، وكانت نايمة جوايا.. صبحيت وطلعت كلها أول ما قعدنا سوا، وارتحت بعدها جدًا... حاجة غريبة أوى إن الواحد منا ساعات يشيل جواه حاجات ملهاش أى لازمة.

عندما أتى حاتم على اليوم الممتع الذى قضاه مع المشرف، شعرت بالغضب، لسبب مهم: أخرج جملة قلتها إننى أشعر بالضيق، وإننى مررت بيوم عصيب، وهو بدأ كلمته بأنه سعيد، وروى عن يومه الجميل.. ياه!! ما هذا؟ وبعد الاجتماع، ذهبت لأتحدث مع حاتم:

- إزيك يا حاتم؟!
- أنا كويس.. اطمئن.. المهم إنت.
- مش عارف.. متلخبط شوية.
- واضح.. اسمع يا صلاح.. أنا أخذت رأى الناس فى موضوع خروجك من المستشفى.. الكل رايه إنك تسمع كلام الدكاترة وتستننى شوية.
- ماعنديش مانع يا حاتم.
- إنت عندك مشكلة، مش سهلة.. إنت يا صلاح مش عارف تعيش يوم بيوم.. خلينا فى النهارده.. وأنت مضايق كده، عندي لك سؤال: ايه رأيك فى النهارده؟
- يوم رخم وبايخ.
- بالعكس.. بالنسبة لك يوم ناجح 100%، أنت ناسى أنك النهارده ميطل؟! هي دى أهم حاجة فى الدنيا.. أى حاجة تانية مش مهم.. أخبار الكتاب ايه؟
- كويس.. قرئت من هو المدمن، وبعدين الخطوة الأولى.

- من يوم السبت هنيئدي نكتب في الخطوة الأولى.. صحيح، إنت ما كلمتيش النهارده ليه؟

- إنت ماكنتش موجود.. مش كنت في النادي؟

- والله؟ طيب اسمعني كويس.. تقرا المقدمة النهارده 3 مرات.. مش بكره.. النهارده.

- لا.. لا.. لا.. مش ممكن.. حرام عليك.

- دا اقتراح يا صلاح.. مش عايز.. بلاش.

- ماشى.. وأنا هاسمع الكلام.

- تعجبنى وإنت بيسمع الكلام.. بكره تكلمنى مرتين.. تمام؟ مرة الصبح، ومرة الساعة 5:00.. وباللأ بينا علشان الناس عاوزة تمشى.. سلام.

بعد كل حديث مع حاتم، أشعر بالراحة ويشملنى الهدوء.. ولا أعرف كيف يحدث هذا.. ولا أعرف لماذا؟ الشيء المضحك في هذا الموضوع أن حاتم أصغر منى في السن بحوالى أربع سنوات، ولكننى لم أتعامل معه أبداً على هذا الأساس.. بالعكس تعاملت معه على أساس أنه الأكبر منى.. أكبر بحوالى 10 شهور تبطيل.

عدت إلى المستشفى، وأسرعت إلى غرفتى، أردت تنفيذ الواجب المطلوب منى.. وفوراً.. وقرأت المقدمة مرة، ثم قرأتها للمرة الثانية والثالثة.. وانتهيت منها.. إنما يا ساتر.. تكرار قراءتها بهذا الشكل شيء ممل.. والمدهش أننى أسمع الكلام وأنفذه بدقة.

قضيت بعض الوقت مع أمير، وتحدثنا عن البرنامج وخطواته، وعن تمسكى بكل ما جاء فيه، وكان عند أمير تحفظ واحد، بدأه قائلاً:

- أنا معاك.. إلا الحشيش.. يا عم مفيش مانع من سيجارتين.

- بس الكتاب بيقول مفيش حشيش، ولا خمرة، ولا أى حاجة خالص.. قالها واضحة وصريحة.

- عُمومًا أنا مقتنع بالكتاب كله، إلا الجزئية دي.. عندي تحفظ عليها.
- بأقولك إيه، أنا ما عنديش تحفظ على أى حاجة.
- دخلت إلى السرير، وحاولت أن أنام.. وأخيرًا، نمت حوالى الساعة الرابعة.. ونمت ثلاث ساعات.. وشكرت ربنا أن اليوم مر بسلام.. قائلًا لنفسى:
- الحمد لله يارب.. اليوم عدتُ وأنا لسهُ ميطل.
- وكاننى ساعة بجُ بن، استيقظت فى موعدى الساعة السابعة بالدقيقة والثانية، ونزلت على ركبتي ودعوت الله عز وجل:
- "يارب ساعدنى أفضل ميطل مخدرات النهارده".

### الاسبوع الرابع

- لبست، ونزلت لتناول الإفطار، ثم قرأت الصحف، ولعبت كالمعتاد دور الشطرنج، وعدة أدوار بنج بونج.
- اليوم أجازة دكتورة عالية الأسبوعية، وهذا كافٍ ليُجعل اليوم ثقيلًا على النفس.. إن مجرد وجودها فى المستشفى، يشعرنى بالاطمئنان والراحة.
- طلبت الاتصال تليفونيًا، فلم يكن "حاتم" موجودًا، ورد علىّ جهاز التسجيل "الأنسرنج ماشين"، شىء يدعو إلى الملل.. تمنيت أن أجده وأكلمه، لكن فى اللحظة نفسها نادانى فريد:
- يا أستاذ صلاح.. عندك زيارة.
- خرجت إلى الحديقة، ومعى أحد الممرضين، كحراسة، تطبيقًا لنظام المستشفى، بسبب محاولات الهرب الكثيرة.. ووجدت ماما ومعها كريم.
- إزيك يا ماما؟ إزيك يا كريم؟
- وحشتنى أوى يا صلاح.
- وحضرتك كمان يا ماما.
- أخبارك إيه يا مغلبنا؟!!

- كلّه تمام يا كريم.
- تَخُنْتُ شوية.
- طبعا.. ما أنا طول اليوم بأكُل.. رولا إزِيها يا ماما؟ عاملة إيه؟
- الحمد لله.. قَالَتْ لى إنها جاية تَشُوفك بكرة.
- كويس.. وحشتنى أوى.
- كل حاجة إنت طلبتها فى الشنطة.. واتفضل الساعة كمان.
- مرسية يا ماما.. أنا عرفت يعنى إيه "زمالة المدمنين المجهولين" يا كريم.
- هايل.. بتحضر اجتماعات؟
- طبعا يا كريم.. وعندى مُشرف كمان.
- أنا مش فاهمة حاجة يا صلاح!!
- دى اجتماعات بتاعة ناس مِبَطَّلَة يا ماما.. مدمنين برضه، بس مِبَطَّلِين من سنة وسنتين وأكثر كمان.
- فِعْلا مِبَطَّلِين؟
- آه طَبْعًا يا ماما.
- ها اشْرُجلك فى الطريق وإحنا مروّحين.. أنا عرفت عنهم من أيام ما حكيت لى على المشكلة دى.. كُنْتُ بَادُور على حل.. موجودين فى إنجلترا وبلاد تانية كتير كمان.. وحضرت اجتماع مفتوح علشان أفهم.
- يا فاهم إنت.. يَا بَتَاع الجلول.. بأقولك يا ماما.. أنا خلاص زَهَقْتُ، وعاييز أخرج من هنا.
- تُخْرَج تروح فين يا صلاح؟
- رد كريم بسخرية:
- إِبْتَدِينَا المفاجآت.
- أسمع يا كريم.. أنا مش عاييز تَرْيَاة.. أنا قَعْدَتِي هنا فى المستشفى مَالْهَاش لازمة.. عاييز أَرْجِع البيت يا ماما؟

- ضرورى أنكلم مع دكتور سمير فى الموضوع ده.. ورأى الدكتور وليد إيه؟
- أنا اتكلمت معاه من يومين، وماجأش سيرة إنك تخرج خالص.
- بصى يا ماما.. إحنا اتفقنا إني أخرج أول ما بابا يرجع من السفر.. هو أنتم هتيرجعوا فى كلامكم واللاً إيه؟ والاتفاق كان قدامك يا كريم.
- فعلا.. بس إهدا، وخلينا نتفاهم بهدوء.. مفيش مشكلة إنك تخرج.. بس نكون فاهمين، هتخرج على أى أساس.. أكيد المستشفى لها نظام، وخلينا نتفاهم معاهم الأول.. وبعدين، هو إحنا عايزينك تفضل محبوس هنا فى المستشفى؟ أكيد..

وأضافت أمي:

- وبعدين باباك لسه مارجعش.. هو هيرجع يوم الاثنين.
- هو أنا قلت عايز أخرج النهارده؟ أنا باقول لك اليومين الجايين.

فرد كريم:

- أصبر، لما بابا بيجي، وبعدين نتفاهم.
- حاضر.. أنا أصلاً ما عنديش اختيار.. عارف مين الدكتور بتاعتي هنا يا كريم؟
- مين؟
- عالية.. أخت نادر.. اللي معاك فى الشغل.
- بجد.. يا نهار أبيض!! هي رجعت من أمريكا؟
- آه رجعت، من أسبوع واحد بس.. أختها ليلي كانت معايا فى الفصل.
- فعلاً.. عالية كانت معنا فى المدرسة، بس كانت أصغر منى بكام سنة.. ذى شخصية جميلة.

- هي أحسن واحدة فى المستشفى كلها.. نفسى تشوفها يا ماما.
- أكيد.. ودكتور وليد كمان كويس أوى.. ودكتور سمير، مدهش.. إنت قابلته؟

- قابلته مرة واحدة، تانى يوم دخلت المستشفى، واتكلمنا سوا، وبعد كذا شُفته كام مرة، وسلمت عليه من بعيد لبعيد.. أنا هأطلب منهم يحددوا لى ميعاد معاه اليومين الجايين.

كانت جلسة جميلة، اختلفنا فى الراى، ولكن ولأول مرة منذ زمن طويل، أجلس مع أحد أفراد عائلتى نناقش مشكلة ما بهدوء، وكانت المناقشة أيضاً ايجابية.. وغادرا المستشفى بعد أن اتفقنا على دراسة موضوع الخروج من كل جوانبه.

وعدت إلى القسم، وطلبت الاتصال مرة أخرى، على أمل أن أجد حاتم، ويرد على نفسه، وفجأة فتح باب القسم، ودخل أمجد، وسليم، وشادى، وحاتم.. جاءوا معاً لعمل الاجتماع فى المستشفى.. يالها من مفاجأة!! إنها أجمل مفاجأة فى الدنيا.

منذ الصباح كنت أشعر بالضيق لعدم وجود اجتماعات يوم الجمعة، إلا اجتماع الساعة العاشرة صباحاً فى وسط البلد.. بالنسبة لى، كان من الصعب الذهاب إليه وحضوره، فقد كنت أنتظر زيارة أمى، وأخى.. بعد أقل من دقيقة، نادانى صادق مرة أخرى:

- يا صلاح.. تعال.. تليفون علشانك.

- مين يا صادق؟

- حضرتك اللى طالب مكالمة للمشرف بتاعك.

- ماشى.. ألو.. يا حاتم.

وقف حاتم أمامى بينما أنا أترك له رسالة على "الأنسرنج ماشين"، وقلت له فى رسالتى المسجلة إنى أسعد إنسان فى الدنيا النهارده.. علشان إنتم هتعملوا الاجتماع عندنا فى المستشفى.. وعلى فكرة أنا كلمتك الصبح وسيبت لك رسالة.. ودى المكالمة رقم 2.. كذا خالصين.

تقرر عقد الاجتماع فى الحديقة.. وحضره معظم شباب القسم، كنا أكثر من 20 فردًا فى هذا الاجتماع، ولأول مرة يعقد الاجتماع المسائى فى الهواء الطلق، وعملنا النسكافيه كالمعتاد فى كل الاجتماعات، وبدأ أمجد قائلاً:

- أهلا بكم فى الاجتماع المغلق غير المتوقع فى مستشفى "...."، النهارده الجمعة الموافق "....."، وأطلب منكم دقيقة سكون، نفكر كنا فى، وبقينا فى، والمدمنين اللى لسه بيعانوا بره.

بدأ أمجد الاجتماع بالأسلوب نفسه: دقيقة سكون، التتويهاات، أخبار المجموعة، المقدمة والقراءات.. واقترحت أن يكون موضوع الاجتماع هو الخطوة الأولى:

"اعترفنا أننا بلا قوة أمام إيماننا، وأن حياتنا أصبحت غير قابلة للإدارة".  
اهتمت جدا بالمشاركات، فكان مطلوبًا منى قراءة ومشاركة وكتابة  
الخطوة الأولى.. وبدأ حاتم بالمشاركة:

- بصراحة، أنا حسيت أن الاجتماع ده ماينفعش ببقى أى حاجة تانية غير الخطوة الأولى.. أنا هنا قاعد على الكرسي ده، بسبب الخطوة الأولى.. أنا مش ناوى أتكلم عن عجزى قدام المخدرات، بس أنا أحب النهارده أشارك وأتكلّم عن سوء الإدارة، وإن حياتى كانت مستحيلة.. يعنى إيه أفوء وأبقى مش عارف أنا فى!!  
ويعنى إيه أعمل حاجات، وأعرفها تانى يوم!! ويعنى إيه أطرّد من شغلى!!  
ويعنى إيه أصحابى يشوفونى ومايسلموش على!! أنا النهارده فهمت إنى عاجز قدام الإدمان، بس مش عاجز كبنى آدم.. بقيت باعرف أخذ قرار.. وبتق فى اللى حواليه، مشرفى وأصحابى.. بأثق فىكم..

كان حاتم دائماً يشارك بيومياته، وكانت هذه أول مرة أسمع فيها حاتم يحدثنا فيها عن نفسه وتجربته وفكره وأحاسيسه.. وكان واضحاً أنه مر بظروف قاسية.. وتجارب لا تقل عن تجاربنى.

ثم بدأ شادي حديثه:

- أنا مبسوط جدًا لأننا جينا هنا النهارده.. كل مرة آجي هنا المستشفى، أبقى مش مصدق نفسي: أنا جاي زيارة مش إقامة!! أنا دخلت المستشفى كتير أوي.. مش عارف كام مرة.. أنا وصل بي الحال إني بآجي لوأخذى.. يعنى أصحى من النوم، أجهز شنطتى وآجى.. كل ده كان بسبب عجزى قدام المخدرات وقدام إدمانى.

ويستمر شادي فى مشاركته الهادئة الجميلة..

ثم تكلم أمجد:

- أنا طبعا خريج المستشفى دى.. واللى ما أكش من رزها يبقى عمره ما هيتطل.. رز وبطاطس.. غريب أوي موضوع البطاطس ده!! هم ماعندهموش فى المستشفى دى غير البطاطس واللا إيه؟ طبعا، أنتم عارفين أنا جيت المستشفى إزاي؟! جيت راكب حصان أبيض، والمُذمنين وأقفين على الجانبين رافعين الحشيش والبرشام، وكل أنواع المخدرات.. وبيحيونى.. فى الحقيقة وبكل فخر أنا جيت مشحون.. فتحت عيني لقيت صادق، ومبروك وفريد ودكتور وليد.. ويومها قالى دكتور وليد: هيتزل بهدوء واللا...؟ كلمة واللا دى كنت عارفها كويس: كان معناها حقنة 2 سنتى فى العضل، مش فى الوريد، أخذتها مرتين قبل كده.. وقلت للتغيير نمشيها بهدوء المرة دى.. وظل أمجد يحكى تجربته، وضحكنا من قلوبنا.. فعلا دمه خفيف.. "مالوش حل".

وبدأت مشاركتى:

- أنا مش ها أقدر أوصف لكم أنا مبسوط باجتماع النهارده إزاي؟ أنا فعلا كنت محتاجه.. النهارده يوم نجاح 200%، أمى وأخويا زارونى النهارده، ولأول مرة نختلف بس مانبخافش.. أنا نفسى أخرج من المستشفى.. حاسس إن كده كفاية.. وعازر أطلع، وأبطل وأنا بزّه المستشفى.. أنا مش حاسس إن دماغى بتلاعبنى..



بالعكس، أنا فعلاً عايز أطلع وأواظب على حضور الاجتماعات، وأشتغل الخطوات، وأبطل فعلاً.

كان شعورى بعد نهاية هذا الاجتماع، أننى شهدت أروع الاجتماعات التى حضرتها فى حياتى كلها.. الاحتمال الأول للسبب فى هذا الإحساس، أننى لم أكن أتوقعه.. والاحتمال الثانى أننى كنت أحتاجه فعلاً، فالاستماع إلى مشاركات الآخرين مفيد ومريح نفسياً.. سلمت عليهم بحرارة، وقبل مغادرة المستشفى، سألتى حاتم:

- قرأت المقدمة يا صلاح؟

- قرأت المقدمة 3 مرات.

- وعملت اللي عليك كله؟

- عملته وزيادة يا حاتم.

- يعنى كلمتى؟!

- إسمها كلمت "الأنسرنج ماشين".

- يعنى كلمتى مرتين؟

- أى نعم.

- تعجبتنى وإن بتسمع الكلام.. مانتساش الملخص المفيد: الأمانة، التفح الذهنى، النية.. ها اشوفك بكره.. على فكرة أنا ابتديت أطمئنك يا صلاح.

- بجد؟ مطمئن لى؟

- أنا مياقلتش أنا مطمئن لك.. أنا قلت ابتديت أطمئن لك، وده فى حد ذاته إنجاز.

- أى خدمة يا حاتم.

علاقة كل عضو بمشرفه علاقة خاصة مبنية على الثقة.. وأعتقد من الغياء أن يحاول المدمن خداع مشرفه.. فالمشرف لديه هدف واحد وهو المساعدة بقدر ما يستطيع.. المشرف ما هو إلا عضو مر بالتجارب نفسها وخداعه لن يستمر طويلاً.

بعد نهاية هذا اليوم الجميل، صعدت إلى غرفتي.. نمت الساعة الثالثة والنصف، وكالمعتاد استيقظت الساعة السابعة..

مدهش!! زادت ساعات نومي نصف ساعة كاملة.. رائع.. لم يكن هذا سهلاً ومناخاً من قبل.

بدأت يومي بالدعاء، ثم القراءة، وأعددت ورقة وقلم، وجلست في هدوء أفكر في الكلمات الثلاث: الأمانة، التفتح الذهني، النية.. أفكر وأرسم.. أرسم وأفكر.

مرت ساعة، وأخرجت ملابسى الجديدة من الحقيبة التى أحضرتها لى أسمى، وبعد حلاقة الذقن، والدش الممتاز، لبست أجمل ما عندى، ووضعت الساعة الجميلة أيضا حول معصمى، وأصبحت على أتم الاستعداد لحضور الاجتماعات.

جاءت الدكتوراة عالية فى موعدها، وكانت الانتكاسة وكيفية الوقاية منها موضوع الاجتماع، وكيف يخرج البعض من المستشفى، ويظل معافى لفترة.. ثم يبتكس، ويعود إلى المستشفى مرة أخرى.. أو لا يعود!! لقد تقرر، وتمت الموافقة على خروج أمير فى أجازة، وأحسست أن اختيار هذا الموضوع بالذات مناسب جداً لتوقيت خروج أمير للأجازة.

وبعد انتهاء الاجتماع، قررت دكتوراة عالية الجلوس مع أمير لبعض الوقت، وبعدها نستكمل حوارنا الذى بدأناه يوم الخميس.. وعندما جلسنا، بعد الانتهاء من لقائنا مع أمير، قالت لى عالية:

- أنا مش مستريحة لخروج أمير.. مش بالضرورة إن كل واحد عايز يخرج يكون جاهز للخروج.. بس هو مصمم على الخروج.

- بينى وبينك يا عالية 3 شهور كثير.

- كثير، بس يعتمد على الشخص نفسه، هو عمل إيه فى التلات شهور.. خَلينا فى صلاح.. يا ترى فكرت كويس إنت عايز تعمل إيه؟

- أه.. فكرت.. وعازب أخرج من المستشفى فى أسرع وقت.
- ليه أسرع وقت؟ أنا ما عنديش مانع إنك تخرج.. بس مش عاجبني قصة أسرع وقت دى يا صلاح!!
- خلاص.. أنا فهمت.. ووجودى هنا فى المستشفى أكثر من كده مألوش لأزمة.. دا اسمه تضييع وقت.
- طيب ليه ما تسميهوش حماية.. ومش تضييع وقت.
- طبعا هنا حماية.. بس وبغدين يا عالية؟
- أقول لك بصراحة.. أنا مقتنعة لانى شايفاك مش بتضيع وقت، وباستمرار بتقرا وبتحاول تفهم.. بس خيفة.. بذكرى أوى.
- هو أنا قلت أخرج النهارده؟! فعلا لسة شوية.. وعلى فكرة دكتور وليد رخم جدا، واستفزنى كمان.
- أنا سمعت اللى حصل بينكم فى اجتماع الدكاترة النهارده الصبح.. هو محتاج إنك تكسب بقتة شوية.. صدقنى هو قلقان عليك.. ولازم تبقى عارف إن دكتور وليد دكتور كويس.
- بس هو دائما يستفزنى يا عالية.
- إنت كمان رُدودك مش سهلة يا صلاح.. أنا عارفك.
- كان الوقت يمر سريعا مع دكتورة عالية.. وكم كنت أتمنى أن أتحدث معها طويلاً فى كل ما يخطر بالبال، وانتفتت معى أن نستكمل حديثنا فى اليوم التالى.. وبعد أن تناولت طعام الغداء، جاعنى صادق بأسلوبه الجميل قائلاً:
- زيارة لك يا أستاذ.. أتفضل معايا.
- أكيد رولا.. ياه!! كنت ناسى إنها جاية.
- قابلت رولا بالأحضان والقبلات.. وقالت بمجرد أن رأتنى:
- ايه ده؟! يا نهار أبيض!! شكلك كويس أوى.
- أنا وزنت نفسى إمبراح.. تصوورى 59 كيلو!! أنا وزنى زاد 6 كيلو، تخيلى!!

- عملوا فرّق كبير.. احكى لى أخبارك.. ماما وكريم حكولى حاجات وأخبار  
جلوة.

مرت عالية من أمامنا.. فقلت مقدماً لها أختى رولا:

- عالية.. أعرفك بأختى التوأم رولا.. بنزل جدا لما أقول إنها أكبر منى بربع  
ساعة.. رولا، الدكتورة عالية.. الدكتورة بتاعتى.. أجمل دكتورة فى العالم.  
- إزيك يا رولا؟

- إزيك يا دكتورة عالية.. صلاح عامل معاكم إيه؟

- كويس.. كويس أوى.. صلاح مدينا أمل.

- أوّل مرة، من عشرين سنة أسمع حدّ مِشُ بيشتكى منك.

- أى خدمة.. أخوك عامل شغل جامد.

- عن إذّكم.. وفرصة سعيدة.

بعد أن تركتنا الدكتورة عالية، قلت لرولا:

- دى الدكتورة عالية.. شفّتى جلوة إزاي؟ المشكلة إنها متجوّزة، وأكبر منى  
بتلات أو أربع سنين.. الثانية محلولة، بس الأولانية ملهاش حل.  
- بس يا صلاح.. عيب كده.

- احكى لى.. الدنيا برّه أخبارها إيه.. أنا نسيت الشارع والناس.

- مفيش.. كل حاجة زى ما هى.. بابا كويس.. كلمنى إمبارح، وجاى يوم  
الاثنين.

- أنا عايزه يجيلى هنا يوم التلات.

- صغّب شوية.. هيوصل الاثنين متأخر.. سيبه يرتاح يومين، ويجيلك الأربع أو  
الخميس.

- أنا عايز أخرج من هنا يوم الخميس.

- ماما رأيها إنك تستنى شوية.. إنت مستعجل إيه؟

- با أفوك إيه يا رولا.. كفاية كده.. خلاص زهقت، وبعدين الوضغ اختلف.. صدقيني.

- والله يا صلاح أنا حاسة بكده.. يارب.

سعدت بصحبة رولا والحديث معها حوالى ساعة، وعندما رجعت إلى القسم وجدت تامر أمامي.. وجهها لوجه.. وكانت يده مشوهة.. "وارمة" بشكل مخيف.. وقلت له:

- يا ابن الإيه!! وحشتني يا تامر.. والله زمان.

- إزيك يا صاصو؟ أخبارك إيه؟

- الحمد لله.. مال إيدك؟

- أسكت، ضربت سوسته غلط، وإيدي باظت.. دا كذا أحسن من الأول بكتير.

- كذا أحسن إزاي؟ دا شكلها مرعب.. رحنت لدكتور؟

- أمي ودنتي لدكتور وقال نقطعها.. وبعدين رحنا لدكتور تاني وعمل لي عملية.

- إمتي الكلام ده؟  
- من أسبوع.. وطلعت من العملية على الديتوكس.

- الحمد لله يا أخی.. جت سليمة.

- بيقولوا لي إنك ماشى اجتماعات، وعامل شغل زي الفل.

- بس عندي خبر هيزعلك.

- فيه إيه؟

- نانسى.

- مألها؟

- أقورت.

- إيه؟ إزاي؟ لا.. لا.. لا!!

- لقوها في طريق مصر إسكندرية الصحراوى.

- مش مُمكن؟! عرِفْت منين؟

- من حسام.. بيقول كانت مع واحد في الساحل، ولمّا أفوّرت رماها في الطريق.

- ياااااااااااه.. نانسى.. ايه الخبر الوحش ده.. تالت حد يموت في أقل من ثلاث أسابيع؟!

- إنت كنت حبيب القلب.

- قلب ايه يا عم تامر؟! خلاص.. القلب مات.. لا إله إلا الله.

- محمد رسول الله.

كان مفاجأة غير سارة بالمرّة.. حزنت جدًّا لهذا الخبر.

تركّت تامر لأستعد للذهاب إلى الاجتماع، ووصلت إلى المدرسة مقر

الاجتماع، وكنت في حالة اكتئاب عندما دخلت القاعة، وتوافد الناس واحدًا وراء

الأخر.. وعندما بدأ الاجتماع، لم أكن استطيع التركيز في بدايته.. ورويدًا،

رويدًا بدأت أنصت.. وشاركت بكلمات معدودة:

- الحمد لله إن أنا هنا، وميطلّ النهارده.. عرفت النهارده إن واحدة صاحبتى

ماتت.. أفوّرت.. الموضوع قلب غم.. هو فيه ايه؟ كل كام يوم حد أعرفه

بيموت.. أنا عايز ألحق بقية أصحابى.. عايز ألحق حسام وبهاء.. رامى دخل

السجن.. أنا تعيّت من اللى بيحصل ده.. دى حزّب.. والواحد مش ممكن يطلع

منها سليم غير لو إنسحب بكرامته.. وفى أسرع وقت.. أنا عايز أنسحب.. أنا

لازم أنسحب.. أنا كل يوم بأخاف أكثر من اليوم اللى قبله.

بعد انتهاء الاجتماع تجمعوا حولى.. حبًّا.. وتعاطفًا.. وربما تشجيعًا،

ثم خرج حاتم، وأنا معه، وقفنا خارج القاعة وسألنى:

- كَلِّمتى النهارده؟

- النهارده لِسْتَه ماخْلِصش.

- إنت ميعاذك الساعة 5:00.

- معيش.. أصل أختي رولا زارتني في المستشفى، بعد كده جريت بسرعة على القسم علشان ألبس واستعد للاجتماع.

- المقدمة يا صلاح.

- أرجوك.. بلاش المقدمة يا حاتم.

- المقدمة مرتين.. وبكره مكالمتين.. واحدة في الميعاد، والثانية الساعة 10:00، بعد ما ترجع من الاجتماع.

- حاضر.

- لو المستشفى وافقت على خروجك، أخرج.. أنا ما عنديش مانع.

- بجد يا حاتم؟

- بجد.. بس لازم تبقى فاهم حاجة مهمة أوي.. الموضوع مأفیهوش هزار، الناس بتموت بره.

ظلمت أفكر في نانسي طوال الطريق إلى المستشفى.. يا.. لو إنها كانت تعرف الاجتماعات، هل كان من الممكن أن تتجو وتبطل؟! يعني أنا مش هشوفها تاني!! فاكّر شرم.. فاكّر.. وفاكّر.. ظلمت الخواطر تقفز إلى رأسي إلى أن انتهى اليوم.

الله يرحمك يا نانسي..

ونمت في ميعادي الساعة 3:30 لأستيقظ الساعة السابعة كالمعتاد.

استيقظت، وصورة نانسي تطاردني.. أنا فعلاً حزين.. يا ساتر يارب..

مسكينة نانسي.. نهاية مأساوية، لقاء في الطريق الصحراوي!!

عملت الواجب.. دعوت الله سبحانه.. شكرته.. وبعد القراءة في الكتاب

نزلت من غرفتي لتناول الإفطار، وقراءة الصحف.. ياترى.. هل كتب أحد

الصحفيين عن نانسي في صفحة الحوادث؟ يا ترى هل مات شخص آخر

ولم أعرف؟

ذهبت لحضور اجتماع الدكتورة عالية.. ودار حول الأمانة، وتكلم البعض عن الأمانة من وجهات النظر المختلفة.. كل منهم شارك كيفما يراها، ولم أتفاعل معهم، كنت أشعر بالإجهاد، ليس بسبب قلة النوم، ولكن موضوع نانسي قد ترك أثره وبصمته، ولا أنسى أننا عشنا أيامًا حلوة، وأعرف جيدًا أنها كانت تحبني فعلاً.. في حياتي لم أطلب منها شيئاً واعترضت، أو رفضت.. بالعكس.. أحلامي كانت أوامر.. انتهى الاجتماع بمشاركة ضعيفة مني.. فسألتني دكتوراه عالية:

- مالك النهارده؟ فيه إيه؟
- فاكرة نانسي.. اللي حكيت لك عنها.
- أي واخدة؟ فكرني بيها.
- اللي كنت باضرب معاها في مصر الجديدة.
- أبوه.. إفتكرتها.. مألها؟
- أوفر دوز.
- يا نهار أبيض!! عرفت إزاي؟
- تامر قال لي إمبراح.
- إيه اللي بيحصل ده؟ ناس كتيرة اليومين دول عمالة تموت.
- نفس الجملة اللي قُلتها إمبراح.
- وده بخلينا نتمسك أكثر باللي إحنا فيه.. واللي وصلنا له يا صلاح.
- أكيد طبعا.. المهم.. أخبارك إيه يا عالية؟
- الحمد لله كويسة.. بس إنت مش عاجبني النهارده.
- مغلش.. شوية وأبقى كويس.. نسيت أقول لك إن حاتم وافق إنني أخرج من المستشفى.. بعد موافقتكم طبعا.
- إنت لسه ناوي تُخرج؟
- أمال عاوزاني أعمل إيه.. أفضل قاعد كده؟ أنا خلاص زهقت.



- بكره بعد الاجتماع عاوزين نُقعد مع بعض مُدة طويلة شوية.. فيه حاجة نعملها سوا.

- ها نعمل إيه؟

- بكره أقول لك.. إنت مش عملت في كده من كام يوم؟

- يعني بتردّيها لي؟

- لا أبدًا.. أصل أنا لازم أمشي دلوقت، وإنت كمان عندك ميعاد مع دكتورة إكرام.

- اتفقنا.. أشوفك بكره.

وفي طريقى إلى مقابلة دكتورة إكرام، التقيت بدكتور وليد:

- إزيك يا ذوك؟

- إزيك يا صلاح.. الاجتماعات أخبارها إيه؟

- تمام.

- إبتديت خطوات؟

- آه طبعًا.. أنا باكتب دلوقت في الخطوة الأولى.

- ربنا معاك.. ولو عايز أى حاجة، قل لي.

- شكرًا يا دكتور.

أعجبنى كثيرا الأسلوب الذى تحدث به.. أسلوب هادىء ولغة جديدة

مختلفة، وقابلت دكتورة إكرام.. وبادرت بقولها:

- البقية في حياتك.. أنا عرفت من تامر أن نانسى اللي مانت كانت صاحبتك.

- حياتك الباقية.. شكرًا يا دكتورة إكرام.

- إسمع.. أنا مش عاوزاك تُخرج دلوقت.. أنا قلقانة عليك.. إستنى شوية.

- حضرتك معاهم واللا معايا؟

- أنا معاك طبعًا، وعلشان كذا عاوزاك نُقعد هنا شوية كمان.. أنا مش طالبة

كثير.. أسبوع واحد كمان.

- صدّقيني يا دكتورة، والله مش هتفارق.. بالعكس أنا خلاص مش قادر أقعد وأسمع كلام سبى أكثر من كده.. مين عايز يضرب.. وعين عايز يهزب.. ومين هتجيب مخدرات.. ومين.. ومين.. ومين.

- على العموم إحنا متفائلين بيك، ورأينا كلنا فيك إنك بتحاول، بس ذا مايمنعش إن إحنا برضه قلقانين عليك أوى يا صلاح، إنت مأكملتش شهر فى المستشفى!!  
- أنا عارف يا دكتورة إكرام، وبغدين هو أنا ها أروح فين؟ هتلاقيني كل يوم هنا برضه.

- طبعاً، أكيد.. ما إنت مش هاتجيب تفلننا عليك.

- أكيد لأ.

وبعد تناول طعام الغداء، ذهبت إلى غرفتى، وجلست أقرأ فى الكتاب، وأمسكت الورقة والقلم وكتبت مفهومي عن الخطوة الأولى.. كتبت 5 صفحات.. وكان واضحاً لى عجزى أمام إيمانى.. وحياتى وما حدث فيها من هلاك ودمار. وفى الموعد بدقة وصلت إلى الاجتماع، وبعد التحية والسلام.. عملت نسكافيه، وتمذيت مجيء حاتم.. ولكنه لم يحضر، وجاءت مجموعة كبيرة نوعاً ما، ومن بينهم وجوه جديدة لم ألتق بها من قبل، وفهمت من الجلسة أن أحدهم توقف عن التعاطى منذ مدة طويلة، وقد سافر خارج البلاد، وبعد عودته أحضر معه صديقه الذى يحضر الاجتماعات لأول مرة.. ودار الاجتماع حول قراءة قصة وتجربة شخصية والتعليق عليها، وعنوان القصة: "حياة مستحيلة".  
فعلاً.. الحياة كانت مستحيلة..

وشاركت فى هذا الاجتماع بحديث عن التشابه الذى بينى وبين الرجل صاحب القصة، وهذه التجربة الشخصية.. وذكرنى الاهتمام بهذا العضو الجديد، بالاهتمام الذى استقبلت به فى اليوم الأول الذى دخلت فيه هذه القاعة.. وطلب منه شادى، كما طلب منى أن يقرأ: لليوم فقط.

كان من الواضح شعوره بالخوف وإحساسه بالقلق.. لقد مررت  
بالتجربة نفسها، وأعرف هذه المشاعر جيدًا.. وبعد الاجتماع ذهبت إليه لأتعرّف  
عليه، كما حدث معي من قبل.

وفي هذا اليوم حرصت أن أعرف رأي توفيق في خروجي من

المستشفى.. فسألته:

- إيه رأيك يا توفيق.. أخرج من المستشفى دلوقت؟

- دا قرار مش سهل.. إيه رأي دكتورة عالية؟

- مفيش حدّ بيقول: لأ.. بس برضه مفيش حدّ بيقول: أه.

- المشكلة إن دى أول مرة تدخل فيها المستشفى، وكمان من ثلاث أسابيع بس!!

- لأ.. من 24 يوم.

- طيب حقك على يا سيدى.. يعنى مش شهر حتى.. وبصراحة مش عارف

أقولك إيه.. قرار صعب.. أنا أصلاً ما دخلتس مستشفى، أنا بطّلت من البيت،

لكن شادى دخل المستشفى أكثر من 12 مرة.. الموضوع يا صلاح مألّهوش

مقياس.. كل واحد وليه ظروفه.. وعلشان كده القرار فيه صعب.

اليوم، تمنيت وجود حاتم في الاجتماع، كم أحب الحوار معه، كما أنه

يعرف عنى الآن كل التفاصيل، وإضافة إلى هذا فإننى أشعر بأنه يفهمنى جيدًا.

عند عودتى إلى المستشفى، أبلغنى عامل التليفون أن أمى اتصلت بى،

وللأسف لم أكن موجودًا.. وللأسف أيضًا لم يكن معى تصريح بمحادثة تليفونية

لأتصل بها، إنه نظام المستشفى.. شىء يغيظ.. وفكرت أعمل محاولة.. من

يدرى؟! ربما أنجح.

- عايز أعمل مكالمة للبيت يا صادق.. ممكن؟

- ما عملتس تصريح ليه؟

- هو أنا باقولك أنا خارج إجازة؟! اطلب لى البيت وخليك جدع.

- ياريت ينفع.. ماينفعش يا باشا.. إنت لك مُكالمة واحدة للمشرف، أكثر من كذا لازم تصرّيح.

- ماشى يا صادق.. بكره الصبح هتلاقى سنك التليفون مقطوع، ومفيش حد فى القسم كله هيتكلم.

- ما أنا عارف أنك إنت اللي قطعته قبل كده، بالضبط زى الطبق اللي تحت سرير حلمى، هو إنت فاكِر إن فيه حاجة تستخبي على فى القسم دا كله!!

- والله رجولة يا صادق.. تعال لى آخدك دور شطرنج قبل ماتنام.. أنا عارف إنت مفيش حاجة تصلح مزاجك غير لما يتغلب دور على آخر الليل.

- تعال.. بس كده.. والشاى على يا صلاح.

- إنت أبو الواجب كله.

لعبت دور شطرنج، وطلعت إلى غرفتى ووجدت أمير يجهز حقيبتة:

- خلاص يا أمير.. خارج بكره إن شاء الله؟

- كفاره.. يا ساتر يارب.. أنا لا يمكن أرخع هنا تانى.

- أمال لو ضربت هتروح فين يا حبيبي.

- ها أروح الجنة.. والله ما فى حاجة هتوحشنى فى المستشفى دى غيرك يا صلاح.

- والله.. وإنت كمان يا أمير.. أنا وأنت قضينا مع بعض 3 أسابيع فى نفس الأوضة.. والله كانت أيام جلوة.

- لا يا حبيبي.. أنا قضيت على السرير ده 3 شهور.. بس أحتلى أيام، كانت آخر أيام.. الأيام اللي عرفتك فيها يا صلاح.

- با اقولك إيه.. واظب على الاجتماعات يا أمير.. ماتكسلش وماتستهبلش.

- يعنى أنت اللي هتواظب يا صلاح؟ والله ما فى حد فأهمك فى المستشفى دى غيرى أنا.. عرفت بتيمهم كلهم.

- بجد هتوحشنى يا أمير.

- يا أقولك إيه.. بلاش تَقْلِبُها دِراما.. الحكاية مِشْ ناقصة.. كلها كام يوم وتُخْرُج وتُحْصَلْنِي، وبتقابل فى الاجتماعات.

- أكيد.. لازم تروح الاجتماعات.

- آه.. بس لو يخلونا نشرب حشيش!!

- يا ابنى ماينفعش.. مغيث فائدة فى دماغك!! طُوبَة!!

فى تلك الليلة نمت الساعة 3:00، واستيقظت الساعة 7:00 ما هذا الجمال؟ لقد نمت 4 ساعات كاملة.. معنى هذا أن هناك أملاً كبيراً فى العودة إلى النوم 6 ساعات فى اليوم.. وبعد الدش، حرصت على ارتداء ملابس أنيقة.. وبعد كتابة بعض الصفحات، نزلت لتناول الإفطار، وقراءة الصحف، ولعبت دور شطرنج مع صادق، وأقبلت علينا نجلاء.. لقد وصلت قبل موعدها.. وبدأت حوارها المرح مع أمير:

- صباح الخير.

- صباح الغسل بالطحينة.

- وإيه لزمته الطحينة دى؟

- إنتِ عُمُرِك ما أكلت غسل أبيض بالطحينة؟

- إيه الكلام ده؟! إنتِ بتضحك على؟!!

- طيب جرِّبى وادعى لى.. خلال ربع ساعه تبقى ولعة..

ضحكت وقالت:

- أنا جاية بذرى مخصوص علشان أسلم عليك يا أمير.

فداعتها قائلاً:

- يا سيدى.. يا سيدى.. قولى كده وفهمينا الموضوع.. ماشى يا عم أمير.

- أيوه.. نجلاء دى حبيبتى.. عندك مانع؟! وبغدين اللى بيته من قزاز ما يحدفش

الناس بالطوب واللا إيه يا عم الناصح.. صح يا نجلاء؟

- أسكت يا أمير؟ من ساعة ما عالية ظهّرت، وهو مش بيغيرنى ولا يسأل عنى.. شخصيته اتغيرت 180 درجة.

- إيه الظلم ده، حرام عليك!؟

- هتجيلنا قريب يا أمير!؟

- آجى أعمل إيه بس؟! الواحد ما يصدق يخرج من هنا، تقولى له بيحى تانى؟

وبحرارة سلم علينا أمير.. واحدا، واحدا.. وقلت له:

- ها اكلمك، أول ما أخرج من المستشفى.

- وأنا مسنتى تليفونك.. ياللا.. سلام.

تركنى أمير فى غرفتى وانطلق خارج المستشفى.. جاءت دكتورة عالية

وسألتنى:

- فين أوضنك؟ أفضل الكلام فى مكان مقفول.

وفى غرفتى، دار حديثنا وأسئلتها عن والدى، وأمى، وكريم، ورولا،

وأيضًا عن صديقاتى، مريم، ورائدا، وهالة.. كانت جلسة مختلفة، وأعتقد أنها كانت من أهم جلسات العلاج.. بدأت فى التحدث معى عن المرض قائلة:

- الإدمان يا صلاح مرض زى أى مرض تانى.. وتعاطى المخدرات هو أحد أعراض مرض الإدمان.

- أنا طول عمرى فاكر أن أهلى ماربونيش كويس، وهو ده السبب.

- مش مظبوط الكلام ده، الإدمان مرض، ولا له صلة بسوء التربية، ولا نقص

الأخلاق، بدليل أصحابك فى البرنامج، شوفت بيتصرفوا إزاي بعد ما بطلوا..

ناخد شادى مثلاً: مفيش أى حد ممكن يتخيل إنه كان بياخد مخدرات.. مؤدب،

هادى، وصوته ما بيطلعش.. لعلمك شادى كان بيبجى المستشفى لوحده، يقعد

شوية ويخرج يضرب، ويرجع تانى، وبرضه لوحده.. لغاية لما راح الاجتماعات

ودلوقت الحمد لله مبطل بقاله سنة.

- أنا بحبه جدا.. شادى محترم.

ثم طلبت منى عالية أن أحدثها عن علاقتى بأهلى فقالت:

- لو كان باباك موجود هنا دلوقت كان هيبقى واقف فين؟ وعينه عليك وللا لا؟  
وتكرر السؤال بالنسبة لكل فرد من أفراد عائلتى والناس المهمين فى  
حياتى..

وبعد ذلك طلبت منى أن أقف فى مكان كل واحد من أهلى، وأتكلم نيابة  
عنهم وعن لسانهم ثم قالت:

- لو كانوا موجودين هنا، كانوا هيقولوا إيه لصلاح؟

فى الحقيقة هذه الجلسة كانت مختلفة، ولم يكن وقعها على سهلا، لأننى  
ولأول مرة وضعت نفسى مكانهم، وأحسست بما يمكن أن يشعروا به فى ذلك  
الوقت.

لم أستطع التنفس، وإن كنت لم أكن أرغب فى التنفس، فقلت لها:

- كفاية.. نقف لحد كدا يا عالية.

- لأ.. نكمل.. مهم أوى نكمل، إنت بقى عايز تقول لهم إيه النهارده؟

سكت لثوان ثم قلت:

- مفيش وعود.. بس أنا هاعمل اللي على النهارده، علشان أفضل مبطل؟

- كويس أوى.

ثم انتقلت إلى موضوع الخروج من المستشفى، وصارحتى برأيها:

- قصة خروجك بذرى عاملة مشكلة، لأن الآراء اختلفت، وأنا اقتراحي إنك  
تخرج بس على أساس إنها أجازة.. يعنى تروح البيت يوم الخميس، وترجع  
الجمعة الصبح، وتقضى اليوم كله فى المستشفى، وتنام هنا الجمعة والسبت،  
ويوم الحد تنام فى البيت، وترجع الاثنين وتقضى فى المستشفى يومين: الاثنين  
والثلاث.

- إيه يا عالية؟ أنا إتلخبطت، يعنى الملخص عايزانى أخرج أجازة.. مش خروج  
نهائى.. صح؟!

- خروج تدريجى .. وكل مرة ترجع من الأجازة يتعمل لك تحليل.

- موافق .. وياه كمان يا عالية؟

- تحضّر كل يوم اجتماع.

- أكيد.

- لعلمك، أنا أكثر واحدة متحمّسة لخروجك، وأكثر واحدة خائفة من خروجك ..  
إنت مدينى أمل كبير أوى .. وأنا فعلا خائفة.

- أنا مش ها اتحرك خطوة من غير ما تكونى عارفة أنا فين وباعمل إيه؟ كل  
خطوة بالاتفاق.

- اتفقنا .. أنا سمعت أنك هتقابل دكتور سمير بكره؟

- إيه ده .. هو مفيش حاجة بتستخبى فى المستشفى دى؟

- لأ طبعًا.

- دكتور وليد قال لى إنه بكره هيتلغنى بالميعاد.

خرجت د. عالية من المستشفى حوالى الساعة الثالثة، وبعد أن تناولت  
وجبة الغذاء، ذهبت إلى دكتور وليد لأخذ منه التصريح للاتصال بأمى .. ثم  
صعدت إلى غرفتى للقراءة وفقًا للاتفاق مع حاتم .. ولم أجد أمير فى الغرفة،  
وأصبحت وحدى فى غرفتى .. إننى سأفتقد أمير .. قضينا معا 3 أسابيع فى نفس  
الغرفة .. وبصراحة، كانت صحبته لطيفة، ولم يكن مزعجًا على الإطلاق، على  
العكس تمامًا .. كان طيبًا وودودًا.

وفى الموعد المحدد الساعة الخامسة .. كلمت حاتم، وردّ هو شخصيًا:

- ألو.

- أهلا وسهلاً.

- أكلّم "الأنسرنج ماشين" لو سمحت؟

واتفقنا على اللقاء المسائى .. وبعد الحوار مع حاتم، كلمت أمى، لأزف  
إليها نبأ اللقاء مع دكتور سمير فى اليوم التالى، وتقبلت الخبر بهدوء .. عندما



أوضحت لها أنه سناقشني في موضوع خروجي من المستشفى.. لم تتفعل أمي، ولم تعترض، وكان تعليقها:

- أنا نقتي في دكتور سمير كبيرة.. وربنا يعمل اللي فيه الخير.

كانت أجمل مفاجآت الاجتماع حضور أمير، وأسعدتني رؤيته، لتصورى أنه لن يحضرها أبداً، ولكنه التزم بتنفيذ وعده.. إنه موقف رجولى وإيجابى يُحسب لصالحه.. واكتملت سعادتي عندما نفذ حاتم أيضاً وعده وجاء قبيل الاجتماع.. حاتم.. كان بالنسبة لى طوق النجاة ومثللى الأعلى، ولم يشغلنى كثيراً أنه أصغر منى سناً، فكل تصرفاته تؤكد أنه كبير.. وهو بكل صراحة نجم متألق، ولست وحدى الذى يعجبه أسلوبه فى المشاركة، وفى إدارة الاجتماع، وبالتالي كنت أركز فى كل كلمه يقولها.. بدأ حاتم حديثه قائلاً:

- ايه اللي بيحصل ده؟ هوا إحنا اللي مدمنين وعيانيين، واللا الناس هي اللي مجانيين؟! بصراحة أنا مش فاهم حاجة!! الناس فى الشارع بيتصرف بطريفة غريبة جداً، وأنا جاي شفت إثنين رجالة فى الطريق بيتخانقوا، واحد كسر على التانى.. إزاي.. وإزاي؟ أصلاً الاتنين غلطانين، واحد ماشى على الشمال وعازب يخش يمين.. والتانى ماشى على اليمين، وعازب يخش شمال.. وأنا جاي من ورا وبتفرج على سيرك.. نزلوا من العربيات.. قلت بس حُرْب.. نزلت أنا كمان ولقيت اتنين رجالة، واحد على الأقل 60 سنة، والتانى 65 سنة، ووقفت فى النص أحاول أهدى بينهم، وقلت لهم: مَعَلِّش يا أفندم.. حصل خير يا أفندم.. حوالى رُبْع ساعة فى محاولات فاشلة.. هو فيه إيه؟ هي الناس مألها؟ وبعدين، الاتنين مافيهومش نفس.. واحد منهم لو زَعَق شوية زيادة، كان ممكن يجيله سكتة قلبية.. الناس فى الشارع لازم يبقى عندهم برنامج يتعلموا فيه إزاي يحترموا بعض، ويشغلوا خطوات، ويحضروا 500 اجتماع فى 500 يوم.. والله دا شَعْب هيجننى..

استمر حاتم في الاعتراض على تصرفات وسلوك البشر في الشارع..  
وبعد ذلك شاركت بإحساسي:

- الحمد لله، أنا مِسْتَرِيح اليومين دول.. أيامي ناجحة طالمَا أنا مِش بِأخُد مخدرات.. احتمال كبير أُخْرَج من المستشفى يوم الخميس وبُكْره إن شاء الله عندي ميعاد مع دكتور سمير.. أنا قَلْقَان شوية، وبِصراحة مش عارف سر قَلْقِي، وبيدور في دماغى 100 سؤال.. يا ترى هو هيقول لى إيه؟ ويا ترى هو مُمكن يسألنى فى إيه؟ وأنا مفروض أجاب إزاي؟! أول مرة شُفْتَه فى "الدُّيُوكس" كُنْتُ ضايع.. المرة دى الموقف مُخْتَلَف.. بجد زهقت من التفكير، قلت اطلع اللى جوايا فى الاجتماع علشان استريح.

بعد انتهاء الاجتماع، وقفت مع حاتم كالمعتاد، و"دَرْدِشْنَا" فى مواضع مختلفة، وفى آخر كلامه قال لى عبارة مهمة:  
- "إنت مش محتاج إنك تثبت أى حاجة لأى حد".

قالها ببساطة شديدة.. بينما كُنت ألف وأدور حول نفسى، وكان مستحيل الوصول إلى هذه المقولة الموجزة المفيدة.. ياه.. كم كنت فى حاجة إلى سماعها. عدت إلى المستشفى فى حالة هدوء نفسى، وبعد أن تناولت وجبة العشاء لعبت "كوتشينة" مع الشباب، ودور شطرنج مع صادق، ثم صعدت إلى عُرفتى.. قرأت فى الكتاب بتركيز حتى الساعة الثالثة.. إنها أول ليلة أنام فيها فى الغرفة وحدى، بعد خروج أمير من المستشفى.



## القرار

استيقظت الساعة السابعة كالمعتاد، وبعد حلاقة الذقن والدش، أعددت نفسي لمواجهة اليوم بملابس أنيقة.. عدت أهتم من جديد بالملابس الأنيقة، والمظهر اللائق.. ياه!! ما هذا الذي كنت فيه قبل دخولي المستشفى؟! مررت بأيام لم أكن استبدل فيها "التريننج" بغيره لمدة أسبوع!! يااااه!!

قمت بواجبي.. الدعاء، والقراءة، ثم نزلت لتناول الإفطار، وقراءة الصحف.. وأثناء لعب دور الشطرنج مع صادق، وصل دكتور وليد وقال لي:  
- ميعادك يا صلاح الساعة 1:30 مع دكتور سمير، ومعنا الساعة واحدة..  
اتفقنا؟

- اتفقنا.. شكرًا يا دوك.  
وصلت دكتورة عالية، وبعد انتهاء الاجتماع قلت لها عن مواعدي مع دكتور سمير.. وجلسنا معًا، وتحدثنا.. كانت دائمًا السبب الرئيسي في إحساسي بالاطمئنان..

- ما تخافش.. كله هيبقى كويس.. وإن شاء الله أشوفك بعد ما نقابله..  
- على فكرة، دكتور وليد لأول مرة يقول لي إنه عايز يقعد معانا قبل مقابلة دكتور سمير.. ماحصلتش قبل كده.

- هایل.. إسمع له.. وليد دكتور كويس.  
- ياللا.. عندك أجازة مني يا عالية لمدة ساعتين.  
- أول ما تخلص مع دكتور سمير، بلغ صادق، وأنا ها اسيب له خير بمكاني.  
ذهبت إلى صادق:

- من فضلك يا صادق وصلني عند دكتور وليد.. ميعادنا الساعة واحدة.

وللمرة الأولى أدخل غرفة دكتور وليد.. تجولت بعيني في أرجائها..  
بها سرير، ومكتب، وأمامه كرسي ومنضدة، وفي ركن فيها الميزان.. وبينما  
دكتور وليد يقرأ في الملف الذي أمامه، وقفت على الميزان، وأذهلني ما وصلت  
إليه، فقلت:

- إيه ده؟ 61 كيلو!! أول مرة في حياتي أجيب الرقم ده!! الظاهر ها ابدي  
أعمل رجيم.

- يعني وزنك زاد 8 كيلو.

استمر دكتور وليد يقرأ ويقلب صفحات الملف.. فقلت:

- إيه الجداول دي كلها؟ دا أنا اسمي مكتوب على كل ورقة.. الملف دا بتاعى..  
مليان ورق كدا ليه؟! ممكن أشوف الملف، وأقرأ معاك؟  
- لأ.. طبعا.. مش ممكن.

- ليه؟ هو مش الملف دا بتاعى؟

- لأ.. مش بتاعك.. ده بتاع المستشفى.. النهارده لك 26 يوم.. اللي شافك أول  
يوم، ويشوفك النهارده مايعرفكش.

- البركة في رز سويسرا.

- البركة في ربنا.

- لك حق يا دوك.

- محتاجين نعد مع مامتك وباباك، وإخواتك، جلسة ننظم فيها الأمور شوية..

لازم كل المواضيع تبقى واضحة لكل علشان ما يحصل مشاكل.

- ما تقلقش يا دكتور.. أنا ناوي أريحهم على أد ما أقدر.

- أنا متوقع كدا برضه.. باباك وصل إمبراح بالليل.

- لأ.. دا حضرتك مركز أوي، ومتابع كمان!!

- أكيد.. واتكلمت معاه النهارده الصبح.

- يعني كلمك وما كلمنيش!؟

- يَعْنَى هُوَ كَلَّمَنِي عَشَّانَ خَاطِرَ مِين؟ الطَّبِيعَى إِنَّهُ يَفْهَمُ الوَضْعَ الأوَّلَ، وَبَعْدَيْنِ  
أَنَا كُنْتُ نَاوِي أَحْوَلَ لَكَ المَكَالِمَةَ، بَسْ إِنَّتَ كُنْتُ فِي اجْتِمَاعٍ مَعَ عَالِيَةٍ.

- فِي بَيْتِهَا يَا دُوكَ.. أَنَا وَإِنْتُ وَاحِدَ.

- يَا لَلا بَيْنَا عَشَّانَ مَا تَتَأَخَّرُشْ عَلَى الدَكْتُورِ سَمِيرَ.

مَشِينَا مَعًا.. وَصَلْنَا مَكْتَبَ دَكْتُورِ سَمِيرَ، وَدَخَلْنَا السُّكْرَتَارِيَّةَ، وَأَبْلَغَهُم

دَكْتُورَ وَليدَ بِمَوْعِدِي، ثُمَّ وَجَهَ إِلَيَّ الكَلَامَ:

- 5 دَقَائِقَ لِغَايَةِ دَكْتُورِ سَمِيرَ مَا يَخْلُصُ مَعَ ضَيْفِهِ، وَبَعْدَ المَقَابَلَةِ يَرْجِعُ

يَا صِلَاحَ عَلَى القِسْمِ، أَظُنُّ إِنَّتَ مِشْ مِحْتَاجَ حَدِّ يِعْرَفُكَ الطَّرِيقَ!؟

- لَّا.. مِشْ مِحْتَاجَ.. أَنَا عَارِفٌ طَّرِيقِي كُويَسَ.. شُكْرًا يَا دُوكَ.

خَرَجَ دَكْتُورَ وَليدَ مِنَ غُرْفَةِ السُّكْرَتَارِيَّةِ بَعْدَ أَنْ مَنَحَنِي ابْتِسَامَةً

عَرِيضَةً.. كَلَّمَهَا أَشْيَاءَ جَدِيدَةً بِالنِّسْبَةِ لِي، وَانْتظَرْتُ خَمْسَ دَقَائِقَ فَقَطْ، وَخَرَجَ

دَكْتُورَ سَمِيرَ مَعَ ضَيْفِهِ، وَحِيَاهُ بِحَرَارَةٍ عِنْدَ بَابِ الغُرْفَةِ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَيَّ بِالسَّلَامِ

قَائِلًا:

- اِتَّقَضَلْ.. أَنَا اتَأَخَّرْتُ عَلَيْكَ؟

- لَّا.. وَلَا يُهَمُّكَ يَا دَكْتُورَ.. أَنَا لَسَةُ جَائِي.

- اِتَّقَضَلْ هِنَا.. تَشْرَبُ إِيه؟ أَنَا هَا اشْرَبْ شَائِي.

- وَأَنَا كَمَانَ.

- سُكَّرَكَ إِيه يَا صِلَاحَ؟

- كُوبَائِيهِ وَلَا فَنْجَانَ؟

- فَنْجَانَ.

- اِتَّبِينِ مِنَ فَضْلِكَ.

- شَائِي، وَاحِدَ عَشَّانِي، وَالتَّانِي مَعَلَّقَتَيْنِ سُكَّرَ.. وَامْنَعِ التَّلِيفُونَاتِ.

وقلت لنفسى: ياه!! اهتمام على.. أوى.. واحترام.. حاجة جميلة..

وبهدوء رائع، بدأ كلامه معى:

- شكلك أحسن بكثير من أول مرة شفتك فيها.

- أكيد طبعا.. أنا جيت المستشفى تعبانا أوى.

- قضيت أيامك إزاي يا صلاح؟

- قضيت أيام حلوة، وأيام وحشة.. ودا طبيعى، المستشفى حلوة، مريحة،

واسعة، بس يعنى محتاجة شوية شغل فى الإداريات.. التنظيم الإدارى متعب..

مثلا علشان الواحد يعمل تليفون مشكلة.. الملابس تتأخر فى التنظيف.. الدبان

غلس وكثير، وبالذات فى غرفة الأكل، وعلشان الواحد يقابل الدكتور قصة

ورواية..

- طبعا، إنت فاهم إنك مش فى فندق خمس نجوم.. صح؟

- أكيد.. بس أنا فى سويسرا.

ابتسم الدكتور سمير..

- إتفضل الشاى.

- شكرا يا دكتور.

- كلمنى عن العلاج.. هو دا اللى يهمنى.. عملت إيه؟

- عملت كل اللى اتقال لى.. حضرت كل الجروبات والاجتماعات.. مقيش يوم

اعتذرت عن اجتماع.. وشاركت كثير.. وكل يوم أقرأ فى الكتاب، وتقريبا

خلصت الخطوة الأولى، بس المشرف مش عايز يناقشها معايا غير لما أخرج

من المستشفى.

- مين المشرف بتاعك يا صلاح؟

- حاتم.. و حضرت اجتماعات وجلسات دكتوراة عالية، ودكتوراة إكرام، ونجلاء،

وبصراحة، دكتوراة عالية أكثر واحدة عرفت أتفاهم معاها، هايلة ومريحانى، وأنا

ناوى أواظب على حضور اجتماعاتها حتى بعد ما أخرج من المستشفى.

سكت الدكتور سمير لثوانٍ ثم قال:

- صلاح.. واضح إنك ذكى أوى.. ودا سلاح ذو حَدَّين.. يا إمّا إنتَ فعلاً ذكى أوى، واستوعبت الموضوع بِسُرعةٍ مش طبيعية، يا إمّا إنتَ ذكى أوى، وعرفت بَضْحَك على المستشفى كُلِّها فى وقت قليل.. ودا اللّى هَيَّبان ويتضح فى الفترة الجاية.. لو رجعت تاخذ مخدرات تانى، وكنت محظوظ ولا اتمسكت أو ماموتش، هترجع هنا تانى، بس المرة الجاية حتشرفنا شهور.. اتفقنا؟

- اتفقنا.

- إنتَ طبعًا عارف إن أنا أقدر أشرب بيرة مثلاً، أشرب زى ما أنا عايز، لأن أنا ما عنديش مُشكلة مع الشرب، لكن إنتَ ما ينفعش تشرب أى حاجة.. لأنك عندك مشكلة.

- للأسف الشديد أنا فهمت الكلام دا كويس.. وعارف كمان إنى هاعيش بقية عمرى مريض.

- فيه مدمنين بتشوف إن مرضها بدأ قبل تعاطى المخدرات.. لما تشتغل الخطوات هتعرف تحكم بنفسك.

- أعتقد كده برضه.

- تمام.. هتُخرجُ أجازة يوم الخميس حسب الجدول اللّى هيتنظّم مع دكتور وليد، وأنا معلوماتى إن دكتورة عالية هى اللّى قدّمت الجدول ده.. ويفضّل إنك تمشى عليه زى ما هو مُقترح بالطّبط.

- ما تقلّقش يا دكتور.. أنا مش ناوى أفاصل.

- أحب دايماً أشوفك زائر مش مقيم.. فيه ناس كثير هتحتاج مُساعدتك لو عرفت تُقف على رجلّيك.

- إن شاء الله هتلاقينى دايماً هنا.. إطمئن يا دكتور.. شكراً وأستاذن.

- اتفضل.. ربّنا يوفّقك.. مع السلامة.

وقام هذا الدكتور العظيم من على مكتبه، ووصل معى إلى الباب،

وسألنى:

- فيه حدّ معاك بره؟ حدّ يوصلك؟

- لا يا دكتور.. أنا عارف طريقى كويس.

وخرجت من مكتبه وأنا فى قمة السعادة.. كل ما أستطيع قوله فى تلك

اللحظة، أننى التقيت مع إنسان يمتلك فى قلبه حباً عميقاً للناس.. يتحدث بهدوء

وبساطة ودون استعلاء.. كانت جلسة أنيقة.. بالتأكيد سأذكرها كثيراً..

وهكذا أثبتت عملياً أنها مستشفى هدفها العلاج، والأمر يتوقف على حالة

المريض.

مشيت إلى القسم، وكنت "طائر" .. "طائر" من الفرحة، وأعلنت النبأ:

- أى خميس؟ فى أى أسبوع؟ فى أى شهر؟ فى أى سنة؟ الخميس الجاى

يا حلوين.

قال جلال وهو فى شدة التعجب:

- يا ابن الإيه؟! حتى الدكتور سمير نيمته؟!

- نيمته، وغطيته بعد ما حكيت له حكاية الشاطر صاصو.. يا صادق هى

الدكتورة عالية فين؟

- كلمتها.. جاية حالا.

وصلت الدكتورة عالية، وسألتنى:

- هيه.. عملت إيه مع دكتور سمير؟

- الراجل دا بيّفهم.

- آه طبعاً.. أمال إنت فاكر إيه؟ قلت له إيه؟

- اتفقنا أمشى على خطة الدكتورة عالية.

- بس المهم إنك تلتزم يا صلاح.



- إنتِ فاكِرةِ إني مش هأ التزِم؟! -
- لأ.. أنا عارفة كويس أنك هأ تلتزم.. وبكره لنا قعدة سوا.. طويلة شوية،
- علشان نشوف البرنامج هأ يمشى إزاي؟
- حاضر.
- ياللا.. أنا هاروح دلوقت، وأشوفك بكره إن شاء الله.
- دكتورة عالية.
- أفنديم.
- متشكر أوي.. أنا عارف أد إيه إنتِ وقفتِ جنبى علشان أخرج من هنا.
- يا خوفى.
- يووه.. ماتخفيش.. بجد ماتخافيش.
- صلاح، الموضوع دا ما فيهوش ضمانات، وعلشان كده ربنا يستر.
- هيستر إن شاء الله.
- بعد أن خرجت دكتورة عالية من المستشفى، جمعتنى مع الشباب جلسة ضاحكة، ودور شطرنج مع صادق حتى جاء موعد وجبة الغداء.. وبعدها مباشرة جاءنى صادق:
- تليفون يا سيدى.
- مين؟ غريبة أوي حد يكلمنى فى الوقت ده؟! مين يا صادق؟
- رُد وانتَ تعرف.
- مش عايز تقول لى مين!! ماشى يا صادق.. إنتَ أصلك شَايل منى بعد ما اتغلبت فى آخر دور.
- ألو.. بابا.. إزيك؟ حمد الله على السلامة.
- إزيك يا صلاح؟ عامل إيه؟ طمّنى عليك.
- أنا كويس الحمد لله.. انبسطت فى الرحلة؟

- كانت رحلة هايلى.. الحاجة الوحيدة اللى كانت قَلْتانى هو أنت.. أنا مش ها استريح غير لما أطمَن عليك.
- إطمَن.. أنا كويس الحمد لله.
- دكتور وليد بلغنى إنهم وافقوا إنك تُخرج أجازة يوم الخميس.
- أخيراً وافقوا.. أنا كنت عند دكتور سمير، وهو اللى بلغنى بخبر الموافقة.. قل لى يا بابا.. هتجيبلى إمتى؟
- أنا مش عايز أجى المستشفى دى تانى.. كفاية وصلتلك، وجيت أزورك مرة مع مامتك وما عرَفناش نشوفك.. مامتك، وخذ من إخوانك يرجعوك.
- زى ما يعجبك يا بابا.
- ها اكلمك يوم الخميس الصُّبح بئرى، تكون عرفت حساب المستشفى.. إحنا دفعنا مبلغ مقدم، وشوف الباقي كام، وابتعت لك الفلوس مع مامتك.
- حاضر يا بابا.
- خلى بالك من نفسك، وأشوفك يوم الخميس إن شاء الله.
- إن شاء الله.. وسلم لى على ماما وكريم ورولا.
- حاضر.. مع السلامة.
- لم أشعر فى حياتى، كم أشقت إلى والدى إلا بعد أن سمعت صوته.. كان واضحاً من صوته أنه لازال يشعر بالقلق.. طبيعى.. أردت الاتصال بحاتم، فقلت لصادق:
- عايز أكلم المشرف بتاعى يا صادق.
- تليفوناتك كتيرة الأيام دى.. نعدّيها المرة دى علشان دا المشرف.
- هو أنا باكلم حد غيرُه؟! طبعاً إنت شايل منى علشان دور الشطرنج اللى فات.. هو كان دورك، وأنا ادبّيتك أعلى درجات الأمل.. وفى ثانية مقصّين، دابل كيك.. ومات الملك.
- بطلّ لَماضة.. تليفونك.. اتفضل رُد.

- "أسترنج ماشين" طبعا.. ألو يا حاتم.. أنا عايز أبلغك إني ها أخرج يوم الخميس من المستشفى.. يعنى بعد بكرة.

فاجأني صوت حاتم:

- أيوه يا سيدى.. هتخرج يوم الخميس.

- إيه ده؟ إنت فى البيت!!؟

- أيوه فى البيت.. بس ما بردش على كل التليفونات.. إسمع يا صلاح أنا مِش ها أقدر أروح اجتماع وسط البلد، بس بكرة إن شاء الله ها أجيك اجتماع مصر الجديدة علشان الدنيا لازم تتنظم.

- أكيد طبعا.

- لأ.. إنت مش فاهم، الخروج من المستشفى له قواعد وماقيهاش فِصال.

- أنا عمري ما فاصلت.

- تعجبني وإنت بيسمع الكلام.

بعد الانتهاء من الحديث التليفونى مع حاتم، أسرعت للاستعداد لحضور اجتماع اليوم فى وسط البلد "لمدمنى الخمر مجهولى الهوية"، الذى يحضره مجموعة من الأجانب، والمشاركات معهم ممتعة، ولم يحضر من الشباب المصريين غير أمجد فقط.

وقد شاركت فى هذا الاجتماع، وأعلنت لهم نبأ الموافقة على خروجى من المستشفى، ولذا أشعر بسعادة حقيقية، وأنتى أنوى حضور الاجتماعات والمشاركة، وتنفيذ كل ما يقال لى لأظل معافى.

وبعد الاجتماع جاءنى أمجد، وله احترامه الكبير عندى، فهو مشرف حاتم؛ بمعنى أنه مشرف على مشرفى الذى يعرف عنى كل التفاصيل.. كلمنى وفى صوته نبرة فرحة، وحزم فى الوقت نفسه، وقال لى:

- حاتم قال لى إنك خارج بعد بكرة أجازة.

- إن شاء الله يا أمجد.

- إنت جاهز يا صلاح؟

- قَصْدَكَ إيه؟

- الخروج من المستشفى عمره ما كان ميزة.. 99 % من اللى بيخرجوا من المستشفى بيضربوا تانى.. منهم اللى بيتحبس، ومنهم اللى بيمرض أو يموت، أنت لسه مَاقَرِتْش الكتاب كويس.. واللاً إيه؟! أول فقرة: من هو المدمن؟ "إحنا وَقِعْنَا فى برائن مرض مستمر.. ومتفاقم.. ونهايته لا تتغير.. السجون، المرض، الموت". إرجع يا صلاح واقرا من هو المدمن؟ ما برنامج المدمنين المجهولين؟ لماذا نحن هنا؟ وماذا يمكننى أن أفعل؟

- إيه دا يا أمجد؟ أنت خَوَفْتَنِي!!

- غريبة!! هو إنت مَاَكُنْتْش خايف واللاً إيه؟ آخر حاجة هَا أَقُولْهَا لك عَاشَان أنت لازم تَمْشَى وَتِرْجَعْ للمستشفى.. أنا جيت النهارده لما عَرِفْت إنك خارج بعد بُكره.. هَا أَقُولْكَ حاجة واحدة قالها لى المشرف بتاعى يوم ما كُنْت خارج من المستشفى: إنت عُمْرِكَ ما كنت مسؤل عن مرضك.. بس النهارده إنت المسؤل عن شِفَاكَ.

فَكَر فى الجملة دى كويس، وها أشوفك فى اجتماع بُكره إن شاء الله.

قالها أمجد ومشى.. وبدأت رأسى تلف وتدور.. وطوال الطريق يلح فى ذهنى: ماذا حدث؟ ماذا جرى لى؟ ما سر مخاوفى؟ لماذا أنا خائف إلى هذه الدرجة؟!

صعدت فوراً إلى غرفتى فى المستشفى.. أنا وحدى.. وبدأت أقرأ على مهل، كل ما سبق لى قراءته.. قرأت كل كلمة من جديد، واستغرق هذا ثلاث ساعات كاملة، من الساعة العاشرة حتى الساعة الواحدة.. أغرب شىء أننى كنت فى كل مرة أقرأ، اكتشف شيئاً جديداً ومفهوماً مختلفاً.

جلست فى السرير أفكر، إلى أن نمت الساعة الثانية والنصف،  
واستيقظت الساعة السابعة.. الآن، أستطيع أن أنام أربع ساعات ونصف، ودون  
منوم.. شىء جميل حقاً.

بدأت يومى مثل كل يوم.. بالدعاء وقراءة الصحف، بعد تناول وجبة  
الإفطار، ثم دور الشطرنج مع صادق، إلى أن وصلت دكتورة عالية، وقالت لى:  
- تعال يا صلاح.. أنا غاوزاك.. لازم نرتب هنعمل إيه.

- عارفة يا دكتورة، إنت محسّسانى إنى خارج من المستشفى، ومش راجع  
تانى!! أوعدك، أنا كل يوم ها آجى المستشفى.

- يعنى إنت مش عايز ترجع يوم السبت وتنام هنا؟

- زى ما يعجبك.. بس ها أقول لك رأىى.. بُصى يا عالية، الأسبوع الجاى كله،  
آجى الساعة 9:00 الصبح، وأمشى الساعة 4:00، واقعد فى بيتى شوية، وبعدين  
أروح الاجتماع فى منصر الجديدة.. إيه رأىك فى الفكرة دى؟

- نتكلم فيها مع دكتور وليد.

- أوكيه.

ذهبنا إلى مكتب دكتور وليد:

- إزيك يا دكتور وليد.

- أهلا يا عالية.. صلاح.. أخبارك إيه؟

- تمام يا دوك.

- الجدول أنتنظم؟

- عايزين ناخذ رأىك فى موضوع مهم.. صلاح خارج فى إجازة يوم الخميس  
إن شاء الله.. وهيرجع يوم السبت وينام هنا فى المستشفى.. أو كل يوم الصبح  
بيجى هنا فى المستشفى، ويمشى آخر اليوم.. الساعة 4:00 مثلا؟ إيه رأىك  
يا دكتور؟

- هو مش سبق الاتفاق أنه يخرج أجازة، ويرجع.. إيه اللي غير الاتفاق يا صلاح؟

- إحنا بنتناقش.. لو دا اللي إنتم عاوزه، ورايكم إنه أحسن بالنسبة لى، أنا موافق.. لكن بصراحة أنا عايز أروح الاجتماعات من البيت، يعنى دا إحساس طبيعى.. وحاتم المشرف بقاعى قال لى إنى مش هأ ابتردى أعد 90 اجتماع x 90 يوم إلا لما أخرج من المستشفى.. وبعدين أنا كل يوم هأ آجى هنا.. وكمان اعملوا لى تحاليل زى ما أنتم عاوزهين.. أنا ذمى فداك يا دكتور.

- إنت مفيش فائدة فيك.. ماينفعش تتكلم جد أبدا!! إنت إيه رأيك يا عالية؟  
- ماغنديش مانع، على شرط إنه فعلاً بيجى الأسبوع الجاى كل يوم، ويقضى اليوم بالكامل هنا.

- خلاص.. وأنا كمان موافق.. أنا ببقى فى صلاح.

وبابتسامة قلت:

- ونقرا الفاتحة.. بسم الله الرحمن الرحيم..

مشيت مع عالية داخل المستشفى نتحدث:

- إنت مش ممكن.. بتعمل وتنفذ اللي إنت عايزه.. أنا ماشفيتش زيك قبل كده.  
- أنا عايز أحكى لك أمجد قال لى إيه إمبارح بعد الاجتماع.. بجد قيلقت من كلامه أوى.

- واضح إن أصحابك فى الاجتماعات مهتمين بيك..

- جدا يا عالية.. جدعان ورجالة.

- هما ما تصرفوش معاك كده إلا لما حسوا إنك جاد فى تبطيلك.

وفجأة وصل فريد، ليقول لى:

- يا أستاذ صلاح.. أخو حضرتك منتظرك فى الاستقبال.

- كريم!! عجيبة!! دى مفاجأة غريبة.. إيه اللي جابه؟

- إنتَ رُوخْ لُه.. وأنا ها امشى، وبُكره إن شاء الله إحكىلى عن سبب الزيارة  
والمفاجأة دى.. أنت هاتمشى إمتى بُكره يا صلاح؟
- مش قَبْلَ ما إنتَ تمشى.
- "وطيران" على الاستقبال.
- أهلا.. أهلا.. يا مُفاجأتك؟
- إزيك يا صلاح؟! أخبارك إيه؟
- أنا تمام.. خارج بُكره إن شاء الله.. وعلشان كدا مستعرب زيارتك النهارده!!
- قلت أطمئن عليك.. وأعرف إنتَ خارج بكره ليه؟! أخويا الصغير ولازم  
أطمئن.
- يا أخى أنا زهقت من أخويا الصغير دى.. مش كُنتَ تطلع إنتَ الصغير؟!!
- بكل أسف، هي مشيت كده.. إنتَ الصغير.. خَليفا فى المهم.. أنا عايز أطمئن  
عليك.. ماما ورولا حكولى كتير أوى.. وكلامهم مُطمئن.. بس بالنسبة لى،  
هابقى مطمئن أكثر لو سمعت منك.
- قل لى.. عايز تعرف إيه يا كريم؟
- عايز أعرف إيه اللى بيدور فى دماغك؟
- أنا نفسى مش عارف، بس اللى أنا عارفه حاجة واحدة بس.. إن أنا مبطل  
النهارده، ويومى ناجح 100% علشان أنا مبطل.
- هتخضر الاجتماعات لما تخرج؟
- طبعا.. إيه يا كريم!! إنتَ فاكِر إيه؟ أنا فعلا عايز أبطل.
- وأنا فعلا نفسى تبطل.. أنا ماعنديش ولا مُشكلة واحدة فى حياتى  
إلا موضوعك.
- يعنى لو مُشكلتى دى اتحلّت؟
- تأكد يا صلاح أنا ها أبقي أسعد إنسان فى الدنيا.

وقف كريم، وأخذنى بالأحضان.. أحضان بهذه القوة لم تحدث من قبل.. ولأول مرة منذ جئت إلى الحياة نتبادل الأحضان بهذا الشكل.. حضن شقيقتين يدخران في قلبيهما كل مشاعر الحب الحقيقي.

- دُلوقت لازم أمشى.. عندي اجتماع في الشركة بعد ساعة.

- ربنا معاك.

- بكرة إن شاء الله، ماما، وأختك هيجوا لك وترجع معاهم على البيت.. كنت أحب آجي معاهم، لكن بكرة عندي سفريّة 48 ساعة.

- تروح وتيجي بالسلامة.

سرحت طويلا، ووقفت تحت شجرة أفكر في هذه المفاجأة الحلوة..

قائلاً لنفسى:

- ياه!! كريم، يسيب شغلّه ويبجي لى مَخصوص علشان يطمّن على!! غريبة!! لم أتوقع منه هذا الموقف!! عموماً.. طوال عمره تصرفاته غير متوقعة.

أعددت نفسى، وسلحتها ببعض القراءات في الكتاب، وذهبت إلى الاجتماع، وكان يديره خالد، وكنا 12 فرداً فقط لاغير، خمسة منهم من المستشفى، واختاروا موضوعاً جميلاً بعنوان: "النية في الامتاع" و"الرغبة في الامتاع" وأحببت أن استمع إلى المشاركات بكل تركيز.. بدأ خالد قائلاً:

- كلمة الرغبة أول مرة سمعتها في الأوضة دي، تصوّرت أن لها علاقة بالجنس.. قلت قُشطة.. بس طلعت موضوع تانى خالص.. كنت طول عمرى أتخيل إن عندي النية في إنى أبطل، بس عُمري ما بطّلت، لكن واقع الأمر أنا ماكنتش عايز أبطل بحق وحقيقتي، يعني مش عايز أضرب، بس أروح اقعد مع ناس بيتضرب، وأقول أنا مش ها آخد.. يا سلام!! دا إيه الجمال ده؟ يعنى عُمري الواحد راح للحلاق، وقعد على الكرسي وما حلقش.. مش ممكن!! ودماعى تقنعنى، قال إيه، أنا رايح أضيّع شوية وقت، مش أكتر، وطبعاً أرجع مش بس حالق، دا أنا بارجع حالق، وزيرى كمان.. وتبندى المأساة من أول وجديد.



وبعد أن تحدث خالد عن النية، طلب منى أن أشارك..

- أنا مدمن.. واسمى صلاح.. ابتديت اليومين ذول أحس إديه أنا نفسي أبطل.. هو ده هدف حياتي.. ومن كتر ما أنا عندي رغبة في إني أفضل ميطل، لازم أعترف دلوقت أد إيه أنا خايف.. لأ أنا مش خايف.. أنا مرعوب.. قعدت أزن وأقول: عايز أخرج من المستشفى، كفاية كده، زهقت.. دلوقت أنا خايف أخرج من المستشفى.. أخرج أعمل إيه؟ أنا مستريح جوه المستشفى ومطمئن.. طيب أزع في كلامي وما أخرجش؟! واللا أخرج أواجه الدنيا؟ أنا تعبان من جوه.. وخايف جدًا.. جدًا.. جدًا.. أنا عايز الناس كلها تساعدي.. أنا عايز الناس اللي مبطله من زمان تقول لي أعمل إيه.. يعني أنا مش فاهم مستعجل على الخروج كدا ليه؟ يا نهار أسود لو ضربت.. مصيبة سودة!! خلاص ها أموت.. ربنا بعت لي أكثر من رسالة.. ربنا اداني الفرصة.. وقعدني وسطكم.. لو ضربت، يبقى أنا ضيعت الفرصة، ورفقت النعمة برجلي.. لا.. لا.. أنا هفضل في المستشفى.. أنا عيل ومش عايز أخرج.. لأ.. أنا مش عيل.. أنا عايز أفضل ميطل.. بس أنا خايف أخرج.. أنا ميخبط.. أنا مرعوب.. أعمل إيه؟ مش عارف!! شكرا.

بعد ذلك، قام أمجد ليشارك:

- أنا أمجد.. مدمن.. طول عمري ما بحيش أعقب على كلام حد.. ولا حد يعقب على كلامي، بس الحقيقة مش قادر.. مشاركة صلاح حسيت بيها كلها.. أنا عشت كل اللي سمعته منه.. عشته هو.. هو.. سيناريو مكرر.. الخوف والرعب والتردد اللي أنا سمعته من صلاح هو فعلا النية في الامتناع.. طلب المساعدة والأمانة مع النفس أساس الرغبة في الامتناع.

واستمر أمجد في تفسير ما يدور بداخلي بهدوء.. كان فنانا في شرح الأحاسيس، وغمرني الشعور بالطمأنينة بعد مشاركته.. هدأت فعلا بعد أن استمعت إلى كل كلمة قالها، وجعلني أشعر بأنني أسير على الطريق الصحيح.

انتهى الاجتماع وجلست أتحدث مع حاتم:

- قل لي يا صلاح، هتُخرج بكرة إمتى؟

- حوالى الساعة 4:00.

- كويس.. طبعاً تحضر اجتماع بالليل، ومن بكرة تعد 90 اجتماع.. الاجتماع يبدأ الساعة 7:00، تكون موجود قبل ما يبدأ برُبْع ساعة، يعنى الساعة 6:45 لو وصلت فى أى اجتماع بعد دقيقة السكون، تعد من أول جديد، وأنت فاهم طبعاً أنا مش بأهْرُج.. عايزك تخلص الخطوة الأولى.. وبكرة تشتري نُوتة جديدة تكتب فيها، وبعدين تقرأ كل اللي كتبتهم يوم الجمعة، ونشاركها سوا يوم السبت.. وبكرة الصبح أول حاجة تكتب 4 جوابات.. واحد لباباك، واحد لِمَامَتِكَ، واحد لأختك، وجواب لأخوك.. صفحة واحدة بس لكل واحد، مش أكثر.. تكتبهم وتخليهم معاك.. وأنا ها أقول لك بكرة هتعمل بيهم ايه.. ومهم أوى إنك ما تاخدش أكثر من فلوس التاكسى، وعلية السجاير.. يعنى فى اليوم مش أكثر من عشرة جنيه.. الفلوس الكثيرة بتلعب فى الدماغ.. وأهم حاجة كمان، ما تتحركش مع ناس مبطلّة أقل من 6 شهور، وما تكلمش نهائياً أى حد بياخد مُخَذَّرَات، ولا حتى تسلم عليه، واللى يزعل، يخبط دماغه فى أى حييط يعجبه.. واضح؟

- واضح يا حاتم.

- بكرة تجيب "بلوك نوت" جديد معاك، عايز واحد كبير، علشان يكفى شغل 12 خطوة.

- أى أوامر تانية؟

- دى مش أوامر.. كل دى اقتراحات يا باشا.. وأنت صاحب القرار فى الأول والأخر.

- وأنا موافق على كل اقتراحاتك.

- تعجبتنى وإنت بتسمع الكلام.

## اليوم الأخير.. والأول

عدت إلى المستشفى، وبدأت أتجول في القسم، كل ركن يذكرني بشيء ما.. كل كرسي لى معه قصة.. الجداول.. دعاء السكينة.. أدوار الشطرنج.. البنج بونج.. غرفة الطعام.. الذباب.. المطبخ.. التليفون.. إنها آخر ليلة لى هنا.. آخر ليلة، والأحداث تمثلت كالحلم.

صعدت إلى غرفتى بعد دور الشطرنج مع صادق، وكتبت فى الخطوة الأولى، ونمت الساعة الثانية أثناء الكتابة.. وصحوت الساعة الخامسة والنصف، وكتبت رسالة إلى كل فرد من أفراد العائلة.. أمى.. أبى.. أختى.. وبعد كتابة الرسائل الأربع، نزلت لتناول الإفطار، وقراءة الصحف.. قلت لصديق:

- يا صادق، عايز أروح الإدارة أشوف حساب المستشفى.
  - ياللاً يا فريد.. اطلع مع صلاح.
  - خليك يا فريد.. يعنى أنا ها اهزب؟ أنا خارج النهارده.
  - اطلع معاه يا فريد.
  - عليك دماغ.. هو إنت بتتغيب فى الشطرنج من شوية!!
  - ما إنت لسه مغلوب إمبراح بالليل.
  - الدور دا من عندى.. هدية خروجى.. وبا قولك إيه.. لنا دور النهارده..
- النهائى.
- ماشى.

ذهبت مع فريد إلى الإدارة المالية فى المستشفى، وعرفت الحساب المطلوب عن 28 يوماً، واتصلت بوالدى وقلت له المبلغ المتبقى، فقال لى:

- مامتك وأختك هيكونوا عندك الساعة ثلاثة.

- وأنا مستنيهم.

وبعد اجتماع دكتورة عالية سألتني:

- احكى لى.. كريم كان هنا ليه إمبراح؟

- بيطمن.. عايز يقرأ دماغى.

- وعرف يقرأ حاجة؟

- طبعا لأ.. هو أنا عارف اقرأها، لما هو يعرف!!

- مش دا كريم اللى إنت كان رأيك إنه مش بيحيتك؟

- يا عالية ماينفعلش إنه يقول لى افتح محل أى حاجة وأقعد فيه.. هو فاكرنى

إيه؟ فى يوم من الأيام ها أنجح وأثبت له إنه غلط فى حقى.

- صدقنى، اليوم ده هيبقى هو أسعد واحد فى الدنيا.

- أنا عارف.. كريم جدع أوى.. وبعدين أنا جننته.

- كويس إنك عارف.. ها.. جاهز؟! رتبت شنطتك؟

- لا.. لسه.

- طيب يالا بسرعة.. علشان إحنا لسه ما اتكلمناش فى الجدول.

- تانى يا عالية؟ ادبنى الجدول وأنا ها انفذه بالظبط.. عايز أعترف لك بحاجة.

- فيه إيه يا صلاح؟

- أنا خايف يا عالية.. خايف أوى كمان.

- كويس إنك خايف.. كنت ها أقلق جداً لو مكنتش خايف.

- ها اجهز شنطتى، وارجع لك.

- ما تتأخرش.

- حاضر.

دخلت إلى القسم، وناديت صادق:

- سخن كدا يا صادق.. لغاية لما ارتب الشنطة، وأنزلك نلعب النهائى.

- مستنيك.

جمعت كل ممتلكاتي وملابسي كلها تحمل رقم 17، وفيما بعد أصبحت  
أنفعل بهذا الرقم.. حملت حقيبتى ووجدت صادق فى انتظارى، رفض تمامًا  
اللعب مع أحد، حتى أعود إليه، فقال له جلال:  
- هو أنتم هتلعبوا على كاس العالم فى الشطرنج؟  
رد أسامة:

- على كاس المستشفى العالمى.

لعبت مع صادق أجمل دور شطرنج منذ لعبنا معًا لأول مرة.. ركزت  
جيدًا فى الدور أكثر من أى مرة لعبت فيها معه، والطريف النفاق أكثر من  
ثمانية شباب حولنا لمتابعة اللعب، ولا أحد يتكلم أو يعلق.. وبدأت أشعر بالفوز  
وقلت لصديق:

- هتعمل إيه فى الحركة دى؟

- ولا حاجة.. بسيطة.

- طيب وفى دى؟

- عادى.

- ودى يا صادق؟

- ها أقول لك مبروك.

وقف صادق، وسلم على بقوة، وأخذنى بين ذراعيه.. وكان الحزن  
جميلًا، وهمس فى أذنى: مش عايز أشوفك فى القسم دا تانى.. سامع واللاً لأ.  
- هتشفونى.. زيارة بس.

- ياللاً يا فريد.. افتح له الباب.. مش عاوزينه هنا تانى.. ياللاً.. امشى مع  
السلامة.. وشنطتك ها ابعتها لك بره.

سلمت على كل الناس، وكأنى مهاجر.. سلمت على أصحابى  
المدمنين.. على الممرضين.. على الحكيمات.. الطهارة.. كل الناس.. وفتح لى  
فريد، وخرجت من الباب وحدى..

توجهت إلى مكتب دكتورة إكرام، لأشكرها:

- يا دكتورة.. إزاي حضرتك؟
- أهلاً يا صلاح.. إنفضل.
- أنا مش ها اعطلك.. أنا جاي أسلم عليك.
- خلاص، هتمشي دلوقت؟
- كمان شوية.. لما أهلى يوصلوا.. بس أنا قلت آجي أشكرك.. أنا فعلاً استفدت من حضرتك كتير أوي.
- أنا عملت اللي على، ومن غير إنت ما تساعدني ماكنش أعرف أعمل أي حاجة.. بس إنت هتيجي كل يوم.. صح؟
- آه طبعاً.. أنا هنا الأسبوع الجاي كله.
- كويس.. علشان نفضل مطمئن عليك.

وتوجهت إلى نجلاء في مكتبها، وبابتسامة حلوة قالت لي:

- كنت هازعل أوي لو كنت مشيت من غير ما تسلم على.
- أنا أقدر برضه.. ذا إنت الخير والبركة والدلع كله.
- هتوحنني، وهيوحنني كلامك الظريف.
- وأنا ها اروح فين؟ بكره هتلاقيني هنا.
- خلى بالك من نفسك.
- شكراً يا نجلاء.

وبعد التحيات والسلامات، حان موعد الجلسة المهمة مع دكتورة عالية:

- لسه خايف يا صلاح؟
- لأ.. أنا مش خايف.. أنا مزعوب.
- ما تخوفنيش معاك.
- يعنى إنت عاوزاني أفضل خايف لوحدى؟
- على فكرة، دكتور وليد كلمني، وقال لي إنه عاوزك.

- عايز ايه بس.. ما يسببني فى حالى.  
- رُوح قابله.. ثم إنتَ وهو خَلاص اتفاهمتوا.  
- بسَ أنا نفسى أفضلَ قاعد معاك.  
- أنا لازم أروح بيتى.. ما إنتَ عارف مواعيدى.. أشوفك على خير إن شاء الله.

- شكرا يا عالية.. إنتَ أنقذتيني.  
- ربنا هو اللى أنقذك.. وأنا ساعدتك بسَ.  
- شكرا يا عالية.. عمرى ما ها أنسى اللى عملتية معايا.  
سلمنا.. وسارت بعيدا فى اتجاه بوابة الخروج العملاقة.. إنها إنسانة رائعة.. ومن يومها أطلقت عليها "اينجل".

وذهبت لرؤية دكتور وليد.. وهناك كانت المفاجأة:

- ايه ده؟ أهلاً.. أهلاً.. ماما هنا؟ ورؤلا كمان؟  
- أهلاً يا حبيبى.. وصلنا، وخلصنا الحسابات، وشكرنا دكتور وليد على كل اللى عمله معاك، ده دين صنعب تسديده.  
فقال لى دكتور وليد:

- خلى بالك من نفسك.. وتحضر الاجتماعات يا صلاح.

- حاضر يا دكتور.

- وبالنسبة للمستشفى يا صلاح؟

- لازم آجى أمضى حضور هنا كل يوم.

- تمام.. ومش ها أوصنك على مامتك وباباك.

قالت رؤلا بابتسامة:

- وأنا كمان يا دكتور.. من فضلك توصيه على توأمه.

ابتسم دكتور وليد، فقلت له:

- دا حضرتك اللي توصيهم على يا دكتور.
- يا ترى سلمت على دكتور سمير؟
- لا.. ها اسلم عليه بكره.. اصل انا عايز اسلم عليه ضيف، مش مقيم.
- خلى بالك من نفسك يا صلاح.. مش عاوزين اى مخاطرات.
- ما تقلقش يا دكتور.
- اشوفك على خير.. مع السلامة.
- شكرًا.

أخذت شنطتى، وخرجنا من المستشفى إلى السيارة.. وفى صوت واحد

حنون.. قالت كل من أمى، ورولا:

- يااااه!!! حمد لله على السلامة يا صلاح.

إلى حد ما استغربت الموقف وأنا عائد مع أمى وأختى إلى البيت..

كنت هادئًا، لا أتكلم إلا ردًا على سؤال؛ فالخوف، والقلق، والرهبة.. مشاعر امتزجت كلها، بعد خروجى من بوابة المستشفى.. خائف، وكأننى مولود صغير، يحبو فى الطريق.. مولود من أول وجديد.

حدثنى قلبى أن أمى عندها تحفظ، لم تعلن عنه بخصوص خروجى

السريع من المستشفى.. ومع هذا، فإنها تكلمنى بهدوء فى محاولة لإخفاء

مخاوفها، بينما كانت فرحة رولا بخروجى واضحة.. وسألتنى أمى:

- عندك برنامج ليومك النهارده؟

- عندى اجتماع الساعة 7:00 فى مصر الجديدة.

- أنا أوصلك، واستناك عند المدرسة، ونرجع سوا.

- بس أنا مش عايز أتعبك يا ماما.

- كدا أكون مطمئنة عليك أكثر.

- ما عنديش اى مانع.



وجدت والدى فى انتظارى على باب البيت.. قلت:

- حمد لله على السلامة يا بابا.

- الله يسلمك.. شكلك منور.. هُمّا عملوك ايه؟

- تقدر تقول زَغَطونى.. شُفت أنا النهار ده 61 كيلو.. احكىلى.. إنبسُطت فى

رحلتك؟ عملت شغل كويس، وانتفتت على مشاريع جديدة؟

- البلد جميلة.. والناس هناك بيتشغل، مش يتلعب.. الظرف ده لك يا صلاح؟

- فيه ايه الظرف دا يا بابا؟

- جواب.. يوميات وخواطر وانت فى المستشفى.

أخذت جوابى من والدى، ودخلت غرفتى.. تغيرت تماما.. كل الصور

التي تغطى كل الجدران، لم تعد موجودة، رفعتها أمى، وتم إعادة دهان الحائط،

وتغير مكان السرير.. ودارت عيناي فى أرجاء الغرفة، وشعرت أن كل شىء

يستقبلنى بحفاوة.. وبدأت لى وكأنها غرفة جديدة، وعندما فتحت الدولاب،

اكتشفت أنه قد أعيد ترتيب كل شىء بداخله.. بنظام وشكله جميل، تبعتنى أمى

كأنها لا تريد أن أغيب لحظة عن عينيها، وبرقة قالت:

- حبيبى.. بعد تنظيف أوضتك، ورمى كل حاجة مالهش لازمة، ذهنا

الحيطان.

- لقيتوا مخدرات!!؟

- لأ.. مفيش غير ورق بفرة.

- يعنى إطمئن.. مفيش أى حاجة فى الأوضة؟! مش ها اضحك عليك، أنا كنت

قلقان من الموضوع ده.. خايف ايدى تقع فى حاجة كدا واللا كدا.

- ماتخافش.. أنا بنفسى راجعت كل "سننيمتر" فى الأوضة والدولاب..

وياللا بينا علشان نتغذى، وتستعد علشان ننزل سوا.

- أنا أكلت فى المستشفى.. ودلوقت أخذ الدش وألبس.. نزل الساعة 6:00

كويس!؟

- كويس جدًا.

استلقيت على سريري.. وبدأت أتأمل كل ركن وزاوية في الغرفة، كأنني أراها أول مرة، إنني عاشق لكل شيء في غرفتي.. كل شيء له ذكرى معي، بعض الذكريات مخيفة وتبعث على القلق.. نظرت إلى الشباك، وباب الشرفة، أيهما يطل على بيت حسام، يا ترى هل هو موجود؟ أين هو الآن، وماذا يفعل؟

بالطبع لن أفتح الشباك، ولن أخرج إلى "البلكونة".. إنها اقتراحات المشرف التي أنفذها كتعليمات.. الحقيقة أن حاتم كان دقيقًا إلى أقصى درجة، تذكرت كلماته ورنينها في أذني، وفي قلبي ورأسي:

- خليك جوّه بيتك.. وما تَعْمَلْشْ أي خطوة تَلْخَبُطْكَ من جِوَّاك.

وكان من اقتراحاته الواضحة والحاسمة أيضًا:

- يعني مثلاً ما تاخُدْش التيليفون في أوضتْكَ.. عندك مكالمة، أعملها من وسط البيت.. افكر كويس، وما تتساش إن إحنا دلوقت ما عندناش أي حاجة نخبيها.

تحركت ببطء داخل غرفتي، وفتحت دولابي لإخراج ملابسِي.. هنا كان مكان الفنجان، وفاكر مكان الليمون، يا ترى هل توجد أشياء مخفية بين القمصان كما تعودت أن أفعل؟ لا.. الحمد لله، أمي فعلاً راجعت كل شيء بدقة.

جلست وبدأت أقرأ خطاب الوالد:

يوميات بيت غاب عنه ابنه

اليوم

يحاول العائدون من حلوان أن يمسكوا دموعهم.. الحزن يملأ قلب السيارة وركابها الثلاثة.. في رحلة الذهاب كنا أربعة والآن نحن ثلاثة.. وصلنا إلى البيت الذي كان يغشاه سكون القبور.. فوق موقد البوتاجاز كان هناك إناء، والنار من تحته مشتعلة.. احترق الإناء بما فيه، وكان يمكن أن يتسبب في

كارثة، فقد نسيناه قبل الخروج.. ربنا ستر.. لم نستطع أن نذوق شيئاً من الطعام فكنا في حالة من السوء، لا يعلمها إلا الله.

## أول صباح

في الصباح فتحت غرفة الإين الغائب وتطلعت إلى جوانبها، ثم دخلت وجلست إلى الفراش الخالي، وانخرطت في البكاء.. لم أكن أدري أن الحياة تدخر لي كل هذا الكم من الحزن والأسى.. كان بهجة البيت ونوارة.. لماذا فعل بنفسه، وبنا هذا؟! أين كان عقله؟ أين كانت إرادته؟! وذروة المأساة أنه يريد أن يلصق بنا التهمة، وأن يحملنا مسئولية خطأ ارتكبه.. وأنا بالذات لأنني أحببته كثيراً ودللته.. هل يوجه إليّ أنا اللوم لأنني أحببت ابني؟!

## السبب

أريد أن أكتب رسالة إلى كل ابن "غاب عقله" ولم يدمر نفسه فحسب، بل وأسرته ومجتمعه ووطنه.. وحين يكون هذا العقل ذكياً رائعاً، ويفقده صاحبه، سوف يحاسبه الله حساباً عسيراً.. الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "ذكاء المرء محسوب عليه".. كيف يفرض إنسان في ذكائه بهذه البساطة؟ إنه كنز رائع، كيف يتخلى عنه ليعيش في الوهم؟! ماذا عندما يفيق ليجد أن كل ما حوله وما ينتظره هو الدمار؟! إننا لم نشعر في حياتنا في هذا البيت بمثل هذا الفراغ، والعقل لا يستطيع أن يفكر بشكل بناء.. عندما كان يسافر لم تكن الأمور هكذا.. ترى هل يسئ بنا الظن، فيتصور أننا تخلصنا منه، لتبرئة أنفسنا؟

## الأحد

أصبح صلاح شغلي الشاغل.. أفتح عيني عليه في الصباح وأغلقهما عليه ليلاً.. ويصحبني طوال الطريق.. وأذكر كيف كانت العمارة كلها تتسبب

إليه، لا لأصحابها.. يقول أطفال الحى: عمارة صلاح.. وبيتنا أصبح بيت صلاح، وأمه أصبحت أم صلاح.. أخو صلاح.. وتوأم صلاح.. أين هو صلاح الآن؟! السلم يسأل عنه، والباب، والشارع، والبيت.. نريد وجهه الصبوح الباسم ومشيته المتألقة النشطة وسيارته الأنيقة.. نريده بشدة.. وبالذات اليوم.. يوم ميلاده.. عيده.. كان يجب أن يمتلئ البيت بصلاح وأصدقاء صلاح.. لم يكن صلاح هنا.. ولا الأصدقاء.. ولا نحن.. لا أحد.. الدموع فى عيوننا.. فى مطبخنا الذى كان يجب أن يحتشد بالتورته، وفى الصالة التى امتلأت يوماً بباقات الزهور.. وغرفته: إنها خالية.. ليس بها حياة دونه.. لماذا حرمها اليوم من وجوده؟ لماذا أشاع كل هذا الحزن فى المكان بغيبته؟! أين الشموع؟! والحلوى؟ والأغاني؟ وعبارات: كل سنة وأنت طيب؟

لا.. هو ليس بطيب لأنه فعل ما فعله بالجميع، وفى مقدمتهم نفسه.. لا نريده أن يقسو عليها، لكننا نريده أن يستردها: متألقة.. لن يهنا لنا طعام أو شراب إلا بعودتك: سالما معافى.. البيت يبكى.. عد إلينا شامخاً مرفوع الرأس، كما كنت قبل سنوات.

### الأثنين

تحمل المسؤولية فى رجولة وشجاعة.. واعترف بمرضك.

### الثلاثاء

بنا رغبة فى أن نراك.. لقد بدأت رحلة العلاج من مرض امتد لسنوات، ويحتاج إلى وقت، لكننى معك وبجانبك، سائلا المولى عز وجل أن يمد فى عمري لكى أمضى عن الحياة بعد أن أطمئن عليك.

## الأربعاء

ترددت طويلاً في قبول هذه الرحلة.. ترى كيف يكون الأمر وأنا بعيد؟ سأذهب إلى إسبانيا بعض الوقت.. فليكن الله معي، ومعك.. أعرف أنك تحبني ولن تخذلني، وستكون رجلاً ذا إرادة حديدية بإذن الله، وتقهر المرض مهما صادفك من عذاب.. دعواتي لك وإلى أن أعود، لكي أجد تقدماً بفرحني.

## الخميس

بدأت إعداد أوراق السفر وعقلي يسأل: هل حقاً فقدت لك للأبد؟ أأن يكون باستطاعتى استعادتك؟! هل سأستعيد ابني، ذلك الإنسان القوي الطموح، صاحب الإرادة، والذي يصمم على الشيء، ويلج إلى أن يحققه. هل ألتقي بالفشل والهزيمة في نهاية العمر؟! أظنك لن ترضى لي بذلك، ولن ترضاه لنفسك. سنضع أيدينا معاً، ونمضي معاً في طريق يغمره النور. ليبتني أقدر على التضحية، ولو بحياتي، من أجل أن تخرج من محنتك.. أخرج، وأخرجني معك.. أرجوك.. إنك في تحدٍ مستمر.

كيف السبيل لكي تصبح وتظل قويا؟

استدعي إرادتك وقوتك.. مازالت الفرصة أمامك.

لا تظن أنني إذا تدهور بك الحال، ووصل بك إلى الأرصفة، أنني سأمد يدي إليك.. لن أعطف عليك، ولن أتعطف معك، بل سأتركك للموت.. إحدرك أن تستغل لحظات أظهرت فيها عطفاً عليك وتفهماً لضعفك، إذ إنني بحمد الله قوي في مواجهة عواطفى، وإنى قادر على سحقها وسحق قلبي، قبل أن أخطو خطوة واحدة تجاه قبول وضع خاطيء لا أرضاه لك، ولا ترتضيه لنفسك.. وإذا كنت قد كافحت معك لكي أحملك إلى المستشفى، فذلك لأن أملاً يدفعني إلى ذلك، أما في حالة فقدان الأمل فيك، سأعتبرك قد انتهيت.....

أنت لن تغادر المستشفى إلا سليماً معافى، بإذن الله.  
لن تعود إليها مرة أخرى إن شاء الله!  
أريدك نظيفاً: عقلاً ودماً وجسماً.. أريدك طاهراً نفساً وقلباً.

### يوم السفر

فى مطلع الليل، صحوت على كابوس رأيتك فيه على أسوأ حال..  
وعندما صحوت مع الفجر نسيت الكثير منه، كما تمنيت.. لقد صمدت فى  
معارك كثيرة فى حياتى، ولست أريد أن أنهار إزاء هذه المعركة.  
خدعتنى طويلاً. لا، وألف لا.. سأحاول بينك وبين أن تمتد يدك إلى  
شئ ليس لك.. ولن أخاف الناس يومئذ، لأننى أريد أن أحافظ على الباقين، إذا  
كنت مُصرّاً على أن تسيء إلى الجميع.  
لا تتسرع أبداً فى طلب الخروج من المستشفى، ثم تعاود سيرتك  
الأولى، وأقولها لك بوضوح: لن أمكنك من ذلك.. مهما حدث، لن يصل إلى يدك  
مليم واحد من مالى الحلال لتصرفه على الحرام.  
كثيراً ما أسأل نفسى: لمن تكتب هذا؟ هل أكتب هذه الكلمات لتبرئة  
نفسى؟ لأساعدك؟ لأهرب من المأساة إلى الورق؟ هل هناك أمل؟!  
يارب.. يارب.. يارب..

ذهبت إلى والدى فى غرفة مكتبه.. حضنته وقبلت يديه.. كانت أول  
مرة أفعلاها فى حياتى.. نظر إلى، وقال:  
- إنت أكثر واحد حبيته فى حياتى.

دخلت إلى الحمام، القفل كسرتة أمى حتى لا أقفل الباب من الداخل،  
ومن الواضح أنها فضلت ألا تعيد تركيبه، وبقي الحال على ما هو عليه.. وبعد

الدش رجعت إلى غرفتي، وجاءتني رولا بالشيكولاته وابتسامة كبيرة مثل اتساع السماء، وقالت لي:

- نُورَت البيت.. قل لي.. مبسوط؟

- مبسوط.. بس خايف.. أنا عايز أرجع المستشفى تاني.. هناك كنت مطمئن.

- ليه بس؟ إحنا مش عاوزينك تبعد عنا تاني أبدًا.. من سنين وإنْت بعيد.. ومَا صدَقْنَا إنك رجِعت.

خرجت مع رولا من غرفتي إلى "الريسيشن"، وبنظرات سريعة تأملت البيت، وسيطر علىّ في هذه الدقائق إحساس غريب، كأنني في غربة، وأن هذا البيت ليس بيتي، وأنني لا أتحرك فيه بحريتي.. ومع دقائق الساعة السادسة، قلت:

- ياللا بينا يا ماما ننزل، مش عايز أتأخر على الاجتماع.

- أنا جاهزة.

# عيون قارئ



## رعب

خرجت مع أمي.. كانت هي تقود السيارة، وأنا أجلس بجانبها، وكأنني طفل صغير يخرج مع والدته.. كل شيء يوحى لي بأنه ميلاد جديد، وأنني أجدد ولادتي وحياتي.

اتجهنا إلى مصر الجديدة، ودخلت الاجتماع في الموعد بدقة، أو ربما قبل الموعد بخمس دقائق، ووجدت خالد يعيد ترتيب القاعة، ويعاونه شادي، ودخلت لمساعدتهما، وضعت الكراسي في أماكنها، وأخرجت كتب "المدمنين المجهولين" ووضعتها على المائدة، وبدأ الاجتماع والمشاركات.. تحدثت قائلاً:

- أنا خرجت النهارده من المستشفى.. وخايف جداً.. كنت باحارب علشان أخرج من المستشفى، ودلوقت، وبمنتهى الأمانة أنا عايز أرجع المستشفى تاني.. القلق اللي جوأيا رهيب.. دا أنا خايف أعمل أي حاجة في البيت، خايف أتحرّك.. الأوضة بتاعتى مرعبة.. كل حاجة فيها بتفكرني بالضرب، رغم أن أمي غيرت معالمها.. بس برضه مفيش فايده.. أنا مش عارف أعمل إيه؟! الحمد لله إني راجع المستشفى بكره.. أنا حاسس إن جوأيا بركان خوف، وعلى وشك الانفجار.. أمي وصلّنتي، وميستّيانى برّه في العربية لغاية ما يخلص الاجتماع.. إحساس وحش أوى إنها متذبذبة كده.. وإحساس أوّحش إن أمي جت معايا علشان تحرسني.. طفل صغير خارج مع مأمته.. دا وأنا عمري 15 سنة كنت عايش مع أصحابي برّه البيت.. ما علينا.. مع كل اللخبطة اللي بتحصل جوأيا، أنا يومي ناجح 100%، وعلى رأي المشرف بتاعى أهم حاجة إني مبطل، وأنا الحمد لله مبطل.



بعد الاجتماع، أبدى كل الناس إعجابهم الصادق بمشاركتي، وقال كل

منهم كلمتين لغرس الاطمئنان في قلبي وعقلي، وصارحني سليم بجملة قوية:

- أنا كنت متخيل إنك بتمثل علينا، وماكنتش متخيل إنك جاي اجتماع النهارده،  
ومش ها أقدر أوصف لك سعادتي ببيك أد إيه.. خذ تليفوني، وهات نمرتك..  
لازم تكلمني بكره الصبح بذري، ندرّيش سوا.

أسرعت إلى السيارة لإحضار الكشكول الجديد، الذي طلبه حاتم.. ولكنه

قال لي:

- بلاش النهارده.. أنا عايز أتعرف على مامتك وأسلم عليها.

وقابل أمي، وقال لها:

- أنا حاتم.. أنا مشرف صلاح.

- إزيك يا حاتم؟ الحقيقة أنا مش عارفة أقولك إيه، وأشكرك إزاي؟

- أنا ما عملت حاجة.. هي فترة صعبة، وكلنا عندنا أمل كبير إنها تعدّي.

- يارب يا حاتم.

- أقترح على حضرتك، من بكره صلاح ياخذ 10 جنيه في اليوم.. مواصلات،  
وعلبة سجاير، ولو مش كفاية.. مش مشكلة أبدا.. يرجع ماشي.

- يعنى أسيبه يتحرك لوحده؟

- طبعا.. حضرتك عملت اللي عليك وزيادة.. وهو لازم يتحرك لوحده.

- أوكيه.. اللي إنت تقوله، أنا ها اعمله.

- ياللا يا صلاح.. مع السلامة علشان ما تتعيش مامتك أكثر من كده.

- لا.. أنا مش تعبانة خالص.

- كلمني يا صلاح أول ما ترجع البيت، ومن النهارده لنا مكالمتين في اليوم،

مش مكالمة واحدة.. واحدة الصبح تصبّح فيها علي، والثانية بالليل تقفل بها

اليوم.. اتفقنا؟

- اتفقنا.. سلام يا حاتم.

- مع السلامة يا طنط.

- أنا مش عارفة أقولك إيه.. وشكرًا مش كفاية أبدًا.

- أنا اللي باعمله دا هو نفس اللي إتعمل معايا، وهو نفسه اللي صلاح هيعمله  
قُدام شوية.

- إن شاء الله.

وفى الطريق إلى البيت، حكيت لأمي عن أيامي فى المستشفى، وعن  
الاجتماعات، وكعادتها استمعت إلیّ باهتمام، وكأنها تحفر كل كلمة فى ذاكرتها،  
وأحسست أنها تحدث نفسها قائلة: وداعًا للحرب، والغد خير من اليوم.. وكل منّا  
دخل غرفته، وفتحت رسالة أبى، وقرأتها للمرة الثانية.. رسالة قوية وخطيرة..  
حكى وشرح أشياء كثيرة لم تخطر لى على بال من قبل، ولثانى مرة أركز فى  
الوجه الآخر للموضوع، ولوجه النظر الأخرى.. هو مهندس لا يشغله إلا البناء  
والعمار وال عمران، وأنا لم يشغلنى إلا الهدم والدمار.. تأثرت بكلماته، وبكيت  
كثيرا، بسببها.. وأخذت أفكر:

- إيه اللي أنا عملته ده؟! أنا صحيح بهذلت الدنيا.. واستغلّيت حبه أبشع  
استغلال.. لما أكلم حاتم، ضرورى أقول له على جواب بابا.. وأسأله أعمل إيه  
فى الجوابات اللي أنا كتبتها لأهلى، وطلبتة، والحمد لله ردّ على تليفونى، وقال:

- ولا حاجة.. الجوابات دى مش لأهلك.. والإعتذار هيحصل وييجى بس مش  
دلوقت.. الجوابات دى لك إنت علشان كل شوية تقراها، وتفكر إنت كنت عايز  
تقول لهم إيه من جوّه المستشفى، ولما تطلع برّه، هتعالجهم إزاي.. أصل إحنا  
بننسى.. ولازم حاجة تفكرنا.

- أعمل إيه يا حاتم فى الخوف اللي جوايا؟

- ولا حاجة.. شعور طبيعى.. كلنا بنخاف.. بكرة تزجع المستشفى، وتقضى  
اليوم كله هناك.. وبعد بكرة نتقابل فى اجتماع مصر الجديدة.. هات معاك  
الكشكول، ولنا قعدة مع بعض طويلة شوية، نشوف كنا فين، وإحنا فين دلوقت،

ونعمل جَدُول اليوم، وِجْدُول لكل يوم.. ياللاً ارجع وامسك الكتاب، واقرا الخطوة الأولى بتركيز، واقرا كل اللّي كَتَبْتَهُ.. وبكره تَعْمَل كده تانى.. ويوم السبت بعد الاجتماع نراجع الخطوة الأولى مَع بعض.. إقرا الجوابات قبل ما تمام.

بعد الحديث التليفونى مع حاتم.. نفذت كل ما طلبه منى بدقة، وحوالى الساعة 11 تناولت وجبة العشاء مع أمى، وسعدت كثيراً باتصال كريم من خارج مصر لتهنئتي بالخروج من المستشفى، والعودة إلى البيت، وعدت لاستكمال قراءة الجوابات.. قرأت ما كتبتّه!!

فى تلك الليلة لم أنم جيداً.. الأرق غير عادى.. وأخيراً نمت .. لم أنم قبل الساعة الثالثة والنصف، وصحوت الساعة 6:30، ولم أجد من أحاوره إلا نفسى:

- ليه يا صلاح تصحى بذكرى كده؟ وصاحى مِفْجَل كأنك نمت 10 ساعات؟! بدأت يومى، مثل كل يوم بالدعاء.. قرأت فى الكتاب، وبعد الدش ارتديت ملابسى، وتناولت إفطاري، وصباح الخير لوالدى ووالدتى.. والساعة تشير إلى السابعة والنصف، وأصبحت على أتم الاستعداد للذهاب إلى المستشفى، ولأول مرة سوف أخرج وحدى.. وحدى تماماً.. قالت لى والدتى:

- وأدى 10 جنيهه.. تركب أتوبيس من الزمالك للتحريير، ومن هناك تاخد المترو، وترجع بالمترو، وتمن علبه السجاير.

- تمام.

- ممكن تكلمنى أول ما توصل المستشفى؟

- حاضر يا ماما.

- وتكلمنى قبل ما تمشى من المستشفى؟

- حاضر يا ماما.

وعندما وصلت إلى المستشفى، وقفت أتأملها، وخطوت إلى بابها، دخلت.. وكأننى أدخل إلى أجمل مكان فى الدنيا.. هو المكان نفسه الذى تمنيت

الخروج منه بسرعة.. وشعرت وأنا أمشي خطواتي الأولى فيه بكامل إرادتي..  
إنني أسعد إنسان في الدنيا بعودتي إليه سليماً، معافى، دخلت الاستقبال..  
وكالمعتاد، لا بد من التفتيش.. قابلني صادق قائلاً:

- أهلاً.. أهلاً وسهلاً.. معاك إيه؟

- معايا شطرنج.

- يعني مفيش مخدرات؟

- مفيش مخدرات.

- اتفضل.

لم يكن التفتيش بدقة، ولكن مجرد أداء واجب.. وأكمل صادق حديثه  
معى قائلاً:

- الدكتور وليد قال مش هتعمل تحاليل النهارده.. بس هتعمل بكره.

- يا سلام.. خوفتي.

- مانتساش ميعاد الصلاة.. النهارده الجمعة، نصلى سوا.

- حاضر.

تحركت في المستشفى كما أريد.. وبكل حرية.. كنت في قمة السعادة،  
عندما دخلت القسم، وسلمت على الشباب، وجلست معهم بعض الوقت، وجهوا  
إلى الدعوة لحضور اجتماع الساعة الرابعة.

كان اللقاء مع الدكتور وليد لطيفاً، وتحدثت مع دكتورة إكرام عن  
الاجتماعات، وعن مشاركاتي المستمرة، ثم قابلت نجلاء، وامتدحت أناقتها  
وجمالها.. وكلمات المديح والإطراء تسعدها، وتتمايل في خجل تمثيلي واضح،  
ومن حين إلى آخر كنت أجمالها بكلمات لطيفة، إذ كيف أنسى جهودها في  
مساعدتي.

وكنت أهوى مشاغبة الممرضات.. ولقد كان الأدب والخلق الكريم يميزهن جميعاً، ويعملن جميعاً بهمة، وذمة.. وبكل الصبر مع الجميع عند إعطاء الأدوية، ومتابعة تعليمات الدكتور والإدارة.

ولم يفتنى التوجه إلى مكتب الدكتور سمير، وفي غرفة السكرتارية انتظرت حوالي 20 دقيقة، ومن الطبيعي أن يحدث هذا، لأنه لم يسبق تحديد موعد لمقابلته، واستقبلني بحفاوته الرقيقة والراقية:

- إزيك يا صلاح.. ها.. أخبارك إيه؟

- إمبراح كان أول يوم فى البيت، والحمد لله عدى كويس.

- مُمتاز.. والاجتماعات؟

- حضرت اجتماع إمبراح فى مصر الجديدة، والنهارده فيه اجتماع هنا كمان شوية، ناوى أحضره.. ناوى أو اظب.. ماعنديش أى اختيار تانى.

- طبعاً معندكش.. لو عايز تفضل مبطل.

- أنا جيت أشكرك، واسمح لى أعدى عليك كل فترة.. وأوعدك مش ها اعطلك.

- أنا مكتبى على طول مفتوح.. وأحب أشوفك دائماً، علشان أطمئن عليك.

- شكراً يا دكتور.. وعن إيدك.

- مع السلامة.. خلى بالك من نفسك.

إنه يعبر عن نفسه بأقل الكلمات، وكان فى عقله جهازاً آلياً منظماً، وكل كلمة محسوبة ولها معناها وفى الصميم.. إنه عالم، ورجل محترم، والجانب الإنسانى لديه يطغى على كل الجوانب، بما فيها جانب المكسب المادى من مثل هذا المشروع، وهو أساساً صاحب ضمير يقظ، ويبدو هذا واضحاً فى كل قراراته.

فى الموعد، وصل الشباب، وأحسنت استقبالهم كأنهم ضيوفى شخصياً، وفى جلسة صداقة حميمة، جلسنا نضحك ونتحدث بجدية، حتى بدأ الاجتماع الذى أداره خالد، وكان "القاع" موضوع الاجتماع.

وبدا خالد:

- القاع موضوع جميل.. تشاركنا يا شادى؟

- بصراحة أنا عايز أسمع..

- أمجد؟

- أنا مدمن.. واسمى أمجد.. دا فعلاً موضوع مهم، أنا واحد من الناس اللّى معرفتش القاع غير متأخر أوى.. بطلت، وعدّيت 90 اجتماع، وكنت لسه مش عارف، ولا فاهم.. ومن مشاركات الناس، تخيلت إن القاع لازم يكون إما السجن أو المستشفى، أو المرض، أو الموت.. فهيمت بعد فترة أن القاع بالنسبة لى كان الخوف، والقلق، والرعب، والسواد اللّى كنت عايش فيه..

وتكلم سليم فى الموضوع نفسه، وقال:

- سليم.. مدمن.. الحمد لله إن أنا مبطل وموجود وسطكم النهارده.. أنا القاع بتاعى كان واضح وصريح.. كلبوش.. إتمسكت وقضيت أبشع أربع أيام فى حياتى.. فى الأيام دى ضربونى فى القسم ضرب على كيف كيفك يا باشا.. لما إتمسكت كان لازم أكون عاقل وأسكت.. المصيبة إنى عشت فى دور الصّايغ، واتخانقت مع الظابط.. طبعاً نزلوا فى ضرب وفين يوجعك.. متهيا لى إن القسم كله عملى تسليته.. كان فاضل الظابط يبعث الناس اللّى جاية تعمل محضر ضياع بطاقة أو رخصة قيادة، واحد ورا التانى يمسوا علياً ويضربونى قلمين.. وصرخت بأعلى صوتى: فيه إيه يا جدعان؟! هو كله ضرب، مفيش شتيمة.. وبعدين هو مفيش حد غيرى فى القسم واللا إيه؟ كان ظابط مفترى.. نسيت أقول لكم إنى اتمسكت فى الماكس، فى إسكندرية.. يعنى فى بلد تانية خالص، وأهلى عرفوا بعد يومين.. يومين كارثة.. بهدلة بنت "....." وكان هو ده القاع، وكان السبب إنى أراجع نفسى.. وفعلاً ابتديت أفكر إنى لازم ابطل.. وجيت الاجتماعات وسمعت الكلام ونفدته..

ثم شاركتُ قائلاً:

- قبل ما أتكلّم عن القاع، عايز أتكلّم دقيقة عن السعادة اللي أنا فيها، وأنا قاعد فى الاجتماع هنا فى المستشفى.. أنا فعلاً كنت مُفتقد الأمان والاطمئنان والهدوء.. لما رجعت البيت، طاردتني هواجس الدنيا، وشعرت بالراحة لما وصلت المستشفى.. بصراحة، أنا مش عايز أبعد عن المستشفى.. هنا مكانى المظبوط... الكرسى اللي أنا قاعد عليه بتاعى أنا.. واستحقّه.. أنا ناوى آجى هنا كل يوم الصبح، وأقضى اليوم كله فى المستشفى، وبالليل أروح الاجتماع فى مصر الجديدة.. أما موضوع القاع، أنا بصراحة لسه مش عارف القاع بتاعى إيه.. بس أعتقد إنه المستشفى.. أو أقدر أقول مبدئياً المستشفى.. واحد مقفول عليه أوضة وصالة لمدة 6 أيام، وبعد كده يروح مكان تانى، ويكون تحت المراقبة طول الوقت.. وكل حاجة بحساب، دا حتى مكالمة التليفون بحساب، اللبس يدخل ويتفتش، وأخذه بعد التفتيش.. والناس بتعاملنى كأنى واحد مجنون.. هى دى أول مرة أدخل فيها مستشفى.. بس مش معنى كده إنى لازم أدخل عشر مرات؛ علشان أفهم اللي أنا فهمته.. بصراحة، أنا ناوى استغل ذكائى فى إنسى أبطل..

بعد الاجتماع وصلنى سليم إلى البيت، وعند الباب قال لى:

- أقولك بصراحة، أنا تخيلت إنك هتخرج من المستشفى وميش هانشوفك تانى.

- بجد يا سليم!؟

- شوف يا صاحبى.. الكتاب بيقول ما ينفعش نحكّم على بعض.. وإنت قررت تبقى موجود معانا، ودا عكس ما تخيلنا، ودلوقت كلنا مَبسوطين منك، وحاسين إنك فعلاً أمين فى كل مشاركاتك.. خليك معانا.

إن وقع مثل هذا الكلام المشجّع يرفع من حالتى المعنوية، وشكرت سليم الذى تحمل عناء توصيلى إلى بيتى.. وفورا رفعت السماعة وكلمت حاتم

وحكيته له تفاصيل أحداث هذا اليوم الناجح، ومدى شعوري بالسعادة لأننى مبطل، واتفقنا على اللقاء فى اجتماع اليوم التالى.

لم تكتمل روعة هذا اليوم بسبب عدم لقاء الدكتورة عالية، فى يوم الجمعة أجازتها الأسبوعية.. وفيما عدا هذا، حقا كنت سعيدا، وأعطيت لأمى ما تبقى معى من مصروفى اليومى، ودخلت إلى غرفتى للقراءة قبل النوم.

بصراحة، فى تلك الليلة، وبعد قضاء هذا اليوم الجميل فى المستشفى وزيارتها لأول مرة بعد خروجى عمليا منها استطعت النوم بلا معاناة، واستيقظت مبكرا، وأخذت 10 جنيهات من أمى، وتوجهت إلى المستشفى من جديد. هناك قضيت يوما آخر جميلاً.. وكان لى لقاء مفيد مع الدكتورة عالية.. بكل الصبر استمعت إلى مخاوفى، وحالة الرعب التى مررت بها، وصارحتها بأن مخاوفى لازالت مستمرة، وحدثتها عن غرفتى التى تغيرت ملامحها، وعن الشباك الذى خشيت أن أفتحه، وأيضا عن "البلكونة" التى لم أقرب منها خلال إجازة نهاية الأسبوع.

فى هذا اليوم حضرت اجتماع دكتورة إكرام، لقد استفدت كثيرا من حضور اجتماعاتها.. ثم تجولت فى أرجاء المستشفى بحرية تامة.. حقا ما أروع الإحساس بالحرية، واليوم أستطيع أن أعلن أننى إنسان حر.

عندما عدت إلى بيتى كانت معى خمسة جنيهات، فطلبت من أمى منحة

إضافية:

- يا ماما.. أنا مفيش معايا غير 5 جنيه وعايز 10 جنيه كمان.
- لا.. 5 جنيه بس.. إنتِ اشتريت سجائر النهارده الصُّبح.
- إزاي يا ماما 10 جنيه تكفى؟! التاكسى لمصر الجديدة 6 جنيه، والرجوع 6 جنيه، 10 جنيه مش كفاية.
- حاتم قال 10 جنيه، يبقى 10 جنيه.. أنا بانفذ كلام حاتم.
- طيب يا ماما.. وأنا موافق..



خرجت إلى الاجتماع، ودفعت 6 جنيهات للتاكسي، ووصلت في الموعد، واستمتعت بسماع المشاركات، وبقينا بدأت هذه الاجتماعات تؤثر إيجابيا، وتحرك الأفكار في رأسي بدرجة تصل إلى حد الانسجام والتكيف مع كل شيء جديد، فإنها تضيف إليّ، وتعلمني الجديد الذي لم أكن أعرفه عن النفس، أو عن إيماني.. من خبرة هذه المجموعة التي تجتمع في القاعة تعلمت كثيرا، بل واكتشفت أجمل شيء في الدنيا.. إنه ما من أحد لديه مشكلة، وشارك بها الآخرين إلا وتقاتلوا في مساعدته، وربما مر بعضهم بظروف مماثلة، أو واجه مشكلة مشابهة، واستطاع التغلب عليها.. فإنه على الفور وبلا تردد يحكي تجربته، وكيف تجاوز المشكلة، ويقدم له الحل بين يديه، وبكل بساطة.. وبطبيعة الحال، عندما يفكر الإنسان وحده، لن يصل إلى النتيجة أو الحل السليم، مثلما يفكر معه 6 أو 7 أشخاص، وهم جميعا يحبونه بصدق، ومن غير سبب.. حب لله في الله.

وبعد الاجتماع كالمعتاد جمعتني جلسة مع حاتم، بدأتها بقولي:

- موضوع الـ 10 جنيهه دا مش ها ينفع يا حاتم.. أنا مقيش معايا فلوس علشان ارجع بيتنا!!

- ليه؟ في جيبك كام؟

- 4 جنيهه بس.. تصوّر!!

- محلولة.. خذ أتوبيس لغاية التحرير.. ومن التحرير خذ أتوبيس تاني للزمالك.

- أتوبيس يا حاتم؟!

- إيه؟! ماركيتش أتوبيسات قبل كده واللا إيه؟

- طبعا ركبت.

- خلتنا في المهم.. الخطوة الأولى.. وريني كتبت إيه؟

قرأنا معا ما كتبته، وما مر في حياتي أثناء التعاطي.. ملخص في

5 صفحات..

وانتظرت تعليقه باهتمام:

- إنا كده مُتفقين يا صلاح.

- متفقين على إيه؟

- إنك مُدمن.. وما تَقْدُرْش تَضْرِب.. فَمَشْ هاتضرب النهارده.. وعاجز قدام الإدمان ومش عاجز كبنى آدم.. دى أول حاجة.. وتانى حاجة إن حياتك انمّرت.. وإنا لازم نبنيها من الأول وجديد.. تمام.. اللي بعده.. من بُكره تَقْرأ الخطوة الثانية، وتكلم الناس تشاركهم فيها.. كل واحد يشاركك بخبرته فى الخطوة الثانية.. ورَبِّنى البلوك نوت.. إيه ده؟ إنا مَآكْتَبَاش الأساسيات!!  
الناحية الثانية من البلوك نوت نكتب فيها الأساسيات:

- \* الدعاء الصبح أول حاجة.
- \* القراءة فى الكتاب.
- \* التأمل.
- \* نكلم 3 من المجموعة كل يوم، تشاركهم وتتعلم منهم.
- \* 90 اجتماعًا فى 90 يومًا.. 5 دقائق تأخير، هتجد من الأول وجديد.
- \* الكتابة كل يوم على الأقل نص ساعة.. كل يوم نتفق هنكتب إيه اليوم اللي بعده.
- \* قراءة الجرايد.. على الأقل جريدتين.
- \* مشاهدة أحداث 24 ساعة.
- \* تمشى حوالى 20 دقيقة فى اليوم.
- \* تتفرج على الشوارع وتشوف الإعلانات، وتدبني رأيك فيها.
- \* مكالمتين كل يوم للمشرف.
- \* مفيش خروج مع حد مش مبطل أقل من 6 شهور.
- \* ماتسلمش على ناس بتضرب، ولا كأنك شايفهم.
- \* عشرة جنيهات.

- طَيِّبْ خَلِيهِمْ 15!؟

لم يرد وكأننى لم أتكلم، وأكمل كلامه قائلاً:

\* كِتَابَةٌ مَاتَم تَنْفِيذُهُ فِي آخِرِ الْيَوْمِ.

\* الدَّعَاءُ وَالشُّكْرُ لِرَبِّنَا قَبْلَ النَّوْمِ.

لو عملت المكتوب ده زى ما هو، هتفضل مبطل.. ماتفاصيلش..  
وَمَاتَكْسَلَشْ.. وَمَا تُطَنِّشْ.. المرض بتاعنا مكار، وخبيث، وقوى.. وعمرك  
ما هتعرّف هو جابلك مبنين.. فما ينفعش بدي له أى فرصة يلاعبك.

تقدمت فى البرنامج وبدأت قراءة الخطوة الثانية:

"توصلنا إلى الايمان بأنه قوة أعظم من أنفسنا باستطاعتها أن تعيدنا إلى  
الصواب".

بعد الجلسة مع حاتم، عرفت من الشباب أنهم مدعوون إلى بيت سليم  
عشان يلعبوا كوتشينة.. وفهمت من الحديث أنها سهرة كل ليلة بعد الاجتماع..  
وعندما وجه لى سليم الدعوة بالذهاب معهم، شعرت بأننى أسعد إنسان فى  
الدنيا.. أنا أصلاً أحب الكوتشينة جداً، لكن الأهم أنهم مجموعة أصدقاء  
محترمون، وتمنيت أن يقبلونى صديقاً لهم، وكان فيما يبدو أن لديهم الرغبة  
نفسها، وأن المشاعر متبادلة، ولكن المشكلة أننى لم أقل لأمى..

لكن حاتم جاء بالحل.. وقال:

- أول ما نوصل بيت سليم، كلم مامتك فى التليفون.. لو وافقت خير،  
ولو رفضت تاخد بَعْضُكَ وَأَحْلَى أُتُوبِيسْ يا معلم.

ومن بيت سليم كلمت أمى، وقلت لها إننى عند سليم، وأعطيتها رقم  
تليفونه.. ومعى فلان، وفلان، وفلان، وهى خلال تلك الفترة عرفتهم بالاسم:  
واحد.. واحد.. وكانت تظمن عندما تسمع اسم حاتم، وعندما عرفت بوجوده  
طلبت منى أن تكلمه للسلام عليه، وكلمته فعلاً، وإن كانت فى الواقع لا تريد فقط  
السلام عليه، ولكنها تريد أن تتأكد من صديق كلامى.

قضيت ليلة من أجمل الليالي في عمري كله.. ليلة صافية، كلها ضحك، ومرح، ولعب كوتشينة، وفي موعد العشاء، طلبوا العشاء، واعتذرت بأننى سأتناول العشاء فى البيت، وحقيقة الأمر أنه ليس معى من النقود ما يكفى لمشاركتهم فى طلب العشاء.. فكيف أجرؤ؟! لكنهم لم يبخلوا.. عملوا حسابى، فالوضع بالنسبة لهم واضح ومفهوم.. وتقديرا للموقف، تصرفوا ببساطة مذهلة، وبشكل طبيعى، وكانهم لم يفعلوا شيئاً غير عادى.. الذى يحدث لى هو ما حدث لهم من قبل.

تناولت معهم العشاء.. أكلت وضحكت ولعبت بولة "استميشن".. ولأول مرة منذ زمن بعيد أعيش يوماً جميلاً وطبيعياً وسط مجموعة من الأصحاب.. وأى أصحاب، إنهم مثلى تماماً، خاضوا التجارب نفسها، وأشعلوا الدنيا نيراناً، ومن قلبى انطلقت ضحكاتى التى استمرت على مدار الليلة، ودون تعاطى مخدرات.. لقد تعودت طوال الـ 12 سنة الماضية، لعب الكوتشينة وأنا "منسطول" وفى هذه الليلة، لعبت وأنا يقظ تماماً لكل شىء.. ليس هذا فقط، وكسبت جولات، وجولات.. ومن بين تعليقاتهم الحلوة المشجعة:

- دا إنت حريف!!

- مش تقول من بنرى!! أهلا بيك عندنا.

- كُنَّا على طول بندور على رابع.. كذا اتحلّت.. أصل كل مرة نتجمع، يُبقَى واحد منا مشغول، وتقف على ثلاثة..

قال خالد:

- باقولكم ايه.. بكره عندى.. وإنت يا صلاح لازم تيجى.. وقول لمامتك من قبل ما تيجى الاجتماع، وادبها تليفونى، علشان تتكلم فى أى وقت.. إديها الأمان يا معلم.

مرت الأيام.

ومر الأسبوع الثانى.. والثالث.. والرابع..

وجاء الاجتماع الذي احتفل فيه بشهر كامل "تَبْطِيل" .. فقال شادي:

- فيه حد بيتَحْتَفِلُ بأى مُناسبة النهارده؟

رفعت يدي .. قلت:

- شهر ..

تصفيق بحرارة .. وشاركت قائلاً:

- صلاح .. مدمن .. الحمد لله إني هنا .. ومبطل النهارده .. اتعلمت وفهمت معنى

الجملة دي من سليم .. دايم بيتدى بيها مشاركاته .. ياااه!! أنا مش مصدق ..

مر شهر كامل وأنا فعلاً مبطل!! مش بس مبطل، دا أنا مبطل ومبسوط .. مش

ممکن!! دا فعلاً حلم .. حلم بالنسبة لى أغرب من الخيال كمان ..

أول حاجة، قبل أى حاجة، أنا مش عارف أشكر الناس اللى ساعدتنى

إزاي؟ مهما قلت مش ها اعرف أوصف أنا مدين لهم بايه .. وقفوا معايا ..

ساعدونى .. شرحوا لى .. صيروا على .. وصَلُّونى .. أكلونى .. شربونى ..

ضحكونى .. علمونى .. فهمونى .. أنقذونى ..

مش عارف أقول إيه للمشرف بتاعى؟! أشكره إزاي؟! شاركته بكل

اللى بينط فى دماغى فشال عنى دوشة غريبة .. طبعاً الدنيا فى البيت أهذا

100 ألف مرة .. الحريقة إتسيطر عليها، والنار اطفيت .. فيه آثار دُخان، ودا

شئ طبيعى، لأن الحريقة كانت بصراحة جامدة .. العشرة جنيه هاتجتنى .. بس

مفيش مشكلة عارف أتعايش مع الموقف .. حالة أهلى أحسن بكثير .. أمى مش

مصدقة نفسها .. أختى رجعت تضحك تانى .. وأخويا فرحان بس خايف .. أما بابا

فهو راجل كوميدى، وفى دنيا تانية، وشايف إنى الحمد لله خفيت وبقيت كويس،

وقال لى:

- ما خلاص يا صلاح .. كفاية اجتماعات، وما تضيعش وقتك أكثر من كده.

ردت أمي:

- لا.. لا.. لا.. بلاش اجتماعات إزاي؟ بأقول لك إيه.. خليك إنت في شغلك، ومشاريعك، وسيب لنا إحنا الموضوع ده.

- حاضر.. بس لغاية إمتي؟!!

استمرت مشاركتي، وكل المجموعة تستمع باهتمام، وأكملت حديثي قائلاً:  
- اللي أنا حاسه ونفسي أعمله بعد شهر تبطل، إني أمسك يافطة وأمشي في الشوارع.. وأقول: يا مدمنين إحنا طلعا مرضي ومش مجرمين.. يا ضرييه فيه تبطل.. والله فيه.. وممكن.. وده سهل كمان.. وطالما أنا بطلت، يبقى أي حد عايز يبطل.. هايعرف.. أصحابي اللي باضرب معاهم ما يعرفوش أي حاجة عن الاجتماعات في الأوضة الجميلة دي، ولا عن برنامج الـ 12 خطوة.. نفسي أروح لهم وأفهمهم.. حاسس إن دا واجب علي.. بس المشكلة إني لازم أسمع الكلام.. وسمعت من كل اللي سبقوني وبطلوا قبلي الجملة دي: مآلكش دعوة بأي واحد بيضرب، وأحسن رسالة تنقلها وتوصلها له، إنك تبعد عنه وتفضل مبطل، ومش قبل 6 شهور تشوف أي واحد منهم، ولما تروح لواحد من أصحابك ما ينفعش كمان تكون لوحدك، لازم تاخذ معاك واحد من المجموعة، ومبطل أكثر من 6 شهور.. بآتمنى.. ونفسي تمر الشهور، وأبقي 6 شهور مبطل علشان أعمل كده، نفسي أصحابي كلهم يبطلوا، بهاء، وحسام، وشريف دول أكثر ناس نفسي يبطلوا.. أصحابي لازم يعرفوا إني عايش أسعد أيام في حياتي، ونفسي هم كمان يعيشوها... أنا بأحمد ربنا وأشكره لأن الفرد ابن الـ"....." اللي كان بيتنطط في دماغى ماجاليش، وما عنديش فكرة ضرب، وفعلاً مش عايز أضرب.. أنا بصراحة عايش أيام جميلة، فوق دماغى سحابة رايقة، يا رب تفضل علي طول.. مش عارف أشكركم كلكم إزاي؟! شكراً.

ودوى التصفيق، وانطلقت صفارات التشجيع، وتهليل من كل الأركان،

وكان منتخب مصر أحرز هدفاً في كأس العالم..

ذهبت إلى المستشفى في اليوم الأول من الشهر الثاني، وزرت كل فرد في المستشفى، ومررت أيضًا على الدكتور سمير في مكتبه، واستقبلني بحفاوته الراقية، ورحب دكتور وليد بزيارتي، وكذلك دكتورة إكرام، ونجلاء، ولن أنسى في حياتي فرحة دكتورة عالية بمرور هذا الشهر على خير.. حقًا كانت سعيدة.

وفي المستشفى التقيت مع أمير، زميلي العزيز في غرفة النوم، فقد كان لديه ميعاد مع دكتورة إكرام للمتابعة.. وكان معه والدته وأخته أميرة.. أحببت هذه العائلة، بعد أن قابلتهم في قاعة اجتماعات مصر الجديدة.. اصطحبوه إلي هناك أكثر من مرة، لأن أمير يرفض ركوب التاكسي للمجيء لحضور الاجتماعات، وكلما التقينا كنت أناقشه في موضوع إصراره على الحشيش قائلا:

- يا حبيبي، الكتاب يقول إن ماينفعش أي مخدرات ، يعنى مفيش حشيش.

- أرجوك.. ما تقولش إن الحشيش مُخدرات.

- الكتاب يقول إن صحيح فيه فرق بين مخدر والتاني، بس الإدمان واحد.

- ما تبقاش ضيق يا صاصو.. فوتها.. ولعلمك أنا باشرب بيرة كمان.

- يا ابني الخمرة مخدر.. يا عم أمير إنت حر.. أنا ماشي بدماغ مُشرفي.

- المشرف بتاعى كرهنى مش عارف يعمل معايا ايه.

- هو مين المشرف بتاعك؟

- سليم.

- دا أجمل شخصية في الدنيا.. والله خسارة فيك.

وكان هذا الحوار الدائم بيني وبين أمير، وعندما يحدثنى تليفونيًا كنت

أكرر له كلامي هذا وبإصرار، وكانت أخته أميرة تحدثنى من حين إلى آخر،

تحكى وتصارحنى، وتشكو منه:

- إمبراح يا صلاح.. صاحبك أمير رجع الساعة 2:00 وكان شارب، وبابا

اتخانق معاه، وردّ عليه بمنتهى البجاجة، وقال له: أنا بطلت بودرة، وباشتغل

معاك.. عايز منى ايه؟

مسكينة أميرة في هذه القصة، وكانت تذكرني بعلاقتي بأختي رولا.  
وفي اليوم التالي، وصلت بعد الاجتماع بخمس دقائق لسببين: ركبت  
تاكسى، كان يسير ببطء شديد، والثاني زحام الطريق بسبب موكب الرئيس..  
ونزلت من التاكسى في أول الشارع، وجريت حتى أصل إلى الاجتماع في  
موعدى، وأحضر من البداية، لكن للأسف دخلت وقد بدأ.. كان حاتم من  
الحاضرين، سلمت بنظرة، ردّها بابتسامة لها معنى، وهزة رأس.. بعد الاجتماع  
قلت لنفسى خير وسيلة للدفاع هي الهجوم.. بدأت الحديث مع حاتم قائلاً:  
- الطريق كان واقف.. يظهر موكب الرئيس كان معذّى.

- لا.. ملّوش حق، هو ما يعرفش أن حضرتك عندك اجتماع الساعة 7:00  
واللا إيه؟

- الظاهر مفيش حد بلّغهُ.

- يا ظريف.. هتعدّ بكره من الأول 90 اجتماع.

- لا.. لا.. جرام.. مش مُمكن يا حاتم.

- تعجّبني وإنت بتسمع الكلام.

وفعلاً بدأت العد من أول وجديد 90 x 90.. كان حاتم يرى أن  
موضوع الحضور في الموعد بدقة، هو موضوع التزام، وانضباط.. وكان هذا  
درسًا من الدروس المهمة.. إنسان غير ملتزم تمامًا، لا بد أن يتعلم ما معنى  
الالتزام..

بعد الاجتماع قال لى حاتم:

- وبكره تجيب الكشكول معاك.. عايز أشوف إنت ماشى إزاي، ونشارك  
الخطوة الثانية.

- بجد؟ بكره الخطوة الثانية؟

- وبكره أول اجتماع فى الـ 90 يا معلم.. وياللا بينا علشان نطلع على أمجد..  
السهرة عنده النهارده.



ما أجمل هذه السهرات.

استفدت كثيرا من مشاركة الآخرين.. خبرة أمجد وشادي وخالد وتوفيق.. ثم كتبت ما فهمته عن الخطوة الثانية وعلاقتي "بقوة أعظم منى"، وأنها

قادرة أن تعيدنى إلى صوابى، وشاركت مع حاتم الخطوة الثانية، وسألنى:

- يا ترى فيه قوة أعظم منك مِخْلِيَاك مِيطَلْ يا صلاح؟

- آه طبعا.. ربنا.. الاجتماعات.. المشاركات.. المشرف.. الناس اللى فى

البرنامج.. الكتاب..

- فهمت إيه من الخطوة الثانية؟

- فهمت القاع بتاعى.

- إزاي يا صلاح؟ اشرح لى.

- القاع بتاعى مش المُستشفى بس.. لا.. القاع بتاعى هو عدم الصواب.. هو

الجنون اللى أنا كُنت فيه، مَاكَانْش يَنْفَع يَسْتَمِر.. هو ده القاع بتاعى.

- فهمت إيه كمان؟

- إن ربنا وقف جنبى.. ولازم أشكره.. بس مش عارف أشكره إزاي؟

- أشكره بالطريقة اللى تعجبك.. المهم تشكره.. اللى بعده.. الخطوة الثالثة

يا معلم.

- إيه ده؟ بس كده؟ هي دي الخطوة الثانية؟

- أيوه هي دي.. مش كيمياء.. تقرأ كل يوم الخطوة الثالثة.. وتشارك الناس

بالمواقف اللى بتحصل فى حياتنا وتطبيقها على الخطوة الثالثة.. نفس اللى عملته

فى الخطوتين الأولى والثانية.

- تمام يا افندم.

مرّت الأسابيع الثلاثة الأولى من الشهر الثاني، وحرصت على الوصول في الموعد، بل قبيل الموعد بربع ساعة، وأساعد في تنظيم القاعة.. وتوزيع الكتب على المائدة.. طبعًا.. لقد وعيت الدرس جيدًا.. الموضوع جد، ولا يحتمل الهزار.. تأخير دقيقة قد يكلفني إعادة 90 اجتماعا من الأول.

# عيون قارئ

## نبأ أليم

سارت الأمور بسلاسة، نحضر الاجتماعات، ومعها نلعب كوتشينة عند سليم أو عند أمجد، وأحياناً يأخذنى أحد الأصحاب فى سيارته إلى بيتى، وأحياناً أحدهم يعطينى جنيهين ليكتمل المبلغ الذى معى وأتمكن من دفع التاكسى، وأحياناً يعطينى أحدهم سيجارة أو اثنتين فى آخر السهرة..

لم يعكر صفو السعادة والهدوء إلا محادثة تليفونية ذات صباح من أحد الأصحاب المدمنين، المسجلين فى القائمة السوداء، والمفروض ألا ألقاهم أو أتعامل معهم فى هذه الفترة الحساسة، قال:

- صلاح.. إزيك؟ أنا يحيى.

- إزيك يا يحيى؟

- بأقولك ايه يا معلم.. فيه بيسه سم.. مش عايز؟

- لا يا يحيى.. أنا ميطل.

- كويس.. طيب لو غيرت رأيك كلمنى؟

- لا.. مش عايز.

- أنت ميطل إزاي؟

- لو عايز تبطل.. أدريك نمرة تليفون حد ممكن يساعدك.. أنا مش ها أقدر.

- لا.. لا شكرًا.. لما أعوز ها اكلّمك.. طيب ياللا سلام.

وضعت السماعة.. وكانت الساعة 11:20 صباحًا.. فوراً تصبب

جسمى كله عرقًا.. خُفّت، وِرْزَلْزنى الرعب.. لقد قالوا لى فى مثل هذه المواقف

اتصل بالمشرف فوراً، أو أحد الذين يحضرون الاجتماعات فى فترة تعافى،

لا تقل عن 6 شهور.

- كلمت حاتم، ولم أجده في البيت، ولم أجده في المكتب.. ثم كلمت خالد،  
والحمد لله، وجدته في المنزل:
- إزيك يا خالد؟
- تمام.. إنت عامل إيه يا صلاح؟
- زفت.. كلمني دلوقت واحد صاحبي ضرَّيب.
- وبعدين؟
- قفلت معاه، وكلمت حاتم.. مش موجود ولا في البيت ولا في المكتب،  
كلمتك.. أنا خايف أوى.. ومش عارف المكالمة معاه مشيت إزاي.. كأنى مش  
أنا اللي بيتكلم.. كأن واحد تانى.. قال لى فيه بيسه ميم، ماسألتوش منين  
ولا بكام.. بس قلت له أنا مبطل.. أنا خايف أوى يا خالد.. مش عارف أعمل  
إيه؟ أنا باتر عيش وعرقان.
- إهدا بس.. واسمعى كويس.. الساعة كام دلوقت؟
- الساعة 11:30.
- كويس.. أنا مش عاوزك تبطل يوم.. أنا عاوزك تبطل ساعة واحدة يعنى  
لغاية الساعة كام؟
- لغاية الساعة 12:30.
- تقدر تفضل فى بيتك ساعة واحدة بس، والساعة دى تفضل مبطلها؟
- أقدر يا خالد.
- أوّل حاجة هتعملها دلوقت تقرأ فى الكتاب.. تقرا من المدمن؟ وماذا يمكننى  
أن أفعل؟ يعنى لمدة 10 دقائق مش أكثر.
- طيب وبعدين؟
- دولاب الجرم، تدخل عليه وتنصف كل الجرم.
- جرم إيه بس؟!
- اسمع الكلام.

- حاضر .

- وميتساش تاكل شيكولاته، عندكم شيكولاته فى البيت؟

- آه عندنا .

- جلو .. عمل التلات حاجات دول لمدة ساعة، تاكل شيكولاته وتقرأ فى الكتاب، وبغدين تتصف الجزم، وكمان ساعة تلاقيني باكلمك .. وما تتحركش من عندك .

- حاضر .. والله ما ها اتحرك .

أكلت الشيكولاته، ولست أدري لماذا أكلتها بسرعة .. وأعجبنى طعمها، وكأننى لم أذق طعم الشيكولاته منذ سنوات .

فتحت الكتاب وقرأت كما قال خالد .. قرأت لمدة 10 دقائق ، ثم بدأت فى تنظيف الأحذية، وبعد تنظيف زوجين أو ثلاثة من الأحذية، شعرت أننى أكثر هدوءاً، وانشغلت تماماً فى عملية تنظيفها، ونسيت ما حدث لى منذ نصف ساعة أو أكثر قليلاً، والساعة 12:10، بمعنى قبل أن تمر ساعة على حديثى التليفونى مع خالد .. سمعت كلاكسات سيارة .. وكأننى لم أسمع .. الجبن سيد الأخلاق .. جلست فى مكانى .

وبعد دقيقتين بالضبط سمعت جرس وطرقات على الباب .. ولم أصدق

عينى .. معقول !! خالد !!

- طبعاً خالد .. إنت لسه لابس البيجامة؟!

- هو أنت قلت لى إنك جاى؟!

- يالاً بسرعة .. البس وتعال معايا .

بسرعة .. أخذت دش لعلى أفيق من الذهول من موقف خالد الرجولى .. ما هذه "الجذعنة"؟ إلى هذا الحد يشعر بالمسئولية؟ لبست، واستعديت للخروج، وقلت له تعبيراً عن امتنانى لشهامته ونبل أخلاقه:

- مش عارف أشكرك إزاي يا خالد .

- على إيه.. أنا كنت فى البيت وظروفي سمحت لى إني اعدى عليك.
- الحمد لله إنك كنت فاضى.
- بصراحة يا صلاح.. أنا شايف إنك بتحاول وبتعمل اللي عليك، فحسيت إنى لازم أساعدك.
- شكرا يا خالد.
- يا عم خلاص.. كفاية شكر.. إيه رأيك فى بولة على الصُّبح؟ بعد ما قفلت معايا كلمت شادى وسليم، وقلت لهم على الفيلم اللي حصل لك، وإن أنا ها أعدى عليك، آخذك وينزل عليهم على طول.
- بولة اصطيحة\* يا معلم.
- صلاح.. إحنا محتاجين نغير اللغة القديمة، فاهم قصدى؟
- فاهم يا خالد.. بس تصدق، موضوع تَضيف الجزم عمل شغل جامد جدًا.. واللا الشيكولاته.
- إنت فاكرا أنا كنت باقولك أى كلام وخلاص؟! فعلا الواحد فى المواقف الصعبة بيحتاج سكر، وموضوع الجزم يضحك.. الواحد بيشرح فيها.. وينسى شوية.. المرة الجاية توضح الدولار.. المهم تخرج من تفكيرك.
- لعلمك أنا دخلت على جزم بابا.. تصدق من كام شهر كنت هابيعهم لبتاع الروبابكيا.
- ذهبنا إلى سليم ومر اليوم بنجاح 100%، وحكيت فى الاجتماع عن الموقف الصعب الذى واجهته.. وشاركت قائلًا:
- أهم حاجة طليعت منها من موقف النهارده، إن أنا مش لوخدى.. وتانى حاجة: إني ماضرَبَيْش.. وتالت حاجة: إن كلّه بيعدّى لو سمعت الكلام..

\* كلمة تطلق على تعاطى مخدرات فى الصباح.

وزى الكتاب ما يقول: "الطريقة الوحيدة التي تحول دون العودة إلى الإدمان النشط هي ألا نتعاطى تلك الجرعة الأولى من المخدر".  
احتفلت بمرور شهرين، وعشت خلال تلك الأيام تحت أجمل سماء فى الدنيا.. سماء التَّبطيل، والهدوء والسكينة..  
وفى صباح يوم من الأيام جاعنى اتصال تليفونى.. قهرنى، وزلزلنى..  
كان من أميرة أخت أمير، زميلى العزيز فى غرفة النوم بالمستشفى.. هزنى صوتها الباكى من الأعماق، قالت:  
- أمير يا صلاح.. أمير.. مات.  
- بنقولى إيه يا أميرة؟! يعنى إيه؟ إزاي؟  
- لقوه فى العربية فى شارع صلاح سالم، وجنبه حُقنة.  
- لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.

بكيت بحرقه.. صورته لم تغب عن عيني لحظة منذ سمعت النبأ الأليم.  
ذهبت إلى الاجتماع، وعرفوا جميعاً هذا النبأ، وتقبلت العزاء فى صديقى أمير.. شريك الأيام التى أمضيها معا فى غرفة واحدة.. هو أمير حقا، وله نصيب كبير من اسمه، والكل يعرف كم كنت أحبه.. واستمعت إلى مشاركة سليم:

- بعد إنكم دقيقة سكون على رُوح أمير..

أكمل حديثه قائلا:

- الموقف صعب.. كلنا بنحبه، وأنا كنت مشرف أمير، وقريب منه جداً.. وفعلاً كنت خايف إن اليوم ده بيحى، بس الطبيعى إنه كان لازم بيحى.. أمير كان عنده تحفظ على البرنامج فى موضوع الحشيش والبيرة، وطبعاً رجوعه تانى لكل حاجة.

\* كتيب رقم 22، زمالة المدمنين المجهولين. مسرحياً فى زمالة المدمنين المجهولين. فان نيوز،

كاليفورنيا: زمالة المدمنين المجهولين، 2005.

وشاركت بصعوبة:

- أنا وأمير عشنا مع بعض 3 أسابيع فى نفس الأوضة.. كان طيب أوى، وراجل، وكان دائماً يقول لى أنا ميش بأذى حد، أنا بأذى نفسى بس.. لا مش صحيح يا أمير.. إنت أذيتنا كلنا.

طبعا بعد سماع هذا الخبر الحزين، كنت فى حاجة حقيقية إلى رؤية الدكتورة عالية.. وذهبت إلى المستشفى فى اليوم التالى، والسؤال الذى ظل يلح فى ذهنى: هو ليه أمير مافهمش؟

وبعد مناقشة الحدث مع الدكتورة عالية، اقتنعت أن ما حدث له كان اختياره، وأن التحفظات التى وضعها أمير بالنسبة للبرنامج، كانت هى السبب الأول والأخير لوفاته.

وشرحت لى الدكتورة عالية أن البعض منا يحتاج إلى متابعة من أخصائيين ودكاترة؛ لأن ما مررنا به كان صعباً ومؤلماً، وأن أمير لم يلتزم بذلك..

ولم يغب وجه أمير عن عيني أياماً.. أثر رحيله على قلبى تأثيراً ثقيلاً، وظل هذا الإحساس معى لفترة طويلة.. دون شك.. فإن تلك الأيام التى قضيناها معا فى المستشفى لها ذكرياتها التى لن تمر، بل تظل فى خاطرى، ولن أنسى أمير طوال عمري كله.

الله يرحمك يا أمير.





## الشك

بدأ موضوع العلاقات العاطفية يشغلني، وكنت أسمع ردًا واضحًا: المفروض عدم الدخول في أى علاقة جديدة، قبل أن تمر سنة كاملة على التَّبْطِيل.. لكن لا أحد منا اقتنع بهذا الحظر، والأغلبية كانت في لهفة للارتباط بعلاقة عاطفية، وبسرعة.. بل إن موضوع الجنس يصبح الملاذ الوحيد، إذ إن الكوب التي كانت مليئة بالمخدرات، فجأة أصبحت فارغة تمامًا، ولا بد من ملء هذا الفراغ بشيء ما.. وبالنسبة لى شخصيا فقد ملأت الفراغ بالقراءة، والكتابة، والاجتماعات، والمشاركات الحية في كل اجتماع، ولعب الكوتشينة مع الأصحاب.. ومع هذا ظل هناك بعض الفراغ.

وبعد أن احتفلت بمرور شهرين على التَّبْطِيل، رفعت سماعة التليفون، وكلمت مريم، وقلت لها إنى "بطلت" منذ شهرين، ولكن الرد كان غير متوقع بالمرّة بالنسبة لى:

- وإيه يعنى.. ما أنت بطلت أكثر من شهرين قبل كده.

- أنا أتغيرت يا مريم.. ومبطل.

- إنت مش ممكن تفضل مبطل، وأنا عارفة إنك هترجع تاخذ تانى.. الموضوع موضوع وقت.. مش أكثر.. ومن فضلك ما تتصلش مرة ثانية.

لقد شعرت بحزن عميق، يا خسارة.. تمنيت أن تفهم وتقدر الموقف هذه المرة.. ولكنها للأسف لم تفهم.. ولم تقدر.. وقررت أن أحترم نفسى، وأحترم رغبتها، ولا أتصل بها مرة أخرى، ولا أخرج نفسى أكثر من هذا.

تكلمت مع حاتم، فطلب منى ان أرجئ الحديث، وأنا قريبا سوف نناقشه

معًا.

بعد مرور ثلاثة شهور تقريبا من التبطيل والسعادة بالنجاح الذى وصلت إليه.. لن أنسى أن أحكى عن التجربة التى واجهتها بعد حوالى 40 يوماً من التعافى.. ذات يوم، وفى أحد الاجتماعات، كان خالد هو السكرتير، والمعتاد أنه يطلب من شخص ما إدارة الاجتماع، وفجأة ودون سابق إنذار قال:

- يا صلاح.. مُمْكِن تدير الاجتماع؟

- أفندبم؟! أنا أدير الاجتماع؟! لا.. لا.. لا..

- وليه لا.. أنا السكرتير، وبارشحك لإدارة الاجتماع.. كل حاجة مكتوبة، وإنْت حضرت أكثر من 30 اجتماع، والنهارده إنْت الحمد لله مبطل، فمن حقى إنى أختارك لإدارة الاجتماع.

- أخاف يا خالد.

- تخاف من إيه؟ وحتى لو غلِطت.. إيه يعنى.. ياللا.. فاضل 5 دقائق.. ظبط نفسك واستعد.

وقفت، ودرت حول نفسى، وقلت لنفسى:

- يالها من مسئولية!! أنا أقعد على كرسى الرئاسة، وفى الاجتماع عمالقة فى القاعة: أمجد، شادى، سليم، توفيق، خالد، حاتم!!

الحقيقة، الابتسامة الكبيرة التى كانت على الشفاه، ساعدتني.. وهدأت قليلا، لكن العرق لازال يتصبب..

وهدأت أكثر، وأكثر مع أول مشاركة من أمجد.. أراد بنبله أن يشجعني بمشاركته.

مرَّ الاجتماع على خير، وكان رائعا، وأحلى ما فيه أن كل فرد شكرني بصدق بعد انتهاء الاجتماع لحسن إدارتى.. منتهى الخلق والكرم منهم جميعا.. وتقبلت كل هذا شاكرا بتواضع حقيقى.

أود أن أحكى عن موقفين مهمين، واجهتهما فى تلك الفترة الحاسمة من حياتى.. أول موقف كان مع أمى: مرت الأيام وذات يوم عدت إلى البيت بعد

يوم طويل قضيته في الخارج.. كنت مجهدًا، فقد خرجت في الصباح الباكر، وذهبت إلى المستشفى، وبقيت هناك حتى جاء موعد اجتماع المساء في مصر الجديدة، ورجعت البيت حوالي الساعة 11:00 ليلاً.. حقًا كنت متعبًا بعد هذا

اليوم الطويل، ووجدت أمي في انتظاري، وسلمت عليها، وفاجأتني بقولها:

- إيه ده؟ إنتِ واخذِ مُخَدَّرَات؟ أنا عارفاك كويس.. أنتِ شكلك مش منظُوط.

أمام هذا الاتهام، وقفت مذهولاً.. ماذا أفعل الآن؟ وبهدوء قلت لها:

- لأ طبعاً.. أنا مش واخذِ مخدَّرات.. مخدَّرات إيه؟

- لأ.. واخذ.. ولازم أعمل لك تحليل دلوقتِ.

- ماشى.. أنا موافق ولو طلعت مش واخذِ هتعملي إيه يا ماما؟

- هي المصيبة إنك هتطلع واخذ.. وباللأ على المعمل حالا.

- حاضر.. وأنا جاهز يا ماما.

- ألبس وننزل حالا.

في مثل هذه المواقف العصبية، نصحوني بالاتصال بالمشرف فوراً،

وأحكي له الموقف، وأسأله رأيه.. وكيف أتصرف:

- ألو يا حاتم.. شُفَّت اللَّيْ حُصَلْ!؟

- خير.. فيه إيه؟

- أمي شكَّت في النهارده!! قال إيه أنا ضارب.. شُفَّت!! يَعْنى ميَطَّل ومِشْ

نافع.. يعنى أروح أضرب وأبهذل الدنيا علشان تَسْتريح!؟

- بالراحة يا صلاح.. عايز أسألك سؤال..العشر سنين اللي فاتوا كنت بتعمل

إيه؟

- بأضرب.

- كويس أوى.. يبقى مستغرب ليه؟ ما هو الطبيعي فعلاً إنك تكون ضارب

دلوقتِ.. وأنتِ مش ضارب هو ده اللي مش طبيعي.. أنا لو منك أتصرف

بطريقة تانية خالص.. أروح حالا لأمي وأقول لها ياللاً بينا على التحليل..

لو طلع إيجابى، ما بقدرتش نتكلم ولا كلمة واحدة.. ولو طلع سلبي، تمام، موقفنا سليم، ونبندى نبني طوبة زيادة في الثقة اللي بينك وبينها.. الثقة إتهدت يا صلاح، ومحتاجين نبنيها من أول جديد.

- لك حق.. أنا ها اعمل كده فعلا.. سلام.

- ياللا بينا يا أمي.. أنا جاهز.

- مفيش تحليل خلاص.. أنت مش واخد حاجة.. أنت كويس.. المشكلة في أنا.. عينيا هي اللي مش مظبوطة.. شفتك مجهد وتعبان.. ومش قادرة أصدق إنك فعلا ممكن تكون مبطل.. ماتزعلش، غصب عنى والله.. أنا لى عذرى.

عذرت أمي، وقبلتها.. فأخذتني في أحضانها.. واتفقنا على الخروج معا والقيام بجولة في الهواء، ونزلنا، وأكلنا "آيس كريم" وعدنا وهي في قمة السعادة.. وبمجرد عودتي، كلمت حاتم، وحكيت له ما حدث، شعر بالارتياح، وقال:

- شفت الموضوع بسيط إزاي؟!  
بعد شك أمي وما حدث، جاءت الفرصة أن أحكي لعالية عما حدث، فأنا أعلم جيدا أن لها تفسيراً لكل شيء يحدث حولي، فقالت لى:

- المرض يا صلاح بيمتد جوه البيت، والكل بيصاب، بس بطرق مختلفة.. القلق والخوف والتوتر وعدم الثقة والاكئاب واليأس.. كلها أشكال مختلفة من المرض.. علشان كده مهم أوى إن الأهالي كمان حذ يساعدهم.. اللي بيعدوا بيه مش سهل.

- نساعدهم إزاي؟

- هما كمان عندهم برنامج من 12 خطوة.

في نفس الأسبوع، فاجأتني أمي بخبر جميل، بعد اتفاتها مع والدى على إصلاح سيارتي التي كانت محجوزة في الجراج.. اتفقنا على القيام بجولة لشراء

قطع الغيار لإصلاح السيارة بأحسن صورة، وكانت هذه أول هدية منهما بعد التبديل.

أكثر ما أسعدنى فى هذا الخبر، أنه لأول مرة تتحقق لى أمنية من الأمنيات دون إلحاح أو "زن" مستمر.. هذه المرة، كان احتياجى للسيارة واضحاً، وقد تعبت فعلاً من ركوب التاكسيات والأتوبيسات، وكلاهما اتفق على تنفيذ قرارهما بسخاء حقيقى، وفى أسرع وقت ممكن.. كان من المهم أن يأتى هذا القرار منهما، ودون طلب منى.

والجديد أيضاً بعد 3 شهور تبديل، كان من حقى أن أتولى المسؤولية، وأصبح سكرتيراً للاجتماعات.. والسكرتير من مهامه استلام الكتب والكتيبات وتنظيم القاعة، وشراء متطلباتها كلها مثل: الشاى والنسكافيه، والأكواب، واللبن، وأتسلم الميزانية فى يدي.. وهذا فى حد ذاته نقطة تؤكد الثقة القوية من المجموعة التى تلتقى فى تلك القاعة، ولم يعترض أحد.. حصلت على الثقة بالإجماع، وبصراحة كانت هذه فرصة لأن ينال خالد حقه فى الراحة، فقد أمضى 4 شهور سكرتيراً من غير أى مساعدة، وكنت ودياً أساعده.. وبعد أن شكرنا خالد على مجهوده لمدة 4 شهور، توليت المسؤولية كلها.. والحمد لله منذ الاجتماع الأول، ودون مجاملة أعلنوا أننى تحمّلت المسؤولية، فى سهولة ويسر ونفذتها على أكمل وجه.

أستطيع أن أقول، وبكل الصدق، إن الثلاثة شهور التى مرت، منذ عرفت طريقى إلى هذه القاعة، وهذه الاجتماعات، كانوا من أجمل الأيام التى مضت من عمري، وعلمت جيداً لماذا يطلقون على هذه الفترة: حياة السحابة الوردية أو "البمبى"، ولا شىء يهم فى عالمى وديناى، إلا أننى "مبطل" وأحضر الاجتماعات، وأشارك الأصدقاء.. نتحاور، ونضحك ونسهر معاً، ونلعب كوتشينة، وأعود إلى بيتى وغرفتى هادئاً مطمئناً.. حقاً.. الدنيا وردية وجميلة.

مرت الأيام.. وكان الموقف الثاني مع حاتم، يوم جاءنى بعد الاجتماع،

وقال لى:

- تعال يا صلاح.. عاوزين نتكلم شوية مع بعض.

- خير يا حاتم.

- إنت مبطل من أد إيه؟

- 3 شهور و 11 يوم.

- تعجبني وإنت بتعد بالأيام.. عندك "سى فى"؟!\*

- لا.. ما عنديش.

- وناوى تشتغل إزاي وإنت ما عندكش "سى فى"؟! أنا عارف إنك الأيام دى

عايش أجمل أيام، بس لازم تفهم إن الحياة مش هاتستمر كده.. السحابة بتمشى..

إوعى تفكر إن الحياة تبطل، واجتماعات، ومشاركات، وكوتشينة.. لا.. الفترة

الجاية الأولويات هتتغير وتتظبط بشكل مختلف.. نسبة حضور الاجتماعات هتقل

شوية.. الشغل والمستقبل أهم حاجة.. لو إنت فاكّر إن أنا ناوى أساعدك فى

التبطل بس، تبقى غلطان.. أنا مهمتى كمان أحطك على الطريق المظبوط

علشان نبتدى نبنى لك مستقبل، ونتجح فى حياتك، ويبقى لك لازمة فى الدنيا.

- إيه المطلوب منى؟ أنت بخطط، وأنا أنفذ.

- أول حاجة هتجلى البيت يوم السبت الجاي، نكتب الـ "سى فى" سواء، ومن

النهارده عليك بالجرأيد، وبالذات أهرام الجمعة.. بينشر إعلانات شغل كثيرة،

نقص كل إعلانات الشغل، نقرأها وتراجعها كويس، ونشوف إيه المناسب منها،

وبعد ما نخلص الـ "سى فى" نبعثه، وربنا يسهل إن شاء الله.

- اتفقنا.

فعلاً عملنا السيرة الذاتية، وراجعت الصحف، وعملت ملفاً من إعلانات

الوظائف، وأرسلنا الـ "سى فى" لشركات كثيرة، ومنها شركة عملاقة تعمل فى

\* سيرة ذاتية.

مجال الكهرباء، وسمعتها ممتازة.. وحددت الشركة احتياجاتها فى الإعلان: مطلوب خبير فى المبيعات والتسويق.

كان هذا الإعلان بالذات مناسبًا لقدراتى وخبرتى فى البيع والتسويق.. إنها فعلا الوظيفة التى أحب أن أشغلها وقلت لنفسى: دا أنا "بياع" نمرة واحد.. دا أنا بعث كل حاجة وصلت إليها إيدى.

قمت بعملية استطلاع ودراسة عن هذه الشركة، واكتشفت أن أصحابها عائلة كبيرة، وأولادهم من جيلى، وكانوا زملائى فى المدرسة نفسها، منهم أكبر منى، ومنهم أصغر منى.. وكنا نشارك معًا فى الفرق الرياضية فى المدرسة، وفى النادى.. إذا لو تمكنت من تحديد موعد للمقابلة، فقد ألتقى بأحد هؤلاء الزملاء.. زملاء المدرسة.. لكن من؟ لست أدرى.

لم أتردد، واتصلت بأرقام الشركة التى وردت فى الإعلان، وكانت المفاجأة أن مدير المبيعات هو فيصل، صديق من النادى، وعائليًا، تربط والده ووالدته صداقة قديمة وقوية مع والدى ووالدتى.. طبعًا هذه المعلومات تبعث على الاطمئنان، وفى أغلب الظن هذه الوظيفة من نصيبى..

وبسرعة مذهلة حددوا لى موعدًا للمقابلة يوم السبت الساعة الحادية عشرة، وسألتنى السكرتيرة:

- يا ترى الميعاد مناسب؟

- مناسب جدًا.

وفى اليوم التالى، يوم الخميس صباحًا، فاجأنى والدى بأن أحد الفنادق العالمية، قد اتصلوا تليفونيا وحددوا لى موعدًا للقاء يوم السبت الساعة العاشرة.. وتركت السكرتيرة رقم التليفون لإبلاغهم بالموافقة أو تغيير الموعد.

أدهشنى الموقف.. فأنا لم أبعث "سى فى" لهذا الفندق، ولا أعرف أحدًا هناك.. وموعد العاشرة صباحًا لا يتناسب مع موعد شركة الكهرباء.. ولم يكن هناك مفر من تأجيل الموعد.

اتصلت بالسكرتيرة، وصارحتها بالموقف:

- أنا باعتذر عن الميعاد الساعة 10:00، مُمكن يتأجل إلى الساعة 1:00؟

- دقيقة واحدة وأردّ عليك.

وعادت بالرد:

- "أوكيه".

- الساعة 1:00 بالظبط، هُكون موجود.

وجاء يوم السبت.. استيقظت منتعشا، دعوت، وقرأت، ولبست ملابس

رسميه.. وكلمت حاتم، فقال لى:

- توصل يا صلاح قبل الميعاد بربع ساعة، وتكلم بمنتهى الصدق والأمانة،

وتسبب الباقي على ربنا.

بعد أن سمعت الوصايا العشر من حاتم توجهت إلى الشركة، ووصلت

الساعة 10:30، وسألت على صديقى فيصل، واستقبلنى فى مكتبه بحفاوة،

وحكىنا ذكرياتنا فى النادى والفرق والرحلات، وشرح لى أيضا طبيعة العمل فى

الشركة، وطماننى بأننى الشخص المناسب للوظيفة المطلوبة.. وشعرت بالراحة

لكلامه، واستبشرت خيرا، وفى تمام الساعة 11:00 قابلت هانى ابن صاحب

الشركة.

تذكرنى فورا عندما رانى، رغم أنه أكبر منى بسنتين دراسيتين،

ولكننى كنت من أشهر تلاميذ المدرسة بسبب مغامراتى اللانهائية، والتى كانت

مثار الحديث للزملاء فى كل الصفوف، بل وحكى لى إحدى النوادر التى

لا ينساها.. كان حديث الذكريات هادئا، ودودا ولطيفا، وسألنى عن دراستى،

ورحلاتى للخارج، وعن عملى فى الماضى ثم قال:

- بمنتهى الصراحة يا صلاح، أنا بادور على ناس عندها أى خبرة فى مجال

الكهرباء.. وأنت معندكش أى خبرة خالص، بس إحنا فى خطتنا نجهز جيل



جديد، ونعمل دورات تدريبية، ساعتها نقدر نكلمك تيجي تحضر الدورات علشان تتعلم، وفي الحالة دي تقدر تَشْتَغَلْ معنا.

- مفيش مشكلة خالص.. بس إمتى الدورات دي؟

- علشان أكون صريح معاك، مش قريب، بس دا موضوع فى خطة الشركة، وأوعدك إنك تكون أول الناس المرشحين لحضور الدورات دي.

- متشكر، وأنا فى انتظار ميعاد الدورات.

مررت على مكتب صديقى فيصل، وحكيت له ملخص اللقاء، مما أدهشه كثيرا، وطلب منى أن أصبر بعض الوقت، ووعد أن يراجع الموقف مع هانى، ويتصل بى ويصارحنى بكل شىء.

خرجت من الشركة أسفا وحزيناً، وأكلم نفسى قائلاً:

- زميلى.. زميل المدرسة يعمل معاًيا كده؟! إزاي وليه؟ يا خسارة!! فعلا دي آخر حاجة كنت أتخيلها.. بس هو ده الموقف، ولازم أتقبله.

كانت الساعة 11:45، وموعدى فى الفندق الساعة 1:00، وصلت هناك الساعة 12:20 إذا الوقت أمامى، ويسمح بأن أكلم حاتم لأحكى له نتيجة المقابلة، وكل ما حدث.

وجدت تليفوناً فى أحد المحال، وكلمت حاتم، ورد على، وأدهشنى رد فعله الغريب.. فعلا لم أكن أتوقعه:

- كويس أوى أنك ما تقبلتيش فى الشغلانة دي.. أكيد ربنا شايل لك حاجة أحسن. وضعت السماعة وأنا فى حالة غيظ حقيقى منهما.. من حاتم ومن هانى.

ودخلت إلى مقر الفندق الفاخر، قبيل الموعد بربع ساعة، وسألت على السكرتيرة، وأبلغتها بوصولى..

وفى تمام الساعة الواحدة قابلت المدير العام.. وعند باب مكتبه استقبلنى بأدب رفيع المستوى، وعلى المكتب لوحة عليها اسمه.. "مختار...." الذى قال:

- مساء الخير.. إتفضل.

- مساء الخير.

- طبعا أول سؤال بيدور فى ذهنك، إحنا وصلنا لك إزاي؟

- أنا فعلا مستغرب، أصل أنا الحقيقة ما اعرفش حد هنا، ولا عمري قدمت على وظيفة هنا.

- أنا أقول لك.. الموضوع بسيط.. أنا عندي صديق حميم، اسمه زهير، وهو المدير العام لشركة "....." وسألته عن شباب خريجين لإدارة المبيعات والتسويق، فقال لى إنه عمل إعلان، وعنده كم هائل من "السى ثيهات"، وزرته فى مكتبه، واطلعت على مجموعة كبيرة، واخترت منها 11 "سى فى"، وإنت واحد منهم.

- أنا فعلا قدمت عندهم.. دلوقت الموضوع مفهوم.. الأول كان بالنسبة لى غامض.

- أنا قابلت 10 وأنت آخر واحد.. وقرار التعيين هناخذُه النهارده.. بالتوفيق.. وبدأ مختار فى الأسئلة.. ولمدة ساعة كاملة فى مختلف الموضوعات..

إلى أن قال:

- وآخر سؤال عندي: عايز مرتب أد ايه؟

وكان ردى سريعا وواضحا:

- أنا ما يهتمنىش المرتب.. أنا يهمنى المستقبل.

ابتسم مختار ابتسامة جميلة وقال:

- هو دا الرد اللى كنت منتظره من كل اللى عملت معاهم مقابلات قبلك.. فيه ناس، جايز فى تقديري أكفا منك لأنهم اشتغلوا فى فنادق قبل كده، بس مفيش

واحد منهم إذانى الرد والإجابة اللى كنت عايز أسمعها.. تقدر تشتغل من إمتى يا صلاح؟

- من النهارده أنا جاهز.

- لا.. أول الشهر يوم الأربع الجاى.. تعال اسلم.. ولو تحب من يوم الاثنين تيجى تاخذ فكرة عن طبيعة الشغل.. أهلاً بيك.

- أكيد ها آجى يوم الاثنين.

- اتفقنا.. ومن يوم الاثنين نتكلم فى كل التفاصيل.. طبيعة الشغل، المواعيد، المرتب.. والمستقبل.

- شكراً يا أفنديم.

خرجت من الفندق، وأنا لا أصدق نفسى.. ما هذا الذى حدث؟! هل هذا حلم ياربى؟! حلم والآن علم؟! أعمل فى فندق عالمى؟! فندق له فروع فى كل دول العالم!! والمستقبل كبير إن شاء الله.

عدت إلى بيتى، وأنا طائر من السعادة، وأحلق فى سابع سماء.. حكيت لبابا وماما وأسرعت إلى التليفون وكلمت حاتم، وحكيت له كل كلمة بالتفصيل، وسألته:

- هو إنت كنت عارف، واللا كان قلبك حاسس إنى ها أخذ الشغلانة دى واللا إيه بالضبط؟

- اسمع يا صلاح، عايزك تقرا الخطوة الثالثة كويس.. اللى حصل ده هو الخطوة الثالثة.. وإيه كمان.. بطريقة عملية.. عايزك تكتب صفحة عن مفهومك عن الخطوة الثالثة بعد الموقف ده.. وهيقراها بالليل.. ومن بكره يا باشا تبتدى الخطوة الرابعة.. تقرا وتشارك الناس أصحاب الخبرة.

- حاضر.

- مبروك الشغل يا صلاح.. وحى على الجهاد.

- الله يبارك فيك.

قرأت الخطوة الثالثة:

"اتخذنا قراراً بتوكيل إرادتنا وحياتنا لعناية الله على قدر فهمنا".  
حقاً.. إن الله يختار الأفضل لنا.

كنت في حالة من السعادة لا تصفها الكلمات.. أخيراً سوف أتسلم العمل  
الجديد.. وأعمل في فندق عالمي.



## الصدمة

بدأت العمل في الفندق العالمي، وأحببت عملي وأتقنته في أيام معدودة.. وتوطدت علاقتي بزملائي في العمل.. أحببت هذا المكان.. وأصبح لدى عملاء يتقنون بي ويقدرّون مجهودي.. ورشحنى مديري لحضور دورة تدريبية في أوروبا.. فاجأني مختار بقراره وكانت مفاجأة مذهشة، إذ إنني أعمل في هذا الفندق منذ فترة قصيرة.. أسرعت حاملاً هذا النبا إلى حاتم، فقال:

- أول حاجة نتأكد أن البلد دي فيها اجتماعات، غير كده أقترح عليك إنك تعتذر.  
- اعتذر؟!!!

- طبعا تعتذر.. إنت عايز تاخذ "الريسك" في حياتك؟

- أكيد لأ.

- أسأل شادي عن البلاد اللي فيها اجتماعات، هو معاه جدول اجتماعات في 60 بلد.

وقد كان، ذهبت إلى شادي وسألته، وبالفعل كان هناك اجتماع في هذه الدولة.

وبعد ذلك أبلغني مديري بالموافقة على سفرى في آخر العام، أى بعد

احتفالى بمرور عام على التعافى، وقد أسعد حاتم هذا التوقيت، وقال لى:

- كويس.. خرينا مع بعض أول سنة.

- ماشى، مفيش مشكلة.

- نرجع للمهم.. أخبار الخطوة الرابعة إيه؟

- تمام. قراتها كذا مرة.

- طيب ممكن نبتدى نكتب؟

وبدأت كتابة الخطوة الرابعة:

"قمنا بعمل جرد أخلاقي متفحص وبلا خوف عن أنفسنا"

وقد شرح لى حاتم أنها من أهم الخطوات والوقوف عندها خطر..

تحدثت مع أمجد الذى شرح لى الخطوة بمنتهى البساطة قائلا:

- نرجع ونكتب كل اللي حصل فى الماضى.. فى نقط.. عاوزين نعرف عيوبنا:

الندم، الخوف، الإنكار، الشعور بالذنب و... و... الكتاب بيقول إيه، نقرأ سوا:

"نحن نكتب عن الأشياء التى تزعجنا هنا والآن.. لدينا ميل نحو التفكير السلبي،

لذا فوضعها على الورق يعطينا فرصة النظر إلى ما يحدث بطريقة أكثر

إيجابية.. يجب أن ننتهى من الماضى، لا أن ننشبت به.. نريد أن نواجه

ماضينا.. نراه على حقيقته ونطلقه كي نتمكن من معايشة اليوم".

ثم أضاف أمجد:

- ده تنضيف البيت من جوّه يا صلاح..

لم تكن خطوة سهلة، فقد مررت على أحاسيس مختلفة وصعبة.. تعرفت

على هذه الأحاسيس لأول مرة.. ولكن فى الوقت نفسه كانت خطوة ممتعة فقد

تعرفت على نفسى.

استمرت الحياة جميلة.. العمل.. الاجتماعات.. برنامج الخطوات

الإنتاشر، وقد أصبحت عندى الفرصة لأدعو أصدقائى الجدد "لبولات" الكوتشينة

فى منزلى.. نفس السهرات الجميلة التى كنا نقضيها عند خالد وشادى وأمجد

وحاتم..

تمر الأيام، وكل شىء جميل إلى أن استقبلت مكالمة من ميدو:

- صلاح.

- أهلاً.. الحاج ميدو!؟

- صلاح.. صلاح.

جاء الصوت ضعيفاً، وسمعت بكاءً.. فسألته:

- مالك يا ميدو؟! فيه ايه؟
- بهاء يا صلاح.. بهاء.
- ماله.. لا.. لا.. لا يا ميدو.
- أه يا صلاح.. أه.
- يعنى ايه أه.. يعنى ايه.. اتكلم يا ميدو.
- مات.. بهاء مات.. خلاص استريح.
- لا.. لا.. لا.. يا ميدو.

وفجأة، سمعت صوت حسين على الجانب الآخر:

- أبوه يا صلاح؟! أنا حسين.
  - ايه دا يا حسين؟ إزاي يا حسين؟
  - هيكون إزاي؟ اسمع.. إحنا نازلين دلوقت على بيته.. تعال هناك.
  - طيب يا حسين.. حاضر.
- وبسرعة صاروخية، انطلق شريط الذكريات، ودارت فى ذهنى وقائع الأحداث التى جمعتنى مع بهاء، ورامى، وأحمد، وحسين.. شريط من أيام المدرسة، والتزويغ، والسجاير، والحشيش، والسفر.. و.. كل حاجة فاكرها..
- وفى لحظة قفز بهاء إلى ذهنى وفكرى وقلبى وعقلى.. بونو.. بكيت بأعلى صوت.. كم تمنيت فى هذه اللحظة أن أراه وأنكلم معه.
- كلمت حاتم وحكيت له الواقعة الأليمة:

- أنا نازل أروح لبهاء.
- هتروح ليه؟
- مش عارف.
- جو مش صحى بالمره.. شوف الغزاء بُكره فين.. وخلص.

- كنت عايز أروح له يا حاتم.. بس مالحقش.. كان نفسى أروح له.. عيشة  
عمر يا حاتم.

- البقية فى حياتك.. شذ حيلك يا صلاح.

صدمة، وليست مثل كل الصدمات.. أى نعم، هذا هو المتوقع دائماً،  
لكن الواحد منا لا يشعر بقسوة الحدث إلا بعد حدوثه أمام عينيه.. ودائماً يأتى  
فجأة.. يالها من صدمة.

الله يرحمك يا بهاء.. كنت فعلاً حبيبي أوى.. أوى..  
الله يرحمك يا بهاء.

وبعد أكثر من شهر انتهيت من كتابة الخطوة الرابعة، وأتصلت بحاتم  
وأبلغته أننى على أتم استعداد لمشاركة الخطوة الخامسة:  
"أعترفنا لله ولأنفسنا ولشخص آخر بالطبيعة الحقيقية لأخطائنا".

مفتاح راحة الضمير والحرية على رأى توفيق.. اعترفت لله عندما  
كتبت كل النقاط على الورق ودون تحفظ.. واخترت مشرفى حاتم أن يكون هذا  
الشخص.. فأنا أثق فيه.. الثقة الكاملة بنزاهته وقدرته على حفظ أسرارى.

جلست فى منزل حاتم من الساعة التاسعة مساءً إلى الساعة الخامسة  
فجراً.. رغم خوفى من الموقف وعلى مظهرى، رفعت القناع وكنت واضحاً،  
أميناً ودقيقاً.. حكيت كل شىء وقد ساعدنى حاتم عندما بدأ يشاركنى ببعض  
قصصه.. فأكتشفت أننى لم أكن مختلفاً.. ليلة لن أنساها طوال حياتى..

لقد فهمت معنى راحة الضمير والحرية بعد تطبيق هذه الخطوة.. معك  
كل الحق يا توفيق!!

إلى الخطوة السادسة يا صلاح:

"كنا مستعدين تماماً لأن يزيل الله كل هذه العيوب الشخصية"



مر شهر وأنا أقرأ هذه الخطوة كل صباح قبل ذهابي إلى العمل.. أشرك أصحابي ذوى الخبرة وأستمع إلى تجربتهم في معايشة الخطوة.. كم كان مهماً أن آخذ بعض الوقت لفهم معنى "النية".. كي أستطيع أن أحيها.

النية هي ما نجاهد من أجله في الخطوة السادسة.. مدى إخلاصنا في تطبيق هذه الخطوة سيتناسب ومدى رغبتنا في التغيير.. من المهم أن نتذكر أننا بشر، ولا ينبغي أن نضع لأنفسنا توقعات غير واقعية.. هذه خطوة نية، والنية هي المبدأ الروحي للخطوة السادسة.

شاركت مع حاتم الخطوة السادسة فسألني:

- قولى يا صلاح نفسك تبقى عامل إزاي؟ أعتبر نفسك لسه مولود.

- نفسى أبقي أمين.. ومأ أخفش.. ومش عايز أكذب.

ابتسم حاتم وقال:

- كويس بس لازم تفهم إنك فى الأول والآخر مش ملاك.. وعمرك ما هتكون ملاك.

- طبعا عارف.. أنا كنت فين.. وبقيت فين!!

- الخطوة السادسة مبنية على النية، وإن إحنا نعمل أحسن ما عندنا.

- النية موجودة والحمد لله.

- يُبقى مستنى إيه.. الخطوة السابعة يا باشا.. تقراها كل يوم الصبح.. وتشارك

الناس باللى إنت فاهمه وحاسه.. وبعد كده تكتب اللي فهمته..

- زى بقية الخطوات؟

- بالظبط.

مر الشهر السادس.. إنه يوم اجتماع مهم جداً.. اجتماع انتظرتة

طويلاً.. إنه يوم احتفالى بمرور 6 شهور كاملة.. كان خالد يدير الاجتماع..

نظر إلى خالد نظرة لها معنى، وضحك في سعادة، ثم قال:

- النهارده عندنا احتفال كبير.. صلاح مبطل من 6 شهور.. (تصفيق من الجميع بحرارة).. بس قبل ما أطلب من صلاح إنه يشارك.. أحب أحكى حاجة، أنا فاكرها كويس أوى.. لما أنا كنت باحتفل بتبطل 6 شهور، وكان صلاح ساعتها لسه فى المستشفى، وقال تعليق مش ممكن أنساه أبدا.. قال هو فيه حد ببطل 6 شهور؟ فيه وللا لا يا صلاح؟ ممكن تشاركنا؟

- صلاح.. مدمن.. ياه!! إنت لسه فاكر يا خالد؟! فعلاً أنا ماكنش ممكن أتخيل إنى أبطل 6 شهور أبدا.. ولا حتى شهر.. الحمد لله يارب.. كل الناس اللي فى الأوضة شافونى أول يوم.. يوم ما دخلت وكنت خايف أقول إنى مدمن.. النهارده أنا مش خايف وقاعد واثق من نفسى.. احترمت إيمانى فاحترمى.. سمعت الكلام.. وبهدوء نفذت المقترحات كلها.. اتعاملت معاها على إنها أوامر، ودا ساعدنى كثير، وخلي دماغى تهديا، ما أنا لو شغلت دماغى الدنيا هتولع.. فهمت ليه بيقلوا على البرنامج السهل الممتع، برنامج بسيط لناس معقدة.. فعلا بسيط ملخصه: الدعاء، ساعتين فى اجتماع، مشاركة الناس، وصفحتين من الكتاب، التأمل وكتابة لمدة نص ساعة كل يوم، خلونى مبطل.. واتعلمت الأمانة، وفهمت يعنى إيه التفتح الذهنى، والنية الحمد لله كانت موجودة..

ابتديت أشوف دنيا جديدة.. دا فيه موقف حصل يضحك أوى.. وأنا قاعد فى البيت جت عيني على فائزة جامدة جدا فى المكتبة.. أمى كانت قاعده جنبى فسألتها: حلوة أوى "الفائزة" دى يا ماما، جديدة؟ ابتسمت وقالت: "الفائزة" دى أنا وباباك اشتريناها من "تشيكوسلوفاكيا" من أكثر من 20 سنة، وطول عمرها فى المكتبة.. ياه.. 20 سنة وأنا مش شايفها ومش دريان..

مرّ هذا الاجتماع الجميل، وكل الأصدقاء كانوا سعداء، وعبروا بكلمات صادقة عن فرحتهم بى، وبوجودى بينهم، وأنا بدورى كنت فى قمة السعادة، وممتن لهم جميعاً.. احتفلنا فى هذه الليلة بسهرة عند أمجد.. كوتشينة.. ضحك..

عشاء.. ولكن في هذا الوقت استطعت دفع الفاتورة، وحاولت أن أدفع عن أصدقائي بعد أن تحملوني لفترة طويلة، ولكن كان الرفض هو القرار. وفي عملي اشتغلت بهمة وحب لهذا العمل، وللعاملين معي.. وكنت أدخل مكتبي الساعة 9 صباحًا، واستمر في العمل حتى الساعة 10 مساءً.. ووسط ساعات العمل أختار ساعتين راحة للذهاب إلى اجتماع.. فالحمد لله الاجتماعات زادت والوصول إليها أصبح سهلاً، فالاجتماعات فرصة للتنفيس، ومشاركة المشكلات.. التعامل مع الناس وتقبل عيوبهم.. عيوب لا يرونها ولا يعلمون كيف يتعاملون معها.. الأخطاء كثيرة.. مشكلات الشغل والالتزامات ومشاركة الآخرين مفيدة لنا جميعاً.. البرنامج يعلم النمو ومهارات التعامل مع النفس والناس.. والتعليم لا ينتهي.. شاركت الأصدقاء معترفاً بخيرتهم.. وكان كل واحد منهم مفيداً بصورة ما وبشكل مختلف.. والحق يقال كان أمجد مُشرف مُشرفي أكثرهم خبرة.. دائماً يعطى المعلومة بسهولة ويسر.

تحركت الى الخطوة السابعة:

"سألناه بتواضع ان يخلصنا من نقائصنا الشخصية"

الخطوة السابعة هي وقت طلب الراحة والعون من الله..

إن هذه الخطوة هي الطريق إلى النمو الروحي، والهدف الرئيسي من الخطوة السابعة هو أن نخرج من انحصارنا في أنفسنا، والحصار الذي يفرضه علينا إيماننا، فهي تدريجياً، وبغاية تنتشلني من عزلة ووحدة الإيمان.

إننا نريد أن يخلصنا الله من الجوانب المدمرة في شخصياتنا.. بعد أن أصبحت حياتنا في حالة من الفوضى الحقيقية، أدركنا أننا وحدنا لا يمكن أن ننجح.. بهذا الاعتراف، حققنا لمحة من التواضع.. إن التواضع يلعب دوراً كبيراً في برنامجنا، وطريقتنا الجديدة في الحياة.. أهمية التواضع للبقاء ممتنعين عن التعاطي، كأهمية الطعام والماء للبقاء على قيد الحياة.. نحن نتعرف على عيوبنا

الشخصية، ثم نصبح مستعدين كي يزيل الله هذه العيوب.. هذا هو العنصر  
الأساسي للخطوة السابعة.

وبعد الوصول إلى هذا المفهوم، نكون مستعدين للخطوة الثامنة.

عيون قارئ

## لقاء قديم

لقد أحببت العمل، وأحببت الحياة، وتطورت الأمور لصالحى كثيرًا.. كثيرًا أسرع مما تخيلت.. بعد 6 شهور من تعيينى زاد مرتبى زيادة كبيرة، وتمت ترقيةى وأصبحت نائبًا لمدير مبيعات وتسويق الفندق، واشتريت سيارة جديدة.. وفى زمن قياسي حققت نجاحًا واضحًا، وأثبتت كفاءة عالية، جعلت إدارة هذا الفندق، وزملاي يتحمسون لمساعدتى، ودفعى إلى الأمام.

اختلفت الحياة فى كل الاتجاهات.. علاقتى بأصدقائى الجدد أصبحت وثيقة وازدادت حرارة.. كما عاد إلى أصدقائى القدامى.. وأصبح لى أصدقاء جدد من زملاي فى الفندق وعملاي أيضا.. وأصبح مختار مديرى فى العمل من أعز الأصدقاء.. أيضًا تقدمت فى البرنامج، واشتغلت بقية الخطوات بمساعدة حاتم، وبدأت مواجهة الواقع الأليم عند كتابة الأسماء فى الخطوة الثامنة: "قمنا بعمل قائمة بكل الأشخاص الذين أذيناهم، وأصبحت لدينا نية تقديم إصلاحات لهم جميعًا".

وعلى مدار شهر أعتقد أننى كتبت فى هذه الخطوة أسماء كل من أعرفهم.. وكنت مذهولًا من كم الأشخاص الذين أذيتهم بسبب إدمانى: سيف، مريم، مصطفى، كريم، رولا، أمى، أبى، سلمى، راندا، هالة،..... كتبت عشرات الأسماء، من الأصدقاء، من الجيران، من الأقارب، من المدمنين، من الزملاء فى العمل.. من.. ومن.. ومن.. فى مصر، بل وخارج مصر.

اتصلت بحاتم واتفقنا على بداية تنفيذ الخطوة التاسعة:

"قدمنا إصلاحات مباشرة لهؤلاء الأشخاص كلما أمكن ذلك، إلا إذا كان ذلك قد يضر بهم أو بالآخرين".

- ذهبت إلى حاتم بكم هائل من الأشخاص الذين أذيتهم، وكتبت أسماءهم في الخطوة الثامنة، وبدأت أستمع له بتركيز، قال:
- خلى بالك يا صلاح الخطوة التاسعة صعبة ومستمرة ومش بنقف عندها..
  - الالتزامات الكثيرة في وقت قليل خطر علينا.. فمن اللازم أن تنفذ الخطوة التاسعة بهدوء وفي حدود الإمكانيات.
  - هو أنا ها اعتذر للناس دي كلها؟
  - لا طبعاً.. الاعتراف اللي ممكن يضر ناس تانية، الأفضل إنه يتم بطريقة غير مباشرة.. تكون مثلاً غلطت في واحد صاحب باباك، واعترافك ليه ممكن يَأثر على علاقتهم سوا.
  - إزاي يا حاتم اعتذر بطريقة غير مباشرة؟
  - افرض إنك سرقت من صاحب باباك فلوس، حاول تختار مناسبة وترجع المبلغ في هدية، حتى لو بَعَثَهَا لهُ على المكتب من غير اسم.. لازم تبقى فاهم إن ربنا بيساعد في الاعتذارات أوي، وبيخلق ظروف لا تتخيلها، بتساعدنا على تقديم التعويضات.. على العموم إحنا لازم ندرس كل واحد أذيته بظروفه لوحده، وربنا يساعدنا على اتخاذ أحسن القرارات.
  - كان نفسي أعتذر لنانسي، الله يرحمها.. أنا غلطت فيها كثير.
  - ممكن تزور قبرها وتعذر لها، أو تكتب لها جواب.
  - مش ممكن أعرف مكان المقبرة.. أحسن حاجة أكتب لها جواب.
- وبدأت تقديم التعويضات، وكان أصعبها، هو الاعتذار الذي بدأت به سلسلة الاعتذارات.. وكان رأي حاتم أن ابدأ بالاعتذار لابنة عمى سلمى..
- وسألته:
- ليه يا حاتم؟ خرينا نأجل اعتذار سلمى ده شوية.
  - أحسن حاجة نخلص من أصعبهم.. وفي رأيي الاعتذار دا أهم واحد.

وذات يوم، وبعد غياب سنين طويلة، كلمت زوجة عمى، وكالمعتاد ردت بمنتهى الذوق، سألتها عن سلمى.. كانت مصادفة في زيارة لها، فقالت لى:  
- سلمى هنا.. ثانية واحدة.

ودار الحوار بيننا على التليفون:

- ألو يا صلاح.

- إزيك يا سلمى؟

- الحمد لله.

- بعد إذنك.. مُمْكِن أشوفك؟

- آه ممكن.

- إمتى؟

- بُكره لو عايز.. أنا عند ماما من الساعة 10:00 لغاية الساعة 2:00.

- خلاص.. ها أشوفك بُكره إن شاء الله.

قابلت مديري في العمل فوراً، وطلبت منه تصريحاً لمدة ساعتين فى اليوم التالى، ووعدت بألا تزيد مدة غيابى عن المكتب أكثر من ساعتين.. وحصلت على الموافقة دون تردد لأننى شديد الالتزام فى عملى.

حقيقة، كانت عملية المواجهة بالنسبة لى مهمة ثقيلة وصعبة للغاية، وكلمت حاتم وأبلغته بالموعد مع ابنة عمى، وصارحته بأننى حاولت الهروب من هذه المواجهة، وأننى تمنيت ألا يأتى هذا اليوم أبداً.. فقال لى:

- إحنا يا صلاح مسئولين عن اللى عملناه، ولكن مش مسئولين عن ردود فعل الآخرين.. فيه ناس ممكن تتقبل الاعتذار وناس مَنتَقِبِلش.

- وأعمل إيه فى الحالة دى؟

- ولا حاجة.. تسمع رد الفعل وتتقبله وإنِت ساكت.. لعلمك فيه مرة وأنا بأقدم الاعتذار لواحد صاحبى أخذت بوكس فى وشى.. وهزأنى.. وطلب منى أبعد عنه خالص.

- ليه عمل كدا يا حاتم؟
- لأنى جرحته وأذيته جامد.
- ليه عملت فيه إيه؟
- وإنت مالك.
- دا على كده.. أكيد سلمى هتموتتى.
- يا صلاح، اعمل اللى عليك، وسيب الباقي على ربنا.
- وصلت إلى عمارة عمى الساعة الحادية عشرة.. إنها أول مرة أدخلها منذ سنوات.. تحركت بصعوبة، كنت أجر قدمى، وساقاى لا تقويان على حملى، كنت أيضاً أرعد، وأتصبب عرقاً، وغمرنى شعور بالخوف.. وأنا خائف.. وضعت إصبعى على الجرس، وفتحت سلمى:
- إزيك يا صلاح.
- إزيك يا سلمى.
- تحب نقعد فين؟
- أى مكان.
- طيب.. تعال فى الصالون.. تشرب إيه؟
- ولا حاجة.. شكر.. تعالى نقعد ونتكلم بس الأول.
- خير.
- أنا مش عارف ابندى مينين.. مَعْلَشْ اسْتَحْمَلِينِي شوية.. من غير مُقَدَّمات، أنا كان عندى مُشكلة مُخَدَّرَات كبيرة أوى.. أكيد إنت كنت حاسّة وعارفة.. يوم فرحك أنا جيت هنا، وأخذت الخاتم بتاعك.. قَصْدِي سَرَقْتُهُ.
- وبكّت سلمى.. وأكملت كلامى قائلاً:
- لِبِلسَفِ الشَّدِيدِ أَنَا مَا حَسَنْتُ بِاللّٰى أَنَا عَمَلْتُهُ خَالِصٌ، كُنْتُ يَوْمَهَا تَحْتَ تَأْتِيرِ المَخَدَّرَاتِ.. أَنَا مِشْ عَارِفْ عَمَلْتُ كِذَا إِزَايْ!!



- وقفت سلمى.. فوقفت أنا أيضا.. واستمررت في البكاء، وقالت:
- أنا من أسبوع واحد حلّمت بالحوار اللي بيني وبينك دلوقت.
  - مش ممكن!!
  - أنا نفسي مش مصدقة.
  - طيب ممكن تبطلّي عياط؟
  - إوعى تفنكر أنا باعيط على الخاتم.. أنا باعيط من كتر ما أنا فرحانة إنك رجعت لنا تانى.. فذاك الخاتم.. المهم صلاح.. ميش مهم الخاتم.
  - وبكيت أنا أيضا مثل سلمى تماما.. وبعد أن هدأنا، قلت لها:
  - ممكن نقعد علشان أكمل كلامي.
  - إنفضل.
  - أنا عايز أطلب منك طلب.. من فضلك خدى المبلغ ده.. أول دفعة تحت حساب الخاتم.. أنا دلوقت باشتغل، وإن شاء الله فى أقرب فرصة أرجعلك تمن الخاتم كله.
  - ما خلاص.. باباك دفع تمن الخاتم.
  - أنا ماليش دعوة باللى دفعه بابا.. أنا باتكلم عن نفسي.. أنا لازم أدفع تمنه علشان أستريح.
  - حاضر.. حاضر يا صلاح.
  - بكت سلمى، وهى تأخذ منى النقود.
  - أنا أسف.. والله أنا أسف.
  - وأنا مسنحاك.. والله مسنحاك.
  - وبكينا من أول وجديد.. ثم ضحكنا.. ولم يتوقف حديث الذكريات.. حقاً لم أكن أتخيل أن يمر هذا الموقف الصعب بهذه السلاسة.. مستحيل هذا الذى حدث.. إننى لم أتوقع أبداً أن يكون رد الفعل بهذه المحبة وهذا الرقى والنبيل.

وفى مثل هذه المواقف الصعبة، كان حاتم يطلب منى الاتصال به على الفور، رغم أنه فى المكتب، ليشعرنى أنه بجانبى، وأيضاً ليطمئن على.. وكم كان سعيداً بما سمعه منى، لكن الذى أدهشنى قوله:

- أنا كنت متوقع أن الموضوع هيعدى بمنتهى الشياكة.. وقَدْ كانَ يا باشا.

من التعويضات التى اهتمت بتنفيذها، هى الاعتذار لمريم.. لكن حاتم

كان عنده رأى آخر:

- إنتَ كلمتها يا صلاح وهى صدتك.. وساعتها اتفقنا أنا وأنتَ نتكلم فى الموضوع دا بعدين.

- مضبوط، ومفهمتش ليه.

- أحسن حاجة يا صلاح إنك ما تظهرش فى حياتها تانى.. ودا أحسن تعويض.

- كلامك صح.. ومهما قدمت من اعتذارات..... لن يكفى!!

ومن الإعتذارات المهمة، زميل المستشفى حلمى الشهير: "حلمى ستلا".

ذهبت إليه فى المستشفى.. وقد عرفت أنه خرج لفترة ما، وعندما

اننكس عاد إليها مرة أخرى.. التقينا وتحدثت معه، ولأول مرة أشعر بكم الطيبة فى هذا الشخص، صارحته:

- أنا اللى حطيت الطبق تحت سريرك وبلغت عنك.. أنا غلطان وأسف

يا حلمى.. أنا جيت لك النهارده مخصوص، ومن فضلك إقبل اعتذارى.

- إنتَ يا صلاح!! أنا كنت فاكِر شريف هو اللى عمل كده!!

- أنا بجد أسف.. ممكن تسامحنى؟

- دا أنا قضيت يومين ولاد "....." فى 111.. يومين كاملين مش شايف غير

ثلاث "بارات" حديد.

- ما بلاش سيرة البارات.

ابتسم حلمى وقال:

- أنا مبسوط أوى إنك مبطلٌ يا صلاح.. ونفسى أبطلُ أنا كمان.
  - خليك معانا وإنت تبطل.
  - إنت عارف يا صلاح إن اعتذارك لى خلأنى عايز أروح الاجتماعات.
  - ياريت يا حلمى.
- وبالفعل بدأ حلمى يواظب على حضور الاجتماعات.

وبدأت أقرأ الخطوة العاشرة:

"واصلنا عمل الجرد الشخصى لأنفسنا واعترفنا بأخطائنا فوراً"  
ساعدتني هذه الخطوة فى إصلاح مشكلاتي اليومية.. فهى أفضل وسيلة  
دفاع، وحصن ضد الجنون القديم..

أتذكر توفيق عندما شاركنى خبرته قائلاً:

- الخطوة العاشرة يا صلاح زى تابلوه الكهرباء اللى مئبان زراير.. أول  
ما اللبة الخمرًا تتورُّ يبقى فيه حاجة غلط.. تروح تصلحها وبسرعة.  
وكان خالد يضحكنى عندما يقول:

- الخطوة العاشرة هى الضمير الصاحى والمفئجل يا معلم.. خلنى الضمير  
صاحى يا صاصو.

وكان موضوع الضمير بالنسبة لى اختراعًا جديدًا.. وكأنه اكتشاف.  
جلست مع حاتم وقرأنا معًا ما كتبته.. ومثل جميع الخطوات شاركنى  
بخبرته والمواقف التى مر بها التى من خلالها استطاع تطبيق الخطوة العاشرة  
فى أمور حياته اليومية.

ازداد أعداد الوافدين إلى الاجتماعات.. ازدادت خبرتى فى البرنامج..  
وبدأت تطبيق الخطوات مستمتعًا بالحياة دون مخدرات.. حضرت أكثر من  
340 اجتماعًا فى السنة الأولى.. وقد حدث أكثر من مرة أننى حضرت

اجتماعين في اليوم نفسه.. فقد زادت الاجتماعات وأصبحت في أماكن كثيرة  
يسهل الوصول إليها.

# عيون قارئ



## يوم بيوم

أحببت الحياة.. وبدأت اكتشاف شخصية جديدة، فلم أكن أعلم أنى أحب الخيل.. لم أكن أعلم أنى أحب السينما.. لم أكن أعلم أنى أحب الورد.. وبدأت أسمع الموسيقى واستمتع بها، أشاهد الأفلام وأفهمها.. انضمت مرة أخرى إلى أصدقاء النادي، وواظبت معهم على لعب الكرة، ومن فترة إلى أخرى كنت أذهب إلى المستشفى وألعب شطرنج مع صادق.. وكانت سهرات نهاية الاسبوع مع أمجد وخالد وشادى وسليم وتوفيق.. وحاتم، وقد استمر فى توجيهى ومساعدتى فى البرنامج، وكم كان مفيداً وممتعاً أن نجلس كل فترة لنراجع ما حدث ونتناقش فيما هو جديد ومختلف..

وذات يوم حضرت اجتماعاً عن الخطوة الحادية عشرة:

"سعيًا من خلال الدعاء والتأمل إلى تحسين صلتنا الواعية بالله على قدر فهمنا، داعين فقط إلى معرفة مشيئته لنا والقوة على تنفيذها".

الدعاء يجلب لى السلام.. ويساعدنى على أن أعيش حياة خالية من الخوف وعدم الثقة.. أصبح يمكنى الآن أن أطلب مساعدة الله.. وعندما أحتاج إليه وأستعين به، تتحسن أمورى..

وفى لحظات التأمل الهادئة، تصبح مشيئة الله واضحة.. ويبدأ العديد منا تقدير تعافينا، حينما نصل للخطوة الحادية عشرة، فتأخذ حياتنا معنى أعمق.. وبالتسليم إلى الله، والتخلى عن التعالى والسيطرة والغرور، نكتسب قوة أكبر بكثير.

وفى النهاية، عندما أطلب الإرشاد من الله، تغمرنى مشاعر من السلام

والسكينة.

مرت الشهور، وجاء يوم "...." ديسمبر.. ولا أنسى أبدا يوم "...." ديسمبر منذ عام كامل، كان آخر يوم تعاطيت فيه مخدرات وكنت فى المستشفى.. إنه أول يوم أخذه أجازة منذ بدأت العمل.. رنين التليفون لم يتوقف.. كل الناس كلمتى: حاتم، أمجد، خالد، توفيق، سليم، شادى، بالإضافة إلى نورا وسحر، وكلتاها توقفت عن التعاطى منذ شهر واحد. وفى هذا اليوم اتصلت بالمستشفى، وأبلغتهم بأننى سأقضى اليوم هناك. أخذت معى "التورته" وجاء معى: سليم، وأمجد، وشادى.. بداية توجهت إلى مكتب دكتور سمير.. شكرته من قلبى، وكانت ابتسامته الكبيرة تعبيراً واضحاً عن سعادته بما حققته، ومررت على مكتب دكتورة إكرام لتحياتها وشكرها.. وكذلك نجلاء، وبالطبع لم أنسى صديقى دكتور وليد، الذى استقبلنى بحرارة، وشكرته بكل مشاعر الامتنان.

كانت أهم شخصية فى هذا اليوم هى الدكتورة عالية.. جلسنا معاً، وأعتقد أننى لم أستطع أن أعبر لها عن واحد فى المائة مما أشعر به فى أعماقى تجاهها، فما فعلته معى سوف يظل يطوق عنقى مدى الحياة.. جلست معها، ومثل كل جلساتنا معاً، نظل نحكى ونتحاور، ونفكر، وناقش، وتسمع، وتشرح، ونضحك.

وبعد قضاء اليوم فى المستشفى، ذهبت مع أمجد إلى منزله، فقد دعانى وحاتم إلى الغداء.. وقد كانت فرصة بالنسبة لى لأشكرهم على ما فعلاه معى على مدار هذا العام.. وقد تحدثنا معاً حديثاً مهماً:

حاتم : مبروك يا صلاح.. ألف مبروك..

أمجد : مبروك يا صاصو.

صلاح : سنة.. بجد مش مصدق.. أنا مش عارف أشكركم إزاي.. مهما عملت مش ممكن أعرف أرد الجميل ده.

ابتسم أمجد وقال فى هدوء:

- لا.. ممكن تعرف ترد الجميل.

صلاح : إزاي؟

أمجد : تعمل مع غيرك اللي اتعمل معاك.

حاتم : إنت دلوقتِ جاهز إنك تبقى مشرف يا صلاح.

كانت مفاجأة بالنسبة لى..

صلاح : مشرف!! دى مسئولية كبيرة أوى!!

أمجد : إحنا عارفين.. بس ما تتساش أن ربنا معاك.. وإحنا وراك.

حاتم : اللي مش متأكد منه، تسألنى فيه.. ولو أنا كمان مش متأكد، نرجع

لأمجد ونتناقش كلنا.

أمجد : بس لازم تبقى فاهم إنك يا صلاح مسئول عن حياتك، ومش مسئول

عن حياة الناس التانية..

صلاح : مش فاهم قصدك إيه!!

أمجد : أنت ممكن تاخذ الحصان لغاية الميّه.. بس متقدرش تخلّيه يشرب..

إحنا يا صلاح بنحمل الرسالة، ومش بنحمل المدمن.. الرسالة إنك

تساعده يعمل اللي عليه؛ يقرأ.. يشارك.. يدعى.. يتغير.. يبني

مستقبل.. يتعلم اللي أنت اتعلمته.

حاتم : أنت عارف يا صلاح أن أمجد هو اللي لفت انتباهى لموضوع

شغلك.. فى يوم كلمنى وقال: كويس أوى إن صلاح يعرف ينبسط

بالكوتشينة وهو فايق، بس ده مش هو أسلوب الحياة.. لازم صلاح

ينزل أرض الواقع، ويبتدى يدور على شغل.. البرنامج مهواش تبطيل

وبس، البرنامج تبطيل وتغيير.. ومستقبل.

أمجد : إنت مخضوض ليه يا صلاح؟

صلاح : كلام جديد على.

حاتم : وحتى لما نشتغل.. واحدة واحدة.. بهدوء.. خلى بالك الإدمان سلوك.. ومش مخدرات بس.

أمجد : كوتشينة.. نلعب كوتشينة كل يوم.. نشتغل، يبقى نشتغل عشرين ساعة فى اليوم، دا اسمه سلوك إدمانى.. وهو دا مرضنا.. فهمت؟  
صلاح : فهمت.

أمجد : وحاجة كمان مهمة قالها لى المشرف بتاعى لما بطلت سنة: أنا عايزك تتقل كل يوم رسالة للمدمن.. سألته.. إزاي؟ قال لى: بمكالمة تليفون.. أو إحضر اجتماع.. مارس المبادئ.

حاتم : وآخر حاجة علشان لازم ننزل.. التقليد الخامس بيقول إيه يا أمجد؟  
أمجد : "كل مجموعة ليس لها سوى هدف أساسى واحد هو حمل الرسالة للمدمن الذى مازال يعانى".. هو ده البرنامج يا صلاح..

حاتم : النهارده بعد الاجتماع تدور على عضو جديد وتقول له إنك عايز تساعده.. زى ما عملت معاك بالظبط.  
صلاح : عليم وينفذ.

حضرنا الاجتماع المسائى فى مصر الجديدة، وكان أروع اجتماع فى الدنيا.. سنة بالنسبة لى، وبالنسبة للناس كلها: رقم جميل، ولا بد من احترامه.

تم اختيار يوم كان فيه الاجتماع مفتوحًا، فامتألت القاعة بكل الناس.. بكل الأصدقاء.. لم يتخلف أحد، جاءوا جميعًا للاحتفال.. جاء: خالد، شادى، أمجد، سليم، توفيق، حاتم، سحر، نورا.. والمفاجأة الكبرى.. جاءت دكتورة عالية أيضًا، لتحضر الاجتماع.. وتوالت المفاجآت، حضرت زوجة خالد، وزوجة سليم، وزوجة توفيق وأختها.. بل وجاءت أمى ورولا أيضًا.. وقبل نهاية الاجتماع وصل كريم وعلى وجهه ابتسامة جميلة.

أدار أمجد الاجتماع، وقد حضر أكثر من وافد جديد من المستشفى، يتقدمهم صديقى شريف.. واقترح سليم أن يكون موضوع الاجتماع "سنة تبطيل"،



إنها فرصة لى أن أعبر عما يدور فى أعماقى من حب وسعادة وامتنان، شاركت  
قائلا:

- صلاح.. مدمن..

- أهلا صلاح.

- أول حاجة: أنا عايز أعرف مين اللى قال إن زمن المعجزات انتهى؟ ييجى  
يورينى نفسه.. معجزة، وأى معجزة.. سنة.. 12 شهر.. 365 يوم..  
8760 ساعة، ما لمستش وما شفتش فيها مخدرات.. معجزة فعلا.. يا ساتر  
يارب على دى رحلة.. وكل ماشوف حد ضارب، أعرف أد إيه ربنا بيحبنى..

أنا مش عارف أوصف سعادتى.. ولا أوصف شعورى.. ولا عارف  
أوصف اللى أنا فيه دلوقت.. تانى حاجة: أنا عايز أشكر كل الناس: الدكتور  
سمير أول من واجهنى بالحقيقة.. الدكتورة عالية نورت لى الطريق، وطبعا حاتم  
مشرفى، وأمجد وشادى وتوفيق وسليم وخالد، اللى وقفوا جنبى وساندونى..

فعلا أنا كنت فى حرب مرعبة.. وربنا سترها معايا، وخرجت منها..  
يوم بيوم.. أنا ما كنتش أقدر أحارب أكثر من كده.. والله ما كنت قادر.. كانت  
حرب خسرانة، مافيهاش فصال.. أنا كنت تعبت أوى.. تعبت من الكذب.. تعبت  
من السرقة.. من الجرى.. من التليفون اللى بيرن، من جرس الباب، ويا ترى  
لو فتحت الباب فيه مُصيبة وزاه واللا إيه؟ كانت أمنية حياتى أحط راسى على  
المخدة وأنام.. أنام زى كل البشر ما بيناموا.. أنام 6 ساعات متواصلة..  
ما كنتش عايز أكثر من كده..

اللى أنا فيه دلوقت، أكثر من كده بكثير.. أسمع جرس الباب، ويرن  
التليفون، ومش خايف.. أدخل سريرى، وأحط راسى على المخدة، بأعرف أنام  
فى ثانية.. عندى أصحاب أحبهم من كل قلبى، ويحبونى لله فى الله.. ولاهما  
عايزين منى حاجة، ولا أنا عايز منهم حاجة.. رجعت إلى أهلى.. وأمى رجعت  
جامعتها، ورولا بطلت تعيط، وبابا مبسوط وسعيد.. وكريم أخويا النهارده فخور

بصلاح.. دلوقتِ باشتغل، وأخذ مرتب.. باتعب، بايئى مُستقبل.. نجحت فى شغلى وأثبتت نفسى فى وقت قياسي.. كل الوعود اللي البرنامج وعدها لى بتتحقق..

أنا مُش عارف أقول إيه.. واللا إيه.. أمنيتى إنى أساعد الناس إنها هى كمان تبطل.. أساعد كل اصحابى.. خايف حد منهم يموت.. نص أصحابى ماتوا، نفسى أدخل دماغهم، وأفهمهم إن الحياة من غير ضرب أجمل، ولها معنى تانى خالص.. نفسى يفهموا.. يارب يفهموا.

شكرا إنكم سمعتمونى.

قام خاتم وسلمنى ميدالية مكتوب عليها "عام من التعافى"، وحصلت على تشجيع وتهليل من الجميع.

كان اجتماعا جميلا واحتفالا رائعا.. سوف أتذكره طوال العمر.. أما الوافدون الجدد من المستشفى، شباب وبنات، فرأيت الذهول على وجوههم وتخيلت تعليقاتهم:

- مين الناس دول؟
- إيه يا عم الفيلم الغريب ده؟
- يا عم مينطَل بقاله سنة إزاي.. أصلاً مفيش حد بيبطل سنة..
- أصل هو مضرَبش زيبى..

وبعد الاجتماع جاعنى شريف، حضننى وقال:

- مبروك يا صلاح، عقبال عمرك كله.
- الله يبارك فيك، عقبالك يا شريف.
- أنت فهمتتى حاجة مهمة جدا.
- فهمتك إيه؟
- الصياغة مش فى الضرب، الصياغة فى التبطيل، وأنا كمان لازم أبطل.
- ياريت يا شريف، بجد ياريت، وأنا معاك فى أى حاجة إنت عايزها.

وَعَمَلًا، بالخطوة 12:

"بتحقيق صحوة روحية لدينا نتيجة لتطبيق هذه الخطوات، حاولنا حمل هذه الرسالة للمدمنين وممارسة هذه المبادئ في جميع شئوننا".

وبعد سنة تبطيل دارت الأيام، والأسابيع، والشهور والأعوام.. والحمد لله "أنا مَبْطَلٌ".. والتقيت بالكثيرين في قاعات الاجتماعات.. وحاولت أن أساعد قدر استطاعتي.. منهم من فهم، ومنهم من لم يفهم..

منهم اليوم مدير فرع أحد البنوك، ومنهم مهندس، ومنهم من تخصص في علاج الإدمان، ومنهم من شق طريقه في دنيا المال والأعمال.. ومن لا يزال يبحث عن عمل، ولكنه مَبْطَلٌ، ومنهم..... ومنهم.....

مرت الأعوام ومازلت أحضر الاجتماعات.. في مصر وخارج مصر.. تختلف اللغات ويبقى الهدف واحداً:

إننا نفضل مَبْطَلِينَ.. يَوْمَ بِيَوْمٍ..

وفي كل مكان نروحه في الدنيا بنسمع وبننقل نفس الرسالة.

وأخيراً.. واليوم، أستطيع أن أقول في جملة واحدة:

"أسوأ يوم تبطيل.. أحسن مليون مرة، من أخطى يوم ضرب".



## حمدًا لله على السلامة

استغرقت كتابة ومراجعة هذا العمل أكثر من سنتين، ولا أستطيع وصف كم المشاعر المختلفة التي مرت بي أثناء كتابة هذه الرواية، مشاعر يصعب شرحها ووصفها في كلمات..

في لحظات ابتسمت، ثم ضحكت.. ضحكت بأعلى صوت، ولحظات أخرى حزنت.. بكيت، وتركت القلم لأيام وليال.

بعد أن انتهيت من كتابة هذه الرواية، وقراءتها في هدوء، مرة ومرتين وثلاثة، كان لدى عديد من الأسئلة والاستفسارات، حدثت نفسي قائلاً:

الآن يبقى أن ألقاك يا صلاح..

كان لنا لقاء في مكتبه.. في الفندق العالمي.. برج عالٍ يطل على منظر بديع.. ما شاء الله.. المكتب كبير، واسع وأنيق.. وقد وقف صلاح مع زملائه حول مائدة الاجتماعات يُنهي معهم بعض الأعمال.

جلست في مقعدي.. أتأمل حركاته وتحركاته.. أسلوبه في الحديث، تعليماته السريعة لزملائه، وحسن استماعه لكل منهم، ثم شكرهم والتفت إليّ قائلاً:

- إيه الأخبار يا عصام؟

- الحمد لله.. معايا مفاجأة.

- مفاجأة!! أحب المفاجآت.

- الكتاب جاهز.. بس أنا فعلاً تعبت.. دي رحلة طويلة وصعبة.

ابتسم صلاح وقال:

- الضرب والمخدرات رحلة مرعبة.. تشوف نور جميل في آخر النفق.. تروح

له.. وفي ثانية تُفاجيء بانك قدام القطر.. ومش هابقف.

- أنا لسّه عندي كام سؤال.

- دا إنت سألتني مليون سؤال.. اتفضل اسأل.

- مش عارف ابتدئ منين؟
- خَلينى أساعدك، ولو أنا مكانك يبقى أول سؤال: إنت حاسس بيايه النهارده؟!
  - هو دا السؤال الأول.
  - أنا فى واقع جميل.. كان ممكن يبقى مكانى مش هنا.. إما فى السجن أو فى المستشفى، دا لو كنت عايش.
  - السؤال التانى.. تتمنى إيه؟
    - رد صلاح بلا تردد:
    - أتمنى أفضل مبطل.. يوم بيوم.
    - طيب.. وبشكل عام؟
    - مش عارف ابتدئ منين، واللاً منين..
    - ابتدئ من أى مكان.
  - أتمنى الناس تفهم إن المدمن مريض.. والأهم إن المدمن نفسه يفهم إنه مريض.. أتمنى إن المدمن اللى عنده قضية، ولسه ماتحاكمش فيها، ومدخلش السجن، يتحكم عليه بالعلاج الأول.. وبعدين يرجع للقاضى بعد العلاج ومعاه مندوب من مركز التأهيل، دا اللى بيحصل فى كل الدنيا.. كفاية يبقى عندنا مدمن مريض، بدل ما يكون عندنا مدمن مريض ومجرم.. وساعتها علاجه هيبقى أصعب..
  - أتمنى إن الحكومة تدرس حالات المدمنين المسجونين، تعيد محاكمتهم، وتفرج عنهم، نعالجهم الأول، ولو مافهموش، وماستوعبوش الدرس، نحبسهم.
  - لك حق، لازم ياخدوا فرصتهم.. تتمنى إيه كمان؟
  - محتاجين مستشفيات ومراكز تأهيل أكثر.. لازم المدمن ياخذ فرصة سليمة.. نعالجه مضبوط وبأدمية.. المدمن ذكى، ولكن على رأى بابا: "المدمن بيسئ استخدام ذكائه".. إنما بعد علاجه بيتوجه بذكائه إلى طريق سليم.. وفجأة تلاقيه ناجح جداً، ومُندمج وسط المجتمع، وعندى أمثال كتيرة..

- آخر سؤال .. برنامج زمالة "المدمنين المجهولين" ابتدئ في مصر إمتي؟
- أول اجتماع في مصر كان يوم 26 نوفمبر 1989.. وكان فيه 2 بس حاضرين، وانت كتبت عنهم.
- مين دول؟
- أمجد وجمال.
- دلوقت الموقف إيه؟
- الموقف جميل، عندنا 47 اجتماع في الاسبوع، في 6 محافظات، وفي حدود 1500 متعافي لو ماكنش أكثر..
- وخارج مصر؟
- في كل أسبوع أكثر من 43 الف اجتماع، في 127 دولة.
- ما شاء الله.
- وكل ساعة عدد المتعافين بيزداد.
- نفسى أسألك عن شخصيات كتبت عنها في الرواية.. يا ترى هُما فين دلوقت؟  
ابتسم صلاح ابتسامة هادئة وقال:
- في القاهرة.. الإسكندرية.. سوهاج.. الهند.. البحرين.. إيران.. فرنسا.. فلسطين.. الكويت.. كندا.. السعودية.. أستراليا.. في كل مكان في الدنيا.
- معنديش أسئلة تاني.. عندي بروفة الكتاب أحب إنك تشوقها.. وحاجة واحدة عايزة أقولها لك.
- اتفضل.
- حمدًا لله على السلامة.

## وصية الكاتب

عزيزى القارىء..

أشكرك على وقتك الذى قضيته مع هذا الكتاب.  
أتوقع من بعض القراء محاولة معرفة بعض شخصيات هذه الرواية..  
حقيقة الأمر: الموضوع شائك، ولا يحتمل الخطأ.. ولا الشك.. ولا الظن.

أرجو الحفاظ على مجهولية هؤلاء الأشخاص:

- احتراماً للخصوصية.
- تقديراً منا لدورهم، واهتمامهم بنقل الرسالة وتحمل المسؤولية.
- حماية لهم.. كى يستطيعوا الاستمرار فى مساعدة الآخرين، دون أى إحراج أو أذى نفسى أو شخصى لهم ولعائلاتهم.

عزيزى القارىء..

هدف هذه الرواية هو نقل الرسالة للمدمن الذى مازال يتعاطى.. وأتمنى من الله أن يساعد هذا الكتاب فى شرح حجم المأساة، دون أى مبالغة، كى نستطيع جميعاً مساندة ملايين المدمنين المرضى فى الوصول إلى الحقيقة، بعد أن عاشوا أياماً وشهوراً وسنوات فى وهم المخدرات.. وأن يتقوا فى أن هناك أملاً فى الشفاء.

## برنامج المدمنين المجهولين\* :

"المدمنون المجهولون" هي زمالة أو مجتمع [هيئة أو جمعية]، لا يسعى إلى تحقيق الربح، ويتكون من رجال ونساء، أصبحت المخدرات مشكلة رئيسية بالنسبة لهم. نحن مدمنون نتعافى ونجتمع معا بانتظام، لنساعد بعضنا البعض كي نبقى ممتنعين. هذا برنامج للامتناع التام عن كافة أنواع المخدرات. هناك مطلب واحد فقط للعضوية هو الرغبة في الامتناع عن التعاطي. نحن نقترح أن تكون متفتحا ذهنيا وأن تعطى نفسك فرصة. برنامجنا هو عبارة عن مجموعة من المبادئ، مكتوبة ببساطة شديدة، لدرجة أننا نستطيع أن نتبعها في حياتنا اليومية، أهم ما فيها هو أنها تعمل [تتجح].

لا توجد قيود على زمالة المدمنين المجهولين. نحن غير منتسبين لأي منظمات أخرى، ليس لنا أى رسوم اشتراك أو مستحقات، لا نوقع تعهدات ولا نقدم وعودا لأي شخص. لا صلة لنا بأى جهة سياسية، أو دينية أو بأجهزة تطبيق القانون، ولا نخضع للمراقبة فى أى وقت. يستطيع أى شخص أن ينضم إلينا بغض النظر عن عمره، أو جنسه، أو هويته الجنسية، أو عقيدته، أو ديانته أو...

نحن لا نهتم بنوعية أو بكمية المخدرات التى كنت تتعاطاها، أو بمن كانت صلاتك، أو بما فعلته فى الماضى، أو بمدى غناك أو فقرك.. لكننا نهتم فقط بما تريد أن تفعله بشأن مشكلتك، وكيف نستطيع أن نقدم المساعدة. العضو الجديد هو أهم شخص فى أى اجتماع؛ لأننا نستطيع الاحتفاظ بما لدينا فقط بتقديمه للآخرين. لقد تعلمنا من خبرة مجموعتنا أن أولئك الذين يواظبون على المجيء إلى اجتماعاتنا بانتظام يظلون ممتنعين.

\* كتيب رقم 1، زمالة المدمنين المجهولين. من، ماذا، كيف ولماذا. فان نيوز، كاليفورنيا:



## ملحق 1:

### الخطوات الاثنتا عشرة لزمانة المدمنين المجهولين\*:

1. إذا كنت تريد ما نعرضه عليك، ولديك نية بذل الجهد للحصول عليه، إذا أنت مستعد لاتخاذ خطوات معينة. هذه هي المبادئ التي جعلت تعافينا ممكنا.
1. اعترفنا أننا بلا قوة تجاه إدماننا، وأن حياتنا أصبحت غير قابلة للإدارة.
2. توصلنا إلى الإيمان بأن قوة أعظم من أنفسنا باستطاعتها أن تعيدنا إلى الصواب.
3. إتخذنا قرارا بتوكيل إرادتنا وحياتنا لعناية الله على قدر فهمنا.
4. قمنا بعمل جرد أخلاقي متفحص وبلا خوف عن أنفسنا.
5. اعترفنا لله ولأنفسنا ولشخص آخر بالطبيعة الحقيقية لأخطائنا.
6. كنا مستعدين تماما لأن يزيل الله كل هذه العيوب الشخصية.
7. سألناه بتواضع أن يخلصنا من نقائصنا الشخصية.
8. قمنا بعمل قائمة بكل الأشخاص الذين أذيناهم، وأصبحت لدينا نية تقديم إصلاحات لهم جميعا.
9. قدمنا إصلاحات مباشرة لهؤلاء الأشخاص كلما أمكن ذلك، إلا إذا كان ذلك قد يضر بهم أو بالآخرين.
10. واصلنا عمل الجرد الشخصي لأنفسنا واعترفنا بأخطائنا فورا.
11. سعينا من خلال الدعاء والتأمل إلى تحسين صلتنا الواعية بالله، على قدر فهمنا، داعين فقط لمعرفة مشيئته لنا والقوة على تنفيذها.
12. بتحقيق صحوة روحية لدينا نتيجة لتطبيق هذه الخطوات، حاولنا حمل هذه الرسالة للمدمنين، وممارسة هذه المبادئ في جميع شئوننا.

---

\* كتيب رقم 1، زمالة المدمنين المجهولين. من، ماذا، كيف ولماذا. فلان نيوز، كاليفورنيا؛

زمالة المدمنين المجهولين، 2004.

## ملحق 2:

التقاليد الاثنا عشر لزمالة المدمنين المجهولين\*:

نحن نحفظ بما لدينا فقط باليقظة والحذر الشديد، وكما أن حرية الفرد تتحقق عن طريق الخطوات الاثنى عشرة، كذلك فإن حرية المجموعة تتبع من تقاليدنا.

وطالما أن الروابط التي تربطنا معاً أقوى من تلك التي يمكن أن تفرقنا، فسوف يكون كل شيء على ما يرام.

1. إن مصلحتنا المشتركة يجب أن تأتي في المقدمة؛ والتعافى الشخصى يعتمد على وحدة زمالة المدمنين المجهولين.

2. لهدف مجموعتنا لا توجد سوى سلطة مطلقة واحدة - إله عطوف، علينا أن نسعى ليكون ضمير مجموعتنا موافقا لمشيئته، وما قادتنا إلا خدم مؤتمنون، وهم لا يحكمون.

3. المطلب الوحيد للعضوية هو رغبة فى الامتناع عن التعاطى.

4. يجب على كل مجموعة أن تكون مستقلة بذاتها، إلا فى الأمور التي تؤثر على مجموعات أخرى، أو زمالة المدمنين المجهولين ككل.

5. كل مجموعة ليس لها سوى هدف أساسى واحد، هو حمل الرسالة للمدمن الذى مازال يعانى.

6. لا يجوز أبداً لأى مجموعة من زمالة المدمنين المجهولين، أن تؤيد أو تعير اسم الزمالة لأى مرفق ذى نشاط مشابه، أو مشروع خارجى.. لكى لا تتسبب مشكلات المال أو الممتلكات أو الجاه فى تحويلنا عن هدفنا الأساسى.

---

\* كتيب رقم 1، زمالة المدمنين المجهولين. من، ماذا، كيف ولماذا. فان نيوز، كاليفورنيا:

7. يجب على كل مجموعة من زمالة المدمنين المجهولين أن تعتمد على نفسها بالكامل، وأن ترفض المساهمات الخارجية.
8. زمالة المدمنين المجهولين يجب أن تبقى للأبد غير مهنية، ولكن مراكز خدمتنا قد توظف عمالة متخصصة.
9. زمالة المدمنين المجهولين بهذا المفهوم لا ينبغي أبدا أن تكون منظمة، ولكننا قد ننشئ مجالس خدمة، أو لجاناً تكون مسؤولة مباشرة نحو من تخدمهم.
10. زمالة المدمنين المجهولين ليس لها رأى فى القضايا الخارجية؛ لذلك لا ينبغي أبدا أن يجر اسم الزمالة إلى أى جدل علنى.
11. إن سياستنا فى العلاقات العامة قائمة على الجذب بدلا من الدعاية؛ فنحتاج دائما إلى أن نحافظ على المجهولية الشخصية على مستوى الصحافة، والإذاعة والأفلام.
12. المجهولية هى الأساس الروحى لكل تقاليدنا، تذكرنا دائما وأبدا أن نقدم المبادئ على الشخصيات.

عيون قارى



## الكاتب

عصام يوسف..

من مواليد القاهرة..

تخرج في كلية الآداب، قسم اللغة الإنجليزية، جامعة القاهرة.

يعمل مدير عام شركة مونتانا ستوديوز للإنتاج السينمائي.

وهو كاتب رواية وسيناريو فيلم "¼ جرام"، ومن أعماله

قصة وسيناريو "ذهاب وعودة" (في مرحلة الإنتاج) وله عدة قصص

قصيرة أخرى (تحت الطبع).

وقد اختار "¼ جرام" كأول عمل له يتم نشره.

والده الكاتب الأديب: عبد النواب يوسف، رائد كتابة كتب

الأطفال في مصر والوطن العربي، وصاحب الألف عنوان.

ووالدته الكاتبة الصحفية: ننتيلة راشد "ماما لبنى" رئيسة

تحرير مجلة سمير على مدار أربعين عاما.

متزوج.. وأولاده عمر ولبنى.

مقدم لكم من جروب **اروع الكتب** علي الفيس بوك



<http://www.facebook.com/group.php?gid=43499864388>

اخوكم محمد المغازي

[moghazi@live.com](mailto:moghazi@live.com)

[www.moghazi.com](http://www.moghazi.com)